النسوية
في الميـــزان

النسوية في الميـــزان

إعداد
شحـاتة صَقر

المجلد الأول

الإهداء

إلى زوجتي الحبيبة [١] ...

إسلام أبو بكر ...

أم مريم وهند ومحمد وعائشة ...

بارك الله في عمرها ونفع بها وبهم الإسلام والمسلمين ...

حفظكم الله جميعًا وجميع المسلمين ورزقنا ووالدينا الفردوس الأعلى...

حَـــبَاكُمْ بِالتُّـــقَى رَبِّي ... مُلُوكَ الْقَلْـــبِ وَاللُّبِّ

وَأَحْيَـــاكُمْ مُطِيعِـــينَا ... نُجُومًا فِي ذُرَى الدَّرْبِ

وَأَنْجَـــاكُمْ مِنَ النِّيرَانِ ... وَقَاكُمْ شِـــدَّةَ الكَرْبِ

وَأَدْخَلَكُـــمْ جِنَانَ الْخُلْدِ ... حَبَاكُـــمْ لَـــذَّةَ الْقُرْبِ

مِـــنَ الرَّحْمَـــــنِ بَارِينَا ... ذَاك الْفَضْـــلُ مِـــنْ رَبِّي

---

(١) سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ فَقَالَ: «عَائِشَةُ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ).
وروت عَائِشَةُ رضي الله عنها أن رَسُولَ اللهِ ﷺ قال عن خَدِيجَةَ رضي الله عنها: «إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ).

قَالَ تَعَالَىٰ:

* ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

* ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات: ١٣].

* ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

* ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

* ﴿مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [غافر: ٤٠].

* ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

* ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ [المائدة:٣٨].

* ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

* ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ﴾ [النساء: ٣٢].

* ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنۡهُ أَوۡ كَثُرَۚ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا﴾ [النساء: ٧].

* ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٩].

* ﴿وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ [النساء: ٣٢].

* ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

* ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥١ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [النور: ٥١-٥٢].

* ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

* ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ [التين: ٨].

* ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

* ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ١٩ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٢٠ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [النور: ١٩ -٢١].

* ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٨، ١٦٩].

* ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف:٢٧]

* ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥].

* ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦٠، ٦١].

* ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١١-١٢].

* ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦، ٣٧]

* ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨].

* ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢، ٣٣].

* ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٨-٩].

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

* «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ).

* «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ» (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ).

* «خِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ» (رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ).

* «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي» (رَوَاهُ أَحْمَدُ، والتِّرْمِذِيُّ، وابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ).

* «إِنَّ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا، أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا، وَأَلْطَفَهُمْ بِأَهْلِهِ» (رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَصَحَّحَهُ مُحَقِّقُو الْمُسْنَدِ).

* «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا» (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ).

* كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِهِ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ- يَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ- فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ).

* «كَانَ بَشَرًا مِنَ الْبَشَرِ يَفْلِي ثَوْبَهُ، وَيَحْلُبُ شَاتَهُ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ، وكَانَ يَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيُرَقِّعُ ثَوْبَهُ، وَيَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرِّجَالُ فِي بُيُوتِهِمْ» (رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ).

* وضَع ﷺ رُكْبَتَهُ لتَضَعَ زوجته صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رِجْلَهَا عَلَى رُكْبَتِهِ حَتَّى تَرْكَبَ الْبَعِير. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ).

* عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ فَتَاةً دَخَلَتْ عَلَيْهَا فَقَالَتْ: إِنَّ أَبِي زَوَّجَنِي ابْنَ أَخِيهِ لِيَرْفَعَ بِي خَسِيسَتَهُ وَأَنَا كَارِهَةٌ، قَالَتْ: اجْلِسِي حَتَّى يَأْتِيَ النَّبِيُّ ﷺ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرَتْهُ، فَأَرْسَلَ إِلَى أَبِيهَا فَدَعَاهُ، فَجَعَلَ الْأَمْرَ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ أَجَزْتُ مَا صَنَعَ أَبِي، وَلَكِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَعْلَمَ أَلِلنِّسَاءِ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ». وفي رواية: «قَدْ أَجَزْتُ مَا صَنَعَ أَبِي، وَلَكِنْ أَرَدْتُ أَنْ تَعْلَمَ النِّسَاءُ أَنْ لَيْسَ إِلَى الْآبَاءِ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ» (رَوَاهُ أَحْمَدُ، والنَّسَائِيُّ، وابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ مُحَقِّقُو الْمُسْنَدِ).

كلمات ليست عابرة

* «إن لجنة المرأة في الأمم المتحدة شكَّلتها امرأة إسكندنافية كانت تؤمن بالزواج المفتوح ورَفْض الأسرة، وكانت تَعتبِر الزواجَ قيدًا، وأن الحرية الشخصية لا بد أن تكون مُطْلقة.

وإن المواثيق والاتفاقيات الدولية التي تخص المرأة والأسرة والسكان تصاغ الآن في وكالات ولجان تسيطر عليها فئات ثلاث: (الأنثوية المتطرفة) و(أعداء الإنجاب والسكان) و(الشاذون والشاذات جنسيًا)».

البروفيسورة «كاثرين بالم فورث» [١]

* «النسوية هي خدعة قاسية أخرى في النظام العالمي الجديد أفسدت أخلاق النساء الأميريكيات ونهبت الحضارة الغربية. لقد دمرت حياة الملايين وتمثل تهديدًا قاتلًا للإسلام».

الدكتور هنري ماكوو [٢]

* «إنّهنّ لن يكُنّ راضيات إلّا عندما يكون الرجال نساءً مثل الأخريات وعندما يستأصلن فكرة الذكورة نفسها».

إليزابيث ليفي [٣]

(١) موقع الأمم المتحدة http: / /www.un.org /ar /documents /index.shtml
وانظر: كاثرين بالم فورث: ندوة حول اتفاقية السيداو، ٤ يناير ٢٠٠٠م، على هامش مؤتمر المرأة والعولمة الذي عقد بالخرطوم، حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر (دراسة إسلامية نقدية)، د.مثنى أمين الكردستاني (ص: ٢٩٢).

(٢) مؤلف وباحث متخصص في الشئون النسوية والحركات التحررية.
https: / /www.henrymakow.com /180902.html. January 12، 2019.

(٣) إليزابيث ليفي: صحفيّة وكاتبة فرنسية، ولدت سنة ١٩٦٤، درست العلوم السياسية، وكتبت في عدّة صحف فرنسية مثل Le Figaro وLe Point. وأنشأت صحيفة Causeur، وشغلت رئيسة التحرير، ثم مديرة التحرير لها.

❋ «الحركة النسوية هي عملية احتيال بشعة، تم نشرها في المجتمع، من قبل النخبة الحاكمة له، وقد صُمِّمت لإضعاف النسيج الاجتماعي والثقافي الأمريكي؛ من أجل تقديم نظام عالمي فاشي جديد. إن دعاة الحركة النسوية هم من مدّعي الورع الدجالين، الذين أصبحوا أغنياء وأصحاب نفوذ من ادعاءاتهم هذه.

وهذا يشمل طبقة من الكذابين والمتسلّقين للأخلاق، الذين يعملون للنخبة في مختلف المجالات الحكومية والتعليمية والإعلام. إنه من الواجب أن يتم كشف هؤلاء الدّجالين وأن يتم تهميشهم».

د. هنري ماكوو[١]

❋ «قبَّح الله المدنيَّة وفنَّها؛ إنها أطلقت المرأة حرة، ثم حاطتها بما يجعل حريتها هي الحرية في اختيار أثقل قيودها لا غير. أنت محمل بالذهب، وأنت حر ولكن بين اللصوص؛ كأنك في هذا لست حرًّا إلا في اختيار من يجني عليك!».

مصطفى صادق الرافعي[٢]

❋ «سقوط المرأة لهوله وشدته ثلاث مصائب في مصيبة: سقوطها هي، وسقوط من أوجدوها، وسقوط من تُوجِدهم!».

مصطفى صادق الرافعي[٣]

❋ «أما العمل الذي تنهض به النساء.. العمل الذي لا يمكن الاستغناء عنه.. العمل الذي لا يمكن الاستعاضة عنه بشيء آخر.. فهو حمل الأجنّة، وولادتهم، وإرضاعهم، وتدبير البيوت من أجلهم، ولكن النساء لا يُؤجَرْنَ عليه بأموال نقديّة؛ وهذا ما جعل الكثير من الحمقَى ينسون أنه عمل، على الاطلاق.. فإذا تحدّثوا عن العمل جاء ذكر الرجل على لسانهم، وأنه هو الكادح وراء الرزق.. الساعي المجهد وراء لقمة العيش وما إلى ذلك من الأوصاف التي يخلعونها عليه في جهل وافتراء.. إلا أن المرأة تعمل في البيت.

---

(١) Gloria Steinem – How The CIA Used Feminism To Destabilize Society. By Henry Makow، Ph.D https: / /rense.com /general21 /hw.htm. March 18، 2002

(٢) وحي القلم (١/ ١٧٢).

(٣) وحي القلم (١/ ٢٤٠).

وكان عملها في البيت هذا منذ الأزل، عملًا ضروريًّا وحيويًّا لبقاء المجتمع ووجوده. بينما يشغل الملايين من الرجال أنفسهم ويبدّدون أعمارهم في كثير من الأعمال التافهة.. ولعل عذرهم الوحيد في قيامهم بتلك الأعمال: أنّهم يعولون بها زوجاتهم اللاتي لا يمكن الاستغناء عنهن.. وهم بذلك القول مـغرورون... وهم لا يريدون أن يفهموا.. أن عملهم وعملهن سـواء».

الكاتب الإنجليزي «جورج برنارد شو» [١]

❋ «وكثير من هذه التجمعات النسوية في مصر، انفضح أمرها في غمرة جهادها التحرري! وتكشفت أبعاد دورها عندما كشف النقاب عن «نفق الدولارات» الذي ينساب في جيوب المتنفذات من زعماء تحرير المرأة، على النحو الذي تكشّفت فيه فضيحة نوال السعداوي وتلقيها أموالًا سرية من مؤسسة «فورد فونديشن الأمريكية» وغيرها من المؤسسات الإنجليزية والهولندية».

جمال سلطان [٢]

❋ «إن الدراسات الاقتصادية أثبتت أن عمل المرأة المنزلي يصل في بعض الدول الأجنبية ما بين ٢٠- ٢٥٪ من الدخل القومي، ومع ذلك لا يدخل ضمن حسابات المعدلات العامة للدخل القومي بحجة أنه عمل غير مأجور، وفي الوقت الذي يحسب فيه عمل الراقصة والمغنية وخادمة الملهى ونحوهن ضمن معدلات الدخل القومي.. وإلا فما قيمة أي منتج بجانب صناعة الإنسان وتربيته».

الدكتور عدنان باحارث [٣]

❋ «في غمرة مشكلاتنا اليومية الصعبة كدنا ننسى حقوق المرأة ومتطلباتها المتميزة المختلفة بدورها أمًّا وربّة أسرة، كما كدنا ننسى وظيفتها التي لا بديل عنها مربّيةً للأطفال. فلم يعد لدى المرأة العاملة في البناء وفي الإنتاج وفي قطاع الخدمات وحقل العلم والإبداع، ما يكفي من الوقت للاهتمام بالشؤون الحياتية اليومية، كإدارة المنزل وتربية الأطفال، وحتى مجرّد الراحة المنزلية، وقد تبيّن أن الكثير من المشكلات في

(١) مجلة المختار، عدد مارس ١٩٦٥.
(٢) ثقافة الضرار، لجمال سلطان (ص ٧٢ - ٧٣). أعلام وأقزام في ميزان الإسلام (١/ ٤٤٤).
(٣) مجلة الجسور، عدد (٩).

سلوكية الفتيان والشباب، وفي قضايا خلقية واجتماعية وتربوية وحتى إنتاجية، إنما يتعلق بضعف الروابط الأسرية والتهاون بالواجبات العائلية».

ميخائيل جورباتشوف[١]

* «سأعترف اليوم بأنني أقف في كثير من الأشياء ضدَّ ما يسمى (حرية المرأة) تلك الحرية التي تكون على حساب أنوثتها، وعلى حساب كرامتها، وعلى حساب بيتها وأولادها، سأقول: إنني أُحمِّل نفسي كما تفعل كثيرات مشقة رفع شعار المساواة بينها وبين الرجل».

ثم ذكرت أنها قد تتعرضُ لبعض الأذى والظلم من الرجل، لكن تُعَقِّبُ على ذلك فتقول: «هل يعني هذا أن أرفض نعومة وهبها الله لي؛ لأصبح امرأة تعلق شاربًا، وتتحدى أقوى الرجال؟! وهل يعني هذا أن أتصرف وكأنني رجُلٌ لا يرُدُّه خجل؟!!!

هل يعني هذا أن أتحدى فأفعل ما يفعله الرجل ما هو مشروع له وما هو مرفوض لأؤكِّد لذاتي بأنه لا أحد أحسن من أحد، وأننا سواسية، وأحرار ولدتنا أمهاتُنا.

هل يعني هذا أن أنظر إلى البيت، جنة المرأة التي تحلُمُ بها على أنها السجنُ المؤبَّدُ، وأن الأولاد ما هم إلا حبلٌ من مَسَد يشدُّ على عُنُقي، وأن الزوج ما هو إلا السجان القاهر الذي يكبل قدمي خشية أن تسبقه خطوتي، لا، أنا أنثى وأعتزُّ بأنوثتي، وأنا امرأة أعتز بما وهبني الله، وأنا ربة بيت، ولا بأس أن أكون بعد ذلك عاملة أخدمُ خارج نطاق الأسرة، ولكن- يا ربُّ اشهد- بيتي أولًا ثُمَّ بيتي، ثم العالم الآخر».

الكاتبة الكويتية ليلى العثمان[٢]

* «للحديث عن الغرب في العصر الحديث، الغرب الآن، لنتفقْ أننا لسنا في وضع يسمح لنا بإلقاء محاضرات أخلاقية على أي شخص، يؤسفني أن أقول إننا في الغرب

(١) شغل منصب رئيس الدولة في الاتحاد السوفييتي السابق بين عامي ١٩٩٠ و١٩٩١ ورئيس الحزب الشيوعي السوفيتي بين عامي ١٩٨٥ و١٩٩١. انظر: البروسترويكا والتفكير الجديد لبلادنا والعالم أجمع، ترجمة أحمد محمد شومان وإخوانه، (ص: ١٦٦).

(٢) انظر: رسائل إلى حواء للكاتبة الكويتية ليلى العثمان (٣/ ٨٥).

لسنا في وضع يمَكِّننا من التعالي على الآخرين، مثلما تحدثنا بالأمس، نعيش في بلد في العصر الحديث حيث أعدمنا ٦٠ مليون طفل في الرحم، ٦٠ مليونًا!! ومن ثَمَّ ولزيادة الطين بلَّةً نقوم أيضًا بإخصاء أطفالنا، حتى أننا لا نملك إحساسًا بأنك تعرف من هو الرجل ومن هي المرأة.

نحن نحتفي بالشر والفجور في أكثر أشكاله جنونًا، وهذا ما نفعله في هذا البلد، ومن ثَمَّ نعتقد أننا في وضع يسمح لنا للذهاب واستعمار العالم أيديولوجيًّا، ونخبرهم أننا في حاجة إلى أن يكونوا مثلنا، المشكلة هي أن البلدان الأخرى عندما نقول لهم إننا نعطي هذا العرض ونقول إنهم يجب أن يكونوا مثلنا، فإن أعضاء البلد الآخر ينظرون إلينا كمجموعة من المسوخ غريبي الأطوار مرتبكين، ينظرون إلينا ويقولون: حسنًا، لا أريد أن أكون مثلك، لماذا تريدني أن أكون مثلك في بلدك حيث تعتقد أن الرجال يمكنهم الحمل؟! أعني أكثر من البلد الذي يعقِّم الأولاد الصغار لتحويلهم إلى فتيات؟! فأنت تغيِّر الأولاد الصغار جراحيًّا وطبيًّا لجَعْلهم فتيات وتعتقد أننا نريد أن نكون مثلك؟! إنه ليس عرضَ مبيعاتٍ مُقنع!!»

(مات والش Matt Walsh)[١]

(١) https: //www.facebook.com /MeemMagazine.BestVideos /videos /707474120795553/
هو معلق سياسي وكاتب أمريكي ينتمي للتيار المحافظ الأمريكي. ومؤلف لأربعة كتب، ومقدم الفيلم الوثائقي «ما هي المرأة؟».

هل تعلم؟

* الولايات المتحدة الأمريكية هي البلد الصناعي الوحيد في العالم الذي لم يوقع على اتفاقية القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة. فلم تصدق الولايات المتحدة الأمريكية على أي اتفاقية للقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، بالرغم أنها لعبت دورًا بارزًا في صياغة المعاهدة. وبذلك أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية واحدة من الدول السبع التي لم تصدق على الاتفاقية[١].

* أعلنت إدارة الرئيس الأمريكي السابق (بوش) عن عزمها على تشجيع مبدأ عدم الاختلاط بين البنين والبنات في المدارس العامة والعودة لقانون كان يطبق قبل ٣٢ عامًا، وصدر بذلك قرار في الصحيفة الرسمية الأمريكية (السجل الأمريكي) بتاريخ ٨/ ٥/ ٢٠٠٢م.

وجاء في الصحيفة ما نصه: «وزير التربية ينوي اقتراح تعديلات للتنظيمات المطبقة حاليًا تهدف إلى توفير هامش مبادرة أوسع للمربين من أجل إقامة مدارس غير مختلطة، إن الهدف من هذا الإجراء هو توفير وسائل جديدة لمساعدة التلاميذ على التركيز في الدراسة وتحقيق نتائج أفضل».

وقد أيد هذا القرار الجمعية الوطنية الأمريكية بتشجيع التعليم العام غير المختلط[٢].

(١) المصدر: المرأة في الولايات المتحدة، موقع ويكيبيديا.
(٢) مجلة الأسرة، عدد (١٢٤).

وهل تعلم أن

* في أمريكا ١٠,٤ مليون أسرة تعيلها الأم فقط (دون وجود أب)[١].

* في أمريكا يقتل بالإجهاض أكثر من مليون طفل سنويا!![٢]

* في أمريكا: أكثر من ٦٥ مليون شخص مصابون بأمراض جنسية لا يمكن شفاؤها[٣].

* في أمريكا يتم اغتصاب ٦٨٣ ألف امرأة سنويا أي بمعدل ٧٨ امرأة في الساعة، مع العلم أن ١٦ ٪ فقط من حالات الاغتصاب يتم التبليغ عنها!![٤]

* في تقرير لوزارة العمل الأمريكية: ٨٩ ٪ من الخدم وعمال التنظيف هم النساء[٥].

* انتشرت في أمريكا (وأوروبا) مطاعم تقدم الطعام على أجساد النساء العاريات، ونساء عاريات يغسلن السيارات[٦].

* حوالي خمسين ألف امرأة وطفلة يتم تهريبهن إلى الولايات المتحدة سنويًا لاسترقاقهن وإجبارهن على ممارسة البغاء[٧].

(١) دائرة الإحصاءات الأمريكية:
http://www.census.gov/Press-zelease/www/releases/archives/families_households/009842.html.

(٢) المراكز الأمريكية الحكومية للسيطرة على الأمراض:
http://www.cdc.gov/mmwr/preview/mmwrhtml/ss5511a1.htm.

(٣) CNN والمراكز الأمريكية الحكومية للسيطرة على الأمراض:
http://www.cnn.com/2000/HEALTH/12/05/health.stds.reut/
http://www.cdc.gov/nchstp/od/news/RevBrochure1pdfintro.htm.

(٤) وزارة العدل الأمريكية:
http://www.ojp.usdoj.gov/ovc/publica...gy/general.htm.

(٥) وزارة العمل الأمريكية: http://www.dol.gov/wb/factsheets/20lead2007.htm .

(٦) نيويورك تايمز عدد ١٨-٤-٢٠٠٧، وعدد ٢٤-٨-٢٠٠٨ وأعداد أخرى).
رويترز: http://www.reuters.com/article/oddly...D8075020070517
بي بي سي: http://news.bbc.co.uk/2/hi/uk_news/england/leicestershire/4889570.stm

(٧) نيويورك تايمز: http://query.nytimes.com/gst/fullpag...57C0A9669C8B63 .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمة

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ.

شَتَّانَ بين السماء والأرض، وبين الثَّرَى والثُّريَّا، وشتان شتان بين الطهارة والعفة والنجاسة والانحراف، وشتان شتان بين الإسلام وأهواء البشر، شتان بين رجل في الإسلام يعرِّض نفسه للقتل دفاعًا عن عرض زوجته وابنته لينال درجة الشهادة، وبين رجل غربي لا يرى- تحت مسمى الحرية الشخصية- أية غضاضة في انحراف زوجته وابنته وانتهاك عرضيهما.

لقد بوَّأ الإسلامُ المرأةَ مكانةً سامقةً، وأنزلها منزلةً عاليةً، ومع ذلك لم تسلم تشريعات الإسلام الخاصة بالمرأة من طعن الشانئين فيها، لا لأنها تستحق الطعن والعياذ بالله؛ فهي تنزيل رب العالمين العزيز الحكيم، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، ولكن يطعنون فيها لمجرد أنها من الإسلام، ومثل هذا الطعن والغمز واللمز بتشريعات الإسلام ليس وليد اليوم ولكنه وُلِدَ مع ميلاد الإسلام نفسه، ولعل هذا يلفت أنظارنا إلى

قوة البناء الإسلامي، وأنَّه إن لم يَنَلْ منه أعداؤه وهو لا زال وليدًا حين كان معه فئة قليلة من الرجال، فلن ينالوا منه بعد أن انتشر في ربوع الأرض مشرقًا ومغربًا، شمالًا وجنوبًا.

لقد شُوِّه موقف الإسلام من المرأة حتى صار عند الكثيرين متهمًا يحتاج إلى من يدافع عنه، مع أن إكرام الإسلام لها، مما لا مثيل له على الإطلاق في أي دين، أو شريعة أو مجتمع، فالمرأة في الإسلام، هي تلك المخلوقة التي أكرمها الله بهذا الدين، وحفظها بهذه الرسالة وشرَّفها بهذه الشريعة الغراء، إنها في أعلى مقامات التكريم أُمًّا كانتْ أو بنْتًا أو زوجةً، أو امرأةً من سائر أفراد المجتمع، والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة، يعلمها الكثيرون.

وقد علم أعداء الإسلام أن المرأة المسلمة من أعظم أسباب القوة في المجتمع الإسلامي. فانطلقوا يخططون لها في الليل والنهار، لشَلِّ حركتها، والزَّجِّ بها في مواقع الفتن ومستنقع الرذائل لإفسادها وإخراجها من دينها وإبعادها عن أخلاق الإسلام بكل سبيل.

وكان من ضمن أساليبهم تقديم المرأة الغربية في وسائل الإعلام على أنها النموذج الذي يجب أن يُحتَذى ويُقتَدى به في الوصول إلى قمة السعادة وللحصول على كافة الحقوق الإنسانية، مع أن الواقع خلافُ ذلك؛ فقد وصلوا إلى هوَّة سحيقة من الانحطاط والانهيار، كما تحكيه الإحصائيات والأرقام الصادرة عن مؤسساتهم الرسمية وكما سيأتي بالتفصيل إن شاء الله في هذا الكتاب.

وقد انخدعت بعض المسلمات بتلك الشعارات وبتلك النماذج الشوهاء فأصبحن يروِّجن لنموذج المرأة الغربية الذي هو ترويجٌ للمأساة التي تعاني منها المرأة الغربية، تصاحبه جرأة مِن قِبَلِ الأقلام المأجورة على تعاليم الإسلام وأخلاقه، يساندهم في ذلك الضغط الدولي على الحكومات العربية والإسلامية بفرض ما يريدونه عبر المؤسسات الدولية. إنها عمليةُ قلْبٍ للموازين وتغيير لمظاهر الحياة الإسلامية في مجتمعاتنا.

إن لهذه المؤامرة وهذه الموجة العارمة دُعاتَها ومُرَوِّجيها إما عن جهل وغفلة كما تفعل الببغاوات، وإما عن خُبْثِ نيَّة وسوء طويَّة كما تفعل الثعالب والذئاب، وإما عن

عداوة وبغضاء كما يفعل العملاء والأجراء من الخونة والأعداء الذين تراهم يعملون ليل نهار متسترين بالشعارات العريضة الخادعة وبالهتافات الصاخبة الكاذبة، ينادون بتحرير المرأة، لكن تحريرها من الفضيلة والشرف والحياء، لقد هتفوا بالعطف عليها لكنهم قسوا عليها أشد من قسوة وائدي البنات في الجاهلية الأولى.

أعلنوا مساواتها المطلقة بالرجل فكلفوها ما لا تطيق وحادُوا بمؤهلاتها الفطرية وكفاءاتها الجِبِلِّية عن جادة الطريق. ادَّعوا كرامة المرأة، فأوْرَدوها مناهلَ الذُلِّ والحقارة وجرعوها كأس الهوان، ادَّعوا تحريرها فاستعبدوها، وادَّعوا العطف عليها وإكرامها فأهانوها وأهلكوها. يريدون منها الانسلاخ من جميع الضوابط والحدود والآداب والأخلاق، محاولين قلْبَ مجتمعاتنا إلى ما يناسب تفكيرهم الأعوج ونفوسهم الخبيثة.

فأعداؤنا يريدون من بنت الإسلام أن تكون كنساء الغرب:

الْبَائِسَاتِ الْـمَائِسَاتِ كَآلَةٍ مِنْ غَيْرِ رُوحْ
النَّاشِرَاتِ شَذًى وَفِي أَعْمَاقِهِنَّ أَذًى يَفُوحْ
الضَّاحِكَاتُ وَقَدْ طَوَيْنَ قُلُوبَهُنَّ عَلَى جُرُوحْ
وَسَلُوا الشَّقَاءَ وَإِنَّهُ بِئْسَ الْمصِيرُ فَقَدْ يَبُوحْ

إن المتتبع لأسباب نشوء الحركة النسوية في الغرب يجد أنها رِدَّةُ فِعْل على الوضع المأساوي للمرأة الغربية وما كانت تعيشه من ظلم وامتهان وإذلال في أوروبا. إن هذا الوضع الغربي لا يمكن بحالٍ تعميمُه على المجتمعات الإسلامية؛ لأن واقع المجتمع المسلم غير واقع المجتمع الغربي، والمرأة المسلمة غير المرأة الغربية، ولذا فإن لكل أمة خصائصها وقِيَمها التي تستمدها من عقيدتها ومن دينها، فأصل النسوية أمراض ومشاكل تُربَتُها وجذورها أوروبية غربية؛ فلماذا الإصرار على زراعتها في تُربَتنا الإسلامية؟!!

إن أي مريض يحتاج إلى علاج حتي يشفي من مرضه، هذا أمر منطقي لا جدال فيه، لكن أن يعطَى علاجُ السرطان مثلًا لإنسان سليم غير مصابٍ بمرض السرطان فهذا بالطبع سيضر السليم كثيرًا ربما أكثر من المريض نفسه؛ وذلك لعدم حاجته إليه من البداية. كذلك الأمر في المجتمعات، فأي مجتمع كالبدن يمرض بالأمراض المجتمعية،

وإذا كان هناك مرضٌ تفشي في مجتمع معين يحتاج إلى أن يعالَج، وهناك مجتمع يخلو من المرض وقدمت له العلاج لهذا المرض غير الموجود فيه- موجود في غيره- فلا شك أنه سيؤثر سلبًا علي أجهزته و مؤسساته وهيئاته لأنه غير محتاج لهذا العلاج المجتمعي.

فلسنا بحاجة إلى حلول النسوية لمشكلات مجتمعية في الغرب والتي نتج عنها انهيار تلك المجتمعات، وإن كانت عندنا مشكلات فسببها عدم التطبيق الصحيح لإسلامنا الذي فيه الخير كله، وفيه العلاج الشافي لجميع الأمراض.

إن خطر دعاة النسوية على بلاد المسلمين ومجتمعاتهم كخطر داعش وأخواتها، فبينهما تشابُه وتشارك يدل على ضلالهما، ومن ذلك أن الحركات النسوية والجماعات التكفيرية كلاهما متطرف، فالأخيرة غالية تكفيرية تكفر كل من يخالفها، والأولى متحررة إقصائية تعادي كل الذكور.

كما أنهما يشتركان في استهداف فئة الشباب: المراهقين والمراهقات. ومن أوجه التشابه بينهما أن كلا الجماعتين تقف خلفهما جهات تحريضية مشبوهة تتستر خلف الشاشات، وتُوجِهُ من خلال الكيبوردات.

ويعجب المرء من الدعم المالي والإعلامي اللامحدود لهذه الجماعات، فمن أين لفتيات في بدايات أعمارهن المال يسافرن به إلى مشارق الأرض ومغاربها؟! ثم كيف لفتاة أن تقيم الإعلام العالمي ولا تُقعِده، ويصل خبرها الأمم المتحدة لتتدخل في شأنها، بينما يتعامى هذا الإعلام عن حوادث القتل والتهجير والإبادة لنساء وفتيات وأطفال في شتى بلاد العالم. أين هذا الإعلام العالمي من نسائنا في الشام؟! أين هم من أخواتنا في بورما وتركستان الشرقية؟! فجأة ظهرت لنا فتيات لم يُعرفنَ بعلم ولا إنجاز، فقط حب الظهور والشهرة ومنافع أخرى، أُبرِزت أسماؤهن وأطلق عليهن ألقاب تفخيم وهمية: ناشطات، حقوقيات، رائدات، إلخ وارتبطن بالسفارات الأجنبية والمنظمات الخارجية، وبدأن يخُضن بجليل الأمور وصغيرها. إن هذه الحركات النسوية ترتبط فكريًّا ومعنويًّا وماديًّا مع الدوائر الغربية، وما نشاهده اليوم هو حصاد سنوات من المكر والتخطيط.

كل هذا يوقفنا على حقيقة مرة وهي أن الجماعات النسوية ما هي إلا داعش جديدة لكنها بلباس وردي، فيجب على المسلمين دولًا ومجتمعاتٍ الوقوف بحزم وعزم ضد «داعش الوردية» كما وقفنا ضد «داعش التكيفيرية».

تسعى الحركات النسوية إلى نشر الثقافة الغربية، وإضعاف الولاء للإسلام، ونزع الحجاب، ونشر الانحلال، وإعطاء المرأة الحرية المطلقة في مجالات العلاقات الجنسية، والتشكيك في الثوابت الدينية، وتقييد دور الشريعة وحصره فيما يوافق الهوى، وتفكيك منظومة القيم وتعزيز قيم الفوضى، والتمرد على المبادئ والأخلاق، وتعزيز الاعتقاد بعدم وجود فروق بين الذكور والإناث، ونشر الشذوذ الجنسي، والقضاء على الزواج التقليدي وتقويض الأسرة الطبيعية؛ عن طريق رفض الزواج بحجة أنه درجة ثانية أو أخيرة في سلم الرغبات الأنثوية، واعتبار الأسرة والأمومة والزواج التقليدي من أسباب قهر المرأة باعتبارها أعمالًا «غير مُربحة للمرأة».

وتسعى الحركات النسوية كذلك إلى تهميش دور الرجل سواء كان أبا أو زوجًا أو أخًا والتأكيد على أنه لا يدرك مصلحتها أو يسعى إلى تدميرها بهيمنته غير المرغوبة، وتسعى إلى تكريس مفهوم الضحية وتأكيد أن المرأة ضحية للبهيمية الشيطانية للرجل، فالمرأة في نظرهم ضحية لاغتصابه ولعنفه ولتحرشه الجنسي، وضحية في جميع المواقف التي تجمع بينها وبين الرجل وأنه ينبغي حمايتها منه لا سيما وأنها لم تَعُدْ بحاجةٍ إلى الزواج بالرجل لتوفير احتياجاتها الاقتصادية.

وتدعو المنظمات النسوية في بلاد المسلمين إلى مجاراة المجتمعات الغربية في كل صغير ووضيع، والدعوة المحمومة لتغيير الأنظمة والقوانين الاجتماعية والأسرية المحلية لتتوافق مع مقررات هيئة الأمم المتحدة، التي أجمع علماء الإسلام على خطورتها ومخالفتها لمسلَّماتنا الشرعية.

فعلى المرأة المسلمة العفيفة الطاهرة أن تنتبه جيدًا لما يدبره لها أعداؤها وأعداء دينها، وألا تكون عونًا للأعداء على أمتها، وأن لا تستجيب لدعواتهم، وإلا فإنها ستكون أول الضحايا على مذابح جنود إبليس الذين يزينون حياة التمرد على الأسرة ويجترئون على تعاليم الإسلام، قال الشاعر:

يَا دُرَّةً حُفِظَتْ بالأَمْسِ غَالِيَـةً ... وَالْيَـوْمَ يَبْغُونَهَـا لِلَّهْـوِ وَاللَّعِبِ
يَا حُرَّةً قَـدْ أَرَادُوا جَعْلَهَـا أَمَـةً ... غَرْبِيَّـةَ الْعَقْلِ لَكِنَّ اسْـمَهَا عَرَبِي
عَهْدُ السُّجُودِ لِفِكْرِ الْغَرْبِ قَدْ ذَهَبَتْ ... أَيَّامُـهُ فَاسْـجُدِي لِلَّـهِ وَاقْتَرِبِي
فَلْتَحْذَرِي مِنْ دُعَاةٍ لَا ضَمِيرَ لَهُمْ ... مِنْ كُلِّ مُسْتَغْرِبٍ فِي فِكْرِهِ خَرِبِ
وَلاَ تُبَالِـي بِمَـا يُلْقُونَ مِنْ شُـبَهٍ ... وَعِنْدَكِ الْعَقْلُ إِنْ تَدْعِيهِ يَسْتَجِبِ
صُونِي جَمَالَكِ صُونِي الْعِرْضَ لَا تَهِنِي ... وَصَابِرِي وَاصْبِرِي لِلَّهِ وَاحْتَسِبِي
إِنَّ الْحَيَـاءَ مِنَ الْإِيمَـانِ فَاتَّخِذِي ... مِنْهُ حُلِيًّـكِ يَا أُخْتَـاهُ وَاحْتَجِبِي
تَذَكَّـرِي الْـوَرْدَةَ الْبَيْضَـاءَ يَانِعَةً ... يَفُوحُ مِنْهَا الشَّـذَا يُشْتَمُّ عَنْ كَثَبِ
حَتَّى إِذَا ابْتُذِلَـتْ مَاتَتْ نَضَارَتُهَا ... وَأُلْقِيَتْ كَالْقَذَى مَا فِيهِ مِنْ رَغَبِ

إن المرأة المسلمة الواعية البصيرة بحقوقها وواجبتها في ضوء كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هي المرأة الجديرة بصفة الحرية أما المرأة غير المسلمة أو المنحرفة في فهمها للإسلام فهي الأسيرة التي تحتاج إلى تحرير، سواء كان هذا التحرير من رق الشرك والوثنية وعبادة غير الله أو رق الرذيلة والتهتك أو رق العادات والأعراف والتقاليد المنافية لدين الإسلام ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ومن العجيب جدا أن تتلهف المرأة التي أعزها الله بالإسلام ونظامه الرحيم إلى دخول تلك الحياة التعيسة للمرأة في الغرب، وصدق من قال: «العاقل من اتعظ بغيره»، ولكن الأحمق يريد أن يكون هو العظة.

إن أهم علاج لتلك الأفكار الفاسدة هو مقاومتها ومدافعتها بالاجتهاد في الدعوة والعمل لهذا الدين ونشر العلم الشرعي، وتأصيل الاستسلام والانقياد لأوامر الله تعالى، وذلك بتعليم النساء والفتيات العقيدة الصحيحة، ونشر الوعي بحقيقة تلك الحركات والمُؤسسات النسوية وتوضيح أهدافها وقبائح مُخططاتها وثمارها الخبيثة، والرد التفصيلي المُبسط علي شُبهاتهم الداحضة التي ينسبونها للإسلام زورًا وبُهتانًا.

وكذلك نشر الوعي بمكانة المرأة في الإسلام وبيان تكريم الإسلام لها كزوجة وأم وبنت وأخت، وبيان حقوق الزوجة في الإسلام من خلال دراسة الفقه خاصة فقه الزواج.

ومن المهم أيضًا توضيح وإنكار سلبيات المجتمع التي لا يُقرها الإسلام والتي يتكئ عليها أعداء الإسلام في ترويج أفكارهم مثل: ظُلم الأزواج للزوجات والعنف الأسري، وظُلم الإناث في الميراث، والتفرقة في المعاملة بين الذكر والأنثى في العطايا مثل المأكل، والملبس والتعليم، ومطالبة الأنثى بالالتزام بالآداب والقيم الأسرية وعدم مطالبة الذكر بذلك، والإنكار على الأنثى إن خالفت تعاليم الدين خاصة المتعلقة بالأخلاق وعدم الإنكار على الذكر إن خالف، فالحرام حرام علي الجميع، ومن السلبيات أيضًا مطالبة الأنثى بالمساعدة في الأعمال المنزلية مع أن هذا ليس حكرًا علي الفتاة فقط؛ فمساعدة الولد في الأعمال المنزلية لا يُنقص من رجولته، فأفضل الرجال- النبي ﷺ- كان في خدمة أهله.

وهذا الكتاب محاولة لجمع وتصفية ما كتبه أهل العلم والدعاة والغيورون على دينهم وأعراضهم حول موضوع «النسوية» لعله يكون تبصرة لنا ولنسائنا وبناتنا بما يُحاك ضدنا من مؤامرات لهدْم الدين ومَسْخ الفضيلة وذَبْح العفَّة، جعل الله كيد أعدائنا في نحورهم، وحفظنا من شرورهم.

شحاتة محمد صقر

sakrmhma@yahoo.com

أفيقي أخيّة

لما كان الحديث عن النسوية وتحرير المرأة من عفتها ودينها كان من المناسب إيراد هذه القصيدة من الشعر الحر للشاعر الأديب إبراهيم أبو عباة، وفقه الله، وهي قصيدة رائعة، تحمل معاني عظيمة، يقول فيها:

تَعَالَتْ هِتَافَاتُهُمْ...

حَرِّرُوهَا، تَعَالَتْ هِتَافاتُهُمْ...

أَطْلِقُوهَا...

دَعُوهَا تُمَارِسُ حَقَّ الْحَيَاةْ...

تُمِيطُ اللِّثَامَ...

وَتُلْقِي الْحِجَابَ...

تُحَطِّمُ كُلَّ الْقَدِيمْ...

تَثُورُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيمْ...

تَعَالَتْ شِعَارَاتُ أَهْلِ الْفَسَادْ....

لِكَيْ يَخْدَعُوهَا...

فَبْاسْمِ التَّقَدُّمِ..

وَاسْمِ التَّحَرُّرِ...

وَاسْمِ التَّمَدُّنِ...

قَالُوا دَعُوهَا...

دَعُوهَا تُمَارِسُ مَا تَشْتَهِي...

دَعُوهَا تُعَاشِرُ مَنْ تَشْتَهِي...

دَعُوهَا تُطَالِبُكُمْ بِالْحُقُوقِ....

دَعُوهَا دَعُوهَا وَلَا تَمْنَعُوهَا...

أَفِيقِي أُخَيَّةُ

وَقُولِي دَعُونِي...

دَعُونِي فَإِنِّي...

أُرِيدُ حَيَائِي...

أُرِيدُ إِبَائِي...

دَعُونِي، دَعُونِي...

فَإِنِّي أَبِيَّةْ...

أَنَا لَسْتُ أُلْعُوبَةً فِي يَدَيْكُمْ...

تُرِيدُونَ أَنْ تَعْبَثُوا بِشَبَابِي...

فَأُلْقِي حِجَابِي...

وَأَخْرُجُ أَلْقَى قَطِيعَ الذِّئَابِ...

وَبَعْضَ الْكِلَابِ...

فَتَنْهَشُنِي فَأَكُونَ ضَحِيَّةْ...

تُرِيدُونَنِي أَنْ أَكُونَ مَطِيَّةْ...

أُرِيدُ السَّعَادَةَ فِي مَنْزِلِي...

لِأَحْفَظَ نَفْسِي...

لِأُسْعِدَ زَوْجِي...

لِأَرْعَى بَنَاتِي...

وَأَرْعَى بَنِيَّةْ...

أَفِيقِي أُخَيَّةْ...

يُرِيدُونَ هَدْمَ صُرُوحِ الْفَضِيلَةْ...
يُرِيدُونَ قَتْلَ الْمَعَانِي الْجَمِيلَةْ...
يُرِيدُونَ وَأْدَكِ وَالنَّفْسُ حَيَّةْ...
أَنَا لَسْتُ أَقْبَلُ هَذَا الْهُرَاءْ...
وَهَذَا الْعَدَاءْ...
فَهَيَّا اخْرَسُوا أَيُّهَا الْأَدْعِيَاءْ...
فَأَنْتُمْ دُعَاةُ الْهَوَى وَالرَّذِيلَةْ...
لَقَدْ جَرَّبَ الْغَرْبُ مَا تَدَّعُونْ...
فَهَاهُمْ لِمَا زَرَعُوا يَحْصُدُونْ...
حَصَادَ الْهَشِيمْ...
تَرَى الْبِنْتَ تَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهَا...
قُبَيْلَ الْبُلُوغْ...
فَتَرْجِعُ تَحْمِلُ فِي بَطْنِهَا...
نِتَاجَ اللِّقَاحْ...
فَتُجْهِضُهُ، لِتُعِيدَ اللِّقَاءْ...
وَحِينًا تَدَعُهُ يُلَاقِي الْحَيَاةْ...
فَتُلْقِيهِ فِي مَلْجَأٍ أَوْ حَضَانَةْ...
فَيَبْحَثُ عَنْ أُمِّهِ وَأَبِيهْ...
لِكَيْ يُطْعِمُوهْ...
لِكَيْ يَرْحَمُوهْ...
لِكَيْ يَمْنَحُوهُ الْحَنَانَ الْكَبِيرْ...
لِكَيْ يُرْضِعُوهْ...

وَلَكِنَّهُ لاَ يَرَى مَا يُرِيدْ...

فَيَنْشَأُ يَحْمِلُ حِقْدًا دَفِينًا...

لِكُلِّ الْوُجُودْ...

فَيَخْرُجُ لِلْكَوْنِ دُونَ قُيُودْ...

لِيُقْتَلَ هَذَا...

وَيَسْلُبَ هَذَا...

وَيَغْصِبُ تِلْكَ بِغَيْرِ حُدُودْ...

أفيقي أُخَيَّةُ...

أَهَذِي الْحُقُوقُ كَمَا تَزْعُمُونْ...

فأفٍّ لَكُمْ وَلِـمَا تَدَّعُونْ...

أَنَا لَسْتُ أَقْبَلُ هَذَا الْهُرَاءْ...

فَهَيَّا اخْرَسُوا أَيُّهَا الْأَدْعِيَاءْ...

أَنَا لَسْتُ أَقْبَلُ غَيْرَ تَعَالِيمِ دِينِي...

فَفِيهَا النَّجَاةْ...

وفيها الْحَيَاةْ...

وفيها السَّعَادَةُ حَتَّى الْمَمَاتْ...

أَفِيقِي أُخَيَّةْ، أَفِيقِي أُخَيَّةْ...

> ينظر الشرقيون إلى الأوربيين الذين يُكرهون نساءهم على العمل، كما ننظر إلى حصان أصيل يستخدمه صاحبه في جَرِّ عربة! فعملُ المرأة عند الشرقيين هو تربية الأسرة، وأنا أشاركهم رأيهم مشاركة تامة، فالإسلام لا النصرانية هو الذي رفع المرأة من الدرك الأسفل الذي كانت فيه، وذلك خلافًا للاعتقاد الشائع.
>
> جوستاف لوبون[1]

(١) انظر كتابه حضارة العرب (ص: ٤٠٣-٤١٣).

الفصل الأول

المرأة بين تكريم الإسلام وإهانة غيره من الأديان والمذاهب الأرضية[١]

أسفر نور الإسلام، فأضاء لنساء العالم الطريق لأمل مشرق، وأسلوب من الحياة جديد. رسخت أصول الإسلام، وورفت ظلاله، وخفقت على الخافقين أعلامه، ونعمت المرأة تحت ظله بوثوق الإيمان، ونهلت من معين العلم، وضربت بسهم في الاجتهاد، وشُرع لها من الحقوق ما لم يُشْرَع لأمة من الأمم في عصر من العصور، فقد أمعنت في سبيل الكمال طلقة العِنان، حتى أخملت مَنْ بين يديها، وأعجزت من خلفها، فلم تشبهها امرأة من نساء العالمين في جلال حياتها وسناء منزلتها.

إهانة الجاهلية للمرأة:

يجدر بنا إذا أردنا أن نبحث عن علاج لتقويم وضع المرأة المسلمة في هذا الزمان- أن نعود إلى الماضي البعيد لنتتبع وضع المرأة في «الجاهلية الأولى» عند العرب الجاهلية، بل عند الأمم الأخرى التي انفصلت عن هدي الرسالات الإلهية، لندرك أن هناك «إجماعا عالميا» قد تجاوز حدود الزمان والمكان على ظلم المرأة وتجريدها من كافة حقوقها الإنسانية.

فَالْوَجْـهُ مِثْـلُ الصُّبْـحِ مُنْبِلـجٌ ... والشَّـعْرُ مِثـلُ اللَّيْـلِ مُسْـوَدُّ
ضِدَّانِ لَـمَّا اسـتَجْمَعَا حَسُـنَا ... وَالضِـدُّ يُظْهِـرُ حُسْـنَهُ الضِـدُّ

وتتضح هذه المكانة أكثر عند مقارنتها بمكانة المرأة فى الأديان السابقة على الإسلام، والفلسفات والحضارات والأفكار الأخرى، فبضدها تتميز الأشياء، مع أنه قد يؤخذ على هذه المقارنة أنها بين غير متكافئين، وقد يكون فيها حطٌّ من قدر الإسلام كما قيل:

(١) انظر: عودة الحجاب، للدكتور محمد إسماعيل المقدم (٢/ ٤٥ - ٧٣)، المرأة بين الفقه والقانون، للدكتور مصطفى السباعي (ص: ٣٦ -٣٨)، ضمانات حقوق المرأة الزوجية، لمحمد يعقوب الدهلوي.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّـيْفَ يَنْقُـصُ قَدْرُهُ إِذَا قِيلَ إِنَّ السَّيْفَ أَمْضَى مِنَ الْعَصَا

ثم إذا نحن تأملنا كيف حرر الإسلام المرأة ورفع شأنها، وكرمها قرآنا وسنة، وقلبنا صفحات التاريخ لِنَدْرُسَ «سيرة المرأة المسلمة» وكيف تأثرت بالإسلام مؤمنةً عابدة، وانفعلت به مجاهدةً صابرةً، ثم كيف أثرت في الإسلام أمًّا وبنتا وزوجة وعالمة. عند ذلك نستطيع أن ندرك:

- زيف الدعاوى التي يروجها أعداء المرأة المسلمة حول «وضع المرأة في الإسلام».
- وحقيقة المهانة التي تعرضت لها المرأة عند غير المسلمين، وتتعرض لها الآن مما لا يحس به إلا سليم الحس والبصيرة والذوق.

وعند ذلك أيضًا نستطيع أن نستشعر ويستشعر معنا أمهاتنا ونساؤنا وبناتنا نعمة الإسلام العظيمة ورحمته التي لا حد لها، وتكريمه للمرأة المسلمة، فنرفع عقيرتنا نهتف بها قائلين: «أيتها المسلمة لا تبدلي نعمة الله كفرًا».

المرأة عند الآخرين:

لقد كانت المرأة قبل الإسلام في حال مزرية يندى لها جبين الإنسانية، فجاء الإسلام وانتشلها من هذه الحمأة، وأعلى مكانتها على نحو لم يُسْبق إليه، ولا جرم أن الباحث في وضع المرأة قبل الإسلام لن يجد ما يسره، إذ يرى نفسه أمام إجماع عالمي على تجريد هذه المخلوقة من جميع الحقوق الإنسانية:

١- المرأة عند الإغريق:

كانت محتقرة مهينة، حتى سموها رجسًا من عمل الشيطان، وكانت عندهم كسَقَطِ المتاع، تباع وتشترى في الأسواق، مسلوبة الحقوق، محرومة من حق الميراث وحق التصرف في المال، ومما يذكر عن فيلسوفهم (سقراط) قوله: «إن وجود المرأة هو أكبر منشأ ومصدر للأزمة والانهيار في العالم، إن المرأة تشبه شجرة مسمومة حيث يكون ظاهرها جميلًا، ولكن عندما تأكل منها العصافير تموت حالًا».

ويحدثنا التاريخ عن اليونان في إدبار دولتهم كيف فشت فيهم الفواحش والفجور، وعُدَّ من الحرية أن تكون المرأة عاهرًا، وأن يكون لها عشاق، ونصبوا التماثيل للغواني

والفاجرات، وقد أفرغوا على الفاحشة ألوان القداسة بإدخالها المعابد حيث اتخذ البغاء صفة التقرب إلى آلهتهم، ومن ذلك أنهم اتخذوا إلها أسموه (كيوبيد) أي (ابن الحب)، واعتقدوا أن هذا الإله المزعوم ثمرة خيانة إحدى آلهتهم (أفروديت) زوجها مع رجل من البشر. وتحكى بعض المصادر أنه كان للمرأة الإسبرطية الحق في أن تتزوج بأكثر من رجل واحد.

٢- المرأة عند الرومان:

كان شعارهم فيما يتعلق بالمرأة: «إن قيدها لا ينزع، ونيرها لا يخُلع»، وكان الأب غير مُلزَم بقبول ضم ولده منه إلى أسرته ذكرًا كان أم أنثى، بل كان يوضع الطفل بعد ولادته عند قدميه، فإذا رفعه وأخذه بين يديه كان ذلك دليلًا على أنه قبل ضمه إلى أسرته، وإلا فإنه يعني رفضه لذلك، وحينئذ يؤخذ الوليد إلى الساحات العامة، أو باحات هياكل العبادة فيطرح هناك، فمن شاء أخذه إذا كان ذكرًا، وإلا فإن الوليد يموت جوعا وعطشًا وتأثرًا من حرارة الشمس أو برودة الشتاء.

وكان لرب الأسرة أن يُدخِل في أسرته من الأجانب من يشاء، ويخرج منها من أبنائه من يشاء عن طريق البيع، ثم قيد قانون الاثني عشر لوحًا حق البيع بثلاث مرات، فإذا باع الأب ابنه ثلاث مرات متوالية كان له الحق في التحرر من سلطة رئيس الأسرة، أما البنت فكانت تظل خاضعة له ما دام حيًّا، وكانت قوانين الاثني عشر لوحًا تعد الأنوثة من أسباب حرمان الأهلية.

ومن عجيب ما ذكرته بعض المصادر- وهو مما لا يكاد يصدق- أن مما لاقته المرأة في العصور الرومانية تحت شعارهم المعروف «ليس للمرأة روح» تعذيبها بسكب الزيت الحار على بدنها، وربطها بالأعمدة، بل كانوا يربطون البريئات بذيول الخيول، ويسرعون بها إلى أقصى سرعة حتى تموت.

٣- المرأة عند الصينيين القدماء:

شبهت المرأة عندهم بالمياه المؤلمة التي تغسل السعادة والمال، وللصيني الحق

في أن يبيع زوجته كالجارية، وإذا ترملت المرأة الصينية أصبح لأهل الزوج الحق فيها كثروة، وتورث، وللصيني الحق في أن يدفن زوجته حية!

٤- المرأة في قانون حمورابي:

كانت المرأة تحسب في عداد الماشية المملوكة، ومن قتل بنتًا لرجل كان عليه أن يسلم بنته ليقتلها أو يتملكها، فالعقوبة ليست للقاتل بل لابنته!!!.

٥- المرأة عند الهنود:

في شرائع الهندوس أنه: ليس الصبر المقدر، والريح، والموت، والجحيم، والسم، والأفاعي، والنار، أسوأ من المرأة.

ولم يكن للمرأة في شريعة «مانو» حق في الاستقلال عن أبيها أو زوجها أو ولدها، فإذا مات هؤلاء جميعا وجب أن تنتمي إلى رجل من أقارب زوجها، وهى قاصرة طيلة حياتها، ولم يكن لها حق في الحياة بعد وفاة زوجها بل يجب أن تموت يوم موت زوجها، وأن تحرق معه وهي حية على موقد واحد، واستمرت هذه العادة حتى القرن السابع عشر حيث أبطلت على كرهٍ من رجال الدين الهنود، وكانت تُقَدَّم قُربانًا للآلهة لترضى، أو تأمر بالمطر أو الرزق، وفي بعض مناطق الهند القديمة شجرة يجب أن يقدم لها أهل المنطقة فتاة تأكلها كل سنة؟!

ويذكر «جوستاف لوبون» أن المرأة في الهند تعُدُّ بعلها ممثلًا للآلهة في الأرض، وتُعَدُ المرأة العَزَبُ، والمرأة الأيم على الخصوص من المنبوذين من المجتمع الهندوسي، والمنبوذ عندهم في رتبة الحيوانات، ومن الأيامى الفتاة التي تفقد زوجها في أوائل عمرها، فموت الرجل الهندوسي قاصم لظهر زوجته فلا قيام لها بعده، فالمرأة الهندوسية إذا آمت- أي فقدت زوجها- ظلت في الحداد بقية حياتها، وعادت لا تعامل كإنسان، وعُدَّ نظرها مصدرًا لكل شؤم على ما تنظر إليه، وعدت مُدَنسَة لكل شيء تمسه، وأفضل شيء لها أن تقذف نفسها في النار التي يحرق بها جثمان زوجها، وإلا لقيت الهوان الذي يفوق عذاب النار.

٦- المرأة عند الفرس:

أبيح الزواج بالأمهات والأخوات والعمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت، وكانت تنفي الأنثى في فترة الطمث إلى مكان بعيد خارج المدينة، ولا يجوز لأحد مخالطتها إلا الخدام الذين يقدمون لها الطعام، وفضلا عن هذا كله فقد كانت المرأة الفارسية تحت سلطة الرجل المطلقة، يحق له أن يحكم عليها بالموت، أو ينعم عليها بالحياة.

٧- المرأة عند العرب في الجاهلية:

في الجاهلية لم يكن للمرأة قيمة تُذْكَر، يوضح ذلك قول عُمَرَ بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**وَاللهِ إِنْ كُنَّا فِي الجَاهِلِيَّةِ مَا نَعُدُّ لِلنِّسَاءِ أَمْرًا، حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ فِيهِنَّ مَا أَنْزَلَ، وَقَسَمَ لَهُنَّ مَا قَسَمَ**» (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ). فكان العرب ينظرون للمرأة على أنها نكرة، ولا يمكن لها أن ترث من الممتلكات. وكانوا يقولون في ذلك: «لا يرثنا إلا من يحمل السيف، ويحمي البيضة»، فإذا مات الرجل ورثه ابنه، فإن لم يكن فأقرب من وجد من أوليائه أبا كان أو أخا أو عمًّا، على حين يضم بناته ونساؤه إلى بنات الوارث ونسائه، فيكون لهن ما لهن، وعليهن ما عليهن.

ولم يكن لها على زوجها أي حق، وليس للطلاق عدد محدود، ولا لتعدد الزوجات عدد معين، وكانوا إذا مات الرجل وله زوجة وأولاد من غيرها، كان الولد الأكبر أحق بزوجة أبيه من غيره، فهو يعتبرها إرثًا كبقيةِ أموال أبيه، فإن أراد أن يعلن عن رغبته في الزواج منها طرح عليها ثوبًا، وإلا كان لها أن تتزوج بمن تشاء.

وقد كان نكاح زوجات الآباء معروفًا في الجاهلية، فعله كثير من العرب وقد نهى الله تعالى عنه.

وكانت المرأة تُمسَك ضرارًا للاعتداء، وتلاقي مِن بعلها نشوزًا أو إعراضا، وتُترك أحيانا كالمعلقة.

وكان أحدهم إذا أراد نجابة الولد حمل امرأته- بعد طهرها من الحيض- إلى الرجل

النجيب كالشاعر والفارس، وتركها عنده حتى يستبين حملها منه، ثم عاد بها إلى بيته، وقد حملت بنجيب (!!!)

وكانوا في الجاهلية يُكْرِهون إماءهم على الزنا، ويأخذون أجورهم.

وكان الرجل في الجاهلية يقامر على أهله وماله، فيقعد حزينا سليبًا ينظر إلى ماله وزوجته في يد غيره، فكانت تورث بينهم عداوة وبغضًا.

وكان من المأكولات ما هو خالص للذكور ومحرم على الإناث.

وكان عند العرب في الجاهلية أنواع من الزواج الفاسد الذي كان يوجد عند كثير من الشعوب، ولا يزال بعضه إلى اليوم في البلاد الهمجية:

- فمنها اشتراك الرهط من الرجال في الدخول على امرأة واحدة، وإعطائها الحق في الولد أن تلحقه بمن شاءت منهم.
- ومنها نكاح الاستبضاع، وهو أن يأخذ الرجل لزوجه أن تمكن من نفسها رجلًا معينا من الرؤساء والكبراء المتصفين بالشجاعة أو الكرم ليكون لها منه ولد مثله.
- ومنها السفاح بالبغاء العلني، وكان عند العرب خاصا بالإماء دون الحرائر.
- ومنها اتخاذ الأخدان أي الصواحب والعشيقات.
- ومنها نكاح المتعة وهو المؤقت، وقد استقر أمر الشريعة على تحريمه، وتبيحه فرقة الشيعة الإمامية.
- ومنها نكاح البدل والمبادلة، وهو أن ينزل كل من الرجلين للآخر عن زوجته.
- ومنها نكاح الشغار، وهو أن يُزَوِّج الرجلَ امرأة بنته أو أخته أو من هي تحت ولايته على أن يزوجَه أخرى بغير مهر، صداقُ كُل واحدة بُضْعُ الأخرى.

وهذان النوعان مبنيان على قاعدة اعتبار المرأة ملكًا للرجل يتصرف فيها كما يتصرف في بهائمه وأمواله.

وأما المرتقون من العرب كقريش فكان نكاحهم هو الذي عليه المسلمون في

الإسلام، من الخطبة والمهر والعقد، وهو الذي أقره الإسلام، مع إبطال بعض العادات الظالمة للنساء فيه، من استبدادٍ في تزويجهن كرهًا أو عضلهن- أي منعهن من الزواج- أو أكل مهورهن إلى غير ذلك.

من عادات الجاهلية في الحداد:

كانت العدة في الجاهلية حولًا كاملًا، وكانت المرأة تحد على زوجها شر حداد وأقبحه، فتلبس شر ملابسها، وتسكن شر الغرف وهو (الحِفْش)- البيت الصغير المظلم داخل البيت-، وتترك الزينة والتطيب والطهارة، فلا تمس ماءً، ولا تقلم ظفرًا، ولا تزيل شعرًا، ولا تبدو للناس في مجتمعهم، فإذا انتهى العام خرجت بأقبح منظر، وأنتن رائحة، فتنتظر مرور كلب لترمي عليه بعرة احتقارًا لهذه المدة التي قضتها، وتعظيمًا لحق زوجها عليها.

وأد البنات في الجاهلية:

من العرب من كان يرى ولادة الأنثى عارًا على أسرتها، لذلك كان وأد البنات أمرًا شائعًا. فمنهم من كان يرى البنت حملًا فادحًا يضعف دونه احتماله، وتتخاذل قواه لفرط ما يُشفق من وصمة الذل، ووصم العار، إذا وهنت نفسها، أو ذهب السباء بها، فكان بين أن يستبقيها على كره لها، ومضض منها، وترقب لموتها، أو يفزع إلى الحُفَر فيقذفها في جوفها، ويهيل التراب على غَضَارة عودها، ونضارة وجهها، وبدل أن يدعها تستقبل الوجود، وتستنشي نسيم الحياة، يدعها في غمرة الموت بين طباق الأرض!!

وقد كانت بعض القبائل تئد البنات والأولاد أيضًا خشية الفقر.

٨- المرأة عند اليهود:

كانت بعض طوائف اليهود تعتبر البنت في مرتبة الخادم، وكان لأبيها الحق في أن يبيعها قاصرة، وما كانت ترث إلا إذا لم يكن لأبيها ذرية من البنين وإلا ما كان يتبرع لها به أبوها في حياته، وحين تحرم البنت من الميراث لوجود أخ لها ذكر يثبت لها على أخيها النفقة والمهر عند الزواج، وإذا كان الأب قد ترك عقارًا فيعطيها من العقار، أما إذا ترك مالًا منقولًا فلا شيء لها من النفقة والمهر ولو ترك القناطير المقنطرة. وإذا آل الميراث

إلى البنت لعدم وجود أخ لها لم يجز لها أن تتزوج من سبط آخر، ولا يحق لها أن تنقل ميراثها إلى غير سبطها.

واليهود يعتبرون المرأة لعنة لأنها أغوت آدم، وعندما يصيبها الحيض لا يجالسونها ولا يؤاكلونها ولا تلمس وعاء حتى لا يتنجس، وكان بعضهم ينصب للحائض خيمة، ويضع أمامها خبزًا وماء، ويجعلها في هذه الخيمة حتى تطهر.

٩- المرأة عند الأمم النصرانية:

هال رجال النصرانية الأوائل ما رأوا في المجتمع الروماني من انتشار الفواحش والمنكرات وما آل إليه المجتمع من انحلال أخلاقي شنيع، فاعتبروا المرأة مسئولة عن هذا كله، لأنها كانت تخرج إلى المجتمعات، وتتمتع بما تشاء من اللهو، وتختلط بمن تشاء من الرجال كما تشاء، فقرروا أن الزواج دنس يجب الابتعاد عنه وأن العزب أكرم عند الله من المتزوج، وأعلنوا أنها باب الشيطان، وأن العلاقة بالمرأة رجس في ذاتها، وأن السمو لا يتحقق إلا بالبعد عن الزواج.

قال «ترتوليانا» الملقب بالقديس: «إنها مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان، ناقضة لنواميس الله، مشوهة للرجل».

وقال «سوستام» الملقب بالقديس: «إنها شر لابد منه، وآفة مرغوب فيها، وخطر على الأسرة والبيت، ومحبوبة فتاكة، ومصيبة مطلية مموهة».

وفي القرن الخامس اجتمع بعض اللاهوتيين ليبحثوا ويتساءلوا في «مجمع ماكون»: «هل المرأة جثمان بحت أم هي جسد ذو روح يناط به الخلاص والهلاك؟». وغلب على آرائهم أنها خِلْو من الروح الناجية، وليس هناك استثناء بين جميع بنات حواء من هذه الوصمة إلا مريم عليها السلام أم المسيح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

وعقد الفرنسيون في عام ٥٨٦ م- أي في زمان شباب رسول الله ﷺ- مؤتمرًا للبحث: هل تعد المرأة إنسانا أم غير إنسان؟ وهل لها روح أم ليس لها روح؟ وإذا كانت لها روح فهل هي روح حيوانية أم روح إنسانية؟ وإذا كانت روحًا إنسانية فهل

هي على مستوى روح الرجل أم أدنى منها؟ وأخيرًا: قرروا أنها إنسان، ولكنها خُلقت لخدمة الرجل فحسب.

فالدين النصراني المحرف الذي ينتمي إليه العالم الغربي اليوم يرى أن المرأة ينبوع المعاصي، وأصل السيئة والفجور، ويرى أن المرأة للرجل باب من أبواب جهنم من حيث هي مصدر تَحَرُّكه وحمله على الآثام، ومنها انبجست عيون المصائب على الإنسانية جمعاء.

ومن أساسيات النصرانية المحرفة التنفير من المرأة وإن كانت زوجة، واحتقار وترذيل الصلة الزوجية وإن كانت حلالًا، حتى بالنسبة لغير الرهبان، يقول أحد رجال الكنيسة: «بونا فنتور» الملقب بالقديس: «إذا رأيتم امرأة، فلا تحسبوا أنكم ترون كائنًا بشريا، بل ولا كائنًا وحشيًّا، وإنما الذي ترون هو الشيطان بذاته، والذي تسمعون به هو صفير الثعبان».

وأصدر البرلمان الإنكليزى قرارا في عصر هنري الثامن ملك انكلترا، يحظر على المرأة أن تقرأ كتاب (العهد الجديد) أي الإنجيل، لأنها تعتبر نجسة. وتذكر بعض المصادر أنه قد شكل مجلس اجتماعي في بريطانيا خصيصًا لتعذيب النساء، وذلك سنة ١٥٠٠ م، وكان من ضمن مواده تعذيب النساء بالنار وهن أحياء(!).

ونص القانون المدني الفرنسي (بعد الثورة الفرنسية) على أن القاصرين هم الصبي والمجنون والمرأة، حتى عدل عام ١٩٣٨، ولا تزال فيه بعض القيود على تصرفات المرأة المتزوجة.

وظلت النساء طبقا للقانون الإنكليزي العام- حتى منتصف القرن التاسع عشر تقريبا- غير معدودات من «الأشخاص» أو «المواطنين» الذين اصطلح القانون على تسميتهم بهذا الاسم، لذلك لم يكن لهن حقوق شخصية، ولا حق في الأموال التي يكتسبنها، ولا حق في ملكية شيء حتى الملابس التي كن يلبسنها.

بل إن القانون الإنكليزى حتى عام ١٨٠٥م كان يبيح للرجل أن يبيع زوجته، وقد حدد ثمن الزوجة بستة بنسات (نصف شلن)، وقد حدث أن باع إنكليزى زوجته عام

١٩٣١م بخمسمائة جنيه، وقال محاميه في الدفاع عنه: «إن القانون الإنكليزي عام ١٨٠١م يحدد ثمن الزوجة بستة بنسات بشرط أن يتم البيع بموافقة الزوجة»، فأجابت المحكمة بأن هذا القانون قد ألغى عام ١٨٥٥م بقانون يمنع بيع الزوجات أو التنازل عنهن، وبعد المداولة حكمت المحكمة على بائع زوجته بالسجن عشرة أشهر.

وقد قرر «سير ويليام بلاك ستون»- القاضي الإنجليزي البارز (والذي عاش من ١٧٢٣ - ١٧٨٠م)- عدم أحقية الزوجة في الاستحواذ على أي ممتلكات، إضافة إلى كونها الملكية التابعة لزوجها.

وتحت عنوان «بيع الزوجة في بريطانيا» تجد في «ويكيبيديا، الموسوعة الحرة» رسمًا تهكُّميًّا لعملية بيع وشراء زوجة إنجليزية، حيث تتم في سوق الماشية، ويظهر الزوجة بالفعل راضية، والزوج يبدو كأنه «يرتدي قرون».

فقد كانت عادة بيع الزوجة هي وسيلة بديلة للطلاق حيث كان الطلاق ذاته في ذلك الحين شيئًا يستحيل تطبيقه عمليًا بالنسبة للجميع عدا الأسر الأغنى ببريطانيا وخاصةً إنجلترا. بدأت تلك العادة بالظهور في أواخر القرن السابع عشر، وكانت تتم عبر موافقة كلا الطرفين لوضع حد للزواج المضطرب. يقوم الزوج بربط زوجته بحبل إما حول الرقبة أو الذراع أو الخصر واستعراضها جهارًا في مزاد علني ليبيعها إلى الـمُزايِد الذي يقدم أكبر قدر من المال.

وقد صرح أحد قضاة القرن التاسع عشر (انتبه: القرن التاسع عشر!!!) في تدوين له بعدم امتلاكه الصلاحيات لمنع بيع الزوجات. وقد استمرت العادة الرائجة في أحد أشكالها بإنجلترا حتى أوائل القرن العشرين (انتبه: حتى أوائل القرن العشرين!!!)، وقد أدلى المؤرخ والقاضي «جيمس برايس» في كتاباته لعام ١٩٠١ أن تلك العادة قد كانت متداولة في عهده. وفي إحدى القضايا التي تم الإعلان عنها مؤخرًا بإنجلترا قدمت إحدى الزوجات دليلًا لمحكمة جنح بمدينة «ليدز» بأنه قد تم بيعها لأحد رفقاء عمل زوجها الأسبق مقابل يُورُو فقط.

١٠- المرأة عند من يسمون المفكرين والفلاسفة:

إن أرسطو يقرر أن المرأة لا تصلح إلا للإنجاب وأنها لا يمكن أن تمارس الفضائل الأخلاقية مثل الرجل، فهي مجرد مخلوق مُشَوَّه أنتجته الطبيعة، أما أفلاطون فيرى المرأة أدنى من الرجل من حيث العقل والفضيلة، فكان يأسف لأنه ابن امرأة ويزدري أُمّه لأنها أنثى! أما سقراط فكان يرى أن المرأة مثل الشجرة المسمومة التي يكون ظاهرها جميلا لكن الطيور تموت عندما تأكل منها.

وبعد العصر اليوناني لم يختلف الأمر كثيرا بل استمرت النظرة الدُّونية في كتابات الفلاسفة الغربيين، فيرى جون جاك روسو أن المرأة لم تخلق لا للعلم ولا للحكمة، وإنما لإشباع غرائز الرجل وإقناعه بحسنها وجماله، وانعكست فلسفته هذه على عربدته وعلاقاته بكثير من النساء اللاتي استغل ثروتهن، بل وتخلى بقسوة عن أبنائه الخمسة (غير الشرعيين) وألقى بهم لدار الأيتام ليموتوا سريعا كما كان يحدث في دور الأيتام.

ويرى «إيمانويل كانط» أن عقل المرأة لا يرقى إلى عقل الرجل، ويرى «نيتشه» أن المرأة لا تزال في أفضل الأحوال حيوانا كالقطط والكلاب والأبقار وأنها تتآمر مع كل أشكال الانحلال ضد الرجال. أما فيلسوف الشؤم «شوبنهاور» فقد جاءت فلسفته مترجمة لحياة البؤس التي عاشها، فقد بقي معاديًا للمرأة بسبب موقفه من فجور والدته، واشتهر بكونه أكثر الفلاسفة بُغْضًا للمرأة فهو يراها عيبًا من عيوب المجتمعات وأنها لم يسبق أن أنتجت أي عمل ذا قيمة.

ومع ظهور نظريات جديدة مثل الداروينية ازداد النظرة الدونية للمرأة باعتبارها جنسًا في مرتبة أدنى، فالمرأة عند داروين عبارة عن شيء نحبه للَّعب- أفضل من كلب. ومن أقواله: «يجب أن يكون متوسط القوة العقلية عند الرجل أعلى من نظيره عند المرأة».

وينقل لنا الفرنسي جوستاف لوبون موقف المجتمع العلمي في عصره بعبارات موغلة في الانحطاط: «في أكثر العرقيات الذكية- كما في الباريسيين- هناك عدد كبير من النساء اللواتي حجم أدمغتهن أقرب إلى الغوريلات من الرجال الأكثر تطورا، وهذه دونيَّةٌ واضحة جدا، كل علماء النفس الذين درسوا ذكاء النساء يدركون اليوم أنهن يمثلن

الأشكال الأكثر تدنيا من تطور الانسان وأنهن أقرب للأطفال والسذج منهن للرجال البالغين المتحضرين، لا شك هناك نساء متميزات أرقى بكثير من الرجل المتوسط، لكنهن استثناء، كولادة أي مخلوق مشوه على سبيل المثال: غوريلا برأسين، وبالتالي فيمكننا أن نهمل وجود هؤلاء النساء تماما».

أما «جون لوك» فقد اتجهت فلسفته الاقتصادية إلى إقصاء المرأة عن الحياة الاقتصادية ولم ترفع قيمة المرأة عن مستوى الممتلكات. ودون الحاجة إلى سرد تفاصيل الحط من كرامة المرأة فإن الأمر لم يختلف كثيرا عند «هيجل» و«هيوم» و«فرويد» و«ديكارت» و«هوبز » وغيرهم من كبار عقول الفلسفة الغربية. وهكذا كانت الصورة السوداء للمرأة على طول تاريخ الفلاسفة.

وهذه النظرة المزرية للمرأة كانت سببًا في ظهور الحركات النسوية في الغرب، وهذا ما لا تحتاجه المسلمة التي أكرمها الله بهذا الدين، وحفظها بهذه الرسالة وشرَّفها بهذه الشريعة الغراء.

١١- وضع المرأة اليوم في الغرب:

أما وضع المرأة اليوم في ديار الكفار، فَحَدث ولا حرج عن الإذلال، والمهانة، والمجون، والخلاعة، والابتذال، والاستغلال، في أقسى صورها، وأبشع مظاهرها، التي لا يسيغها إلا ممسوخ الفطرة، منتكس السريرة، خبيث الطوية، وحسبك أن تنتقي أمة تتربع على قمة العالم الغربي الكافر كأمريكا، وترصد ما وصلت إليه المرأة من انحطاط أخلاقي، وانهيار اجتماعي، وتفكك أسري.

فالمرأة في الغرب قد دفع بها الوضع الاجتماعي الذي لا يرحم إلى أن أصبحت تطرد من المنزل بعد سن الثامنة عشرة لكى تبدأ في الكدح لنيل لقمة العيش، وإذا ما رغبت- أو أجبرتها الظروف- في البقاء في المنزل مع أسرتها بعد هذه السن، فإنها تدفع لوالديها إيجار غرفتها، وثمن طعامها، وغسيل ملابسها، بل تدفع رسمًا معينا مقابل اتصالاتها الهاتفية.

وحَدِّثْ- ولا حرج- عن ندرة الزواج، وشيوع البغاء، وتفشي الزنا واللواط، وكثرة اللقطاء، وارتفاع نسبة الطلاق، وتغلغل الأمراض التناسلية الفتاكة، وانتشار نكاح

المحارم بصورة مفزعة، بل لقد وصلت المرأة إلى دركة من المهانة والانحلال لا يتخيلها عاقل.

بل إن في الأمريكيين أقوامًا يتبادلون زوجاتهم لمدة معلومة، ثم يسترجع كل واحد زوجته المعارة، تماما كما يعير القروي دابته، أو الحضري في بلادنا شيئا من متاع بيته.

فهذه لمحة خاطفة عن حال المرأة في عصر الحضارة، وما هي بحضارة، وإنما هي قذارة وفجارة، عصرِ المساواة، وما هي بمساواة المرأة بالرجل، وإنما هي مساواة الإنسان بأخيه الحيوان.

تكريم الإسلام للمرأة

إن بالقرآن الكريم كثير من الآيات التي تتحدث عن المرأة، تُتلَى هذه الآيات في المساجد والبيوت إلى يوم القيامة، وفي القرآن سورتان يقال لهما: سورتا النساء، وإحداهما ست وسبعون ومائة آية، والأخرى (سورة الطلاق) اثنتا عشرة آية، وقد اشتملت السورتان على كثير من الأحكام الخاصة بالمرأة، مزوجة ومطلقة، وكيف ينفق عليها؟ وماذا يجب لها؟ وكيف يسلم إليها حقها؟ ومتى يحل نكاحها ويحرم؟ وفي سورة البقرة إحدى وعشرون آية متتابعة تتحدث عن المرأة، وكذلك سورة النور، والأحزاب، والتحريم، أكثر آياتها في المرأة. وما أكثر الآيات في بقية السور الدالة على فضل المرأة وعلو شأنها، ووجوب العناية بها.

إن إكرام الإسلام للمرأة، مما لا مثيل له على الإطلاق في أي دين، أو شريعة أو مجتمع، فالمرأة في الإسلام، هي تلك المخلوقة التي أكرمها الله بهذا الدين، وحفظها بهذه الرسالة وشرَّفها بهذه الشريعة الغراء، إنها في أعلى مقامات التكريم أُمًّا كانتْ أو بنْتًا أو أختًا، أو زوجةً، أو أرملة، أو امرأةً من سائر أفراد المجتمع، والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة.

فالمرأة إن كانت أمًّا فقد قرنَ الله حقَّها بحقّه، وجعلها النبي ﷺ أحقَّ الناس بحسن الصحبة وإسداء المعروف. وهي إن كانت بنتًا فحقها كحق أخيها في المعاملة الرحيمة، والعطف الأبويِّ، وهي إن كانت زوجةً فهي نعمة من نعم الله تعالى، وللزوجة على زوجها حقوقٌ يحميها الشرع، وينفذها القضاء عند الاختلاف، فتلك الحقوق ليست موكولةً إلى ضمير الزوج فحسب.

فمن حقوقها عليه: المهر والنفقة عليها بالمعروف، والمسكن والملبس، وبجانب هذه الحقوق المادية، لها حقوقٌ معنويةٌ أخرى: فهي حرة في اختيار الزوج، ليس لأبيها

أن يُكْرِهَهَا على ما لا تريد، ويجب على زوجها أن يُعَلِّمها أصول دينها، وأن يغار عليها ويصونها، وعليه أن يعاشرها بالمعروف والإحسان.

وهي إن لم تكن أُمًّا ولا بنتًا ولا زوجة، فهي من عموم المسلمين، يُبْذَل لها من المعروف والإحسان ما يُبذل لكل مؤمن، ولها على المسلمين من الحقوق ما يجب للرجال. فالمرأة في الإسلام عمادُ المجتمع، وأساسُه المتينُ، هي أم الأبناء، وجالبة الأولاد والأصهار، والمبشرة بأخوةٍ يتناسقون، ونجباء يتلاحقون.

المساواة في الإنسانية:

فالنساء والرجال في الإنسانية سواء، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

وهي قد خلقت من الرجل، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

وخلْقُ المرأة نعمة عظيمة ينبغي أن يحمد الرجال ربهم عليها، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

وقال ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]. وقال جَلَّ وعلا: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل: ٧٢].

المساواة في أغلب تكاليف الإيمان:

إذا كان مناط التكليف هو الأهلية، فلكل من الرجل والمرأة أهلية الوجوب، وأهلية الأداء، ما دام قد تقرر في ذمة كل منهما الواجبات الشرعية، فلا تبرأ ذمة كل منهما حتى يؤدي ما عليه من واجبات؟ يكون له بمقتضى تلك الأهلية حقوقٌ قِبَلَ غيره.

وقد وضع القرآن الكريم الرجل والمرأة على قدم المساواة في الالتزامات الأخلاقية،

والتكاليف الدينية إلا في حالات مخصوصة خفَّف الله فيها عن المرأة رحمةً بها، ومراعاةً لفطرتها وتكوينها؟

ومن المُجمَع عليه المعلوم من دين الإسلام بالضرورة أن على النساء ما على الرجال من أركان الإسلام، إلا أن الصلاة تسقط عن المرأة في زمن الحيض والنفاس مطلقًا فتتركها، ولا تعيدها لكثرتها، وأما الصيام فيسقط عنها في زمنهما، وتقضي ما أفطرته من أيام رمضان لقلتها، وأما حجها فيصح في كل حال، ولكنها لا تطوف بالبيت الحرام إلا وهي طاهرة.

المساواة في المسئولية المدنية: في الحقوق المادية الخاصة:

أكد الإسلام احترام شخصية المرأة المعنوية، وَسَواها بالرجل في أهلية الوجوب والأداء، وأثبت لها حقها في التصرف، ومباشرة جميع العقود: كحق البيع، وحق الشراء، وحق الدائن، وحق المدين، وحق الراهن، وحق المرتهن، كذلك حق الوكالة، والإجارة، والاتجار في المال الخاص، وما إلى ذلك، وكل هذه الحقوق المدنية واجبة النفاذ.

ولقد أطلق الإسلام للمرأة حرية التصرف في هذه الأمور بالشكل الذي تريده، دون أية قيود تقيد حريتها في التصرف، سوى القيد الذي يقيد الرجل نفسه فيها.

قال تبارك وتعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾ [النساء: ٣٢]، وجعل لها حق الميراث، فقال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧]، كما جعل صداقها ملكًا خالصا لها، لا يشاركها فيه أحد، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ [النساء:١٩].

والمرأة في تمَلُّك هذه الحقوق شأنها أمام الشرع، شأن الرجل تمامًا إذا أحسنت أو أساءت، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ﴾ [المائدة: ٣٨]، وقال ﷻ: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

كذلك ساوت الشريعة بينهما في الدماء، ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩]. وقررت أن يقتل الرجل بالمرأة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٨].

وهذه الآية تبيِّن حكم النوع إذا قتل نوعه، ولم تتعرض لأحد النوعين إذا قتل الآخر، فهي محكمة، وفيها إجمال، يُبيِّنُه قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥].

المساواة في جزاء الآخرة:

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، وقال ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: ٤٠]

وقال سبحانه في أولي الألباب الذين يذكرون الله كثيرا، ويتفكرون في خلق السموات والأرض، وَيَدْعُونه: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥]

وتأمل كيف أكد القرآن هذا المبدأ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

فسوى سبحانه بين الزوج والزوجة والابن والبنت والعبد والأمة في هذه الصفات الجميلة، وما زال السلف رضوان الله عليهم على هذا المنهاج تجد أولادهم ونساءهم وعبيدهم وإماءهم في غالب أمرهم مشتركين في هذه الفضائل كلها.

المساواة في الموالاة والتناصر:

قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

المساواة بين المؤمنات: إزالة الفوارق ين النساء:

مزق الإسلام حجب الفوارق بينَ النساء كما مزقها بين الرجال، فتطامنت الرؤوس، وتساوت النفوس، فلم يكن بين المرأة والمرأة إلا الخير تتقدم به، أو العمل الصالح تسبق إليه، فأما أن تُدِلَّ بعَرَض طارف، أو تعتز بحسب قديم فذلك ما لا يقدمها أنملة، ولا يغنى عنها من الله شيئا. لقد شرع الله للمؤمنين شِرعة الإخاء بقوله جل شأنه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]؛ فلم يفرق بين المسلمة والمسلم، ولا بين المسلم والمسلمة، إلا العمل الصالح وشريف الخلُق وخسيسُه.

قَالَ رَسُولُ اللهِ «**مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**» (رَوَاهُ مُسْلِمٌ). فمن كان عمله ناقصًا لم يُلحِقْه نَسَبُهُ بمرتبة أصحاب الأعمال، فينبغي أن لا يتكل على شرف النسب وفضيلة الآباء ويقصر في العمل.

حقائق يحسن ذكرها:

أولًا: إن موقف الاسلام من المرأة كان ثورة على المعتقدات والآراء السائدة في عصره وقبل عصره من حيث الشك بإنسانيتها.

ثانيًا: إنه كان ثورة على المعتقدات السائدة قديمًا ولا تزال سائدة عند اتباع بعض الديانات والطوائف الشرقية من أنها غير جديرة بتلقي الدين ودخول الجنة مع زمرة المؤمنين الصالحين.

ثالثًا: إنه كان ثورة على المعتقدات والتقاليد السائدة من عدم احترامها الاحترام الحقيقي اللائق بكرامتها الانسانية.

رابعًا: إنه سبق الحضارة الغربية الحديثة باثني عشر قرنا على الأقل في الاعتراف بأهلية المرأة كاملة غير منقوصة.

وحسبنا أن نعلم أن أسباب الحجر في التشريع الاسلامي هي: الصغر، والجنون، بينما هي في القانون الروماني، وفي القانون الفرنسي حتى عام ١٩٣٨ ثلاثة: الصغر، والجنون، والأنوثة.

ولما عدل القانون الفرنسي في عام ١٩٣٨ لرفع القيود عن أهلية المرأة بقيت أهليتها مقيدة بقيود قانونية وقيود ناشئة عن نظام الأموال المشتركة بين الزوجين.

فمن القيود القانونية عدم جواز ممارسة المرأة الفرنسية إحدى المهن بدون إجازة من زوجها. ومن القيود المنبثقة عن نظام الاشتراك بالأموال أن المرأة الفرنسية المتزوجة لا يمكنها أن تتصرف بأموالها الخاصة، ويجب عليها أن تحتفظ بحق الانتفاع للزوج، ولا يمكنها أن تتصرف بالرقبة إلا بإجازة الزوج، وإذن المحكمة وحده لا يكفي.

وإذا قورنت هذه القيود على أهلية المرأة الفرنسية، بالأهلية الكاملة التي تتمتع بها المرأة المسلمة منذ أربعة عشر قرنا، والتي لا تعرف مثيلًا لقيود المرأة الفرنسية المعاصرة أدركنا أي سبْقٍ حققه الاسلام في ميدان التشريع الانساني بالنسبة لحقوق المرأة وأهليتها.

خامسًا: إن التشريع الاسلامي كان إنساني النزعة والعدالة، حين قرر للمرأة حقوقها دون ثورة النساء ومؤامراتهن، بينما لم تحصل المرأة الفرنسية على حقوقها إلا بعد ثورات ومؤامرات واضطرابات، وكانت تنتزع حقوقها بالتدريج شيئًا بعد شيء، بينما سلم الاسلام لها بحقوقها دفعة واحدة طائعًا مختارًا.

سادسًا: كان التشريع الاسلامي نبيل الغاية والهدف حين أعطى المرأة حقوقها من غير تملُّقٍ لها أو استغلال لأنوثتها، ففي الحضارتين اليونانية والرومانية وفي الحضارة الغربية الحديثة، سمح لها بالخروج وغشيان المجتمعات للاستمتاع بأنوثتها، لا اعترافًا بحقوقها وكرامتها بدليل موقف هذه الحضارات من أهليتها الحقوقية.

بينما كان الاسلام على العكس من ذلك، فقد قرر لها كل ما تتم به كرامتها الحقيقية من حيث الأهلية القانونية والمالية، وحدَّ من نطاق اختلاطها بالرجال وغشيانها المجتمعات، لمصلحة الأسرة والمجتمع، ولصيانة كرامتها من الابتذال وأنوثتها من الاستغلال.

سابعًا: إن التشريع الاسلامي بعد أن أعطاها حقوقها، وأعلن كرامتها راعى في كل ما رغب إليها من عمل، وما وجهها إليه من سلوك أن يكون ذلك منسجما مع فطرتها وطبيعتها، وأن لا يرهقها من أمرها عسرًا.

ولنضرب لذلك مثلًا، فهو قد أجاز لها البيع والشراء وشتى أنواع المعاملات وصحح ذلك منها، واعتبرها كاملة الأهلية في كل هذه التصرفات، لكنه رغب اليها أن لا تباشر ذلك إلا عند الضرورة، وأفهمها أن الخير لها ولأسرتها ولمجتمعها أن تتفرغ لأداء رسالتها التي لا تقل ارهاقًا عن ارهاق العمل الحر وهي في الواقع تفوقه قدسية وشرفًا، وهو أدل على انسانيتها وكرامتها من مزاولتها العمل خارج البيت لتأكل وتعيش، إن الاسلام كان في هذا الموقف جد حكيم ومعتدل، فلا هو منعها أهلية العمل خارج بيتها كما كان شأن الشرائع قبله، وشأن الأمم كلها حتى العصر القريب، ولا هو حرضها على هجر البيت وزين لها مزاحمة الرجل وترك شؤون الأسرة كما هو شأن الحضارة الحديثة. ولا ريب أن هذا صنع إلهِ حكيم وتشريع عليم خبير.

ثامنًا: ونتيجة لهذا كله يحق للمرأة المسلمة أن تفاخر جميع نساء العالم بسبق تشريعاتها وحضارتها جميع شرائع العالم وحضاراته إلى تقرير حقوقها، والاعتراف بكرامتها، اعترافًا إنسانيًا نبيلًا لا يشوبه غرض ولا هوى، ولا يدفع إليه قسر ولا ضرورة.

ضمانات حقوق المرأة الزوجية

شرع الله تعالى للمؤمنات ضمانات لحقوقهن، وفي هذا إفحامٌ للمتحاملين من أعداء الإسلام على التشريع الإلهي في صيانة حقوق المرأة، المدعين أن الإسلام هضم المرأة حقوقها المختلفة إلى غير ذلك من الافتراءات.

إن هناك حملة مشبوهة على الأخلاق الإسلامية، والأحكام الشرعية، تجاه المرأة المسلمة وادعاء أن الإسلام منع حقوق المرأة، بينما هم يمنعون المرأة المحتشمة من دخول المراكز العلمية، لمجرد أنها محجبة محتشمة في سبيل أن تصبح كاسية عارية، وغضوا الطرف عن المترجلة العارية بحجة عدم المساس بالحريات الشخصية، ومن المؤسف أنه نهجَ نهجَهم بعضُ أبناء الإسلام الذين تأثروا بالثقافات الغربية وغضوا أبصارهم عما آل إليه أمر المرأة المسكينة في المجتمعات الأجنبية، من انحطاط في السلوك والمكانة.

هذا مع أن الشريعة الإسلامية قد ضمنت للمرأة حقوقها الزوجية كغيرها من الحقوق وضمان اشتمل على ما يحقق لها خير الدنيا والآخرة.

والمراد من ضمانات الحقوق: الأحكام الشرعية التي شرعت لحفظ وصيانة حقوق المرأة الزوجية، وإيصالها إليها. وينتفي بها وقوع الظلم عليها.

أولًا: الضمانات العامة لحقوق المرأة الزوجية:

هي ضمانات لحقوق المرأة الزوجية ولدفع الظلم عنها إذا وقع، سواء كان ذلك من أجنبي، أو من قِبَل الزوج، أو من ولي أمرها، أو من قِبَلها هي.

الضمان الأول: أنها تتصف بالصفة الشرعية، وتلك ميزة هامة لضمان الحقوق الزوجية للمرأة، لا يضاهيه أي ضمان في الأنظمة والقوانين الوضعية، ونصوص القرآن والسنة متنوعة بين نصوص توجب ثواب أداء الحقوق وعقاب منعها أو التحذير من الخيانة فيها أو ما يتعلق بالوعيد بالعقاب على ظلم المرأة، كقول الحق تبارك وتعالى:

﴿وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ﴾ [النساء:١٩]، وكقوله ﷺ: «**فَاتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ؛ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ**» (رَوَاهُ مُسْلِمٌ).

الضمان الثاني: أن من الحقوق الزوجية، ما لا يمكن التنازل عنه شرعا: مثل المهر، حيث لا يجوز إسقاطه أو نفيه ابتداءً، لكونه مُتَّسِمًا بصفةٍ شرعيةٍ، لا يجوز التغاضي عنه، من قبل ولي أمرها، ووجوبه وثبوته في ذمة الزوج، فللمرأة أن تتنازل عنه إن شاءت، من باب التفضل والإحسان.

وأيضًا حق الزوجة في انتساب الولد إلى أبيه، وحفاظًا على نسب الولد، وحفاظًا عليها حتى لا تُتَّهَم وتُرمَى بكون الولد من غير أبيه؛ وما يتبع ذلك من مكثها في بيت الزوجية ونفقتها ونفقة الولد عليه.

الضمان الثالث: أن الشريعة أبطلت التنازل عن الحقوق الزوجية إذا كان مشتملا على الإكراه أو الغرر. فهناك حقوق زوجية للمرأة يمكن أن تتنازل عنها، إن شاءت ذلك، كحقها في النفقة، إذا خلا من الإكراه والغرر فإن الإكراه في التنازل: يبطل التصرف القولي والفعلي الذي يقع عليه الإكراه؛ لقَول النَّبِيِّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ وَضَعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ**» (رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ).

وأما حكم التغرير وأثره في التنازل: فالتنازل لا يخلو من كونه عقدًا بالتبرع، فمن غُرر به حتى تنازل عن حقه، لم يكن لتنازله أثر.

الضمان الرابع: أن الشريعة أبطلت التنازل عن الحقوق الزوجية مسبقا قبل وجوبها، أو حتى قبل وجود سببها. فقد لا يكون مبنيًّا على تأنٍّ وتَرَوٍّ وبصيرة، فيؤدي إلى لحوق الضرر بمصالحها مستقبلا، ولذا أبطلت الشريعة ذلك التصرف ضمانًا لحقوقها. كأن تتنازل عن نفقتها أو حقها في المبيت قبل عقد النكاح، ولها أن ترجع عن تنازلها متى شاءت، كما لو أبرأت الزوجة زوجها- بعد العقد- من نفقة المستقبل فلو أرادت بعدُ، أن ترجع في المطالبة به كان لها ذلك، وليس للزوج أن يمتنع.

الضمان الخامس: أن الشريعة حرمت الأنكحة التي فيها ضرر مادي أو معنوي للمرأة. فقد شرع الله النكاح لتحقيق المصلحة المرجوة منه، لذلك حرمت الشريعة بعض صور

النكاح التي كانت معروفة في الجاهلية، والتي كانت مشتملة على أمور تضر بالحياة الزوجية، كنكاح المتعة، ونكاح الشغار، ونكاح التحليل، ونكاح الاستبضاع، ونحو ذلك من الأنكحة التي لا تفي بالغرض الصحيح المقصود من النكاح.

الضمان السادس: أن الشريعة ألغت تصرفات الزوج الضارة بالمرأة مما كان سائدًا في الجاهلية، وعاقبت عليها، كالظهار، والإيلاء. فقد كان الرجل في الجاهلية إذا غضب على زوجته ظاهر منها، أو حلف على ترك وطئها، فتبقى محرومة من حق من حقوقها الزوجية، وكانوا يعتبرون ذلك طلاقا، فتحرم عليه تحريمًا مؤبدًا، ومع ذلك لا يحق لها أن تتزوج بغيره فعالجت الشريعة ذلك التصرف السيئ من الزوج بإلغائه، وفرض العقوبة المناسبة على المُظاهِر والمُولِي، مع الإبقاء على النكاح، فكان في ذلك ضمان لحقوق المرأة.

ثانيًا: الضمانات الخاصة لحقوق المرأة الزوجية:

هي بمثابة ضمانات تقدمها الشريعة الإسلامية للمرأة، والتي تتعلق بحقوق بعينها، كالضمانات المتعلقة بحق المرأة في الزواج، والرضا بمن تتزوجه، والضمانات المتعلقة بحقها في المهر، والميراث، وكذلك ضمانات أخرى متعلقة ببعض الحقوق المشتملة على مصالح ومنافع للمرأة، وحقوق أخرى فيها دفع للضرر عنها، فإن وجدت حصلت للمرأة منافعها، وإن انتفت لحق بالمرأة ضرر وأذى، والعكس بالعكس فيما فيه ضرر عليها، فأوجبت الشريعة الإسلامية ضمانات للمرأة صيانة لحقوقها تلك، ودفعا لما قد يشوب تحقيقها من شوائب.

والضمانات الخاصة كالضمانات العامة السابقة، هي عبارة عن أحكام شرعية وضعت للتأكيد على حقوق المرأة الزوجية، وصيانة لها من الاعتداء، أو التهاون في أدائها.

والفرق بينهما أن الضمانات المذكورة سابقًا ضمانات عامة تتعلق بمجمل الحقوق الزوجية، وأما الضمانات التالية، فهي ضمانات خاصة بحقوق معينة، كالضمانات المتعلقة بحق المرأة في النكاح، والضمانات المتعلقة بإزالة الضرر عن المرأة وجعل

الخيار لها، والضمانات المتعلقة بالإصلاح بين الزوجين إبقاءً للحياة الزوجة، وما يتعلق بضمان حقوقها المالية لميراثها من زوجها.

الضمان السابع: أن الشريعة منعت الولي من عضل موليته إن أرادت أن تنكح.

فالشريعة جعلت للمرأة وليًّا يقوم بتزويجها صيانةً لها، لكن إن خشي منه أن يعتدي على حقها في ذلك بمنعها من الزواج، لأسباب شخصية، كطمعه في ميراثها، أو قصده تزويجها ممن ينال منه مصلحة شخصية، أو عنادًا وضرارًا، فضمنت الشريعة الإسلامية هذا الحق الأساسي للمرأة بمنع الولي من عضلها.

ومعنى العضل: منع المرأةِ من الزواج بكُفْئِها إذا طلبت ذلك.

والعضل حرام، وظلم للمرأة، لما يشتمل عليه العضل من إضرار بها، بمنعها من حقها في الزواج بمن ترضاه من الرجال الأكفاء؛ وقد ثبت تحريم العضل بقوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٢].

الضمان الثامن: انتقال الولاية:

هناك سببان لانتقال الولاية:

الأول: انتقال ولاية التزويج بسبب العضل.

الثاني: انتقال ولاية التزويج بسبب الغيبة. أي سافر الولي وحضر رجل كفء للمرأة فما الحل؟

والولاية تتحول من الولي الأقرب إلى الولي الأبعد في حالة عضله أو غيابه.

وهناك خلاف بين أهل العلم في هل تنتقل ولاية التزويج إلى الولي الأبعد أو إلى السلطان؟ والراجح انتقالها للولي الأبعد.

الضمان التاسع: أن الشريعة جعلت لها الحق في أن تشترط من الحقوق المادية والمعنوية ما فيه مصلحته. فيصبح ما اشترطته حقا واجبًا لها بالاشتراط في نظر الشرع، وعلى الزوج أن يلتزم بها، إذا قبلها، ما دامت لا تخالف الشرع في أحكامه.

فللمرأة أن تشترط مثلًا، ألا يُخرِجها من بلدها، أو يُبْقِيَها مع أهلها، أو أن تسكن في دار معينة، قال ﷺ: «**أَحَقُّ الشُّرُوطِ أَنْ تُوفُوا بِهِ مَا اسْتَحْلَلْتُمْ بِهِ الفُرُوجَ**» (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ).

الضمان العاشر: أن المرأة لو زوِّجت من غير رضاها كان لها حق الفسخ. فرضا المرأة بمن تتزوجه شرط في النكاح، فإذا تم عقد النكاح مع الإكراه، فإن هذا العقد يكون موقوفًا على إجازة المرأة، فإن أجازَتْه صار عقدًا صحيحًا، وإن لم تُجِزْه فهو عقد فاسدٌ.

وقد ثبت بالسنة الثابتة عن النبي ﷺ أنه جعل للمرأة خيار فسخ النكاح إذا أكرهت على الزواج بمن لا ترضاه. فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ فَتَاةً دَخَلَتْ عَلَيْهَا فَقَالَتْ: إِنَّ أَبِي زَوَّجَنِي ابْنَ أَخِيهِ لِيَرْفَعَ بِي خَسِيسَتَهُ وَأَنَا كَارِهَةٌ، قَالَتْ: اجْلِسِي حَتَّى يَأْتِيَ النَّبِيُّ ﷺ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرَتْهُ، فَأَرْسَلَ إِلَى أَبِيهَا فَدَعَاهُ، فَجَعَلَ الْأَمْرَ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ أَجَزْتُ مَا صَنَعَ أَبِي، وَلَكِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَعْلَمَ أَلِلنِّسَاءِ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ». وفي رواية: «قَدْ أَجَزْتُ مَا صَنَعَ أَبِي، وَلَكِنْ أَرَدْتُ أَنْ تَعْلَمَ النِّسَاءُ أَنْ لَيْسَ إِلَى الْآبَاءِ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ» (رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ مُحَقِّقُو الْمُسْنَدِ).

(لِيَرْفَعَ بِي خَسِيسَتَهُ) أي ليزيل عنه دناءته بإنكاحي إياه، أي أنه خسيس فأراد أبي أن يجعله بي عزيزًا. والخسة والخساسة الحالة التي يكون عليها الخسيس. يقال رفع خسيسته إذا فعل به فعلا يكون فيه رفعة.

الضمان الحادي عشر: أن الشريعة الإسلامية ضمنت للمرأة مهرها، بأوجه عدة: وهي:

الأول: أن الشريعة منعت نفي المهر في النكاح.

الثاني: أن للمرأة الامتناع من تسليم نفسها لزوجها، حتى تقبض مهرها المُعَجَّل.

الثالث: أن المهر لو هلك في يد الزوج، أو استهلكه، أو تبين أنه لغيره، كان ضمانه عليه.

الرابع: أن لها المهر المسمى كاملا أو مهر المثل في حالة عدم التسمية.

الضمان الثاني عشر: أن الشريعة جعلت أمر الطلاق بيد الرجل.

فالأصل لتحقيق مصالح المرأة وكذلك الزوج أن تستمر العلاقة الزوجية بينهما، فإن مما يضمن استمرارها، أن جعل الله سبحانه وتعالى أمر إنهائها في يد الرجل لحِكَم علمها العليم الحكيم، ولم تخف على العاقل البصير.

وحكمة كون الطلاق في يد الرجل، أنه ضمان للمرأة لأن طبيعة المرأة العاطفية، وقصر نظرها في إدراك الأمور، وأحاسيسها المرهفة والتي لا تكون في الغالب طويلة الأمد قد تعرض حياتها الزوجية للخطر والانتهاء فكان من حكمة الله سبحانه وتعالى أن جعل أمر الطلاق بيد الرجل الذي يتثبت من كل الأمور والعواقب، ويحسب كل حساباته، قبل الإقدام على الطلاق.

الضمان الثالث عشر: أن الشريعة جعلت أمر الطلاق بيدها بالاشتراط.

إذا كان الأصل: أن ضمان حقوق المرأة في كون أمر الطلاق بيد الزوج، حفاظًا على الحياة الزوجية، إلا أن المرأة قد تحذر أن يظلمها الرجل أو يتقاعس عن أداء حقوقها الزوجية، فالشريعة لذلك أباحت لها أن تشترط في عقد النكاح، أن يكون أمرها بيدها لو فعل كذا وكذا، أو لم يفعل كذا.

مثاله: لو اشترطت المرأة قبل العقد، أو في صلبه، على ألا يتزوج عليها، فإن تزوج عليها كان أمرها بيدها، ونحو ذلك، وقبل الزوج هذا الشرط، كان اشتراطها جعلَ أمر الطلاق بيدها معتبرا، ويسمى هذا التصرف بتفويض الطلاق بالاشتراط أو تمليك الطلاق.

الضمان الرابع عشر: أن الشريعة جعلت لها الخيار، إذا لحقها ضرر مادي أو معنوي من قبل الزوج. فالشريعة حرمت الإضرار بالمرأة، سواء كان الإضرار بها ماديا، أو معنويا، فقد ضمنت الشريعة الإسلامية حق المرأة في عدم الإضرار بها، بأن جعل لها الخيار في إمضاء عقد النكاح، أو فسخه، إذا لحقها الضرر من قِبل الزوج.

الضمان الخامس عشر: أن الشريعة أباحت للمرأة طلب الخلع إن لم تُطِقِ العيشَ مع زوجها: إذا كان الرجل كارهًا للمرأة فله أن يطلقها، أما إن كانت المرأة كارهة لزوجها

راغبة عنه، رغم أدائه حقوقَها، وتخشى حينئذ ألا تقوم بأداء حقوقه الزوجية، فتقع في المحظور، فلا ترغب في البقاء معه.

ففي هذه الحالة ضمنت لها الشريعة الإسلامية أن تفتدي نفسها من زوجها ببذلها له ما أخذته منه، لكيلا تضطر إلى البقاء معه رغم كراهيتها له، وذلك ما يسمى في المصطلح الفقهي بالخلع.

وإذا كان الخلع بنشوز من الزوج، وحصول الإضرار من قبله فإن أخذ شيئا كان آثمًا عاصيا، ولا يخفى ما في ذلك من ضمان لحقها، ويجب رفع الضرر عنها من غير عِوَضٍ، وأما إن كان ذلك من قِبَلِها، فلا يُضارُّ الزوج بما لم يرتكبه، فلها أن تختلع وتردَّ له المهر.

الضمان السادس عشر: أن الشريعة أمرت ببعث الحكمين للإصلاح بين الزوجين:

إن الأصل في العلاقات الزوجية أن يتم حل الخلافات الناشئة بين الزوجين فيما بينهما، وأن يحصر نزاعهما داخل بيت الزوجية، لئلا تفاقم الأزمة بينهما، إلا أن المشكلة بين الزوجين قد تتعاظم، حتى يخشى منها حصول الشقاق بينهما، ولم يمكن إصلاحها فيما بينهما، فحينئذ يأمر الله سبحانه وتعالى ببعث حكم من أهل الزوج وحكم من أهل الزوجة للإصلاح بينهما. ولا يخفى ما في هذا الحكم من ضمان لحقوق المرأة المتعلقة بحياتها الزوجية، لئلا تُظلَمَ المرأةُ حينئذ أو تَظلِم.

الضمان السابع عشر: أن الشريعة فرضت لها الميراث ولو طُلِّقَتْ طلاقًا بائنًا، إذا اتُّهِم زوجُها بقصد حرمانها من الميراث: فالأصل أن المرأة ترث زوجها إذا مات عنها، لكن الرجل قد تُسوِّل له نفسه، فيقصد حرمان زوجته من ميراثه، فيطلقها طلاقًا بائنًا وهو في مرض موته، ليظلمها، ويمنعها من حقها في ميراثه، فحينذاك تضمن الشريعة للزوجة حقها بإيجاب الميراث لها ولو طلقها زوجها طلاقًا بائنا ما دام أنه متهم بقصد حرمانها من التركة بالطلاق، صيانة لحقها في الميراث، ومعاملة لنقيض قصد الزوج السيئ بالاعتداء على حق الزوجة.

واختلف العلماء في المدة التي ترث فيها، والراجح أن المطلقة إذا طلقها زوجها البتة بقصد حرمانها من الميراث، ترث زوجها إذا مات عنها، سواء مات وهي في عدتها، أو مات وقد خرجت من عدتها، ما لم تتزوج بآخر.

> سقوط المرأة لهوله وشدته ثلاث مصائب في مصيبة: سقوطها هي، وسقوط من أوجدوها، وسقوط من تُوجدهم!
>
> مصطفى صادق الرافعي[١]

(١) وحي القلم (١/ ٢٤٠).

الفصل الثاني
ما هي النسوية

لا شك أن الإسلام بوَّأ المرأة مكانة سامقة، ومنزلة عالية، ومع هذا كله لم تسلم تشريعات الإسلام الخاصة بالمرأة من الطعن فيها، لا لأنها تستحق الطعن- والعياذ بالله- ولكن لأنها من الإسلام. وعزاؤنا مع مثل هذا الطعن والغمز واللمز بتشريعات الإسلام أنه ليس وليد اليوم ولكنه ولد مع ميلاد الإسلام نفسه، ولعل هذا يلفت أنظارنا إلى قوة البناء الإسلامي، وأنَّ مَن لم يَنَلْ منه وليدًا علي يد فئة قليلة من الرجال، لن ينال منه بعد أن انتشر في ربوع الأرض مشرقًا ومغربًا، شمالًا وجنوبًا.

وتمثِّل المرأة- بوجه عام- والمرأة المسلمة- بوجه خاص- في العصر الحاضر قضية من القضايا الفكرية المعاصرة، التي تشغل الفكر بوجه عام من جانب الفكر الهدَّام (الليبرالي- العلماني- الحداثي وما بعد الحداثي) أو الفكر البنَّاء (الإسلامي) ؛ بل هي أحد جوانب الصراع بين الرسالتين.

وما زالت الأفكار الهدامة، والتيارات الوافدة، التي تريد أن تنال من المرأة المسلمة تتتابع كالسيل الجارف، ولم تضع أوزارها بعد، بل تفاجئنا كل يوم بجديد في عالم الأفكار حتى كان من بينها هذه الحركة.

وعلينا أن نضع كل حركة غريبة- عن ديار الإسلام ومنهجه- تمسُّ المرأة تحت مجهر النقد العلمي الإسلامي الصحيح، حتى تكون المرأة المسلمة على بيِّنة من أمرها، وتدرك مكانتها، وتكريم الله واصطفائه لها، فتنشأ عندها الثقة بالنفس من خلال عوامل التثبيت على الحق، وتدرك ماذا يراد لها أن تكون عليه من انسلاخ عن شريعة الإسلام، وفطرتها الإنسانية، وبهذا يتصدى المنهج الإسلامي للفوضى والمجون.

لقد انحرف المجتمع المعاصر بالمرأة انحرافًا مخيفًا، واتخذ من زيها سلاحًا خطيرًا يعصف بالأخلاق، وذلك بنشر الأزياء الفاضحة التي تظهر فيها المرأة عارية أو شبه عارية، هذا اللون من الأزياء ينحرف بالغريزة، ويدمر القيم، ويؤدي إلى كوارث كثيرة،

فقد أدى إلى كثرة الجرائم، وشيوع فاحشة الزنا، وضعف الروابط الأسرية، بل تحطيمها وانعدام الثقة بين أفرادها وانتشار الطلاق لأتفه الأسباب.

كما يؤدي تبرج المرأة قبل هذا وبعده إلى الإساءة إلى المرأة نفسها، إذ صارت وسيلة من وسائل المتاجرة بها فقد أعلن الرئيس السابق للولايات المتحدة الأمريكية (نيكسون) أن أرباح التجارة بالمرأة قد عادت على أصحابها بأكثر من ملياري دولار عام ١٩٧٢[١].

هذا يبين لنا أن المرأة عندهم هدف عظيم، وصيد ثمين، يعملون على إيقاعه في شِراكهم، حتى يهدموا الإسلام من خلاله، لأن سقوط المرأة كما يقول مصطفى صادق الرافعي: ثلاث مصائب في مصيبة: سقوطها هي، وسقوط من أوجدوها، وسقوط من تُوجِدهم![٢]

الحركة النسوية المصطلح والمفهوم:

يواجه الباحث إشكالية عند تناول مسألة النسوية بسبب ضخامة التاريخ النسوي. وتعدد المدارس والتيارات والأهداف والاتجاهات المختلفة، ولا ينطلق أصحابها من أي منهجية علمية ثابتة.

ومَن يحاول دراسة هذه الحركة فإنه سيتعرض إلى هذا التناقض المعرفي الهائل تجاه هذه الحركة، وما يندرج تحتها من مفاهيم ومصطلحات ليس لها أي تعريف إنما هي مصطلحات عامية الدلالة!

فإذا اخترنا «النسوية الغربية» فذلك يعني: أننا سنتحدث عن نسويةٍ ما، ونترك نسوية أخرى ثم تتابع الإشكالات الفلسفية فيما يتعلق باتجاه الحركة النسوية فيصبح الطرح معقدًا منهجيًّا.

يعود أول استخدام للمصطلح إلى الفرنسية «هيوبرتين أوكليرت» عام ١٨٨٢،

(١) انظر: المؤامرة على المرأة المسلمة، فتياتنا بين الحجاب والسفور، إبراهيم النعمة، ص ٣٠، وكتاب الإسلام أولاً عبد الحليم عويس (ص ٥٧).

(٢) وحي القلم (١/ ٢٤٠).

واستخدم للإشارة إلى التزام أيديولوجي بالعمل على تحقيق المساواة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بين الرجال والنساء، سواء كان ذلك داخل البلد الواحد أم عبر العالم. ورغم ذلك هناك العديد من الآراء التي ترى أن المصطلح يسبق ذلك التاريخ بكثير، وصولًا إلى أوروبا القرن الخامس عشر، إلا أن الملاحظ على هذا المفهوم أنه ينقسم إلى اتجاهين: النسوية بمعناها الخاص، المتمثل في كونها (نظرية) وبمعناها العام كونها (حركة).

ويتم تعريف الاتجاه الأول بأنه نظرية سياسية قائمة على أساس المساواة، وتطالب بأن تحوز النسوة حقوقهن القانونية والسياسية والاجتماعية، التي حُرمن منها على مدار التاريخ. أما المعنى العام، فيعني المناضلة من أجل المرأة وحمايتها، وهذا الفعل ليس اختياريًا، بل أمرٌ واقعٌ. فالحركة ساعية إلى إعادة تنظيم العالم على أساس المساواة بين الجنسين في جميع العلاقات الإنسانية، بمعنى: الإدراك التام لعدم ملاءمة تشويهات الأيديولوجيات التي أوجدها الذكور، ثم مواصلة التفكير والعمل على أساس هذا الإدراك. وهي بذلك تتعدى كونها حركة سياسية، إلى حركة اجتماعية نقدية وثورية.

عُرِّف مصطلح النسوية بعدة تعريفات منها:

أنها: منظومة فكرية أو مسلكية مدافعة عن مصالح النساء، وداعية إلى توسيع حقوقهن. وعرفها معجم «ويبستر» أنها: النظرية التي تنادي بمساواة الجنسين سياسيًا واقتصاديًا، واجتماعيًا، وتسعى كحركة سياسية إلى تحقيق حقوق المرأة، واهتماماتها وإلى إزالة التمييز الجنسي الذي تعاني منه المرأة.

لكن بالنظر إلي هذه التعريفات نجد أنها غير جامعة لأفكار هذه الحركات، لأن الناظر في مبادئ هذه الحركات يجد أنها لا تقتصر على المطالبة بالحقوق والمدافعة عنها، بل تتعداها إلى الخروج عن حيز الأنثى إلى مخلوق مُشَوَّه لا رسالة له في الحياة إلا إرضاء النزوات والشهوات، وربما كان هذا يناسب مرحلة من مراحل البداية للحركات النسوية. فالنسوية باختصار عند أتباعها، هي: الفلسفة الرافضة لربط الخبرة الإنسانية بخبرة الرجل وإعطاء فلسفة وتصور عن الأشياء من خلال وجهة نظر المرأة.

الحركة النسويّة: هي حركة غربيّة عُرفت سابقًا بحركة تحرير المرأة ثم انتقلت إلى عالمنا العربي والإسلامي من خلال الغزو العسكري والثقافي فشقِيَتْ بها الأمة منذ عقود من الزمن، وما زالت هذه الأفكار تُستورد تباعًا، كلما حصل تطورات فكريّة لهذه الحركة في موطنها الأصلي.

إن الفكر النسوي الغربي باختصار عبارة عن هجوم على طبيعة الإنسان الاجتماعي، وإلغاء الثنائية الإنسانيّة (الذكر والأنثى) التي يستند إليها العمران الإنساني.

ولذلك أخذت مراحل في التسمية:

سُمِّيت الحركة النسوية في مرحلتها الأُولى بـ"Equity Feminism" ؛ أي: «نسوية المساواة»، أما المرحلة الثانية للحركة النسوية، فتسمى بـ"Gender Feminism" ؛ أي: «نسوية الجندر»، أو نسوية النوع. وقامت هذه الحركة النسوية على مفاهيم عملت على ترسيخها، والسعي إلى تحقيقها، وذلك أن النسوية المعاصرة تبنَّت مفهومين أساسيين كقاعدة لعملها: هما: مفهوم النوع Gender، والضحية، Victim.

سعت الحركة من خلال مفهوم «الجندر» إلى إلغاء الفروق بين الجنسين، والإنكار التام لوجود جنسين مختلفين، وإلغاء مُسمى ذكر وأُنثى، ورفض حقيقة اختلاف الذكر والأنثى اللذين هما من صنع الله ﷻ سعيًا منها إلى إلغاء مفهوم (الزواج)- فِطرة الله- عندما بدأ بحواء وآدم كزوجين عُمِّرت بهما الأرض.

وعبر مفهوم «الضحية» تبنَّت الحركة آلية الانتقاد العام للرجال، وعمَّقت الشعور بالكراهية تجاه الرجل، ووجهت جهودها لخدمة هذا التوجه الجديد، وتأكيد نظريتها التي تقول: «إن المرأة ضحية لوجود الرجل».

فلقد اختلفت هذه النزعة في الانطلاقة الأولى عنها فيما انتهت إليه، فقد كانت الدعوة الغربية إلى تحرير المرأة- منذ القرن التاسع عشر- أثر من آثار الحداثة الغربية، التي أرادت تجاوز التراث الفلسفي والاجتماعي والقانوني الغربي المعادي للمرأة، والمحقر لشأنها- مع التأويل للتراث الديني الغربي- اليهودي والنصراني- المعادي

للمرأة، وذلك دون إعلان للحرب على الدين ذاته، ولا على الفطرة التي فطر الله الناس عليها عندما خلقهم ذكرانًا وإناثًا، وأيضًا دون إعلان للحرب على الرجال.

أما النزعة الأنثوية المتطرفة (Feminism) التي تبلورت في ستينات القرن العشرين فإنها أثر من آثار ما بعد الحداثة الغربية تحمل كل معالم تطرفها الذي بلغ بها حد الفوضوية والعدمية واللاأدرية والعبثية والتفكيك لكل الأنساق الفكرية الحديثة التي حاولت تحقيق قدر من اليقين الذي يعوض الإنسان طمأنينة الإيمان الديني، التي هدمتها الحداثة بالعلمانية والمادية والوضعية منذ عصر التنوير الغربي العلماني.

الحركة النسوية النشأة والتاريخ:

الوقوف على تاريخ هذه الظاهرة من ناحية النشأة والتطور أمر في غاية الأهمية، يجعلنا ندرك، أين ظهرت؟ ومتى ظهرت؟ ولماذا ظهرت؟ ومن أبرز رموزها؟ وما المبادئ التي تدعو إليها؟

بدأت هذه الحركة الأخيرة في عام ١٨٦٠م، وأخذت منحنًى مختلفًا في أيدلوجياتها ومطالبها، وأصبحت تحمل أيدلوجية شاذةً وغريبة. ولا يمكن أن تُفهَم الحركة النسوية- بصفة عامة- من غير الوقوف على الخلفيات الكامنة وراءها، والبيئة المصدِّرة لها، والباعث عليها، وهل يوافق ذلك طبيعة المرأة أم لا؟ وهل توافق البيئة الإسلامية أم لا؟

هذه الحركة التي يراد لها أن تُصَدَّر للعالم أجمع لابد أن تفهم في إطار نشأتها الاجتماعية، والفكرية، والثقافية، في إطار الروافد الثقافية التي غذَّتها والأوضاع الحضارية التي أفرزتها.

تيار النسوية في الفكر الغربي، الخلفية التاريخية والظروف الاجتماعية:

برز التيار النسوي تاريخيًا في المجتمع الليبرالي الرأسمالي على أنه حركة لتحرير المرأة في القرن التاسع عشر باعتباره من ردة الفعل لأوضاع المرأة المتردية أثناء الثورة الصناعية وما تلاها. وعلى الرغم من تعاقب المحاولات لتغيير وضع المرأة في المجتمع الغربي إلا أنها لم تكلل بالنجاح إلى القرن العشرين؛ حيث تبلورت مطالب ذلك التيار بشكل أكثر تحديدًا من خلال إنشاء بعض الجمعيات هناك. وفي عام ١٩٦٦م تم إنشاء

الجمعية الوطنية للمرأة في الولايات المتحدة (The National Organization for Women) للمطالبة بحقوق المساواة للمرأة.

وقد اتسم هذا التيار منذ بداية نشأته باتهام الدين بتكريسه لفكرة الأبوية، كما قام بدور مضاد للكنيسة ورجالاتها على اعتبار أن الكنيسة كانت وراء تردي أوضاع المرأة وتخلفها عبر التاريخ الأوروبي. فقد تفجرت العديد من الممارسات الممقوتة تجاه المرأة الغربية بناءً على قواعد راسخة في الذهنية الغربية وطدت دعائمها جذور الأساطير اليونانية والتقاليد الرومانية من جهة، وما جاء فيما يسمى على لسان «بولس» من جهة أخرى. وتضايفت تلك العوامل لتشكل في الذهنية الغربية تصورًا سلبيًا عن المرأة ودورها في الحياة والمجتمع.

كما استعرت نيران تلك التصورات السلبية بشكل ممارسات اتسمت بالوحشية والعنف تجاه المرأة. وتعد حملات القمع التي وقعت في نهاية القرن الخامس عشر حلقة في سلسلة الاضطهادات التي تعرضت لها المرأة في المجتمع الأوروبي، واستمرت تلك الحملات إلى عام ١٦٨٠م تحت دعوى محاربة الساحرات والمتشيطنات التي راح ضحيتها من النساء بقدر ما راح في حروب أوروبا قاطبة حتى عام ١٩١٤م. وحسب موقع ويكيبيديا يصل عدد ضحايا هذه الاضطهادات بين ٤٠،٠٠٠ إلى ٦٠،٠٠٠.

وسرت رياح التيار النسوي إلى عدد من بلدان العالم خاصة تلك التي وقعت تحت الاحتلال الغربي في منتصف القرن التاسع عشر وما بعده، وقد لاقت تلك الدعوى دعمًا واسع النطاق من قبل منظمة الأمم المتحدة التي أعلنت في عام ١٩٤٥ م أول وثيقة عالمية معاصرة تبنت فيها حقوق المساواة بين المرأة والرجل.

ولم تفرق تلك الحركات الناشئة في مختلف بلدان العالم بين البيئة التي تمخض عنها التيار النسوي في الغرب وما واجهته المرأة في الغرب من ممارسات عنيفة، وبين موقع المرأة وظروفها المغايرة في مجتمعاتهم المحتضنة لتلك التيارات.

فقد قام أصحاب هذا الاتجاه ببناء تصورات حول المجتمع الغربي تعبر عن الحرية الظاهرية التي تتمتع بها النساء هناك. إلا أنهم في الواقع لم يدركوا حجم الانتهاكات التي

تعاني منها النساء في أوروبا كما لم يدركوا جسامة تورط النساء هناك. كما أغفلوا الخلفية التاريخية التي نشأت في أعقابها تلك الحركات والتيارات التي جاءت تعبيرًا صارخًا عن معاناة المرأة ووضعها الاجتماعي هناك.

لقد جاء التيار النسوي في الغرب ثورة على تعاليم دينية محرفة وأقوال وسلوكيات بشرية تحكم فيها الجهل والأَثَرة. وعلى هذا قامت بمحاولات عديدة للانفكاك من مختلف الموروثات الدينية والاجتماعية المتراكمة؛ مما أدى في النهاية إلى اتساع البون والشقة بين الحركات النسوية في الغرب من جهة، وبين الدين والكنيسة من جهة أخرى.

إن إغفال الوعي بالخلفية التاريخية والظروف الاجتماعية التي قارنت ظهور التيار النسوي في المجتمع الغربي يمكن أن يسوق إلى الوقوع في مزيد من عمليات تقمص الآخر والسير على طريقه دون إدراك كاف لما يمكن أن ينجم عن ذلك من مغالطات وثغرات.

أسباب ظهور الحركة النسوية:

١ - صورة المرأة في المصادر الثقافيّة الدينيّة الغربيّة أي في التراث اليهودي والمسيحي باعتبار أن الحركة هي نتاج المجتمع الغربي وثقافته، وليست نتاج المجتمعات الأخرى سواء كانت إسلاميّة أو غير إسلاميّة؛ فقد نشأت في الغرب وانبعثت منه، فمن أهم أسباب وجودها صورة المرأة في التراث اليهودي والمسيحي[١].

لقد كانت المرأة الأمريكية ممنوعة من ارتياد الكنائس، لدرجة أن من كانت تريد منهن التعبد بصلوات أو أي شيء، كان يُطلب منها أن تجعل واحدًا من محارمها يقوم لها بهذا ويذهب للكنيسة نيابةً عنها أما هي فكانت ممنوعة تمامًا، وبدأت حركة التحرير بالمطالبة بالحقوق الدينية، أي الذهاب للكنيسة بهدف الصلاة والدعاء وعدم الاستعانة بالمحارم في ذلك.

فالاضطهاد الكنسي للنساء الأمريكيات، دائمًا هو المتهم الأول لديهن أنه سبب

(١) انظر فصل: مكانة المرأة في الإسلام وغيره.

قهرهن وحالة الظلم التي تعرضن لها على مدار قرون، لذا فلديهن عقدة نفسية وقلبية عميقة جدًا من فكرة الدين.

٢- موقف العديد من المفكرين والفلاسفة الغربيين تجاه المرأة من (أفلاطون) الفيلسوف اليوناني المشهور الذي يصنف المرأة- في عدد من كتبه ومحاوراته- مع العبيد والأشرار ومع المخبولين والمرضى، إلى الفلاسفة المتأخرين مثل (ديكارت) من خلال فلسفته الثنائية التي تقوم على العقل والمادة: فيربط العقل بالذَكَر ويربط المادة بالمرأة، والفيلسوف (أوجست كُنت) أحد أباء الفلسفة الغربية: يصف المرأة بأنها ضعيفة في كافة الاتجاهات بالذات في قدراتها العقلية، كذلك فيلسوف الثورة الفرنسية (جان جاك روسو) يقول إن المرأة وُجدت من أجل الجنس، ومن أجل الإنجاب فقط، إلى (فرويد) اليهودي رائد مدرسة التحليل النفسي وموقفه المعروف من المرأة الذي يتضمن أن المرأة جنس ناقص لا يمكن أن يصل إلى الرجل، أو أن تكون قريبة منه.

هذا الموقف التراثي الديني المنبعث من التحريف الموجود في العهدين القديم والجديد مع موقف هؤلاء المفكرين والفلاسفة هما الموجبان الرئيسان لهذه الحركة النسوية.

فدعاة النسوية يتخذون من هذه الأفكار منطلقًا لنشر الثقافة المضادة عن المرأة التي شكلت مفاهيم وقيم ومبادئ الحركة النسوية الغربية، ثم هم يهدفون أن تكون حركة نسوية عالمية.

ما هي النتائج التي عكسها الموقف التراثي الديني والموقف الفكري الفلسفي حسب رؤية النسويّين؟

قالوا: إن تهميش المرأة، وسيطرة الرجل عليها سبب نشوء جماعات ذكوريّة متطرفة في نظرتها إلى المرأة مسيطرة عليها لا تعطي لها فرصة إثبات وجودها مما تسبب في نشوء تمييز على أساس الجنس، أي تمييز ضد المرأة، ولذلك أصبح الحل في نظر الحركة النسويّة الغربيّة: هو التخلي عن المنطلقات التي كوّنت هذه النظرة، وهي العقائد

والأعراف الدينية والشرائع السماوية باعتبار أن هذا الوضع للمرأة هو إفراز لتلك النظرة في التراث الديني.

ثم برزت فكرة الصراع بين الرجل والمرأة من أجل أن تنتزع المرأة الحقوق التي سلبها الرجل منها، أي أن العلاقة بين الرجل والمرأة علاقة صراع على الحقوق، لذا كان من أهم الحلول التي طرحتها الحركة النسويّة الغربيّة هو التخلي عن العقائد ورفض الدين؛ فالفكر النسوي قائم على أساس فكري علماني صرف، وهذه حقيقة لا بد ألا تغيب عنا.

٣- الموقف القانوني والسياسي في التراث الغربي إزاء احتقارالمرأة ودُونِيَّتها لم يكن بأقل غلوًا من التراث الفلسفي والديني، وفي هذا تفسيرٌ وليس تبريرًا لغلو النزعة الأنثوية الغربية.

تعد الأسباب المذكورة هي السبب الرئيس في خروج مثل هذه النزعات، بينما لا يوجد شيء في الإسلام- من هذا الاحتقار المتواطئ عليه بين التراث الفلسفي والديني والقانوني في المجتمع الغربي. وهذا يفسر لنا خروج مثل هذه الظواهر من العالم الغربي، وأما كونها تتسلل إلى العالم الإسلامي فذلك له أسبابه من:

- الهزيمة النفسية التي يحياها بعض المسلمين.
- الانبهار بكل ما هو غربي.
- وجود أذناب للغرب مأجورين، مفتونين، ينعقون بكل ما هو غربي غثًا كان أو ثمينًا دون فحص أو تمحيص.

التيارات الرئيسية للنسويات الغربية:

يمكن اعتبار أن الحركات النسوية تمحورت لغاية السبعينيات حول ثلاثة تيارات رئيسية: النسوية الليبرالية، والنسوية الماركسية، النسوية الراديكالية.

أولًا: النسوية الليبرالية:

نشأت الحركة النسوية الليبرالية من الموجة النسوية الأولى في القرن ١٩، وارتبطت

تاريخيا بالليبرالية و التقدمية في القرن ١٩. وهي تعرف أيضا بأسماء أخرى مثل النسوية الإصلاحية، أوالحركة الرئيسية، أو تاريخيا باسم الحركة النسوية البرجوازية.

ينتسب هذا التيار إلى خط الثورة الفرنسية وامتداداته الفكرية، ويستند إلى مبادئ المساواة والحرية للمطالبة بحقوق للمرأة مساوية لحقوق الرجل في مختلف مجالات الحياة السياسية والاجتماعية.

تسعى النسوية الليبرالية إلى المساواة بين الرجل والمرأة من خلال الإصلاح السياسي والقانوني ضمن إطار ديمقراطي ليبرالي، دون تغيير جذري في بنية المجتمع؛ «تعمل النسوية الليبرالية ضمن هيكل المجتمع السائد لإدماج النساء في هذا الهيكل». خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ركزت النسوية الليبرالية بشكل خاص على حق المرأة في التصويت والوصول إلى التعليم.

إن التيار النسوي الليبرالي- المعروف بحركة تحرير المرأة- يقوم على مبدأين أساسيين هما: المساواة والحرية، مبدأ المساواة التماثلية بين الرجل والمرأة ومبدأ الحرية شبه المطلقة، وهذان المبدآن الرئيسان اللذان قامت على أساسهما الحداثة الغربية، وهما الأساسان اللذان قام عليهما الفكر النسوي كأحد منتجات الحضارة الغربية، وقد تم تكريس هذا الفكر على المراحل الآتية:

١- قامت ثورتان في المجتمع الغربي ترفعان هذين المبدأين وهي الثورة الأمريكية عام ١٧٧٩م والثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م، ومبادئ هاتين الثورتين ضُمِّنَت في الدساتير التي قامت عليه الدولتان الأمريكية والفرنسية، ثم ترسّخت هذه المبادئ في الفكر الغربي المعاصر.

٢- قام التنظيم الدولي المعاصر على هذا الأساس، فمبادئ الأمم المتحدة عندما نشأت عام ١٩٤٥م تضمنت في وثيقتها رفض التمييز على أساس الجنس، وتحقيق المساواة التماثلية بالمفهوم الغربي الذي يقوم على فكرة الصراع بين الرجل والمرأة من أجل الحقوق التي يسيطر عليها الرجل.

٣- صيغت الصكوك والاتفاقات الدولية على أساس هذه المبادئ، وأهم وثيقتين في هذا الصدد هما:

أ - الإعلان العالمي لحقوق الإنسان(١٩٤٨) وهو ينص على وجوب الالتزام بهذه المبادئ ويؤكد على عدم التمييز على أساس الجنس وعلى تحقيق المساواة التماثلية بين الرجل والمرأة وعلى حرية الزواج خاصة في المادة السابعة والمادة السادسة عشر.

ب - الوثيقة الثانية وهي الأهم والأخطر من بين هذه الاتفاقيات فيما يخص المرأة اتفاقية (سيداو cedaw) أو (اتفاقية القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة) عام (١٩٧٩). وهي اتفاقية مكونة من (٣٠) مادة، وموادها الست عشرة الأولى تؤكد على عدم التمييز وتحقيق المساواة بين الرجل والمرأة، وتشجيع الاختلاط بين الجنسين، والمساواة بين الزواج والطلاق.

٤- مرحلة عولمة هذا الفكر من خلال الصكوك والوثائق الدولية، وترويجها من خلال المؤتمرات الأممية التي تنعقد بين الفينة والأخرى في القضايا الاجتماعية مثل مؤتمر السكان في القاهرة عام ١٩٩٤م، ومؤتمر المرأة في بكين عام ١٩٩٥م، وهذا الأخير هو أخطرها لأن وثيقته اعتبرت مرجعية في مصاف اتفاقية (سيداو) من حيث الأهمية والمتابعة مع أن وثائق المؤتمرات عبارة عن توصيات وليست اتفاقًا دوليًا، لكن النشاط المحموم في متابعة تنفيذ مقررات هذه الوثيقة (وثيقة بكين) يدل على مرجعيتها، فانعقد عام ٢٠٠٠م في نيويورك اجتماع دولي سُمّي بِـ(بكين ٥) لمتابعة تنفيذ ما في هذه الوثيقة، وفي فبراير هذا العام ٢٠٠٥م انعقد في نيويورك مؤتمر (بكين١٠) لمتابعة تنفيذ توصيات نفس الوثيقة، وفي كل هذه الاجتماعات يُطلب من الدول تقديم تقارير توضح مدى التقدم في تنفيذ هذه التوصيات، وما هي العوائق التي تقف في وجه تنفيذ ما لم يُنفذ.

ثانيًا: النسوية الماركسية:

تجادل النسوية الماركسية أن الرأسمالية هي السبب الجذري لاضطهاد المرأة، وأن التمييز ضد المرأة في الحياة المنزلية والتوظيف هو نتيجة للأيديولوجيات الرأسمالية.

يعتبر هذا التيار أن قمع المرأة وقهرها بدأ مع ظهور الملكية الخاصة. فنقل الملكية بالإرث سبّب مؤسسة للعلاقات غير المتوازنة وتوزيعًا للمهام والأعمال على أساس من التمييز الجنسي. وقد شيدت الرأسمالية نظامًا للعمل يميز ما بين المجالين الخاص والعام: فللرجل العمل المنتج والمدفوع، وللمرأة الأعمال المنزلية المجانية غير المصنفة ضمن الإنتاج. ويرى أتباع هذا التيار أن إعادة انخراط النساء في سوق العمل ومشاركتهن في الصراع الطبقي سيؤدي الى قلب النظام الرأسمالي وإزالة الطبقات.

ثالثًا: النسوية الراديكالية (المتطرفة):

تدعو الحركة النسوية الراديكالية إلى إعادة ترتيب جذرية في المجتمع للقضاء على سيادة الذكور. وتعتبر أن التسلسل الهرمي الرأسمالي الذي يسيطر عليه الذكور هو السمة المميزة لاضطهاد المرأة وترى بضرورة الاقتلاع الكلي وإعادة بناء المجتمع. ولا تدعم النسوية الانفصالية العلاقات المغايرة جنسيا بين الجنسين، وهكذا ترتبط بالنسوية المثلية ارتباطًا وثيقًا. تنتقد النسويات الأخريات النسوية الانفصالية على أنها تميز بين الجنسين.

ويهدف هذا التيار إلى التعويض عن بعض النواقص في النسوية الليبرالية والماركسية من خلال التأكيد على الطابع العام والعابر للمناطق والثقافات، المستقل عن الطبقات، للتمييز ضد النساء.

ويعتبر أنصاره أن البطركية (الأبوية) بحد ذاتها هي أساس هذا التمييز ضد النساء والسيطرة عليهن التي تنسحب على ميادين الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والجنسية، وتخلق نظام تنميط للجنسين من خلال ثقافتين: واحدة ذكورية مسيطرة وأخرى نسائية مسيطر عليها.

يطالب هذا التيار النسوي المتطرف بتغيير البنى الاجتماعية والثقافية والعلمية واللغوية والتاريخية باعتبار أنها متحيزة للذكر، وفي داخل هذا التيار نشأت جيوب تدعو إلى دين جديد (الوثنيّة النسويّة) (female paganism) أو دين المرأة الجديد الذي

يقوم على أساس تأليه المرأة مقابل الأديان الذكورية التي فيها الإله ذكر، فلا بد للمرأة أن تكون إلهة في الدين الجديد.

أهم مبادئ هذا التيار:

١- التخلي عن الأفكار التي أخذت صفة القدسية، ويعنون بها نصوص الوحي والتراث الديني وهذا موقف يلتقون به مع التيار الأول فمحاربة الأديان قاسم مشترك بين التيارين.

٢- التخلي عن الأنوثة باعتبار أن الأنوثة هي سبب ضعف المرأة وسبب هيمنة الرجل عليها، فالأنوثة تقود إلى الزواج، والزواج يقود إلى الأمومة، والأمومة تقود إلى تكوين الأسرة، ففي كل هذه المراحل تكون المرأة الطرف الأضعف، والرجل يكون الطرف المهيمن.

كيف يمكن التخلي عن الأنوثة في نظرية هذا التيار؟

يتم ذلك عن طريق عدد من الإجراءات:

أ- تغيير النظام الأسري الذي يصنع نظامًا طبقيًا ذكوريًا يقهر المرأة، وهذا لا يتم إلا بتقويض مفهوم الأسرة المعروف وإحلال الأسرة الديمقراطية محلها.

ب- حق المرأة في الإجهاض بحرية حسب الطلب، وتسهيل ذلك.

ج- ممارسة الجنس المثلي (اللواط والسحاق) وهذا يعطي المرأة الحرية في أن تمارس حقها الجنسي بحرية، فلا تبقى بحاجة إلى ذكر في المسألة الجنسية.

د- صياغة نظرية نسويّة لتحقيق المساواة التماثلية بين الجنسين، ولا يتم ذلك إلا بخلخلة الثنائية السيكولوجيّة والاجتماعيّة التقليديّة بين الذكر والأنثى، وإيجاد بديل عنها، وهو مصطلح (الجندر) أو الجنوسة وهو النوع الاجتماعي بدلًا عن مصطلح الجنس.

ما هو مفهوم (الجندر) Gender؟

صاغت «سيمون دي بوفوار» هذا المفهوم في صيغته المعاصرة في كتابها «الجنس

الآخر» عام ١٩٤٩، بحيث أن «المرأة لا تولد امرأة، بل هي تصبح امرأة». ففي حين يتحدد الجنس بيولوجيًا، فإن النوع الاجتماعي يتولد بفعل تأثيرات نفسية واجتماعية وثقافية، فإن كان الجنس قدرًا ملازمًا للمرء، فقد أصبح النوع بمنزلة الإرادة الحرة، هذه الإرادة تترتب عليها عدة آثار، كحق الإنسان في تغيير هويته الجنسية، والاعتراف رسميًا بالعلاقات المثلية، وبالتالي الحق في الزواج المثلي وتكوين الأسر، وتبني الأطفال وتأجير الأرحام. إلا أن عدم المساواة القائمة على النوع الاجتماعي ليست أمرًا محسوم النتائج طبيعيًا ومنطقيًا.

يقوم مفهوم (الجندر) على أساس تغيير الهوية البيولوجية والنفسية الكاملة للمرأة، ويقوم أيضًا على إزالة الحدود النفسية التي تفرق بين الجنسين على أساس بيولوجي أو نفسي أو عقلي، كذلك يزيل الهويّة الاجتماعيّة التي تحدد دورًا مختلفًا لكل واحد من الجنسين في الحياة وتمايزه عن الجنس الآخر.

إن فلسفة الجندر تتنكّر لتأثير الفروق البيولوجيّة الفطريّة في تحديد أدوار الرجال والنساء، وتُنكر أن تكون فكرة الرجل عن نفسه تستند إلى واقع بيولوجي وهرموني. وهي تنكر أي تأثير للفروق البيولوجيّة في سلوك كلٍّ من الذكر والأنثى. وتتمادى هذه الفلسفة إلى حد الزعم بأنّ الذكورة والأنوثة هي ما يشعر به الذكر والأنثى، وما يريده كلّ منهما لنفسه، ولو كان ذلك مناقضًا لواقعه البيولوجي. وهذا يجعل من حق الذكر أن يتصرف كأنثى، بما فيه الزواج من ذكر آخر. ومن حق الأنثى أن تتصرف كذلك، حتى في إنشاء أسرة قوامها امرأة واحدة تنجب ممن تشاء.

من هنا نجد أنّ السياسات الجندريّة تسعى إلى الخروج على الصيغة النمطيّة للأسرة، وتريد أن تفرض ذلك على كل المجتمعات البشرية بالترغيب أو الترهيب. لذلك وجدنا أنّ بعض المؤتمرات النسويّة قد طالبت بتعدد صور وأنماط الأسرة؛ فيمكن أن تتشكّل الأسرة في نظرهم من رجلين أو من امرأتين، ويمكن أن تتألف من رجل وأولاد بالتبنّي، أو من امرأة وأولاد جاءوا ثمرة للزنا أو بالتبنّي. كما طالبت هذه المؤتمرات باعتبار الشذوذ الجنسي علاقة طبيعيّة، وطلبت إدانة كل دولة تحظر العلاقات الجنسيّة الشاذة.

خلاصة الأمر أنّ الفلسفة الجندريّة تسعى إلى تماثل كامل بين الذكر والأنثى،

وترفض الاعتراف بوجود الفروقات، وترفض التقسيمات، حتى تلك التي يمكن أن تستند إلى أصل الخلق والفطرة. فهذه الفلسفة لا تقبل بالمساواة التي تراعي الفروقات بين الجنسين، بل تدعو إلى التماثل بينهما في كل شيء.

كيف يمكن إيجاد الأسرة الديمقراطيّة وتكريس مفهوم جديد للأسرة يتوافق مع مبادئ هذا التيار باعتبار أن الأسرة التقليديّة عائق في تحقيق المساواة الكاملة؟

يتم ذلك من خلال إجراءات تحقّق في النهاية خصائص الأسرة الديمقراطية، وأهم هذه الإجراءات:

١- إلغاء مؤسسة الزواج لأنه معوق أساس في تحقيق المساواة، وهو في النهاية يوجد طبقية بين الزوجين، ويكرس السيادة للمذكر على المؤنث.

٢- تحرير المرأة من الحمل والإنجاب وإحلال الحمل، والإنجاب الصناعي لأن الحمل والإنجاب عمليتان استبداديّتان في حق المرأة؛ فلابد من تحرير المرأة منهما.

٣- إلغاء دور المرأة في تربية الأطفال، ومن القيام بالأعمال المنزلية وإقامة مراكز تربويّة لتربية الأطفال داخل المجتمع وليس بالبيت.

الحركة النسوية الغربية المعاصرة- الفيمينيزم : (Feminism)

الحركة النسوية الغربية المعاصرة Feminism هي تنظيم غربي انطلَق من الولايات المتحدة الأمريكية، ويتَّخذ منها مركزًا له، وتعتبر هذه الحركة امتدادًا للحركات النسوية الغربية التي ظهرت في أمريكا وبريطانيا خلال القرن التاسع عشر الميلادي، والتي ناضلت في سبيل الحصول على الحقوق الإنسانية للمرأة؛ حيث كانت المرأة في تلك البلاد محرومةً من التصرف في مالها ولا تُوفَّر لها فرص التعليم والعمل، وتمحورت مطالبهن حول الحقوق الفردية للمرأة في أن تُعامَل على أساسٍ مساوٍ للرجل في إنسانيته.

ومع تقدم الوقت وبعد حصول هذه الحركة على المطالب السابقة، رفعت شعار التماثل الكامل بين الرجال والنساء في جميع الجوانب بما فيها التشريعية، ومن المناطق التي نشطت فيها تلك الحركة، دول العالم الإسلامي، وذلك لتوطين الفكر الغربي والمبادئ التي تدعو لها.

ويعد هذا التنظيم النسوي هو الأقوى والأكبر والأكثر انتشارًا في العالم أجمع، ويعمل من خلال شبكةٍ ضخمة من المؤسسات والمراكز والجمعيات، وقد أمتد تأثير أيدلوجية هذا التنظيم، في السياسة، وفي القضاء، والتعليم ومن خلال مؤسسات المدنية، وغيرها.

المرتكزات الفكرية للحركة النسوية:

إذا قيل إن المقصود بالعنوان مجموعة الأفكار والأعمال التي تعتمد عليها الحركة النسوية فإنها ترتكز في امتدادها الفكري على بيئة النشأة وهي الثقافة الغربية جملة وتفصيلًا. وذلك يُلاحظ من خلال المبادئ التي تنادي بها، ويمكن إجمالها في هذه الاحتمالات التي تشكل في مجموعها الفكرة كلها.

- فإذا قلنا من ناحية الحرية العبثية دون مساءلة فهي ترتكز على الليبرالية.
- وإذا قلنا من ناحية تجميد التشريع الخاص بالمرأة، وفصله عن شئون الحياة، فإنها ترتكز على العلمانية.
- وإذا قلنا من ناحية دَفْع المرأة إلى سوق العمل مزاحمة كتفها بالرجل فهي ترتكز على الرأسمالية.
- وإذا قلنا من ناحية تجديد كل ما هو قديم في عالم الأفكار، ولوكان دينًا فهي ترتكز على الحداثة الغربية.
- وإذا قلنا من ناحية الثورة على الخصائص، ومحاولات التفكيك والتشكيك والفوضى والهدم فإنها تعتمد على ما بعد الحداثة الغربية.

فالحركة النسوية تعتمد الفكر الغربي- بوجه عام- منطَلَقًا وأساسًا، والأفكار الناشئة فيه كمراحل لتطوير الفكرة، والبناء عليها. وذلك باعتبارها أيديولوجية غربية بحتة، لا يمكن ولا ينبغي أن تطرح خارج هذا الإطار الفكري، والمرجعي لها.

أهداف الحركة النسوية:

أولًا: تعزيز الاعتقاد بعدم وجود فروقٍ بين الذكور والإناث، وأن الذكر مماثلٌ للأُنثى في الخصائص العقليةِ والنفسية، ومحاولة تأكيد هذا الاعتقاد عن طريق

الدراسات والمقالات والكتب المتحيزة وزرع مصطلح "النوع" Gender لتأكيد هذا المفهوم في البنية الاجتماعية والفكرية للمجتمع، وذلك بإقرار اللواط والسحاق، والقضاء على الزواج التقليدي بين الرجل والمرأة، وإقرار الزواج من الجنس الواحد، وتقويض الأسرة الطبيعية، ويضاف إلى ذلك كله تغيير التشريعات وتوحيدها للجنسين، واعتبار أن الأسرة والأُمومة والزواج التقليدي من أسباب قهْر المرأة، وأن وجوده يشكِّل عبئًا على المرأة هي ليست في حاجة إليه، وإنما العقلية الاجتماعية التقليدية هي التي فرضته عليها، وأن هذه الأدوار التقليدية كلها أعمالٌ غير مُربِحةٍ للمرأة؛ تبذل فيها وقتها وجهدها، ولا تتقاضى عليها أجرًا.

ثانيًا: تسعى الحركة النسوية- عبر تكريس مفهوم «الضحية»(victim) إلى التأكيد على أن المرأة ضحية للهيمنة الشيطانية للرجل، التي تبناها بوعيه، وأَدَّت إلى هذه الحالة الوضيعة للمرأة؛ فالمرأة في نظرهم ضحية لاغتصابه، وضحية لعنفه، وضحية لتحرشه الجنسي، وضحية في جميع المواقف التي تجمع بينها وبين الرجل، وأن المرأة غيرُ ملزمةٍ بتحمُّل كل هذه الأضرار، بل ينبغي حمايتها منه، لا سيَّما وأنها لم تعد بحاجة إلى الزواج من رجل لتوفير احتياجاتها الاقتصادية.

ثالثًا: التأكيد على مفهوم الاغتصاب، والعمل على تثبيت هذا المفهوم عن طريق دراسات ومقالات تؤكد أن جميع الرجال يمارسون الاغتصاب للنساء، وقد ظهر كتاب مشهور يروِّج لهذه النظرية (جميع الرجال مغتصبون)، ووَفقًا لهذه النظرية فإن أيَّة علاقةٍ لا تخضع لرغبة المرأة تعدُّ اغتصابًا حتى ولو كانت مِن قِبَلِ الزوج.

رابعًا: إعطاء المرأة الحريةَ المطلقةَ في مجالات العلاقات الجنسية، وكذلك إعطاؤها الحق أن تحدِّد نوعها الجنسي الذى تريده، وأن تمارس العلاقة الجنسية مع مَن يروق لها خارج أو داخل إطار الزواج، واعتبرت أن التحكُّم في عملية الإنجاب هو حقٌّ خالصٌ للمرأةِ دون زوجها.

خامسًا: تشجيع الزواج من نفس الجنس «الشواذ»، والمطالبة بحمايته دوليًّا، والاعتراف به؛ حتى لا تشقى المرأة بالحمل والإنجاب.

وتتفاخر معظم القيادات المُنظِّره للحركة النسوية المعاصرة بأنهنَّ كُنَّ أو لا يَزَلنَ سحاقيات يتعاطينَ الجنس مع بنات جِنسِهن، وعلى رأسهن الكاتبات المعروفات المنظِّرات للنسوية، وهذا الارتباط والاتصال بين الحركة النسوية والسحاقية أمرٌ مشهور ومعروف.

من وسائل النسوية لتحقيق أهدافها:

١- بناء شبكة عالميةٍ من المنظمات النسائية المنتمية فكريًّا للحركة، ولعل مؤتمر الأُمم المتحدة في بكين قد أظهر بكل وضوح القوة الممتدة لهذه الحركة في دول العالم الثالث عن طريق المنظمات النسائية التي شاركت في المؤتمر والتي تُدعم ماديًّا من قِبل الحركة النسوية في الولايات المتحدة الأمريكية، ودول أوروبا الغربية. حيث يتبع الحركة منظمات متخصصة في توفير الدعم المادي للنسوية في دول العالم الثالث.

٢- لتخريج داعيات يحملن فلسفة الحركة ويتولين نشرها، قامت الحركة بالعمل على استحداث أقسام متخصصة في الجامعات تحت مسمى «دراسات المرأة» في العديد من الجامعات حول العالم وإن كانت التسمية مختلفة من مكان لآخر، ولكن الأساسيات واحده وهي «الأيدلوجية النسوية».

وفي الولايات المتحدة وحدها ٤٢ جامعة لديها أقسام متخصصة في «دراسات المرأة»، ومعظم المناهج في هذه الأقسام معتمدة على أعمال مكتوبة عن طريق المرأة وحول المرأة وموجّهة للمرأة، وتُكرّس لمفاهيم الكراهية للرجل. ومن المتعارف عليه أن معظم ما يُدرّس في فصول «الدراسات النسوية» ليس علمًا بقدر ما هو فلسفة فكرية لجماعة نسوية.

ومن الأمور المعروفة استخدام العديد من أعضاء الحركة النسوية مواقعهن في الجامعات لتغيير مفردات المناهج، وتوظيفها لصالح الفلسفة النسوية بما يقتضيه التغيّر، لاسيّما العلوم الإنسانية، وكذلك استحداث مقررات جديدة تهتم بتعليم الفلسفة النسوية وقضاياها وربطها بالعصرية والتقدم، وهناك أكثر من ٢٠ مقرر في جامعات الولايات

المتحدة الأمريكية من هذا النوع. حتى أن أقسامًا أخرى كالعلوم السياسية وغيرها أُدخِلَ في مناهجها مفاهيم ومطالب الحركة النسوية.

ومن الملاحظ أن كل قسم من هذه الاقسام لا يمارس دوره المعتاد كقسم أكاديمي يطرح المقررات ويمنح الدرجة، وإنما يعمل كمنظمة كاملة من إقامة المؤتمرات، و اللقاءات، وتقديم المنح الدراسية، وابتعاث الأساتذة الزائرين، وتقديم الدعم للجمعيات النسوية وإصدار الدوريات المتخصصة، والتمثيل في الهيئات والحكومات علاوة على إصدار المجلات، وتأسيس مواقع الإنترنت ومعظم خريجات هذه الأقسام يتوجّهن للتدريس في المدارس الثانوية والمتوسطة و يمارسن دورهن في نشر الأيدلوجية النسوية من خلال التعليم.

٣- التركيز على الفتيات وتأسيس منظمات مخصصّة في الاهتمام بهذه الشريحة، تنظّم البرامج والمخيمات والرحلات، بالإضافة إلى المجلات ومواقع الإنترنت التي تنشر الأيدلوجية والفكر التحرّري بين طالبات الجامعات وطالبات المدارس المتوسطة والثانوية. والحقيقة أن الإنجازات التي تحققت لهذه الحركة وخاصّة في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين، كانت بفضل الاهتمام والتركيز على تلك الشريحة.

٤- إنشاء هيئات متخصصة في توفير التمويل للحركة النسوية.

٥- استخدام المؤسسات الدولية في نشر الفكر النسوي وإلزام الدول بما تريده الحركات النسوية، وسيأتي ذلك ببعض التفصيل في فصل مستقل إن شاء الله[١].

٦- توظيف الإعلام بكافة أشكاله لخدمة الحركة النسوية، ومن ذلك الحضور القوي في الشبكات التلفزيونية من خلال برامج وعروض تُقدّم من قِبل نساء منتميات فكريًّا للحركة. وكذلك توظيف الأدب بكافة أشكاله، مقالة أو قصة أو رواية أو شعر.

وكذلك وسائل التواصل الاجتماعي (فيسبوك وتويتر وإنستجرام ويوتيوب

(١) لم تجد الأفكار النسوية مكانًا تتطور فيه إلا الغرب، وبالتالي فالمسألة بالنسبة إلى الشرق مختلفة تمامًا. ومع تبلور الهوية النسوية عالميًا، انتقلت المطالب النسوية من دائرة الدولة إلى المنظمات العالمية، وبذلك أصبحت ظاهرة عالمية لا تقتصر على الدول الغربية.
انظر: فصل: دور الأمم المتحدة في هدم المجتمعات الإنسانية، من هذا الكتاب.

والمدونات، وغيرها)، فيقومون بتلميع القدوات السيئة والأنموذج الغربي وبث ثقافة الحرية الغربية وتكريس مظلومية المرأة وسطوة المجتمع الذكوري على النساء، ومهاجمة الرجال وتشويه صورتهم في أذهان المراهقات، وتحطيم القدوة في حياتهن، وتخوين أولياء الأمور عن طريق سرد قصص التعنيف، وإبراز التناقضات، وتوجيه الإشارات السلبية لعلماء الدين مع لمحات من الاستهزاء بالنصوص الدينية، حتى تتكون حالة التمرد لدى الفتاة وتتشكل شخصيتها المنحرفة فتثور على دين ربها وتنزع طاعة ولي أمرها وتتمرد على أسرتها.

وكلك تحريض المرأة على التمرد على قوامة الرجل والثورة على الرجال ونعته بالقذر والكاذب والمستبد والتعامل معه بالندية ومخاطبته بلغة القوة والانتقام، وقد لعبت الروائيات النسويات دورا رئيسيًّا في هذا الأمر وأصبحن مصدر إلهام للنساء عن طريق حكاية القصص والمشاهد التي تكرس ظلم الرجل وخيانته وبراءة المرأة وصدق عاطفتها.

٧- ومن وسائلهم الماجنة التشنيع على الزواج ورفضه بالكلية وتفسيره بالعبودية والذل للمرأة، وإقناع البنات أن هذا المشروع مبني على العنصرية الذكورية، والتأكيد على فشله، وأنه سجن يقيد الحريات ويكبت المشاعر، ويكرس الظلم الذكوري، ويسخر المرأة خادمة وآلة للولادة.

وهذا الفكرة بيئة خصبة للانحلال الجنسي والعلاقات غير المشروعة؛ لأن حاجة الأنثى للجنس والإشباع العاطفي والمودة أمر فطري إن لم تحققه في العلاقة الشرعية قد تبحث عنه في العلاقات المحرمة؛ خاصة في حالة من ترى أن ذلك من أساس الحرية، ومن أغلق على نفسه باب الحلال فتح عليها باب الحرام، ولذلك شَرْعَنَ النسويات العلاقات الشاذة بديلا عن الزواج نعوذ بالله من انتكاس الفطرة وسفاهة العقل.

٨- ومن وسائلهم في نشر فكرهم الضال: التهوين من انحرافات الآخرين العقدية والسلوكية فتجد المتحدث يحترم إلحاد الشخص الآخر أو انحلاله الجنسي أو شذوذه ويصرح ويقول: «هي حياته الشخصية وهو حر لا يحق لي انتقاده وإن كنت أخالفه»، وهذا

رضا بالرذيلة وسكوت عن المنكر وهو من صفات المنافقين. قال تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧].

٩- وهناك طائفة منهن متسترات بالإسلام يقمن بدور خطير مضلل في قراءة المصادر الإسلامية وتفسير النصوص الدينية بناء على التفسير السياسي والتاريخي والعقلي، فيُبطِلون الأحكام الشرعية الثابتة في القرآن والسنة والإجماع وآثار الصحابة، ويردون فقه الأئمة الأخيار بحجة أنها تفاسير وشروح ذكورية قامت على اضطهاد الفقهاء واحتقارهم للمرأة، فيقومون بعملية رَدّ النصوص المخالفة لأهوائهم ومبادئهم عن طريق تحريف معاني القرآن والطعن في رواة الحديث ومعانيه.

وعندهم لكل فريضة شرعية تفسيرٌ منحرف يبطلها، فالحجاب- عندهم- لم يأت توصيفه في القرآن، والمراد به ستر العورة المغلظة أو الاحتشام على حسب العرف وهو عادة اجتماعية في مجتمع ذكوري عربي، والنقاب عادة يهودية، والتعدد شرع للتكافل الاجتماعي وكان أمرا طارئا، والحديث الوارد في الولاية العامة لا يثبت، وتنصيف الإرث للمرأة كان على حسب ظرفها الاجتماعي والتاريخي، وتنصيف دية المرأة من دية الرجل باطل لم يرد في القرآن، وشهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل هذا خاص بحال المرأة في الزمن الأول ووضعها الاجتماعي حيث لم تكن تشارك في المعاملات الاقتصادية، وهكذا يعطلون أحكام الشريعة اتِّباعًا للهوى وتأثُّرًا بأطروحات المستشرقين الذين يشككون في مُسَلَّمات الدين وكثير منهم تلقوا تعليمهم وتمت برمجتهم في جامعات الغرب.

وقد أجمع العلماء كافة على أنه لا يجوز لأحد التكذيب بشيء مما أنزل الله أو دَفْعُه، وعدم الرضى به أو العدول عما شرع، وذكروا أن ذلك كفر صريح، وردَّةٌ عن الإسلام، ولو اطمأنت قلوبهم بالإيمان وصدقوا نبيهم محمدًا ﷺ وتبرأوا من شرور أنفسهم وطاعة الشيطان لقالوا سمعنا وأطعنا.

ومن المراوغة والخداع من بعض النسويات تعويم الخطاب بحيث تقرر أن النسوية تيار عام يدخل فيه العلماني والإسلامي واللاديني و.... ثم تنكر بشدة محاربة هذا

المصطلح ونبذ هذا التيار ومحاكمته للنصوص الدينية، وتقرر أنها محافِظة مُلتَزمة بالقيم، ثم تُناقض نفسها وتقول أن كل إنسان حر في اختيار حياته ومبادئة الفكرية والجنسية، وله حق الاختيار، وليس لأحد أن ينكر عليه ويصادر حقوقه الشخصية.

وهذه الفكرة مناقضة للإسلام ولا يمكن أن يكون معتنقها سائرًا على منهج النبي ﷺ الذي ربانا على وجوب النصيحة للمسلم وإنكار الباطل والغيرة على الحرمات وتعظيم الشعائر.

ومما يساعد هؤلاء المفسدين والمفسدات دور الأسرة السلبي الذي فُقِدَ فيه التواصل والحوار والتناصح والتواصي بالخير بكلمة حانية، فقد شكل بيئة خصبة للانحراف والهروب الروحي من محيط الأسرة حتى أصبح كثير من البنات ارتباطهم الروحي مع صاحباتهن قوي جدا مع فتور العلاقة بالوالدين، ومع ضعف الرقابة الأسرية قد تقع البنت ضحية في بيئة سيئة فكريًّا وسلوكيًّا وتُخْتَطَف من شياطين الإنس فتنحرف وتكون عدوة لأهلها ودينها.

النسوية والمرأة العربية:

لم تجد الأفكار النسوية مكانًا تتطور فيه إلا الغرب، وبالتالي فالمسألة بالنسبة إلى الشرق مختلفة تمامًا. ومع تبلور الهوية النسوية عالميًا، انتقلت المطالب النسوية من دائرة الدولة إلى المنظمات العالمية، وبذلك أصبحت ظاهرة عالمية لا تقتصر على الدول الغربية.

لقد نشأت الحركات النسوية العربية من خلال الدولة، ودخلت الاتحادات النسوية في هيكيلة الأحزاب الحاكمة، أي أنها لا تنفصل عن الطبقة الحاكمة، وأنها جزء منها. من ناحية أخرى وتحت مُسمى (المنظمات غير الحكومية) ومسألة تمويلها من الخارج، فإن الشكوك تحيطها، بأن هذه المجموعات النسوية زائفة وعميلة للغرب، وما هدفها إلا إهدار قيم المجتمع، ومن ثمّ تقويضه لصالح الغرب.

أما عن تأثير الحركة النسوية الغربية على الدول العربية والإسلامية، فقد استطاعت

الحركة النسوية العربية عن طريق أسلوب الضغط على الحكومات، وبدعم قوي من الغرب، وبالعمل الدؤوب الموجه للمرأة العربية تحقيق ما يلي:

١- تكوين صف من الكوادر المنتمية إليها بين المثقفات في هذه الدول، واللاتي مع قلة عددهن إلا أنهن استطعن الوصول إلى مواقع السلطة بفضل نشاطهن الذي لا ينقطع.

٢- الوصول إلى شريحة الكتاب والأُدباء والصحفيين، الذين سخَّروا أقلامهم وأدبهم للدعوة إلى الإباحية وإثارة قضايا المرأة من المنظور العلماني البحت.

٣- تأسيس شبكة كبيرة من المنظمات في الدول العربية، والتي تعمل تحت مظلة (قضية التنمية) مع التركيز على مفهوم تنمية المرأة العربية، وتتَّخذ معظم مؤتمراتها ولقاءاتها هذه التسمية بالذات، والحقيقة هي أن خطط تنمية المرأة العربية تفتقد إلى المنهجية المستمدة من المرجعية الدينية والثقافية والاجتماعية للدول العربية والإسلامية، كما تتبنَّى مناهج فكرية واجتماعية مغايرة للمنهج الإسلامي، هذا بالإضافة إلى أن منطلقاتها وهميَّة، ونُقلت كما هي دون النظر في صلاحيتها ومشروعيتها.

٤- استخدام منظمات المجتمع المدني في المجتمعات العربية كأداة لتحقيق أهدافها، مع التركيز على النساء الفاعلات للتحكم في انتمائهن الفكري.

٥- استصدار التقارير التي تحقق أهدافها تحت غطاء ما يسمى بحقوق الإنسان.

٦- مطالبة المنتسبات للحركة النسوية بقصر قانون الأحوال الشخصية في الإسلام على العبادات، وإبعاد الدين عن دستور الدولة، وإلغاء نصوص قرآنية قطعية الدلالة لا تقبل التحريف والتأويل؛ كقوامة الرجل والعدة، وتعدُّد الزوجات، والإرث، وال حدو، وغيرها.

الحركة النسوية في ميزان الإسلام

تسعى هذه الحركة إلى قلب كل المفاهيم والتصورات الاجتماعية والقيمية والدينية التي تخص المرأة تكوينًا وتنظيمًا وتشريعًا. وبعد هذا العرض السريع لنشأة ومبادئ هذه الحركة وأهدافها ووسائلها وممارساتها يتبين أن هذه الحركة لها موقفٌ مغايرٌ للإسلام، وذلك من حيث:

- أن النسوية تعمل على مركزية الإنسان، وإضفاء القداسة عليه مع جعل الأفكار التي يتوصل إليها مرجعية، والإنسان قاصر ضعيف بنفسه من غير تأييد الله له، وذلك في مقابلة مركزية الوحي الذي جاء من عند الله تعالى العليم الخبير، فالفلسفات والأفكار الغربية في مقابلة القرآن والسنة.

- أن النسوية تفرِّغ المرأة من رسالتها وفطرتها وتعمل على انحرافها وتخرج بها بعيدًا عن إطار الإنسانية وطبيعتها التي أرادها الله لها، أما الإسلام فله موقف ظاهر تجاه المرأة تكليفًا، وتكريمًا، وعنايةً، ورعاية وذلك منصوص عليه في مصدرَيْه القرآن الكريم والسنة النبوية. أما النزعة الأنثوية المتطرفة فهي ثورة فوضوية، وكانت حربًا على الفطرة السوية بما في ذلك فطرة الأنوثة ذاتها!

- لقد ثبَّتت هذه النزعة الأنثوية مبدأ الصراع بين الجنسين.

- دعت إلى ثورة على الدين وعلى الله وعلى اللغة والثقافة والتاريخ، والعادات، والتقاليد، والأعراف بتعميم وإطلاق.

- سعت إلى عالم تتمحور فيه الأنثى حول ذاتها مستقلة استقلالًا كاملًا عن عالم الرجال، وفي سبيل ذلك دعت إلى الشذوذ السافر بين النساء وإلى التحرر الانحلالي.

فهي كارثةٌ على الأنوثة وحربٌ على المرأة، وعلى المجتمع الإنساني بوجه عام ومهددة للوجود الإنساني ذاته. ويتضح من هذا أن هذه الحركة تقوم على العنصرية، ولم تراعي أبسط قواعد العلم في الاختلاف البيولوجي بين الذكر والأنثى، وأن لكل جنس

بدنيانا رسالته، وللأمومة فضل الصبر والتعب. فهذه الحركة تعمل على رفض الشريعة وانتكاس الفطرة فليس رفضها أنها غربية البيئة ولكن لما تتضمنه من انحرافات خطيرة لها آثارها المدمرة على الفرد والمجتمع.

وهناك عدة تساؤلات تطرح نفسها على من يعتنق مثل هذه الأفكار أو يروِّج لها، أو يخدعه بريقها:

- هل هذه الحركة تتحدث عن مسألة حقوق مهضومة للمرأة؟ أم أنها تتحدث عن قلب نظام المرأة، وخروجها عن فطرتها تمامًا؟
- هل تُحل مشكلة المرأة عندما يشرع لها هدم الأسرة، وتسقط عنها مسئولية الولادة والتربية، ووظائفها المجتمعية؟
- أين تذهب المرأة عندما ترفض تكريم الإسلام لها بزوج يكون مسئولًا عنها مسئولية تامة؟
- هل الأفضل للمرأة أن تكون لها خصوصيتها الزوجية، وأنها شيء يُرغب ويُطلب، أم تتقاذفها الأيدي من رجل إلى رجل كالسكير يتقاذفه الشارع من جدار على جدار؟!
- ماذا يكون حال المجتمعات عندما تتوقف النساء عن الولادة، بقولهن أن هذا غير مناسب لها؟ وكيف تسير الحياة؟
- وماذا نفعل إذا أنجبت من اختلاط مياه الرجال في رحم امرأة؟ وإلى من ينتسب؟ ولمن يكون ولاؤه؟ وكيف ينظر ابن الخطيئة للمجتمع وكيف ينظر المجتمع إليه؟!

لعل في إجابة العاقل لهذه الأسئلة يكفيه في رفض الفكرة، وإدراك آثارها، وخطورتها، وضرورة مواجهتها. فالنسوية تخالف نظرة الإسلام للمرأة، وتسعى لقلب نظام الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

إن المرأة في الإسلام بلغت مكانة في التكريم لم تصل إليها امرأة أخرى في أي دين أو فلسفة أو فكر بشري، وأن هذه الحركة ليس لها ما يسوغها عند المرأة المسلمة- إن كان لها- ما يسوغها عند الآخرين.

إن حقوق المرأة لا ينقصها التأصيل بقدر ما ينقصها التطبيق في العالم الإسلامي؛ لأن هناك فجوة كبيرة تدعو للحيرة إذا كان الإسلام متع المرأة بكل هذه الحقوق فأين هي؟ ولماذا لا تطبق؟

إن مطالبة المرأة بحقها ورفع الظلم عنها وحمايتها من العنف حق مشروع لها في الدين، ولا يلومها أحد على ذلك إذا كانت معها بيِّنة، أما أن تطالب المرأة بحرية الغرب وتثور على هيمنة الشريعة والآداب العامة وتلعن الرجال وتقدح في المجتمع المسلم وتتظاهر بالمظلومية في أمور جاء بها الشرع فهذا مسلك شاذ مخالف لدين الإسلام خارج عن الأدب يسير وراء سراب الحرية الزائفة.

ووقوع الظلم على المرأة وامتهان كرامتها في صورة من الصور لا يسوغ لها بحال أن تتخلى عن دينها، أو تسيء الظن بربها، أو تعارض حكما شرعيًّا، أو تعمم الذم والانتقاص والكراهية على جميع الرجال، فليس ذلك من الحكمة والعدل، ومهما استمعت بحريتها فالحياة قصيرة والنهاية مؤلمة فيستحيل أن يصدر هذا السلوك عن امرأة تؤمن باليوم الآخر والحساب والجنة والنار.

وأخيرا هذا التيار الفكري خطير ويهدد أمن المجتمع ويهدد ثقافة بناتنا وهو كالسرطان ينتشر في أوساط المراهقات بصورة سريعة لا سيما عند ضعف الوازع الديني وضعف التربية الاجتماعية وغياب الرقيب وإذا سقطت الأسرة ضعفت البنية الداخلية وقل الولاء للوطن وتفككت اللحمة بين المجتمع وكانت العاقبة وخيمة.

الإباحية وحروب الجنس في الفكر النسوي

لا يكاد يأتي الحديث عن النسوية إلا مصحوبًا بالحديث عن الجنس، الذي يعد أحد أكثر المفردات والمصطلحات اللصيقة بهذه الحركة منذ نشأتها وحتى الآن، مرورًا بأطوارها ومراحلها المختلفة. فالحديث عن الجنس يشتعل تحت ظلال هذه الحركة أحيانًا كثيرة، حتى يكاد يصل إلى تخوم الثورة الجنسية والإباحية المطلقة، ويخفت الحديث عنه أحيانًا أخرى، حتى يكاد يتوارى عن الأنظار، فلا تسمع إلا همسًا.

ويحتاج الحديث عن تلك الحروب الجنسية التي نشبت أظفارها في جسد هذه الحركة النسوية، وما تبعها أو صاحبها من ثورة جنسية إلى تتبع لمسار الحركة التاريخي، وهو على سبيل الإجمال ثلاث مراحل رئيسة:

المرحلة الأولى: كانت في القرن التاسع عشر، والنصف الأول من القرن العشرين، حيث ارتكزت أهداف الحركة النسوية على المطالبة بالمساواة بين الجنسين في الحقوق الاقتصادية والسياسية والقانونية وغيرها.

المرحلة الثانية: امتدت من العقد السادس إلى العقد الثامن من القرن العشرين، وتركزت أهدافها وغاياتها على تذويب ومحو الفوارق بين الجنسين، ومحاولة وئد العادات والتقاليد المتضمنة والمرسخة لهذه الفوارق.

المرحلة الثالثة: تعد أخطر مراحل الحركة النسوية، فقد امتدت من العقد الأخير من القرن الماضي، وتستمر إلى الوقت الحاضر، وهي أكثر مراحل الحركة تناولًا لقضايا الجنس، واستخدامه كوسيلة لما يسمى بتمكين المرأة.

لم تتوحد آراء رائدات الحركة النسوية العالمية حول العديد من القضايا التي تخص الجنس في هذه المرحلة على وجه التحديد، وبلغ النقاش بينهن ذروته في

سبعينات وثمينات القرن الماضي، ليصبح هناك فريقان يتصارعان على اختطاف الحركة النسوية وتوجيهها.

ففي هذه المرحلة ظهر على سطح الأحداث مصطلح (حروب الجنس النسوية Feminist Sex Wars) تعبيرًا عن الصراع العنيف بين التيارين المتعارضين تمامًا داخل الحركة النسوية، على خلفية الممارسة الجنسية للمرأة وحدودها، حتى تكاد الحركة أن تنقسم إلى شطرين كبيرين، كنتيجة لهذا الصراع المشتعل حتى الآن.

الجنس وحرية التصرف في الجسد:

الفريق الأول: المؤيدون للإباحية الجنسية وحرية المرأة في التصرف في جسدها (Sex-Positive Feminism)، وترتكز دعوتهم على أن للمرأة الحرية الكاملة للتصرف في جسدها، ومن ثم فإن الحرية الجنسية تعد جوهر حرية المرأة. وعبرت رائدات هذا التوجه الإباحي عن تأيدهن المطلق للميول والأهواء الجنسية بكافة أشكالها وأنواعها، وأطلقن ما يعرف بـ(الثورة الجنسية The sexual revolution)، وانتشر حينها شعار ملكية المرأة لجسدها (Your body is your own)، والدعوة الى الإباحية الجنسية (Sexual permissiveness).

وتلك الدعوات كلها ترفض بصورة قاطعة أي رقابة على العلاقات الجنسية بين الذكر والأنثى، حتى ولو كانت في صورة قوانين وتشريعات، فرضتها الدول لتنظيم تلك العلاقة الجنسية؛ بدعوى أن ذلك يتعارض مع حرية المرأة في التصرف في جسدها! وهؤلاء راحوا يلتمسون في حالة ما قبل التاريخ ما يؤيد توجههم الجنسي الإباحي، فقالوا: إن المرأة في تلك الأوقات كانت تملك حرية الاختيار في المعاشرة الجنسية، وأن دعوتهن ليست إلا محاولة للعودة إلى الحالة الأولى، حيث المرأة تملك جسدها، وهي حرة في إباحة استعمال ذلك الجسد على الوجه الذي يمتعها وترغب فيه أو حتى منع استعماله مطلقًا.

وكان من نتائج تلك الثورة الجنسية ومن ثنايا الانفلات الجنسي المطلق الذي دشنته، أن ظهرت الدعوة إلى علاقات تسبح ضد كل المسَلَّمات التي عرفتها البشرية في

علاقة الذكر والأنثى وطبيعة المرأة على مر التاريخ. فقد انتشر الجنس مع المثل (المثلية Homosexuality)، وتعدد الاختيارات مع الشريك الواحد أو الشركاء في العملية الجنسية، وهو ما زاد حقيقة من تحقير المرأة وإهانتها وليس تكريمها.

معارضة الإباحية:

الفريق الثاني: استتبع ظهور التيار المؤيد لـ (الثورة الجنسية)، حركة معارضة لها من داخل التيار النسوي ذاته، معبرة عن مخاوفها من الممارسات الجنسية المنفلتة، وهم المعارضون للإباحية الجنسية (Anti-pornography Feminism).

ورائدات هذا التوجه رفضن بصورة تامة الإباحية بكافة أشكالها؛ لاعتبارات ذات صلة بمفاهيم وأدبيات الحركة النسوية ذاتها، مرددين القول بأن تلك الإباحية وهذه الثورة الجنسية، ما هي إلا صناعة تستغل المرأة، وهي أحد أشكال العنف ضدها، وأكثر الطرق إساءة لقيمتها، إضافة إلى كونها أحد أبرز أسباب الجرائم التي ترتكب ضد المرأة كالاغتصاب والتحرش. ودعمن توجههن هذا بأن الثورة الجنسية وما يصاحبها من ممارسات جنسية خاطئة، هي أحد أبرز الأسباب الداعية لانتشار الأمراض الجنسية الفتاكة، وفي مقدمتها مرض نقص المناعة الطبيعية المعروف بالايدز.

ورأى هذا الفريق أنه بدلًا من دعم حرية المرأة وحفاظها على جسدها، فإن الثورة الجنسية والدعوات الإباحية جعلت جسد المرأة فريسة للأمراض الجنسية الفتاكة، أو عرضة للاغتصاب والتحرش في سوق التجارة الجنسية التي لاقت قبولًا ورواجًا بعد الثورة الجنسية، كما تقول رائدات هذا الفريق.

وفي مجال نقدهن لهذه الثورة الجنسية، اتهمن كذلك الإباحية الجنسية بأنها جعلت المرأة فريسة للتشيؤ (Objectification)، وجعلتهن مركز اهتمام الذكور في المجتمع، وبالتالي وجود العنصرية الجنسية، وهي الظاهرة التي طالما حاربتها الحركة النسوية منذ نشأتها وفي كافة مراحلها.

إضافة إلى ذلك فإنهن يرون أن الإباحية الجنسية على النحو الذي تطالب به رائدات

(Sex-Positive Feminism) تقوم بتعزيز المواقف الجنسية والثقافية للذين يقومون بالاغتصاب والمضايقات الجنسية المتنوعة ضد المرأة.

ومن الواضح بعد هذا الاستعراض لحرب الجنس النسوية، أن تلك الحركة بفريقيها ما زال الجنس هو المسيطر على رؤيتهن للمرأة، وإنهن- عن جهل أو عمد- يرين بوضوح إشكالية المرأة في جنسها وليس عقلها، وإلا فإن القضايا المحورية للمرأة تتعدى كثيرًا حدود علاقتها الجنسية بالرجل.

وطالما سيطر حديث الجنس عند كل ذكر أو مقال عن المرأة وحقوقها وقضاياها، كلما رسخ في الضمير العام والعقل الجمعي الترادف المسيئ بين المرأة والجنس، وهو ما تحاول الحركة -كما تزعم في أدبياتها- الفرار منه، لكنها وقعت فيه من حيث تدري أو لا تدري.

وستستمر حروب الجنس حينئذ إلى أن تجد المرأة بوقًا إعلاميًا مستنيرًا يخرج من مشكاة النبوة، يتحدث عنها بحديث الوحي لا الوحل، بحديث الهدي النبوي، لا بتراهات وهلاوس الهوس الجنسي.

النسوية دعوة مفتوحة للدعارة

مصطلحات تزين الرذيلة:

من مصطلحات الفكر النسوي الناعمة والتي تزين الرذيلة، وتسميها بغير اسمها (الأم العزباء) وهذا تبديل للفظ الشرعي (زانية)، والعياذ بالله، وفي قبول المصطلح قبول للفعل، والاعتراف به اعتراف بالجرم.

هذا لا يعني خلو المجتمعات من ذلك المنكر، ولكن الاعتراف باللفظ الشرعي وإقامة ضوابطه (حدوده) رادع عن ذلك المنكر، ومنفرا للفطر السليمة من ذلك.

لذلك وجب مناهضة المصطلحات النسوية من قولهن: أم عزباء، وجندر، وفقه ذكوري، واغتصاب زوجي، وغير ذلك، مما يشوه حقائق الدين، ويميِّع الرذيلة، ويمنحها غطاء الحقوقية والشرعية[١].

النسوية (Feminism): تيار اجتماعي ولد من رحم مجموعة من النظريات الاجتماعية والسياسية والفلسفية المادية، للقضاء على كل أشكال التمييز على أساس الجنس (الذكورة، الأنوثة) وحجة أصحاب هذا التيار هو إنصاف المرأة التي يرون أنها كانت عبر العصور معرضة للقهر وانتهاك حقوقها (؟!)

وقد ابتدع دعاة «النسوية» دعوة عجيبة مفادها أن هوية الإنسان ينبغي أن تبنى على أساس اجتماعي لا على أساس عضوي (ذكر وأنثى) ووضعوا لهذا التعريف المبتدع مصطلح «النوع الاجتماعي» وأطلقوا عليه اسم الجندر (Gender) بدلًا من مصطلح الجنس (Sex).

و«النسوية» تيار مخاتل مثل بقية المذاهب ذات الصبغة الأيديولوجية التي لا يتفق أصحابها على مضامين محددة، فكذلك «النسوية» يختلف أصحابها حول مضامينها

(١) د. مشاعل آل عايش.
قناة «وهم النسوية» على التليجرام https: / /t.me /PaxeGdGAYoEzMjdk.

وحول تعريفهم للنوع الاجتماعي (الجندر) ويختلفون كذلك حول حدود القضاء على أشكال التمييز ضد المرأة (؟!)

وقد نشط دعاة «النسوية» سياسيًا حتى ملؤوا الدنيا وشغلوا الناس، فنظموا حملات عالمية ومؤتمرات دولية لترويج دعوتهم التي سريعًا ما تحولت إلى دعوة مفتوحة للدعارة وحرية الجنس، ومعها حرية الإجهاض، في محاولة مفضوحة للتخلص من ثمرات الحرية الجنسية، دونما حساب للأجنة التي تأتي نتيجة هذه العلاقات الآثمة، دون أن يكون لهذه الأجنة دخل في القضية ولا ذنب، وهذا ما يفضح دعاوى النسويين في الدفاع عن الحقوق!

وأعجب ما في النسوية أنها تتجاهل عن قصد وسوء نية ما في الدين من تكريم للمرأة، فنرى دعاتها ينادون إلى «نسوية لادينية» ظنًا بأن الدين مصدر رئيس لاضطهاد المرأة؛ فيطالبون بحقوق متساوية بين الجنسين في كل شيء، بينما يدعو الدين إلى ما هو أفضل وأكرم؛ فيدعو إلى «التكامل» لا المساواة، لأن المساواة المطلقة لا تخلو من ظلم للمرأة، بينما التكامل يراعي طبيعة المرأة فيحملها ما فطرت عليه، ولو ساواها بالرجل مثلًا في الجهاد وفي كسب المعاش والنفقة إلى جانب الحمل والولادة والرضاعة ونحوها لكان في ذلك ظلم لها بلا شك، وتعالى الله ﷻ عن ظلم خلقه علوًا كبيرًا، بل هو أرحم بخلقه منهم بأنفسهم، ولهذا نجده سبحانه يكرم المرأة فيضع عنها تكاليف شاقة عديدة كلف بها الرجل، وهو تكريم إلهي عظيم للمرأة دونه كل تكريم تدعيه «النسوية»!

ولا تتوقف النسوية عند مخالفة الفطرة الإلهية والتشريعات الإلهية الحكيمة، بل تتمادى النسوية حتى بلغ بها الشطط والتطرف خلال عقود قليلة من عمرها، أنها لم تعد تدافع عن حقوق المرأة بقدر ما صارت تنادي بعزل الرجل وإقصائه، مما جعل العلاقة بين الطرفين علاقة صراع، بل بلغ التطرف ببعض النسويات دعوتهن إلى عدم ممارسة الجنس مع الرجال! بدعوى أنه أحد أدوات السيطرة الذكورية، وهذا ما حول معظم النسويات الى «سحاقيات» بدعوى أنَّ المرأة تستطيع أن تعيش حياتها دون رجل.

ومن أشهر النسويات اللواتي دعون لوقف الجنس مع الرجال هي الأديبة الفرنسية سيمون دي بوفوار (١٩٠٨ - ١٩٨٦) التي كانت تدعو جهارًا للامتناع عن معاشرة

الرجل، لكنها عاشت طوال حياتها على علاقة جنسية مفتوحة مع عشيقها جان بول سارتر (١٩٠٥ - ١٩٨٠) وافتضحت ممارستها للسحاق مع طالباتها في المدرسة الثانوية كما جاء في مراسلاتها الخاصة التي لم تكشف فقط شذوذها، بل فضحت كذلك تكلس مشاعرها واحتقارها لعشيقاتها الشابات اللواتي كانت تستغل أجسادهن متجاهلة مشاعرهن!

ويبلغ الشطط والانحراف الجنسي مداه عند دعاة النسوية فيتجاهلون العلاقات الزوجية التي وصفها سبحانه بالميثاق الغليظ تعظيمًا لها، بينما يستخف دعاة النسوية بهذه العلاقة العظيمة واصفين إياها بأنها «مؤسسة فاشلة» ساخرين منها، منفرين عنها!

وأدهى من هذا انتقادهم «تعدد الزوجات» في الإسلام، وترحيبهم في المقابل، بالممارسات الجنسية المفتوحة، بمختلف أشكالها حتى الشاذة!

وتعد المذكورة «سيمون دي بوفوار» رائدة النسوية في العالم بكتابها الجنس الآخر (Le Deuxième Sexe) الذي اعتبر «إنجيل النسوية» بالرغم من وضعه على قائمة الكتب المحرمة من قبل «الفاتيكان»!

التناقضات الأخلاقية في «النسوية الغربية»:

يختلف الطرح النسوي في القرن الثامن عشر عن النسوية في القرن العشرين. ففي عشرينيات القرن العشرين اتسم الخطاب النسوي بالمطالبة بالمساواة مع الرجل. وفي ستينيات القرن العشرين حصل تغيُّر في بنية هذا الحراك.

والنسوية الغربية في سبعينيات القرن العشرين لها أبعاد واتجاهات غير معروفة، ولا تخضع للمكان بل تحاول العبور بشكل عالمي وتستهدف المرأة في جميع خطاباتها فانتقلت من النسوية المحلية إلى النسوية العالمية بعد مؤتمر المكسيك العالمي سنة ١٩٧٥م.

وفي ثمانينيات القرن العشرين ذهبت النسوية مذهبًا متأثرًا بمذاهب ما بعد الحداثة فلاحظنا بعض التأثيرات في الطرح النسوي الثائر على كل شيء ولا يعترف بالثابت الأخلاقي بل النسبي.

ومع بداية القرن الحادي والعشرين انتقلت النسوية من بعض القضايا الحقوقية إلى القضايا الأخلاقية وبدأت تتمركز حولها وتركز الطرح على المثلية العالمية متجاوزين بذلك جميع القواعد الأخلاقية.

ولم تعد المسألة متعلقة بجنس الأنثى فحسب بل الفكرة تتعلق بحقوق عامة مفصولة تمامًا عن النوع أو الجنس لأنه لا يوجد رابط ما بين النوع الجندري وبين الميول الجنسية وبين الأدوار الجندرية وهكذا.

وتوارت المرأة من الخطاب النسوي. وخلاصة النقاش كان: تفكيك الجندر وعدم الاعتراف به، ثم محق فكرة الذكر والأنثى من الجانب الاجتماعي. وإخراجها من اللغة وهدم خصوصية الأجسام.

فلم تعد المرأة هي المركز الذي ينطلق منه الخطاب النسوي. ولم تعد الأمومة صفةً بيولوجيةً خاصةً بالنوع الجندري بل أصبحت مكتسبةً. والزواج في حد ذاته أصبح شكلًا من أشكال الهيمنة الذكورية والأسرة سجن اجتماعي. وأصبح البديل هو الشذوذ!

فعن أي نسوية نتحدث؟ وما علاقة النسوية بالمرأة؟

وبالجملة فإن النسوية الغربية انتهت إلى العدمية الأخلاقية. ولم يعد السؤال الأخلاقي يُنظر إليه بل النظر يتم على أساس الحرية الفردية دون النظر إلى الجانب الأخلاقي. ونلاحظ ذلك في قضية التعامل مع جسم المرأة من قِبل المنظرات النسويات. فبما أن الأجسام خاصة بالمرأة فلها الحق في التعامل مع الجسم كيفما شاءت. ومن هنا تبدأ الأطروحة المدافعة عن حقوق الإجهاض للنساء.

ولم تعد هناك خصوصية لمفاهيم كالأنوثة. فقد يتحول رجل إلى امرأة ويطالب بالحقوق نفسها. وقد تطالب المرأة بالمثلية وتراها حقًّا من حقوقها. وفي المقابل يطالب الجميع بالمثلية الاجتماعية.

ومن هنا بدأت التناقضات الأخلاقية في النسوية. فيتم الزواج بين المرأة والمرأة ويحاولن الإنجاب بدون زوج ويكونون أسرة. ويأتي رجل شاذ يطالب بالحقوق نفسها،

ويستأجر رحم امرأة للإنجاب؛ وبهذا أصبحت بعض المفاهيم الخاصة بالأسرة غائبة تمامًا في الغرب أو مهدومة.

آفة التنظير:

إن التصوّر الذي تنقله النسويات بعامة عن المرأة، هو أنها (امرأة بلا ملامح) شيء أشبه بالجماهير ككتلة صمّاء يتم تناولها أو تداولها بالحديث عنها. بمعنى أن النسويات يتجهن في خطابهن إلى النساء بصورة عامة، وبغض النظر عن تحدراتهن او انتماءاتهن، بحيث ينقلن تصوراتهن الطبقية والعرقية والدينية الخاصة إلى العالم، في الوقت الذي يُظهرن أنفسهن فيه بوصفهن المتكلمات باسم النساء عامة.

كذلك تتميز النظريات النسوية بعدم استقلاليتها، فهي تابعة لنظريات أخرى، تستمد منها أدوات تحليلها، كالليبرالية والماركسية، إضافة إلى الطابع التبريري الذي يستخدم العلم، ليس بهدف البحث عن الحقيقة، بل في محاولة إثبات صحة فروضها ودعاواها الخاصة.

«الرجال مختلفون عن النساء، وهم لا يتساوون إلا في عضويتهم المشتركة في الجنس البشري، والادعاءات بأنهم متماثلون في القدرات والمهارات أو السلوك تعني بأننا نقوم ببناء مجتمع يرتكز على كذبة بيولوجية وعلمية.

فالجنسان مختلفان لأنّ أدمغتهم تختلف عن بعضها؛ فالدماغ، وهو العضو الذي يضطلع بالمهام الإدارية والعاطفية في الحياة، قد تم تركيبه بصورة مختلفة في الرجال عنه في النساء، ولهذا فهو يقوم بمعالجة المعلومات بطريقة مختلفة عند كل منهما والذي ينتج عنه في النهاية اختلاف في المفاهيم والأولويات والسلوك.

ولقد حان الوقت لنسف الأسطورة التي تقول بقابلية تبادل الأدوار بين الرجال والنساء إذا ما أُعطوا فرصًا متساوية لإثبات ذلك، ولكن الأمر ليس كذلك لأن كل شيء فيهما أبعد ما يكون عن التساوي.

وبإمكان الرجال والنساء أن يجعلوا حياتهم أكثر سعادة، إذا ما اعترفوا بفوارقهم، فلقد حان الوقت كي نتوقف عن التنازع العقيم حول مقولة إنّ الرجال والنساء خلقوا متساوين، فهم لم يخلقوا كذلك ولن يستطيع أي مقدار من المثاليّة أو من الخيال الطوبائي تغيير هذه الحقيقة، ولكنها بالتأكيد ستؤدّي إلى توتر العلاقة بين الجنسين.

وبعض النساء، ومن منطلق إحساسهن بالقصور في الوصول والاقتسام المزعوم للسلطة والقوة، يشعرن بأنهنّ قد فشلن، ولكن الحقيقة هي أنهنّ فشلن فقط في أن يصبحن مثل الرجال. فالواجب على النساء في هذه المرحلة أن يساهمن بمواهبهن الأنثوية الخاصة بدلًا من تبديد طاقتهن في البحث عن بديل ذكوري لأنفسهن».

آن موير، ديفيد جيسيل[1]

(١) في مقدمة كتابهما «جنس الدماغ». آن موير: حاصلة على دكتوراة في علم الوراثة، وهي منتجة سابقة للبرامج في هيئة الإذاعة البريطانية، وعملت في الإذاعة الكندية في بريطانيا كمحررة للشؤون الأوروبيّة.
ديفيد جيسيل: كاتب ومقدّم برامج تليفزيونية في تليفزيون هيئة الإذاعة البريطانية.

«إن ما بين الرجل والمرأة من فروق، ليست ناشئة عن اختلاف الأعضاء الجنسية، وعن وجود الرحم والحمل، أو عن اختلاف في طريقة التربية، وإنما تنشأ عن سبب جد عميق، هو تأثير العضوية بكاملها بالمواد الكيماوية، ومفرزات الغدد التناسلية.

وإن جهل هذه الوقائع الأساسية هو الذي جعل رواد الحركة النسائية يأخذون بالرأي القائل: بأن كلا من الجنسين الذكور والإناث يمكن أن يتلقوا ثقافة واحدة وأن يمارسوا أعمالًا متماثلة.

والحقيقة أن المرأة مختلفة اختلافًا عميقًا عن الرجل، فكل خُجَيرة في جسمها تحمل طابع جنسها، وكذلك الحال بالنسبة إلى أجهزتها العضوية، ولا سيما الجهاز العصبي، وإن القوانين العضوية (الفيزيولوجية) كقوانين العالم الفلكي، ولا سبيل إلى خرقها، ومن المستحيل أن نستبدل بها الرغبات الإنسانية، ونحن مضطرون لقبولها كما هي في النساء، ويجب أن ينمين استعداداتهن في اتجاه طبيعتهن الخاصة، ودون أن يحاولن تقليد الذكور، فدورهن في تقدم المدنية أعلى من دور الرجل، فلا ينبغي لهن أن يتخلين عنه».

أَلِكْسِس كاريل [1]

(١) في كتابه «الإنسان ذلك المجهول» (ص: ٥١).
MAN THE UNKNOWN، by ALEXIS CARREL، p 51

«سأعترف اليوم بأنني أقف في كثير من الأشياء ضدَّ ما يسمى (حرية المرأة) تلك الحرية التي تكون على حساب أنوثتها، وعلى حساب كرامتها، وعلى حساب بيتها وأولادها، سأقول: إنني أُحمِّل نفسي كما تفعل كثيرات مشقة رفع شعار المساواة بينها وبين الرجل».

ثم ذكرت أنها قد تتعرضُ لبعض الأذى والظلم من الرجل، لكن تُعَقِّبُ على ذلك فتقول:

«هل يعني هذا أن أرفض نعومة وهبها الله لي؛ لأصبح امرأة تعلق شاربًا، وتتحدى أقوى الرجال؟!

وهل يعني هذا أن أتصرف وكأنني رجُلٌ لايرُدُّه خجل؟!!!

هل يعني هذا أن أتحدى فأفعل ما يفعله الرجل ما هو مشروع له وما هو مرفوض لأؤكِّد لذاتي بأنه لا أحد أحسن من أحد، وأننا سواسية، وأحرار ولدتنا أمهاتُنا.

هل يعني هذا أن أنظر إلى البيت، جنة المرأة التي تحلُمُ بها على أنها السجنُ المؤبَّدُ، وأن الأولاد ماهم إلا حبلٌ من مَسَد يشدُّ على عُنُقي، وأن الزوج ما هو إلا السجان القاهر الذي يكبل قدمي خشية أن تسبقه خطوتي، لا، أنا أعتزُّ بأنوثتي، وأنا امرأة أعتز بما وهبني الله، وأنا ربة بيت، ولا بأس أن أكون بعد ذلك عاملة أخدمُ خارج نطاق الأسرة، ولكن- ياربُّ اشهد- بيتي أولًا ثُمَّ بيتي، ثم العالم الآخر».

ليلى العثمان[1]

(١) انظر: رسائل إلى حواء للكاتبة الكويتية ليلى العثمان (٣/ ٨٥). وهي إحدى داعيات الحرية والمساواة، وهي حينما تتكلمُ إنما تتكلم عن تجربة ومعاناةٍ، وبعد زمن طويل في درب هذه الحرية والمساواة المزعومة.

الفصل الثالث
وليس الذكر كالأنثى

المُساوَاة... الشعار الخادع:

من الشعارات التي أطلقتها الماسونية شعار المساواة؛ تضليلًا للناس، وفتنة لهم، لتقوم الصراعات بين الأفراد وبين الطبقات مطالبين بتحقيق المساواة المنافية والمصادمة لقانون الحق والعدل. وقامت الثورة الفرنسية التي دبرها المكر اليهودي تحمل شعارها المثلث، والمساواة أحد أركانه. واندفعت الجماهير مفتونة بشعار المساواة، ومخدوعة بالمساحة القليلة المقبولة منها، ولكن اللعبة المضللة زحفت بالمساواة زحفًا تعميميًا باطلًا، وناشرًا لفسادٍ عريض.

وقامت فتن عامة تطالب بتحقيق المساواة، ونجم عن ذلك خلخلة في نظام الحياة، وإفسادٌ للمجتمع البشري. وزحف هذا الشعار إلى أدمغة مفكرين وعلماء وكتاب، فجعلوه في مقولاتهم أحد المبادئ الإنسانية الصحيحة!!!، وأحد المبادئ الإسلامية المجيدة!!!، غفلة منهم، وانسياقًا مع بريق الشعارات التي تُروِّجها وسائل الإعلام الشيطانية المضللة.

وتحت هذا الشعار الخادع البراق أخذ الجاهلون يطالبون بمساواة العلماء، والضعفاء بمساواة الأقوياء، والكسالى يطالبون بمساواة العاملين المجدّين، والمنحرفون يطالبون بمساواة ذوي الاستقامة، والنساء يطالبن بمساواة الرجال في كل شيء، والفاشلون يطالبون بمساواة الناجحين، واضطربت الحياة، وقامت الثورات، واستثمرها اليهود لمصالحهم.

المفهوم الإسلامي للمساواة:

(المساواة) كلمة تَتردد على الألسنة- مع الأسف- من غير رجوع إلى شرعية إطلاقها، وكلمة العدل هي الكلمة الشرعية الصحيحة بدل كلمة المساواة؛ قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠]. ولم يقل: يأمر بالمساواة! لما في المساواة من الإجمال والاشتراك واللبس بخلاف العدل فإنها كلمة واضحة صريحة في أن المراد أن يعطى كل ذي حق حقه.

إن دلالة العدل تقتضي أن يتولى الرجل ما يناسبه من أعمال، وأن تتولى المرأة ما يناسبها من أعمال، بينما كلمة مساواة: تعني أن يعمل كلٌ من الجنسين في أعمال الآخر!

ومدلول كلمة العدل: أن تعمل المرأة عددًا من الساعات يناسب تكوينها الجسمي والنفسي، بينما مقتضى المساواة: أن تعمل المرأة نفس ساعات الرجل، مهما اختلفت طبيعتهما!

وهذا كُلّه عين المُضادَّة للفطرة التي فطر الله عليها كلًّا من الرجل والمرأة!

لقد حكم الله العليم الخبير بأن الذكر ليس كالأنثى، قال تعالى: ﴿وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ﴾ [آل عمران: ٣٦]. لذا فعلى المؤمن أن يحذر من كلمة «المساواة» التي راجت على ألسنة كثير من الكتاب والمثقفين، في مقام الحديث عن موضوع المرأة.

نظام الخلق:

إن نظام الخلق تحكمه سُنَّةُ التفاضل لا التساوي، فشعار المساواة بصيغته التعميمية يتنافى مع نظام الخلق، فالمساواة مطلب مناقض لمبدأ العدل، إلا في بعض الأحوال، وهي التي يقضي العدل فيها بالتساوي.

والإسلام يحمل ويحمي مبدأ العدل، ومبدأ الإحسان، ولا يُقرّ المساواة على اعتبارها مبدأً عامًا، وقاعدة مطردة، إنما يُقرُّها حينما يقتضيها العدل، أو يتبرع بها المحسنون. وإنما يقتضي العدل المساواة حينما يكون واقع الأفراد واقعًا متساويًا تمامًا في كل الصفات، أو تكون المساواة في الصفات التي كان فيها التساوي، دون الصفات الأخرى المتفاضلة فيما بينها.

التفاضل سنة الله في الخلق:

إننا لا نكاد نجد في الوجود شيئين ولو كانا من جنس واحد، أو من نوع واحد

متساويين تمامًا في كل صفاتهما، بل صفاتهما متفاضلة، فالدعوة إلى المساواة بينهما دعوة إلى الأخذ بأمرٍ باطل، وإلى إلغاء قانون العدل، وادعاء المساواة مع واقع التفاضل ادعاء كاذب، والتسوية بين المتفاضلين عمل ظالم مناقض لقانون العدل.

هل الزجاج والماسُ متساويان؟

أليست أحجار الماس متفاضلة فيما بينها؟

أليست أحجار الزجاج متفاضلة فيما بينها؟

هكذا نجد التفاضل في الشجر وفي الثمر، وبين أنواع الأحياء، وبني كل فرد وفرد آخر من كل نوع، وكذلك بين الناس.

فهل يصح عقلًا أن ندعي التساوي بينها وهي في الواقع متفاضلة؟ إننا بذلك نكذب على الواقع، ونجانب الحق.

وهل يصح عقلًا أن نسوي بينها في الأحكام مع تفاضلها؟ إنا بذلك نجانب مبدأ العدل ونصادمه، ونقيم أحكامنا على الظلم.

فمطلب المساواة مع واقع التفاضل مطلب ظالم مخالف للحق والعدل.

فالتفاضل سنة الله في الخلق، يشهد به الواقع، وتثبته النصوص الربانية المنزلة.

والتسوية بين المتفاضلات ظلم للحق.

والإسلام ليس فيه مساواة بين الذكور والإناث في كل شئ، وإنما تعامل الإسلام بمبدأ العدل بين الذكور والإناث؛ لأن المساواة ليست ميزانا صحيحا؛ بل العدل فيه الميزان الصحيح الذي لا يلحق من جراء أحد ظلما.

فالله تبارك وتعالى قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ [النحل: ٩٠]، ولم يقل: يأمر بالمساواة؛ فأعداء الإسلام يريدون أن يغيروا المصطلحات القرآنية عن عمد للطعن فيه.

مثال: إذا كان الرجل عنده بنت في السادسة من عمرها وولد في السنة الثانية فهل يقوم الرجل بالإنفاق على كل منهما بالتساوي؟ بالطبع قد يكون هناك ظلم؛ فقد تحتاج

بنت الست سنوات أكثر من ابن السنتين، والعكس صحيح، فهنا المساواة تعتبر ظلمًا، والظلم مرفوض.

فالعدل هو الأساس وليست المساواة.

ولما كان منطق العقل وبرهان الواقع يقرران عدم التساوي بين المتفاضلات، كانت أحكام التسوية بينها أحكامًا ظالمة.

نظرات حول مواقع التساوي:

أما الأمور التي هي متساوية في واقع الحال فالحق يقضي بالتسوية بينها.

فالناس متساوون في عبوديتهم لله. والناس متساوون في حق الحياة إلا إذا كان منهم ما يقتضي إهدار دمائهم، أو إنزال قيمتها، فالمسلمون تتكافأ دماؤهم.

والخصمان في مجلس القضاء لهما من رعاية القاضي حقان متساويان، فينبغي التسوية بينهما في مجلس القضاء.

والأصل تساوي الناس في حق العمل والكسب والتعلم والسبق لاغتنام خيرات الدنيا والآخرة، فالعدل يقضي بإتاحة الفرص لهم جميعًا بنسبة متساوية، ثمّ يكون لكل بحسب ما يقدم من عمل أو جهد أو أي كسب إرادي أو سبق في علم أو خلق أو رأي أو إخلاص أو غير ذلك مما له قيمة تُقدّر.

والناس متساوون في إنسانيتهم، فلا فضل لعرق على عرق، ولا لقوم على قوم، ولا لأهل لون على أهل لون آخر، ولا لأهل لسان على أهل لسان آخر، من أجل أعراقهم، أو أقوامهم، أو ألوانهم، أو ألسنتهم، فكلهم من آدم، وهو الأب الأول لهم جميعًا، وكلهم مخلوقون لله ﷻ. وإنما يكون التفاضل بينهم بالإيمان والتقوى؛ يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات: ١٣].

وكل قضية يكون الحق فيها بين فريقين متساويًا، فقاعدة العدل توجب التسوية

بينهما، وكل تفاضل على غير أساس من الحق والواقع في مفاهيم الناس فهو في الإسلام ظلم اجتماعي، كمفاهيم التفاضل الطبقي الذي يزعم الطبقيون أنه يورث.

أما إذا كان الواقع متفاضلًا فالعدل يوجب التفضيل، كالذكاء والجمال، والقوة، وحسن الخلق الفطري أو المكتسب، وغير ذلك مما لا حصر له.

فالإسلام يقوم في الحقوق على مبدأ العدل، لا على مبدأ المساواة، وفي بيان الواقع يقوم على ما هو الحق في واقع الحال، لا على التسوية مطلقًا، وإن كان الواقع متفاضلًا، فلا يمكن أن يساوي النقص الكامل، ولا أن يستوي الحق والباطل، ولا العالم والجاهل، ولا يمكن أن يتساوى الذهب والقصدير، ولا المسك والجير، ولا الظلمات ولا النور، ولا الظل ولا الحرور، ولا الطيب والخبيث، ولا الأحياء ولا الأموات، ولا الذين آمنوا وعملوا صالحًا، والذين كفروا وعملوا السيئات.

الإسلام دين العدل لا المساواة:

يخطئ بعض الكتّاب والمؤلفين والمتحدثين عندما يصفون الإسلام بأنه (دين المساواة) هكذا بإطلاق، ويعدون هذا الوصف منقبة له إذ ساوى بين الناس جميعًا كما يزعمون.

وتجد هذا كثيرًا عند حديثهم عن موقف الإسلام من غير المسلمين، أو موقفه من حقوق الإنسان، أو موقفه من المرأة؛ متوهمين أن «صفة المساواة» صفة مدح في جميع أحوالها، فيلزمهم على هذا أن يساووا بين أحكام المسلم وأحكام الكافر، وبين أحكام الرجل وأحكام المرأة، وهي مما جاءت الشريعة بالتفريق بينها.

وقد فعل هذا العصريون للأسف! عندما واجهتهم النصوص الشرعية التي تمايز بين من سبق، فأخذوا يتكلفون طريقة التخلص منها! إما بِرَدّها، أو التغافل عنها، أو تأويلها حتى وصل بهم الحال إلى أن جعلوا المسلم- في الدنيا- كالكافر، والعياذ بالله. بل تجاوز بعضهم في الضلال حتى جعلهم متساوين في أحكام الآخرة! مشاقَّةً لله ﷻ، واتهامًا مبطنًا له جل جلاله بالظلم في أحكامه.

ومن طالع كتاباتهم علم هذا.

ويصدق على هؤلاء قوله تعالى: ﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [القلم: ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨]، وقوله: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١].

وكذلك فعل هؤلاء العصريون في أحكام الرجل وأحكام المرأة إذ ساووا بينهما، معتقدين أنهم بهذه الطريقة ينصرون المرأة المسلمة، مُحَمِّلينها ما لم يُحمِّلْها الله تعالى.

وما علم هؤلاء أن المساواة المطلقة لا وجود لها إلا في أذهانهم، وأنها مخالفة ومعاندة لقضاء الله الشرعي والقدري. فقد فاوت سبحانه بين مخلوقاته، ويسر كلَّ مخلوق لما خُلق له. فالشمس غير القمر، والرجل غير المرأة... وهكذا. وفاوت كذلك بين من أطاع أمره ممن خالفه، فجعل لكل واحد أحكامه التي تخصه بسبب اختياره وعمله.

فلو وفق هؤلاء الكتاب لأنزلوا كل مخلوق منزلته التي أنزله الله إياها، موقنين بأن الله لا يظلم أحدا. ولو وفق هؤلاء لقيَّدوا مساواتهم تلك ولم يُطلقوها، فقالوا مثلا: الناس متساوون في الخلقة، أو متساوون في حب زينة الحياة الدنيا، أو في كراهية الظلم... إلخ مما جاءت الشريعة بتقرير المساواة فيه بين الناس.

وقل مثل ذلك في قضية الرجل والمرأة؛ فتُقَيَّد المساواة ولا تُطلق؛ فيقال مثلا: المرأة مساوية للرجل في التكليف، أو في الجزاء الأخروي... وهكذا، مما جاءت الشريعة بتقرير مساواتهما فيه. أما الإطلاق فلا؛ لأنه يلبس على الناس، ويعارض قضاء الله وأحكامه.

فالواجب أن تُستبدل عبارة (الإسلام دين المساواة) بعبارة (الإسلام دين العدل)؛ لأن العدل وضع الشيء في موضعه الذي أراده الله له، دون مجاوزة أو نقص.

المساواة بين الرجل والمرأة:

إن من أعظم ما شغل البشر عبر القرون قضية المرأة، والحديث عنها الآن زاد وانتشر، فأُنشئت الجمعيات النسوية التي تطالب بمساواة المرأة مع الرجل في كافة ميادين الحياة، وأصبحوا ينادون بالتماثل التام مع الرجل، ورفعوا شعارات ما يسمى

بالنوع الاجتماعي (الجندرgender). فقالوا إنّ المرأة تستطيع أن تقوم بكل ما يقوم به الرجل؛ وكذلك العكس.

ونسي هؤلاء أو تناسوا أنه لا يستطيع أعظَمُ قادةِ الدنيا من الرجال أن يفْعَل ما تفعلُه أبسط النساء وأجْهَلُهُنَّ... إنه لا يستطيع أن يُنْجب طفلًا ويَحْمِلَه في بطنه تِسعة أشْهرٍ كما أَنَّه لا يُمْكِنُه إرْضاعُه وتربيته مهما كان له من العبقرية والنُّبوغ!! فوظيفة الأُمُومة لا يستطيع أن يقوم بها أيُّ رجلٍ مهما كان حظُّه عظيمًا من النُّبوغ. ووظيفة الأمومة تتصاغر أمامها كل الوظائف الأخرى.

نظرية ثمرتها الانحراف:

من النظريات التي بنى عليها المجتمع الغربي الحديث المساواة بين الرجل والمرأة، المساواة في كل شيء، في الحقوق والواجبات، وفي الالتزامات والمسؤوليات، فيقوم الجنسان بأعمال من نوع واحد، وتقسم بينهما واجبات جميع شعب الحياة بالتساوي.

وبسبب هذه الفكرة الخاطئة للمساواة، انشغلت المرأة الغربية، بل انحرفت عن أداء واجباتها الفطرية ووظائفها الطبيعية، التي يتوقف على أدائها بقاء المدنية، بل بقاء الجنس البشري بأسره، واستهوتها الأعمال والحركات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، وجذبتها إلى نفسها بكل ما في طبعها وشخصيتها من خصائص، وشغلت أفكارها وعواطفها شغلًا، أذهلها عن وظائفها الطبيعية، حتى أبعدت من برنامج حياتها: القيام بتبعات الحياة الزوجية، وتربية الأطفال وخدمة البيت، ورعاية الأسرة، بل كُرّه إلى نفسها كل هذه الأعمال، التي هي وظائفها الفطرية الحقيقية.

وبلغ من سعيها خلف الرجل طلبًا للمساواة إلى حد محاكاته في كل حركاته وسكناته، لبس الرجُل القصير من اللباس فلبست المرأة مثله، ونزل البحر فنزلته، وجلس في المقهى والمنتزه فجلست مثله بدافع المساواة، ولعب الرياضة فلعبت مثله، وهكذا.

وكان من نتيجة ذلك أن تبدد شمل النظام العائلي في الغرب الذي هو أس المدنية ودعامتها الأولية، وانعدمت- أو كادت- الحياة البيتية، التي تتوقف على هدوئها واستقرارها قوة الإنسان، ونشاطه في العمل، وأصبحت رابطة الزواج- التي هي الصورة

الصحيحة الوحيدة لارتباط الرجل والمرأة، وتعاونهما على خدمة الحياة والمدنية- أصبحت واهية وصورية في مظهرها ومخبرها.

وجاء التصوير الخاطئ للمساواة بين الرجال والنساء بإهدار الفضائل الخلقية، التي هي زينة للرجال عامة، وللنساء خاصةً فقاد المرأة إلى التبذل وفساد الأخلاق، حتى عادت تلك المخزيات التي كان يتحرج من مقارفتها الرجال من قبل، لا تستحي من ارتكابها بنات حواء في المجتمع الغربي الحديث.

هكذا كان تصورهم الخاطئ للمساواة، وهكذا كانت نتائجه على الحياة، وعلى كل مقومات الحياة الفاضلة، والعجيب أن يوجد في عالمنا الإسلامي اليوم من ينادي بهذه الأفكار، ويعمل على نشرها وتطبيقها في مجتمعنا الإسلامي، على الرغم مما ظهر واتضح من نتائجها، وآثارها السيئة المدمرة.

ونسي أولئك أو تناسوا أن لدينا من مباديء ديننا ما يجعلنا في غنى عن أن نستورد مبادئ وتقاليد وأنظمة لا تمت إلى مجتمعنا المسلم بصلة، ولا تشده إليها آصرة، ولا يمكن أن ينجح تطبيقها فيه، لأن للمجتمع المسلم من الأصالة والمقومات، وحرصه عليها ما يقف حائلًا دون ذلك التطبيق، أو على الأقل كمال نجاحه.

كما نسي أولئك المنادون باستيراد هذه النظم والنظريات، ونسي معهم أولئك الواضعون لهذه النظم من الغربيين أو تناسوا الفروق الجوهرية الدقيقة العميقة التي أوجدها الخالق سبحانه بين الذكر والأنثى من بني البشر مما يتعذر بل يستحيل تطبيق نظرية المساواة الكاملة بين الذكر والأنثى في جميع الحقوق والواجبات والالتزامات والمسؤوليات.

وها هم ينادون بالمساواة بين المرأة والرجل بينما القرآن الكريم يقرر خلاف ذلك فيقول تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦].

وها هي شهادة من أحد مفكري الغرب واضعي نظرية المساواة، يقول أَلِكْسِس كاريل في كتابه (الإنسان ذلك المجهول): «إن ما بين الرجل والمرأة من فروق، ليست ناشئة عن اختلاف الأعضاء الجنسية، وعن وجود الرحم والحمل، أو عن اختلاف

في طريقة التربية، وإنما تنشأ عن سبب جد عميق، هو تأثير العضوية بكاملها بالمواد الكيماوية، ومفرزات الغدد التناسلية.

وإن جهل هذه الوقائع الأساسية هو الذي جعل رواد الحركة النسائية يأخذون بالرأي القائل: بأن كلا من الجنسين الذكور والإناث يمكن أن يتلقوا ثقافة واحدة وأن يمارسوا أعمالًا متماثلة.

والحقيقة أن المرأة مختلفة اختلافًا عميقًا عن الرجل، فكل خُجَيرة في جسمها تحمل طابع جنسها، وكذلك الحال بالنسبة إلى أجهزتها العضوية، ولا سيما الجهاز العصبي، وإن القوانين العضوية (الفيزيولوجية) كقوانين العالم الفلكي، ولا سبيل إلى خرقها، ومن المستحيل أن نستبدل بها الرغبات الإنسانية، ونحن مضطرون لقبولها كما هي في النساء، ويجب أن ينمين استعداداتهن في اتجاه طبيعتهن الخاصة، ودون أن يحاولن تقليد الذكور، فدورهن في تقدم المدنية أعلى من دور الرجل، فلا ينبغي لهن أن يتخلين عنه»[١].

وإذا تقرر هذا الاختلاف الدقيق في التكوين بين الذكر والأنثى، فمن الطبيعي والبديهي أن يكون هناك اختلاف في اختصاص كل منهما في هذه الحياة، يناسب تكوينه وخصائصه التي ركبت فيه، وهذا ما قرره الإسلام وراعاه، عندما وزع الاختصاصات على كل من الرجل والمرأة، فجعل للرجل القوامة على البيت، والقيام بالكسب والإنفاق، والذود عن الحمى، وجعل للمرأة البيت، تدبر شئونه، وترعى أطفاله، وتوفر فيه السكينة والطمأنينة.

هذا مع تقريره أن الرجل والمرأة من حيث إنسانيتها على حد سواء، فهما شطران متساويان للنوع الإنساني، مشتركان بالسوية في تعمير الكون، وتأسيس الحضارة، وخدمة الإنسانية، كل في مجال اختصاصه، وكلا الصنفين قد أوتي القلب والذهن، والعقل والعواطف، والرغبات والحوائج البشرية، وكل منهما يحتاج إلى تهذيب النفس، وتثقيف العقل، وتربية الذهن، وتنشئة الفكر، لصلاح المدنية وفلاحها، حتى يقوم كل

(١) MAN THE UNKNOWN، by ALEXIS CARREL، p 51

منهما بنصيبه من خدمة الحياة والمدنية، فالقول بالمساواة من هذه الجهات صواب لا غبار عليه، ومن واجب كل مدنية صالحة أن تعني بالنساء عنايتها بالرجال، في إيتائهن فرص الارتقاء والتقدم، وفقًا لمواهبهن وكفاءتهن الفطرية.

المساواة المزعومة هي عين الظلم للمرأة:

إن ما يزعمون أنه مساواة بين الرجل والمرأة، ويحاولون إقناع المرأة بأن القصد منه مراعاة حقوقها، والرفع من مكانتها، إنما هو في الحقيقة عين الظلم لها، والعدوان على حقوقها، وذلك لأنهم بمساواة المرأة بالرجل في الأعباء والحقوق، حملوها أكثر مما حمَّلوا الرجل.

فمع ما خصصت له المرأة من الحمل والولادة، والإرضاع وتربية الأطفال، ومع ما تتعرض له في حياتها، وما تعانيه من آلام الحيض والحمل والولادة، ومع قيامها على تنشئة أطفالها، ورعاية البيت والأسرة، مع تحملها لهذا كله، يحمّلونها زيادة على ذلك، مثل ما يحمل الرجل من الواجبات، ويجعلون عليها مثل ما عليه من الالتزامات التي أعفي الرجل لأجل القيام بها من جميع الالتزامات.

فيفرض عليها أن تحمل كل التزاماتها الفطرية، ثم تخرج من البيت كالرجل لتعاني مشقة الكسب، وتكون معه على قدم المساواة في القيام بأعمال السياسة والقضاء، والصناعات، والمهن، والتجارة، والزراعة، والأمن، والدفاع عن حوزة الوطن.

وليس هذا فحسب، بل يكون عليها بعد ذلك، أن تغشى المحافل والنوادي، فتُمتع الرجل بجمال أنوثتها، وتهيئ له أسباب اللذة والمتعة.

وليس تكليف المرأة بالواجبات الخارجة عن اختصاصها ظلمًا لها فحسب، بل الحقيقة أنها ليست أهلًا كل الأهلية، للقيام بواجبات الرجال، لما يعتور حياتها من المؤثرات والموانع الطبيعية التي تؤثر على قواها العقلية والجسمية، والنفسية، وتمنعها من مزاولة العمل بصفة منتظمة، وتؤثر على قواها وهي تؤديه.

ثم إن قيام المرأة بتلك الأعمال، فيه مسخ لمؤهلاتها الفطرية والطبيعية، يقول (ول ديوارنت) مؤلف كتاب (قصة الحضارة): «إن المرأة التي تحررت من عشرات

الواجبات المنزلية ونزلت فخورة إلى ميدان العمل بجانب الرجل، في الدكان والمكتب، قد اكتسبت عاداته وأفكاره وتصرفاته، ودخنت سيجاره، ولبست بنطلونه».

وفي هذا خطر كبير، يؤدي إلى انحطاط المدنية والحضارة الإنسانية، ثم ما هي المنفعة والفائدة التي تحقق للمدنية والحضارة من قيام المرأة بأعمال الرجال؟ إن فيها كل المضرة والمفسدة، لأن الحضارة والحياة الإنسانية، حاجتهما إلى الغلظة والشدة والصلابة، مثل حاجتهما إلى الرقة واللين والمرونة، وافتقارها إلى القواد البارعين والساسة والإداريين، كافتقارها إلى الأمهات المربيات، والزوجات الوفيات، والنساء المدبرات لا غنى للحياة عن أحدهما بالآخر.

فماذا في المساواة- بمفهومهم- من محاسن، تجنيها المرأة والمجتمع؟ وما هو عذر أولئك المنادين بالمساواة، بعد أن دُحضت حجتهم؟ نحن لا نشك أنهم يدركون- أو عقلاؤهم على الأقل- كل الموانع الفطرية، والطبيعية والعقلية، والجسمية الحائلة دون مساواة المرأة بالرجل، ومقتنعون بها كل الاقتناع، ولكن اللهفة الجنسية المسعورة لا تستطيع الصبر على رؤية الطُّعم المهدِّئ لحظة من الزمن، فاصطنعت هذه الشعارات كي تضمن وجود المرأة أمامهم في كل وقت، وفي كل مكان في البيت وفي المكتب وفي المصنع وفي الشارع وفي كل مكان يتجه إليه الرجل، أو يوجد فيه، ليروي غُلَّته ويطفئ حرقته الجنسية البهيمية.

والمرأة بما تحس به في قرارة نفسها من ضيق بالأنوثة، مع تصور الرفعة في مكانة الرجل، تندفع وراء هذه الشعارات، دون روية أو تمحيص لها، تنشد إشباع رغبتها، في أن تكون رجلًا لا أنثى، فإذا أبت طبيعتها عليها ذلك فلا أقل من أن تكون رجلًا، يقيم مضطرًا في جسم أنثى، وعليها أن تعمل على إرضاء هذا النزوع في نفسها بكل وسيلة، وأن تحقق لهذا الكائن المتمرد في صدرها كل ما يرضيه من شارات الرجل الطبيعي.

ولا نعلم أيظل هذا الاندفاع من المرأة إلى محاكاة الرجال، بعد أن ظهرت الآن لوثة التخنث والخنفسة بين الشباب فانعكست الأمور، وانقلبت المفاهيم، وتغيرت معايير الأشياء أم لا؟ فما كان سبَّة في الماضي، صار مصدر فخر واعتزاز الآن.

المرأة اليوم وشعار مساواتها بالرجل:

كَثُر الحديث عن المرأة في المجتمعات الإسلامية خلال القرن الماضي، والقرن الحالي، وطُرحت آراء ومقترحات متناقضة متضاربة.

واقع المرأة في الغرب واضح كلّ الوضوح: أبيح لها الزنا والفجور والتحلل، وأبيح لها العمل في تنظيف الشوارع، في المصانع والوظائف المختلفة. ونادوا بشعار مساواة المرأة بالرجل وانحلال الأسرة كليّةً وقيام القوانين على أساس ذلك.

وتلقّف الكثيرون في المجتمعات الإسلامية هذا الشعار: «مساواة المرأة بالرجل» وأخذوا ينادون به. ما المقصود بمساواة المرأة بالرجل؟! وكيف يمكن أن يتساويا؟! المرأة لها وظائف خاصة بها لا يستطيع الرجل أن يقوم بها، والرجل له وظائف خاصة به لا تستطيع المرأة أن تقوم بها، وهناك أعمال مشتركة بين الرجال والنساء. ولا يمكن للحياة أن تمضي إلا أن تكون المرأة امرأة وأن يكون الرجل رجلًا، وأن يقوم كلّ منهما بما كلّفه به ربّه، ليتكامل العمل في الحياة الدنيا حتى يؤدّي كلٌّ دوره الذي خُلقَ له.

فكلٌّ منهما يكمل الآخر، ولو كان المعنى أن المرأة مناظرة للرجل مساوية له، لاستغنى كلّ منهما عن الآخر. ولو كان الأمر كذلك لخلق الله الحياة تقوم بها المرأة دون وجود رجال، أو يقوم بها الرجل دون وجود نساء.

شعار مضلل:

الشعار (مساواة المرأة) شعار مضلل خاطئ علميًّا، لأنهما لا يمكن أن يتساويا، وخاطئ عقلًا لأنه لا مفهوم له، وخاطئ دينًا لأنه مخالف للنصوص الحاسمة في الكتاب والسنة، وللتطبيق الواضح أيام النبوة الخاتمة والخلفاء الراشدين.

ليس العدل هو المساواة، وإنما العدل هو معاملة كل كائن بما يليق به، وإنزاله منزلته التي تتناسب من خِلقته وإمكاناته. وأما التسوية بين الأمور والذوات والصفات المختلفة، فهذا من الجَور، وليس من العدل! ولا يخفى ما بين الرجل والمرأة من الاختلاف في الطبيعة، والتكوين، والإمكانات، فإذا فرّقت الشريعة بينهما فيما يترتب على ذلك من آثار، كان هذا عدلًا، ومخالفته جَورًا.

لقد جعل الله للمرأة المسلمة مسؤولية ثابتة في رعاية أولادهما ورعاية زوجها، ورعاية بيت زوجها. ولقد عبّر القرآن الكريم أجمل تعبير وأكرمه عن تكامل دور المرأة وتكامل دور الرجل في آيات متعددة، وحسبنا هذا التعبير: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]. وتعبير آخر: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

هكذا جاء التعبير الرباني: ﴿لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ ولم يقل: (لتَسْكُنَّ إليهم) ثم جاء التعبير عن المشاركة: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾.

وتعبير ثالث: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَـٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة ٢٢٣]. ولم يقل: (رجالُكُنَّ حرثٌ لكُنّ)، فللرجل دوره وللمرأة دورها، وكلٌّ يكمّل الدور الآخر ولا يساويه، حتى تمضي الحياة على سننٍ لله ثابتة، أدوار متكاملة وليست أدوارًا متساوية! إنّها ليست قضية عمل واحد، أو عملين، أو أعمال متناثرة، نستدلّ حينًا بهذا العمل أو ذاك. كلا! إنها قضية نهج متكامل متماسك يرسم العلاقة بين الرجل والمرأة، ويحدّد دور كلّ منهما، ويُحدّد التفاعل بين الدورين.

إنه النهج المتكامل المترابط الذي يؤخذ كلّه بتكامله، ولا يؤخذ منه أجزاء وتترك أجزاء. ولا يتبيّن هذا النهج من خلال تأويل آية أو آيتين أو أكثر، ولكنّه نهج ممتدّ في الكتاب والسنّة، ممتدّ في ممارسة إيمانية أيام النبوّة الخاتمة، وممارسة إيمانية أيام الخلفاء الراشدين، وفي عصور أخرى يتفاوت شأنها.

إن مسؤولية المرأة المسلمة عن بيت زوجها، لا يعني أنها هي المسؤولة الوحيدة التي عليها الوفاء بها. فهي داعية مسلمة لدين الله ﷻ، وهي ناشطة في ميادين الحياة الاجتماعية التي تكفل لها عفّتها، وهي طبيبة ومعلمة، وغير ذلك. ولكنّ هذا كلّه ليس على إطلاقه وتفلّته، فله في الإسلام حدود وضوابط.

ولكن بعض المسلمين يريدون أن يلووا الأحاديث والآيات ليسوّغوا مساواة المرأة للرجل في كلّ شيء. لقد تأثّر كثير من المسلمين، بشعارات الغرب العلماني قبل أكثر

من قرن. وأخذوا ينقلون هذه الشعارات إلى العالم الإسلامي ظنًّا منهم أنها رمز التقدّم والحضارة. وما دروا أن الغرب العلماني يهلك نفسه بهذه الشعارات ويلقي بجماهيره في ظلمات الفتنة والضلال، وفي جحيم جهنّم لكلّ من مات على غير دين الإسلام.

ومن بين هذه الشعارات ذلك الشعار المتفلّت التائه: «مساواة المرأة بالرجل»! إنه شعار لم يعرفه الإسلام لا بنصوصه ولا بممارسته، لأنه لا يمثّل قضيّة مفهومة قابلة للتطبيق في أجواء التقوى والإيمان، إنه شعار ورمز للعلمانية.

أمّا شعار الإسلام فهو: قول رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح: «**إِنَّ النِّسَاءَ شَقَائِقُ الرِّجَالِ**» (رَوَاهُ أَحْمَدُ، وأَبُو دَاوُودَ، والتِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ). بمعنى أن الله جعل لكلّ منهما دورًا يكمّل دور الآخر، ولا يحلّ محلّه ولا يساويه.

ومما يلفت النظر أنه عند طرح مساواة المرأة بالرجل حتى تنال حقوقها، لا يسأل أولًا هل الرجل نال حقوقه؟ وهل الرجل العادي المسلم يعرف واجباته ومسؤولياته، ويعرف معها حقوقه، فيوفي بهذه ويطلب تلك؟! وكذلك هل المرأة المسلمة تعرف جميع مسؤولياتها وواجباتها، وتعرف معها حقوقها، حتى توفي بهذه وتطالب بتلك؟!

هل المرأة كالرجل؟

أقنعت العلمانية النساء أن المساواة بين الرجل والمرأة يجب أن تكون في كل شيء في السياسة، والعمل، والحياة الاجتماعية، وكل الحقوق، والمشكلة في أن قدرات وصفات المرأة تختلف عن قدرات وصفات الرجل، فالمرأة تغلب عليها العواطف، وهي منبع الحنان والجمال والصبر والحب، وهي أقدر على التعامل مع الأطفال وأكثر صبرًا على احتياجاتهم ومشاكلهم، ولها اهتمامات خاصة بالملابس والذهب والأثاث... إلخ.

والرجل أقدر على النجاح في مجالات العمل خارج البيت، وخاصة السياسي والعسكري والتجاري منها وهو أقل رغبة في صرف المال، ويتعامل مع الأمور بقدر أكبر من العقل وقدر أقل من العواطف، ولا ندري أي مزايا للرجل في العمل كجندي يتعرض للأخطار والقتل والأسر والأمراض والجوع والبرد والحر.

ولماذا تقول العلمانية إن المرأة مضطهدة، ولا تقول إن الرجل كان طوال التاريخ هو

وقود الحروب، وهو يعمل كالخادم ويتعرض للأخطار لإحضار الطعام لزوجته وأبنائه، ولماذا لم تحقق العلمانية للمرأة الغربية منصب رئيس الولايات المتحدة أو حتى نائبه خلال قرنين من الحكم العلماني، وإذا وجدت بعض النساء قد نجحن في العمل السياسي فهذه حالات استثنائية لا يقاس عليها.

طلب المساواة يتنافى مع فطرة الله التي فطر الجنسين عليها:

إن الجنس الواحد رجلًا أو امرأة لا يمكن أن يطلب أحدٌ المساواة بين أفراده كافة، بل إنَّ الحياة كلها تفسد لو أريد مثل هذه المساواة، بل إن قوانين المادة كلها في هذه الحياة قائمة على التميز والتباين فإذا كان لا يمكن المساواة بين جنس الرجال فكيف بين جنس الرجال والنساء؟!

إن من منهج الإسلام أن يحتفظ الرجل برُجُولته، ومن أجل هذا حُرِّم عليه الذهب والحرير، وأن تبقى المرأة محتفظة بأنوثتها، ومن أجل ذلك حُرِّم عليها الاختلاط بالرجال، والتَّبَذُّلُ أمامهم، وغشيان تجمعاتهم.

شهادة إحداهن:

ونذكر هنا شهادة إحدى داعيات الحرية والمساواة، وهي حينما تتكلمُ إنما تتكلم عن تجربة ومعاناةٍ، وبعد زمن طويل في درب هذه الحرية والمساواة المزعومة، تقول الكاتبةُ الكويتية ليلى العثمان: «سأعترف اليوم بأنني أقف في كثير من الأشياء ضدَّ ما يسمى (حرية المرأة) تلك الحرية التي تكون على حساب أنوثتها، وعلى حساب كرامتها، وعلى حساب بيتها وأولادها، سأقول: إنني أُحمِّل نفسي كما تفعل كثيرات مشقة رفع شعار المساواة بينها وبين الرجل».

ثم ذكرت أنها قد تتعرضُ لبعض الأذى والظلم من الرجل، لكن تُعَقِّبُ على ذلك فتقول: «هل يعني هذا أن أرفض نعومة وهبها الله لي؛ لأصبح امرأة تعلق شاربًا، وتتحدى أقوى الرجال؟!

وهل يعني هذا أن أتصرف وكأنني رجُلٌ لايرُدُّه خجل؟!!!

هل يعني هذا أن أتحدى فأفعل ما يفعله الرجل ما هو مشروع له وما هو مرفوض لأؤكِّد لذاتي بأنه لا أحد أحسن من أحد، وأننا سواسية، وأحرار ولدتنا أمهاتُنا.

هل يعني هذا أن أنظر إلى البيت، جنة المرأة التي تحلُمُ بها على أنها السجنُ المؤبَّدُ، وأن الأولاد ماهم إلا حبلٌ من مَسَد يشدُّ على عُنُقي، وأن الزوج ما هو إلا السجان القاهر الذي يكبل قدمي خشية أن تسبقه خطوتي، لا، أنا أعتزُّ بأنوثتي، وأنا امرأة أعتز بما وهبني الله، وأنا ربة بيت، ولا بأس أن أكون بعد ذلك عاملة أخدمُ خارج نطاق الأسرة، ولكن- ياربُّ اشهد- بيتي أولًا ثُمَّ بيتي، ثم العالم الآخر»[١].

إنه ليس هناك شيء يستطيع تحقيق ذات الأنثى أكثر من بيتها، وحدبها على أطفالها، لقد صرَّح عددٌ من النساء الشهيرات عالميًا في مجال التمثيل والسينما والمسرح والرقص بأنهن لم يَسْعَدْن بشُهْرَتِهن كسعادتهن بأولادهن.

(١) انظر: رسائل إلى حواء للكاتبة الكويتية ليلى العثمان (٣/ ٨٥).

ليس الذكر كالأنثى

ليس الذكر كالأنثى في بنيان الجسم ووجوه النشاط الفسيولوجي:

أثبتت الدراسات الطبِّية المتعددة أن كِيان المرأة النفسي والجسدي قد خلقه الله تعالى على هيئةٍ تخالف تكوين الرجل، وقد بُنِي جسم المرأة ليلائم وظيفة الأمومة ملاءمةً كاملةً، كما أن نفسيتها قد هُيِّئَت لتكون ربة أسرةٍ وسيدة البيت.

وإن هيكل المرأة الجسدي يختلف عن هيكل الرجل، بل إن كل خلية من خلايا جسم المرأة تختلف في خصائصها وتركيبها عن خلايا الرجل. وإذا دقَّقْنا النظر في المِجْهَر لَهَالَنا أن نجد الفروق واضحةً بين خلية الرجل وخلية المرأة. ستون مليون خلية في جسم الإنسان ومع هذا فإن نظرةً فاحصةً في المجهر تُنْبِئُك الخَبَر اليقين: هذه خلية رجل وهذه خلية امرأة، كل خليةٍ فيها مَوْسُومَةٌ بِمَيْسِم الذُّكورة أو مَطْبوعةٌ بطابع الأنوثة.

إن هناك فروقًا واضحةً بين خلية دم بيضاءَ لرجلٍ وأخرى لامرأةٍ كما أن الفرق جَلِي بين خلية من فمِ امرأةٍ وخليةٍ من فَم رجل، وإذًا انتقلنا إلى مستوى أعمق من مستوى الخلايا، إلى مستوى الجُسيمات الملونَة (الصِّبغيات أو الكروموسومات). هذه الجسميات الملونة موجودةٌ في كل خليةٍ وتُقاسُ ثَخانتها بالانجستروم (واحد على بليون من الميليمتر)، وهي موجودةٌ على هيئة أزواجٍ؛ منها واحدٌ مسؤول عن الذكورة والأنوثة.

ففي خلية الذكر نجد هذا الزوج على هيئة x y بينما هو في خلية المرأة على هيئة xx.

إنَّ الجُسَيم المُلَوِّن (صبغ) للذكورة يختلف في شكله المُمَيَّز عن صِبغ الأنوثة، بل ولا يقتصر الاختلاف على الشكل والمظهر إنما يتعداه إلى الحقيقة والمَخْبَر فصبغ الذكورة قصيرٌ سَميكٌ بالنسبة لِصِبغ الأنوثة ومع ذلك فهو يجعل الخلية الذكرية أكثر نشاطًا وأقوى شكِيمةً وأكثر إقدامًا مِن شقيقتها الأنثوية.

وإذا ارتفعنا من مستوى الصبغيات (الكروموسومات) والخلايا إلى مستوى

الأنسجة والأعضاء وجدنا الفروق الهائلة الواضحة لكل ذي عَيْنَين بين الذكورة والأنوثة. فَعَضَلات الفَتَى مَشْدودةٌ قويةٌ وهو عَريض المِنْكَبَين واسعُ الصدر ضيِّق البطن صغير الحَوْض نِسْبِيًا، لا أرْدافَ له ولا عَجُز كبير. يَتَوَّزع الدُّهن جِسْمه توزيعًا عادلًا وطَبَقة الدُّهن في الغالب الأعَمِّ محدودةٌ بسيطةٌ. وينمو شَعْرُ العَانَة مُتَّجِهًا نَحْوَ السُّرَّة كما ينمو شَعْر عُذارَيه وينمو شَعْر ذَقْنِه وشارِبِه ويَغْلُظُ صوتُه ويُصْبُح أَجَشَّ.

بينما نجد عضلات الفتاة «رقيقةً ومَكسوةً بطبقةٍ دُهْنيةٍ تُكْسِبُ الجسم اسْتِدارةً وامتلاءً مَرْغوبًا فيه خاليًا من الحُفَر والنُّتُوءات الواضحة المُتعاقِبة التي لا ترتاح العَين لرُؤيتِها» كما يقول أستاذ علم التشريح الدكتور شفيق عبد الملك في كتابه (مبادئ علم التشريح ووظائف الأعضاء).

ليس هذا فحسْب ولكن تركيب العظام يختلف في الرجل عن المرأة في القوة والمتانة وفي الضِّيق والسَّعَة وفي الشكل والزاوية.

وإذا نظرنا لحوض المرأة مثلًا وجدناه يختلف عن حوض الرجل اختلافا كبيرًا يقول الدكتور شفيق عبد الملك أستاذ التشريح:

«يمتاز حوض السيدة عن حوض الرجل بالنسبة لِقِيامه بوظيفة هامَّةٍ إضافيةٍ تتَطَلَّب منه بعض الضَّروريات اللازمة التي لا يحتاج إليها حوض الرجل. فَنُمُو الجنين في الحوض وطُرُق تَغْذِيتِه وحِفْظه ثم مُرورِه بتجويفِ الحوض ومِن مَخْرَجِه وقْتَ الولادة مما يستلْزِم بعض التغييرات والتعديلات التي يَسْهُل معها إتمام الولادة بالنسبة للأُم والطفل، وتنْحَصر كل هذه التغييرات في أن يكون تجويف حوض السيدة أوسع وأقْصَر، وأنْ تكون عِظامه أرَقَّ وأَقَلَّ خُشونةً وأبْسَطَ تَضاريسًا، ثم يَذكر الدكتور (١٩) فرقًا بين حوض الرجل والمرأة ينبغي على طالب الطب أن يحفظها ويَعِيَها، ويَخْتِم ذلك بقوله:

«وإن تكن رِقَّة العِظام ونُعومتها وبساطة تضاريسها وصِغَر شَوْكاتها وقلة غَوْر حُفَرِها ظاهرةً جَلِيةً في أكثر عظام الهيكل في المرأة غير أنها تَتَجَلَّى بأوضح شكلٍ في عظام الحوض للأنثى التي بلا نزاع تُشارك صفات عظام الهيكل الأخرى بقِسْطٍ وافرٍ في صفاتها المُمَيِّزة

للأنوثة زيادةً على تَكَيُّفِها النَّوْعِيِّ الخاص بما يُناسب ما يتطلب منها القيام بعمل تنفرد به دون غيرها من عظام الهيكل».

وخلاصة القول: أن أعضاء المرأة الظاهرة والخفية وعضلاتها وعظامها تختلف إلى حدٍ كبيرٍ عن تركيب أعضاء الرجل الظاهرة والخفية كما تختلف عضلاته وعظامه في شدتها وقوةِ تَحَمُّلها.

وليس هذا البناء الهَيْكلي والعُضوي المُخْتَلف عَبَثًا إذْ ليس في جسم الإنسان ولا في الكون شيءٌ إلاَّ وله حِكْمَةٌ سَواء علِمناها أم جهِلناها، وما أكثرَ ما نجهل وأقل ما نعلم.

والحكمة في الاختلاف البَيِّن في التركيب التشريحي والوظيفي (الفسيولوجي) بين الرجل والمرأة هو أن هيكل الرجل قد بُنِيَ لِيَخْرُج إلى مَيْدان العمل لِيَكْدَح ويكافح وتَبْقَى المرأة في المنزل تؤدي وظيفتها العظيمة التي أناطَها الله بها؛ وهي الحمل والولادة، وتربية الأطفال، وتهيئة عِشِّ الزَّوْجية؛ حتى يَسْكُن إليها الرجل عند عودته من خارج المنزل.

وجهاز الغُدَد الصَّمَّاء هو أحد الأجهزة التي تتجلى فيها الفروق كأوضح ما يكون... فهُرْمونات الذُّكورة تختلف عن هُرمونات الأنوثة في تأثيرها اختلافًا كبيرًا رغم أن الفرق الكيماوِيَّ بسيطٌ ويتَمثَّل في زِيادةِ ذَرَّةٍ من الكربون وثلاثة ذراتٍ من الهيدروجين CH_3 إلى التركيب الجزئي molecular structure في هرمون الأنوثة.

فهُرمون الذُّكورة يُساوي هُرمون الأنوثة (مجموعة مثيلية) وكذلك الجهاز التناسلي للرجل يساوي الجهاز التناسلي للمرأة وأعضاء إضافية.

الاختلاف بين الذكر والأنثى من حيث جنس الدماغ أصلًا:

كتاب (جنس الدماغ Brain Sex)، من الكتب الجادّة التي ناقشت باستفاضة أثر الفروقات البيولوجيّة على الأفكار والميول والسلوك، وهو من تأليف كلٍّ من: «آن موير» – وهي حاصلة على دكتوراة في علم الوراثة–، وديفيد جيسيل، وهو كاتب ومقدّم برامج تليفزيونية في تليفزيون هيئة الإذاعة البريطانية.

إنّ هذا الكتاب ليس بالكتاب الوصفي، إنه فقط يوضح كيف أنّ أدمغة الجنسين

تختلف عن بعضها، ويحاول أن يربط هذه الفروقات مع جوانب السلوك المختلفة التي يمكن ملاحظتها في كل من الرجل والمرأة.

اقتباس من مقدمة المؤلفَيْن:

«الرجال مختلفون عن النساء، وهم لا يتساوون إلا في عضويتهم المشتركة في الجنس البشري، والادعاءات بأنهم متماثلون في القدرات والمهارات أو السلوك تعني بأننا نقوم ببناء مجتمع يرتكز على كذبة بيولوجية وعلمية.

فالجنسان مختلفان لأنّ أدمغتهم تختلف عن بعضها؛ فالدماغ، وهو العضو الذي يضطلع بالمهام الإدارية والعاطفية في الحياة، قد تم تركيبه بصورة مختلفة في الرجال عنه في النساء، ولهذا فهو يقوم بمعالجة المعلومات بطريقة مختلفة عند كل منهما والذي ينتج عنه في النهاية اختلاف في المفاهيم والأولويات والسلوك.

ولقد شهدت السنوات العشر الأخيرة زيادة هائلة في البحث العلمي لمعرفة الأسباب التي تكمن وراء اختلاف الجنسين، فخرج الأطباء والعلماء وعلماء النفس والاجتماع أثناء عملهم، الذي تم بشكل مستقل، بمجموعة من النتائج التي لو أخذنا بها جميعًا فإنها تعطينا صورة متجانسة وهي في ذات الوقت صورة مذهلة من عدم التماثل بين الجنسين.

وأخيرًا تم التوصل إلى جواب عن هذا النُّواح المزعج والمتمثل في: «لماذا لا تستطيع المرأة أن تصبح مثل الرجل؟». ولقد حان الوقت لنسف الأسطورة التي تقول بقابلية تبادل الأدوار بين الرجال والنساء إذا ما أُعطوا فرصًا متساوية لإثبات ذلك، ولكن الأمر ليس كذلك لأن كل شيء فيهما أبعد ما يكون عن التساوي.

وإلى عهد قريب كان يتم تفسير الاختلافات السلوكية بين الجنسين من خلال عملية التكيّف الاجتماعي، مثل توقعات الوالدين اللذين تعكس مواقفهما بدورها توقعات المجتمع ككل؛ فيُطلب من الأولاد الصغار عدم البكاء وإن الطريق إلى القمة يعتمد على الإصرار والعدوانية، وبهذا لم يعط أي اعتبار لوجهة النظر البيولوجية التي تقول بأننا قد نكون ما نحن عليه بسبب الطريقة التي خلقنا عليها، وهناك اليوم الكثير من الدلائل البيولوجية الجديدة التي تُهيئ الطريق كي تسود فيه حجة التفسير الاجتماعي للفروق،

ولكن البرهان البيولوجي وفر لنا أخيرًا إطارًا علميًا وشاملًا وقابلًا للإثبات بالدليل، والذي من خلاله نستطيع أن نبدأ في فهم لماذا نحن على ما نحن عليه.

وإذا كان التفسير الاجتماعي قاصرًا، فإن الحجة البيوكيميائية (biochemical) تبدو وكأنها أكثر معقولية- بأنّ الهرمونات هي التي تجعلنا نتصرف بطريقة معينة ونمطية- ولكن، وكما سنكتشف ذلك لاحقًا، نجد أنّ الهرمونات وحدها لا تزودنا بالإجابة الشاملة عن السؤال، حيث أنّ الذي يؤدي إلى هذا الاختلاف هو التفاعل بين تلك الهرمونات وأدمغة الذكور أو الإناث التي أعدت سلفًا من أجل أن تتفاعل معها بطرق خاصة.

لقد نشأت العديد من النساء في الثلاثين أو الأربعين سنة الماضية ليؤمنّ بأنهن أو أن عليهن أن يكن «مثل زملائهن الرجال»، وفي غمرة هذا كله تحمّلن الآلام الشديدة وغير الضروريّة والإحباط وخيبة الأمل، ولقد حملن على الاعتقاد أنه وبمجرد أن يقمن بتحطيم قيود تحيزات واضطهاد الرجال- السبب المزعوم في منزلتهن المتدنية-فإن أبواب الجنة الموعودة من المساواة سوف تفتح على مصراعيها، وستكون النساء، وبعد طول انتظار، حُرّات في تسلق وانتزاع أعلى مراتب المهن والحرف من الرجال.

وبدلًا من ذلك، وعلى الرغم من القدر الكبير من الحرية التي حصلت عليها المرأة في التعليم والفرص في الحياة وفي عدم خضوعها لقيود المجتمع، إلا أنّ النساء لم يحققن تقدمًا مهمًا بالمقارنة مع ما كان عليه وضعهن قبل ثلاثين سنة. والسيدة «تاتشر»[1] ما زالت الاستثناء الذي يثبت القاعدة.

ولقد كانت هناك نساء أكثر في الوزارة البريطانية في سنوات الثلاثينيات من هذا القرن مما هن عليه في الوقت الحاضر. كما أنه لم تحصل زيادة تذكر في عضوات البرلمان البريطاني خلال الثلاثين سنة الماضية، وبعض النساء، ومن منطلق إحساسهن بالقصور

(١) مارجريت تاتشر هي سياسية بريطانية، كانت رئيسة وزراء المملكة المتحدة للفترة من ١٩٧٩ إلى ١٩٩٠، وزعيمة حزب المحافظين للفترة من ١٩٧٥ إلى ١٩٩٠، وهي أول امرأة تولّت رئاسة وزراء المملكة المتحدة وفترة حكمها في بلدها هي الأطول خلال القرن العشرين، وقد لازمها لقب «المرأة الحديدية» الذي عرفت به.

في الوصول والاقتسام المزعوم للسلطة والقوة، يشعرن بأنهنّ قد فشلن، ولكن الحقيقة هي أنهنّ فشلن فقط في أن يصبحن مثل الرجال.

والأفضل أن نرحب بهذه الاختلافات المكمّلة لبعضها وأن نستثمرها، فالواجب على النساء في هذه المرحلة أن يساهمن بمواهبهن الأنثوية الخاصة بدلًا من تبديد طاقتهن في البحث عن بديل ذكوري لأنفسهن، فيستطيع خيال المرأة الخصب مثلًا أن يجد الحلول لأصعب المشكلات- مهنيّة كانت أو منزلية- بضربة حدسيّة واحدة.

إنّ أكبر مبرر يمكن أن يسوقه الإنسان للدفاع عن فكرة وجوب الاعتراف بالفوارق بين الجنسين هو أنّ الاعتراف بهذه الفوارق قد يجعلنا أكثر سعادة، فإدراكنا، على سبيل المثال، بأنّ للجنس مصادر ودوافع وأهمية مختلفة في أدمغة الذكور والإناث، ... قد يجعل منا أزواجًا وزوجات أفضل، وأكثر مراعاة لحقوق ومشاعر الطرف الآخر، كما أنّ الإدراك بأنّ الرجال والنساء غير قادرين على تبادل أدوار الأبوة والأمومة فيما بينهم قد يجعل منا آباء وأمهات أفضل.

ولكن الاختلاف السلوكي الأكبر بين الرجال والنساء هو في عدوانية (aggression) الرجال الطبيعية والمتأصلة فيهم والتي تفسر إلى حد بعيد هيمنتهم التاريخية على بقية الأجناس الأخرى، والرجال لم يتعلموا هذه العدوانية من أجل استخدامها في الحرب الدائرة بين الجنسين، ونحن بدورنا لا نعلم أطفالنا كي يصبحوا عدوانيين، مع أننا في الواقع نحاول عبثًا أن ننزع منهم عدوانيتهم، وحتى أكثر الباحثين معارضة للاعتراف بالفوارق بين الجنسين يقرّون بأن العدوانية هي ميزة ذكورية، وأنه لا يمكن تفسير وجودها من خلال عملية التكيف الاجتماعي.

وبإمكان الرجال والنساء أن يجعلوا حياتهم أكثر سعادة، وأن يفهموا ويحبوا فيها بعضهم أكثر، كما يمكنهم تنظيم عالمهم بشكل أفضل، إذا ما اعترفوا بفوارقهم، ويستطيعون بعد ذلك أن يؤسسوا حياتهم على الأعمدة الثنائية لهوياتهم الجنسانيّة المميزة. فلقد حان الوقت كي نتوقف عن التنازع العقيم حول مقولة إنّ الرجال والنساء خلقوا متساوين، فهم لم يخلقوا كذلك ولن يستطيع أي مقدار من المثاليّة أو من الخيال الطوبائي تغيير هذه الحقيقة، ولكنها بالتأكيد ستؤدّي إلى توتر العلاقة بين الجنسين».

واستخلص الكاتب والكاتبة في نهاية أبحاثهم أنّ:

١- النساء ليست لديهنّ رغبة في فعل ما يفعله الرجال.

٢- إن طفلة بعمر ساعة واحدة تتصرف بطريقة تختلف عن تصرفات طفل ذكر من العمر نفسه. المجتمع لا يحدث أثرُه بهذه السرعة؟

٣- في الأسبوع الأول من ولادتهن فإن البنات، وليس الأولاد، هن اللواتي يستطعن التمييز بين أصوات صراخ طفل وضجيج عادي من نفس حدة النبرات. إن المجتمع لم يكن راقدًا بجوار مهد الطفل يعلمه التمييز بين الأصوات؟

٤- النساء أكثر حساسيّة للصوت والرائحة والتذوق واللمس من الرجال. والنساء يمتلكن القدرة على تمييز الفوارق الدقيقة في الصوت بسهولة أكبر، والفتيات يكتسبن المهارات اللغوية وطلاقة اللسان والحفظ قبل الأولاد، كما أنّ الإناث أكثر حساسيّة للمضامين الشخصية والاجتماعية، وأكثر مهارة في فهم التلميحات التي تحويها التعبيرات اللفظية والإيماءات، وهن أسرع من الرجال في عمليات تحليل المعلومات الحسيّة والشفهية، لأنهنّ يعتمدن بشكل أكبر على إحساسهنّ الداخلي.

٥- لكنّ الرجال هم الأفضل في المهارات التي تتطلب قدرات مكانية، وهم أكثر عدوانية وحبًا في تأكيد الذات.

٦- كما أن هناك فروقًا بدنية (حجم الجسم والتقاطيع الجسدية، والهيكل العظمي، والأسنان، وفترة البلوغ... الخ) فإن هناك اختلافات جوهرية موازية في الوظائف الدماغية.

٧- هنالك أيضًا فروق مورفولوجية بين أدمغة الرجال والنساء- بمعنى أنّ هناك اختلافًا في التركيب أو الشكل- ففي الرجال يكون الدماغ مركبًا بشكل مُحكم وفعّال يمكنه من تحليل المعلومات البصريّة والمكانيّة والتفكير الرياضي، وحيث أنّ الرجال يتفوقون في هذا المجال فإنهم يستدعون بصورة أكثر هذه الإمكانات في طريقة تعاملهم مع الحياة- بالتحليل وإطلاق النظريات.

وبنفس الطريقة فإنّ عقل المرأة مصمم لمهارات تتطلب الدقة والتتابع والطلاقة

اللغوية. وبناء على ذلك فإن خلفية عالمهن ليست كتلك التجريديّة الصريحة للرجل، ولكنها أشبه ما تكون بصورة مصغرة أحكمت تفاصيلها.

٨- والنساء يتمتعن بترابط أكثر بين شقي الدماغ، وهذا يعزز لديهن المهارات اليدوية التي تستخدم اليدين معًا، وأحيانًا يكون هذا الاتصال بين نصفي الدماغ مصدرًا للإرباك ومعرقلًا للكفاءة- كمن يحاول أن يركز انتباهه عندما يكون هناك من يتحدث في الجوار- لكن الفائدة تكمن في القدرة الزائدة على ربط وفهم ونقل المعلومات اللفظية وغير اللفظية وكذلك العاطفة.

دماغ الرجل يحتوي ٢٢,٨ مليار خلية مقابل ١٩,٣ مليارًا عند المرأة:

أجرى الباحثان (الدكتورة بنت باكنبرغ، والبروفيسور جورغر غوندرس) تحليلًا لـ ٩٤ دماغًا سليمًا لدنماركيين فارقوا الحياة تتراوح أعمارهم بين ٢٠و ٩٠ سنة ونشرا أبحاثهما في (جورنال أوف كومباراتيف نورولوجي).

وخلص الباحثان إلى أنّ أدمغة الرجال تحتوي على ما معدله ٢٢,٨ مليار خلية مقابل ١٩,٣مليار خلية في أدمغة النساء.

وأعلنت الدكتورة «باكنبرغ لوكالة (فرانس برس): لقد فوجئنا بهذا الفارق ولم نكن نعتقد بأنه كبير إلى هذه الدرجة؛ حتى وإن كان وزن دماغ الرجل يفوق وزن دماغ المرأة (يزيد وزن دماغ الرجل عن دماغ المرأة ١٥٠ غرامًا).

وأضافت «باكنبرغ»: «من الممكن في هذه الاختبارات أن يكون الرجال أفضل من النساء في بعض المجالات ولكنهم ليسوا بشكل عام أكثر ذكاءً».

ليس الذكر كالأنثى في السمات النفسية والعقلية:

أولًا: سمات الأنثى النفسية والعقلية:

تشير البحوث العلمية إلى أنّ العاطفة هي السمة الأساسية التي تتسم بها نفس حواء. فمن سمات الأنثى النفسية والعقلية:

١- القدرة على التأثير بالإيحاء.

٢- سرعة الاستجابة للدوافع، والدافع مؤشر قوي يدفع الكائن الحي إلى القيام بسلوك يرمي إلى تحقيق غرض محدد.

٣- سرعة التأثر العاطفي.

٤- الرغبة في التنوع.

٥- الحساسية والمرونة.

تظهر على كثير من بنات حواء مظاهر النشاط والصحة والمرح والابتهاج، ولكن تنتابهنّ مشاعر الضيق والانقباض في أثناء فترة الحيض مثل العصبية وعدم الانسجام وسرعة التهيج والحساسية المرهفة وكثرة تقلب المزاج.

٦- التماس حواء لعَوْن الرجل وحمايته.

٧- سمة التقبلية. من الناحية الوجدانية تميل المرأة إلى أن تكون الموضوع المعشوق الذي يحظى بالإعجاب فلها الميل الفطري للتزين وأن تكون على أجمل صورة وأبهى منظر لتُعشَق وتُحَبُّ.

٨- سمة الاحتواء والرعاية. وتظهر سمة الاحتواء عند المرأة فسيولوجيًا في عملية الحمل، ثم في احتضان الطفل.

١٠- الأمومة: هي الغريزة الفطرية المحورية التي تتمركز حولها حياة الأنثى منذ الصبا إلى الشيخوخة.

ثانيًا: سمات الذكر النفسية والعقلية:

يكمن شيء من الطموح عادةً في تفكير الرجل وسلوكياته وتتجلى هذه السمة عنده في الرغبة المتزايدة في القوة والسيطرة والكمال بوجه عام.

يتميز عقل الرجال بصفة عامة بالسمات التالية:

١- التفكير المنطقي المنظم في حل المشاكل.

٢- التفكير الإبداعي الابتكاري.

٣- القدرة على التركيز العقلي ومواصلته اتجاه هدف محدد.

إن الله تعالى خلق الجنسين الذكر والأنثى يكمل أحدهما الآخر، لكل منهما وظيفته التي تتفق مع الفطرة الإنسانية التي أودعها الله بهما.

إنّ الله تعالى خلق الجنس البشري من نوعين، يكمل أحدهما الآخر، وأن كلًا منهما يتجه في الحياة اتجاهًا يسير جنبًا إلى جنب مع اتجاه الجنس المقابل، ليؤدي كل واحد منهما الوظيفة التي تؤهله صفاته للقيام بها نحو المجتمع الإنساني، ولا شك أنّ رقيَّ الإنسانية الحقيقي لا يكون إلا بتوزيع الأعمال، وملائمة كل جنس للوظيفة التي يقوم بتأديتها في هذه الحياة، فالرجل مستعد بطبيعته وقواه الجسمية إلى الزعامة والقيادة، لقدرته على التصرف عند المواقف الحرجة، وعلى الابتكار للخروج من المآزق بسرعة.

أما المرأة فليس لها هذا الاستعداد، ولكنها تفوق الرجل في الصبر والجلد والقدرة على المقاومة والسرعة في التنفيذ، ولذلك كان الرجل أكثر استعدادًا للتنفيذ، ولما تمتاز به المرأة من الصبر وقوة الوجدان والحنو والشفقة، تستطيع أن تكون أمًّا وممرضة، وسلوة للرجل إذا حلت به النكبات، أو استولت عليه الهموم، فترى المرأة بذلك عونًا للرجل، وترى الرجل عونًا للمرأة كذلك.

والمرأة أقرب ما يكون إلى المزاج الانفعالي وهي عملية أكثر منها فلسفية.

ونستطيع القول أن المرأة تحمل لواء العاطفية والرجل يحمل لواء العقل.

الأمور التي ساوى وفرق بها الإسلام بين الذكر والأنثى

المرأة تساوي الرجل في أصل التكليف بالأحكام الشرعية مع بعض الاختلاف في بعض الأحكام التفصيلية:

أولًا: الأحكام التي تَحقَّقت فيها المساواةُ بين الرجل والمرأة وهي كثيرةٌ:

فالإسلام سوَّى بين المرأة والرجل في أمور أساسية منها:

١ - **القيمة الإنسانية:** يسوي الإسلام بين الرجل والمرأة في القيمة الإنسانية، فلا فرق بينهما في الأصل والفطرة، ولا في القيمة والأهمية. والمرأة هي نفسٌ خُلِقَتْ لتنسجم مع نفسٍ، وروح خلقت لتتكامل مع روح وشطر مساو لشطر. والإسلام يقرر أن قيمة أحد الجنسين لا ترجع كون أحدهما ذكرًا والآخر أنثى بل ترجع إلى العمل الصالح والتقوى.

٢ - **التوحيد والإيمان:** لا يختص بالرجال دون النساء، فالكل سواسية في هذا الشأن. وداخل تحت النصوص العامة في الأمر بالتوحيد والإيمان.

٣- **في العبادة والتكاليف الشرعية:** ولا فرق بين الذكر والأنثى في العباداتِ من طَهارةٍ وصلاةٍ وصومٍ وحجٍ وزكاةٍ مع اختلافاتٍ يسيرة.

فَفِي الصَّومِ تُفطر المرأةُ وُجوبا إذا حاضَتْ أو نفَسَت. أما في الصلاةِ فلا اختلاف بينها وبين الرجل إطلاقًا إلا في اللباسِ، وفي كونِ صلاتِها في بيتِها أفضلُ من صلاتِها في المسجدِ، وكونِ خيرِ صفوفِ النساء في الجماعةِ آخرَها بِخِلافِ صُفوفِ الرجالِ، وفي تَنْبيهِهَا الإمامَ إذا سَهَا بالتَّصْفِيقِ لا بالتسبيح كالرجالِ، وفي عدم جوازِ إمامتِها للرجال، وفي جَهْرِها بالقراءةِ في الصلاةِ الجهرية أَمامَ الرجالِ الأجانبِ فَتَرْفعُ صوتَها بِقَدْرٍ تُؤمن معه الفتنةُ.

٤- المرأة تساوي الرجل في الثواب والعقاب الدنيوي والأخروي في الجملة، فتستوي المرأة والرجل في كل ما يتعلق بالحدود والقصاص إلا فيما يخص رجْم الزانية

فإنها تُرْجَم بلباسها الشرعي، وتُجلد جالسةً والرجل قائمًا، وهذا اجتهادٌ فقهي وليس حكمًا يَعتمد على نص.

٥- **المعاملات:** المرأة كالرجل في تملُّكها لمالها وتصرُّفها فيه. فلا تشترط الذكورة في عقود البيع والتجارة والقرض والهبة والوقف والحوالة والضمان والقراض والشركة والإجارة والجعالة والمساقاة والمزارعة والرهن والشفعة وغيرها من العقود، ولذا فإن الرجل والمرأة في الأنشطة المالية والاقتصادية المختلفة سواء.

٦- المساواة بين الزوجين الذكر والأنثى في حق الانفصال:

الإسلام كما أعطى للرجل حق الانفصال عن زوجته أعطى للمرأة هذا الحق، ولكن يفرق بينهما في كيفية وأسلوب هذا الانفصال، فهو يسوي بينهما في الحق، ويفرق بينهما في كيفية استخدام هذا الحق، حيث يعطي الرجل حق الطلاق ويعطي المرأة حق الخلع.

فجعل الله الطلاق بيد الرجل إذا كره زوجته بشرط أن يعطيها كافة حقوقها، وفي المقابل جعل الخلع بيد المرأة إذا كرهت زوجها بشرط أن تعطيه ما أعطاها من مهر. فهما متساويان هنا.

٧- في الأمر بغض البصر.

٨- في أن كل واحد راعٍ في مكانه ومسؤول عن رعيته.

٩- الصيد والذبائح والأيمان والنذور فالرجل والمرأة فيها سواء.

١٠- والمرأة تساوي الرجل في الأخذ بحقها وسماع القاضي لها.

١١- وهي كالرجل في حرية اختيار الزوج، فلا تُكرَه على ما لا تريد.

١٢- الراجح أن النساء كالرجال في استحباب زيارة القبور، لعموم قوله ﷺ: «**نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا**» (رَوَاهُ مُسْلِمٌ). فيدخل فيه النساء؛ فالنبي ﷺ لما نهى عن زيارة القبر في أول الأمر كان النهي شاملًا للرجال والنساء معًا، والخطاب في الجملة الثانية من الحديث وهو قوله: «فَزُورُوهَا» إنما أراد به الرجال والنساء أيضًا.

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ، فَقَالَ: «**اتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي**» (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)[١].

لكن لا يجوز لهن الإكثار من زيارة القبور والتردد عليها، لأن ذلك قد يفضي بهن إلى مخالفة الشريعة، من مثل الصياح والتبرج واتخاذ القبور مجالس للنزهة، وتضييع الوقت في الكلام الفارغ، كما هو مشاهد اليوم في بعض، البلاد الاسلامية.

وقد لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَوَّارَاتِ الْقُبُورِ. (رَوَاهُ أَحْمَدُ، والتِّرْمِذِيُّ، وابْنُ مَاجَهْ، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ وَمُحَقِّقُو الْمُسْنَدِ). واللعن المذكور في الحديث إنما هو للمكثرات من الزيارة لما تقتضيه الصيغة من المبالغة، ولعل السبب ما يفضي إليه ذلك من تضييع حق الزوج، والتبرج وما ينشأ من الصياح، ونحو ذلك، وقد يقال: إذا أمن جميع ذلك فلا مانع من الأذن لهن لأن تذكر الموت يحتاج إليه الرجال والنساء.

ثانيا: الأحكام والمسائل التي ثبت فيها التفريق بين الرجل والمرأة[٢]:

١- اختصاص الأم بقدْرٍ زائدٍ من البِرِّ عن الأبِ، فحق الأم مُقدَّم على حق الأب ويزيد عليه بأضعاف ثلاثة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «**أُمُّكَ**»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟، قَالَ: «**ثُمَّ أُمُّكَ**»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟، قَالَ: «**ثُمَّ أُمُّكَ**»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟، قَالَ: «**ثُمَّ أَبُوكَ**» (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ).

الصَّحَابَة- هُنَا بِفَتْحِ الصَّاد- بِمَعْنَى الصُّحْبَة، وَفِيهِ الْحَثّ عَلَى بِرّ الْأَقَارِب، وَأَنَّ الْأُمّ أَحَقّهمْ بِذَلِكَ، ثُمَّ بَعْدهَا الْأَب، ثُمَّ الْأَقْرَب فَالْأَقْرَب، قَالَ الْعُلَمَاء: مُقْتَضَى الحديث أَنْ يَكُون لِلْأُمِّ ثَلَاثَة أَمْثَال مَا لِلْأَبِ مِنْ الْبِرّ، وَسَبَب تَقْدِيم الْأُمّ كَثْرَة تَعَبهَا عَلَيْهِ، وَشَفَقَتهَا، وَخِدْمَتهَا، وَمُعَانَاة الْمَشَاقّ فِي حَمْله، ثُمَّ وَضْعه، ثُمَّ إِرْضَاعه، ثُمَّ تَرْبِيَته وَخِدْمَته

(١) قال الحافظ ابن حجر: «وَاخْتُلِفَ فِي النِّسَاءِ فَقِيلَ: دَخَلْنَ فِي عُمُومِ الْإِذْنِ، وَهُوَ قَوْلُ الْأَكْثَرِ، وَمَحَلُّهُ مَا إِذَا أُمِنَتِ الْفِتْنَةُ، وَيُؤَيِّدُ الْجَوَازَ حَدِيثُ الْبَابِ وَمَوْضِعُ الدَّلَالَةِ مِنْهُ أَنَّهُ ص لَمْ يُنْكِرْ عَلَى الْمَرْأَةِ قُعُودَهَا عِنْدَ الْقَبْرِ وَتَقْرِيرُهُ حجَّة، وَمِمَّنْ حَمَلَ الْإِذْنَ عَلَى عُمُومِهِ لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ عَائِشَةَ، فرَوَى الْحَاكِمُ من طَرِيق بن أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّهُ رَآهَا زَارَتْ قَبْرَ أَخِيهَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَقِيلَ لَهَا: أَلَيْسَ قَدْ نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ ذَلِكَ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، كَانَ نَهَى ثُمَّ أَمَرَ بِزِيَارَتِهَا» [فتح الباري لابن حجر (٣/ ١٤٨ - ١٤٩)]، وأسر عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

(٢) وسيأتي إن شاء الله مزيد بيان في فصل «كشف شبهات دعاة النسوية».

وَتَمْرِيضه، وَغَيْر ذَلِكَ، فالْأُمُّ تَنْفَرِد وَتَشْقَى بِالْحَمْل ثُمَّ الْوَضْع ثُمَّ الرَّضَاع، ثُمَّ تُشَارِك الْأَب فِي التَّرْبِيَة[1].

٢- اختصاص البنات بقدْرٍ زائدٍ في التربية عن الأبناء.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ، وَأَطْعَمَهُنَّ، وَسَقَاهُنَّ، وَكَسَاهُنَّ مِنْ جِدَتِهِ كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» (رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ). (مِنْ جِدَتِهِ) أي مِن غِنَاه.

وقَالَ ﷺ: «**مَنْ عَالَ ابْنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ بَنَاتٍ، أَوْ أُخْتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ أَخَوَاتٍ، حَتَّى يَبِنَّ أَوْ يَمُوتَ عَنْهُنَّ، كُنْتُ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ**» وَأَشَارَ بِأُصْبُعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى. (رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ). (يَبِنَّ)، أي: ينفَصِلْن عنه بتزويج أو موت.

٣- تقديم النساء على الرجال في الحضانة، ذلك أنه في حالة افتراق الزوجين عن بعضٍ فإن الأم أحق بحضانة الأولاد من الأب ما لم تتزوج، فقد أَتَتِ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ ابْنِي هَذَا كَانَ بَطْنِي لَهُ وِعَاءً، وَحِجْرِي لَهُ حِوَاءً، وَثَدْيِي لَهُ سِقَاءً، وَزَعَمَ أَبُوهُ أَنَّهُ يَنْزِعُهُ مِنِّي؟ قَالَ: «**أَنْتِ أَحَقُّ بِهِ مَا لَمْ تَنْكِحِي**» (رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَحَسَّنَهُ مُحَقِّقُو الْمُسْنَدِ).

٤- إباحة الذهب والحرير، فهو أمرٌ خاص بالنساء دون الرجال. قال ﷺ: «**حُرِّمَ لِبَاسُ الحَرِيرِ وَالذَّهَبِ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي وَأُحِلَّ لِإِنَاثِهِمْ**» (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ).

٥- ثَقْب الأُذُنِ جائزٌ بحق النساء حرامٌ على الذكور؛ لأنهم ممنوعون من جَعْل الأقراط في آذانهم؛ لئلا يتشبهوا بالنساء.

٦- استحقاق المرأة المهر عند الزواج وليس ذلك للرجل.

٧- الإسلام أعفى المرأة من جميع أعباء الحياة المعيشية والرجل هو المكلف بذلك، فما تحتاج إليه المرأة من طعام وشراب وكساء ومسكن، ... إن كانت متزوجة فنفقتها واجبة على زوجها؛ حتى إن كانت غنية. وإن كانت ليست متزوجة أو معتدة، فنفقتها واجبة على أوليائها.

(١) انظر: شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٠٢)، فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤٠٢).

٨- الإسلام يسقط عن المرأة الصلاة والصيام أثناء الحيض والنفاس دفعًا للمشقة ولأمور أخرى الله أعلم بها. وتُؤمر بقضاء الصوم ولا تقضي الصلاة.

٩- لا تجب على المرأة صلاة الجماعة.

١٠- الجهاد بالنفس لا يجب على المرأة، وإنما تُجاهد بمالها وكذلك بالحج، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ عَلَى النِّسَاءِ جِهَادٌ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، عَلَيْهِنَّ جِهَادٌ، لَا قِتَالَ فِيهِ: الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ**» (رَوَاهُ أَحْمَدُ، وابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ).

١١- العورة: ففي حين أن عورة الرجل من السرة إلى الركبة فإن المرأة كلها عورة في النظر. وينشأ عن هذا الفرق تَفْرِقةٌ في اللباس. ذلك أن المرأة مأمورةٌ بسَتر جسدها كله على الراجح. وفي حين أن الرجل مأمورٌ بألا يتجاوز ثوبه كعبيه فإن للمرأة رخصةً في جر ثوبها لأنه يكون أستر لهن قال ﷺ: «**مَنْ جَرَّ ثَوْبَهَ خُيَلاء، لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إليه يومَ القِيامةِ**»، فَقَالَتْ أُمُّ سَلمةَ: فَكَيْفَ يَصْنَعُ النساءُ بِذُيُولِهِنَّ؟ قال: «**يُرْخِينَ شِبْرًا**»، فَقَالَتْ: إِذَنْ تَنْكَشِفُ أَقْدامُهنَّ، قال: «**فَيُرْخِيْنَهُ ذِراعًا لا يَزِدْنَ عَلَيه**» (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ).

١٢- بول الغلام (الذكر) وبول الجارية (الأنثى) نجسان عند جماهير العلماء، ولا فرق بينهما. يختلف الحكم في إزالة نجاسة بول الأنثى الرضيعة التي لم تأكل الطعام عن بول الذكر الرضيع الذي لم يأكل الطعام، فيكفي في تطهير بول الغلام الذي لم يطعم الطعام النضح، ولا بد في بول الجارية من الغسل. فبول الصبي الذي لم يأكل الطعام يُكتفَى في تطهيره بالنضح، والنَّضحُ: أن تُتْبِعَهُ الماء دون فَرْكٍ أو عَصْرٍ حتى يشمله كلَّه، وإذا كان يأكل الطَّعام فلا بُدَّ من غسل بوله.

فقد ثبت في الصحيحين وغيرهما أن النبي ﷺ أتى بغلام صَغِيرٍ، لَمْ يَأْكُلِ الطَّعَامَ، فَأَجْلَسَهُ فِي حَجْرِهِ، فَبَالَ عَلَى ثَوْبِهِ، فَدَعَا بِمَاءٍ، فَنَضَحَهُ وَلَمْ يَغْسِلْهُ».

وعَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي حَرْبِ بْنِ أَبِي الأَسْوَدِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ فِي بَوْلِ الغُلَامِ الرَّضِيعِ: «**يُنْضَحُ بَوْلُ الغُلَامِ، وَيُغْسَلُ بَوْلُ الجَارِيَةِ**»، قَالَ قَتَادَةُ: «**وَهَذَا مَا لَمْ يَطْعَمَا، فَإِذَا طَعِمَا غُسِلَا جَمِيعًا**» (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ). ورَوَاهُ أَحْمَدُ بلفظ: «**بَوْلُ الْغُلَامِ الرَّضِيعِ يُنْضَحُ، وَبَوْلُ الْجَارِيَةِ يُغْسَلُ**». (وَصَحَّحَهُ مُحَقِّقُو الْمُسْنَدِ).

وذكر العلماء في توجيه التخفيف بالنسبة لتطهير بول الغلام ووجوب الغسل في بول الجارية عدة توجيهات: أحدها أن بول الغلام لا ينزل في مكان واحد بل ينزل متفرقًا ها هنا وها هنا فيشق غسل ما أصابه منه كله بخلاف بول الجارية. الثاني: كثرة حمل الرجال والنساء للغلام لأن تعلق النفوس به أكثر من تعلقها بالجارية فتعم البلوى ببوله فيشق غسله. الثالث: اختلاف طبيعة بول الذكر عن بول الأنثى.

وبَول الجارية والغلام الذي يأكل الطَّعام كغيرهما، لا بُدَّ فيهما من الغَسْل.

وغائط هذا الصبي الذي لم يأكل الطَّعام كغيره لا بُدَّ فيه من الغَسْل.

١٣- السفر: فلا يجوز للمرأة أن تسافر سفرًا مُعتبَرًا عُرْفًا إلا بِصُحبَة زَوج أو مَحْرَم، وفي ذلك تكريم لها بحمايتها من مخاطر السفر. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، تُسَافِرُ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ عَلَيْهَا**» (رَوَاهُ مُسْلِمٌ).

اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ عَلَى أَنَّهُ يَحْرُمُ عَلَى الْمَرْأَةِ أَنْ تُسَافِرَ بِمُفْرَدِهَا، وَأَنَّهُ لاَ بُدَّ مِنْ وُجُودِ مَحْرَمٍ أَوْ زَوْجٍ مَعَهَا. وَيُسْتَثْنَى مِنْ مَنْعِ سَفَرِ الْمَرْأَةِ بِدُونِ زَوْجٍ أَوْ مَحْرَمٍ: الْمُهَاجِرَةُ وَالأَسِيرَةُ. فَقَدِ اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ عَلَى أَنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا أَسْلَمَتْ فِي دَارِ الْحَرْبِ لَزِمَهَا الْخُرُوجُ مِنْهَا إِلَى دَارِ الإِسْلاَمِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ، وَكَذَا إِذَا أَسَرَهَا الْكُفَّارُ وَأَمْكَنَهَا أَنْ تَهْرُبَ مِنْهُمْ فَلَهَا أَنْ تَخْرُجَ مَعَ غَيْرِ ذِي مَحْرَمٍ[1].

١٤- التعطُّر خارج المنزل فَيَحْرُم عليها ذلك بخلاف الرجل، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ**» (رَوَاهُ أَحْمَدُ، والنَّسَائِيُّ، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ).

١٥- الحداد، فلم يُشْرَع للرجل على زوجته المتوفاة، وشُرِع للمرأة على زوجها المتوفَّى. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لاَ يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، أَنْ تُحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلاَثٍ، إِلَّا عَلَى زَوْجٍ، فَإِنَّهَا تُحِدُّ عَلَيْهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا**» (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ).

١٦- العدة للمُتوفَّى عنها زوجها والمطلقة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ

(١) انظر: الموسوعة الفقهية (٢٥/ ٣٧، ٣٨).

أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨]

وليس على الرجل عِدةٌ لكنه يمُنَع من الزواج حتى تنتهي عدة زوجته الرابعة وكذالك يُمْنَع من الزواج من أخت مطلقته طلاقًا رجعيًا أو عمتها أو خالتها.

١٧- اتباع الجنائز، لنهي النبي ﷺ النساء عن اتباع الجنائز وهو نهيُ تنزيهٍ. فعَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «**نُهِينَا عَنِ اتِّبَاعِ الجَنَائِزِ، وَلَمْ يُعْزَمْ عَلَيْنَا**» (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ). أما الرجال فإن اتباع الجنائز في حقهم مُستَحَبٌ.

١٨- إنزال الميت في القبر: فهو خاص بالرجال يَتَوَلَّوْنَه، ولو كان الميت أنثى وذلك لأنه المعهود في عهد النبي ﷺ وجرى عليه عمل المسلمين حتى اليوم، ولأن الرجال أقوى على ذلك، ولو تَوَلَّتْه النساء لأفْضَى ذلك إلى انْكشافِ شئ من أبدانِهِنَّ أمام الرجال.

١٩- لا يجوز للمرأة أن تحْلِق رأسها بخلاف الرجل؛ لما في ذلك من المُثْلَة، ولما فيه من التشبُّه بالرجال وكل ذلك مُحرَّم.

٢٠- الوِلاية في الزواج: فليس للمرأة أن تُزوِّج امرأةً أُخْرى، ولا أن تُزَوِّج نَفْسَها، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تُزَوِّجُ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ، وَلَا تُزَوِّجُ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا**» (رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ).

٢١- في الحَج المرأةَ لا تختلفُ عن الرجل إلا في أمورٍ معدودةٍ قليلةٍ هي: أنَّها لا تَنْزِعُ شيئًا مِن لباسِها المشروع، وأنها تُقَصِّر ولا تَحْلِق، وأنها إن حاضت فلا تنتظر لِتَطُوفَ طوافَ الوَداع إذا كانت قد طَافتْ طَوافَ الإفَاضةِ. وطوافُ النساءِ حولَ البيتِ وسَعْيُهُنَّ بين الصفا والمروةِ كُلُّهُ مَشْيٌ، فلا رَمَلَ عليهِنَّ حَولَ البيتِ ولا بين الصفا والمروة وليس عليهن اضْطِبَاعٌ. والحائِضُ في الحَج تفعل كلَّ ما يفْعلُه الرجلُ عدا الطواف.

٢٢- التعدد في الزواج: فقد أباح الشرع الإسلامي للرجل أن يتزوج أربعًا دون أن يبيح للمرأة أن تتزوج بأكثر من رجل.

٢٣- ولاية أمور المسلمين: يحتم الإسلام أن تكون رئاسة الدولة العليا للرجل، وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ: «**لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً**» (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ). فالرجل هو الذي يملك مقاليد الأمور في الولايات العامة. وليس للمرأة أن تكون لها ولاية على عامة المسلمين، ومن ذلك السياسة والقضاء؛ وذلك لأسباب كثيرة تتعرض لها المرأة تعطل المسيرة الصحية لهذه المهمة، فهي تحيض كل شهر أقله خمسة أيام، ولو كانت تحيض خمسة عشرة يوما لكان الأمر أسوء حالا. وهي أيضا معرضة لمرض الحمل، ثم الولادة، ثم الرضاعة. وهذه الأشياء يخلو منها الرجل. فيصعب على المرأة تقلد الولايات العامة، فيكون من جراء ذلك الفساد.

وكذلك أن المرأة في العادة تحكم عواطفها في كل أمورها أو أغلبها، وهذا لا يصلح في مثل هذا الشأن العظيم.

٢٤- الملاعنة خاصة بالرجل دون المرأة، فللرجل أن يَشْهَد أربع شهاداتٍ على زوجته بالزنا. قال تعالي: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٦ وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٧ وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [النور: ٦-٨].

وبما أنه لم يَرِدْ نَصٌّ بخصوص قذف المرأة لزوجها بالزنا فيظل الحكم كما هو أي أنه يُطْلَب منها إحضار ما يَكْمُل به نِصاب الشهادة وإلا جُلِدت حد القذف.

والسبب في ذلك أن المرأة هي التي تحمل وبسببها تختلط الأنساب، أما الرجل فليس موضع الحمل، لكن لها أن تشهد عليه إذا وُجد الحاكم المسلم الذي يطبق الحدود، وترفع أمره للقضاء لإقامة الحد.

وإذا علمت المرأة بزنا زوجها، ولم يكن لديها البينة، وهي أربعة شهود، فإن عليها أن تنصحه وتذكره وتخوفه بالله تعالى، فإن استمر في غيِّه، فلتطلب الطلاق منه، أو تخالعه، لأنه لا خير لها في البقاء معه، ولما قد يترتب على مجامعته لها من مضرة عليها.

٢٥- وجوب استئذان الزوجة زوجها إن أرادت أن تصوم تَطَوُّعًا في حين لا يجب عليه أن يستأذنها إن أراد أن يفعل ذلك.

٢٦- لم يرسل الله تبارك وتعالى رسولًا امرأة، وذلك لأن هذا يتطلب الاختلاط بالناس، والمشقة والتعب، وتحمل ابتلاءات عظيمة ليست المرأة قادرة عليها.

٢٧- القوامة للرجل: قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾ [النساء: ٣٤].

٢٨- الميراث: ومسألة الميراث ليست فيها أي محاباة لأحد الجنسين على الآخر كما سيأتي إن شاء الله.

٢٩- لا تُنْفَى الزانية غير المُحْصَنة ويُنْفَى الزاني غير المُحْصَن.

٣٠- المرأة لا تكلف بالمساهمة في أداء الدية إلى أهل القتيل، بل يكلف به العاقلة من الرجال، وهم كلُّ مَن ارتبط بالقاتل برابطة النسب من الذكور، كالأخ والعم وابن العم، ولو كان النسب بعيدًا، وهم عصبة الرجل، فلا تتحمل المرأة تبعات القتل الخطأ والتبعات المالية المترتبة عليه تخفيفًا من الشارع عنها؛ لأن الذكور مِن العائلة هم مَن تقع على عاتقهم مسؤولية منع أفراد العائلة من القتل. فالمرأة لا شيء عليها من الدية في القتل الخطأ وشبه العمد وإن كانت غنية.

الدية: هي المال الواجب بجناية على الحرّ في نفس أو فيما دونها، وتجب في قتل الخطأ وقتل شبه العمد على العاقلة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: اقْتَتَلَتِ امْرَأَتَانِ مِنْ هُذَيْلٍ، فَرَمَتْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى بِحَجَرٍ، فَقَتَلَتْهَا وَمَا فِي بَطْنِهَا، فَاخْتَصَمُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّ دِيَةَ جَنِينِهَا غُرَّةٌ عَبْدٌ أَوْ وَلِيدَةٌ، وَقَضَى بِدِيَةِ الْمَرْأَةِ عَلَى عَاقِلَتِهَا، وَوَرَّثَهَا وَلَدَهَا وَمَنْ مَعَهُمْ.

وفي رواية عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَضَى فِي جَنِينِ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي لَحْيَانَ بِغُرَّةٍ، عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ، ثُمَّ إِنَّ المَرْأَةَ الَّتِي قَضَى لَهَا بِالْغُرَّةِ تُوُفِّيَتْ، فَقَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَنَّ مِيرَاثَهَا لِبَنِيهَا وَزَوْجِهَا، وَأَنَّ العَقْلَ عَلَى عَصَبَتِهَا. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ).

(العقل) الدية. (عصبتها) القرابة من الرجال من جهة الأب. فقَضَى على الجانيةِ دِيَةً للجنينِ الذي كانت سببًا في إسقاطِه، غُرَّةً: عَبْدًا أو أَمَةً.

(المَرْأَةَ الَّتِي قَضَى لَهَا بِالْغُرَّةِ تُوُفِّيَتْ) فالمرأة التي ماتت هي المجني عليها أم الجنين

(وَأَنَّ العَقْلَ عَلَى عَصَبَتِهَا) أي دية المتوفاة المجني عليها على عصبة الجانية. وجعل الدية على العصبة؛ لأنها لم تتعمد القتل ولو تعمدت لوجبت الدية في مالها دون عصبتها.

وعليه؛ فإنّ المرأة لا تشارك في دفع الدية، وإن كانت غنية، ولا يجب عليها شيء، ولكن إن تطوعت بالدفع مع العاقلة فلها ثواب الصدقة؛ لأنه من باب التعاون على الخير، وإغاثة الملهوف وذي الحاجة.

٣١- لا تستوى المرأة مع الرجل في الدِّية، وقد حَكى بعض أهل العلم الإجماع أن دية المرأة على النصف من دية الرجل منهم ابن المنذر وابن عبد البر وابن حزم وابن قدامة، وابن تيمية، والقرطبي، وابن رشد، وكثيرٌ غيرهم. وهو إجماعٌ صحيحٌ لم يخالفه أحد من المتقدمين ولا من المتأخرين من أهل السنة.

٣٢- العقيقة: وهي ما يُذْبح من الأنعام عند الولادة إذ يُعَقُّ عن الغُلام بشَاتَين، وعن الجاريةِ بشاةٍ واحدةٍ؛ لِصِحَّةِ الأحاديثِ بذلك، وهذا للاستحباب أو الإرشاد، وليس على سبيل الإلزام، فيجزئ العق عن الذكر بشاة واحدة، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَقَّ عَنِ الْحَسَنِ، وَالْحُسَيْنِ كَبْشًا كَبْشًا» (رَوَاهُ أَبُو دَاوُودَ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ). أي عَقَّ عن كلِّ واحدٍ منهما كبشًا واحدًا، فهذا يدل على مَشروعيَّةِ الاقْتِصارِ على ذَبْحِ كبشٍ واحدٍ عن الذَّكَرِ.

والعدد في العقيقة قد اختلف فيه أهل العلم: فذهب المالكية ومن وافقهم إلى أن الشاة الواحدة تكفي عن كل مولود ذكرًا كان أو أنثى، وإن ذبح عن الغلام شاتين فلا بأس، وإن ذبح عن الجارية شاتين فلا بأس أيضًا.

٣٣- الشهادة وفيها تفصيل كما يأتي:

أ- لا تُقْبَل شهادة النساء في القصاص والحدود كافةً كحد الشُّرْب وقطع الطريق والقتل بالرِّدة وكذلك التعزير فلا بد في كل هذه من شهادة رجلين، إلا الزنا واللواط فلا يُقْبَل فيها أقلُّ من أربعة رجالٍ لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٤]؛ فقد اشترطت الآيات أربعة رجال مسلمين لإثبات الزنا.

ب- ما يَطَّلِع عليه الرجال في الغالب كالنكاح، والإيلاء، والظهار، والرجعة، والخلع، والطلاق، والنسب، فلابد فيها من شهادة رجلين. قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ۝١ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ﴾ [الطلاق: ١-٢]. والمقصود اختصاص الشهادة على الرجعة بالذكور دون الإناث.

وقال رَسُول اللهِ ﷺ: «**لا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ، وَشَاهِدَيْ عَدْلٍ**» (رواه البيهقي والطبراني، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ). وفي رواية: «**لا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ وَشَاهِدَيْ عَدْلٍ، وَمَا كَانَ مِنْ نِكَاحٍ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَهُوَ بَاطِلٌ**» (رواه ابن حبان، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ). وهذا نص في اشتراط الذكورة في الشهادة على النكاح، وقيس على النكاح ما في معناه مما ليس بمال.

ج- المعاملات المالية كالبيع والقَرْض والإجارة والرهن والوديعة والإقرار والغَصْب والوقْف، وكذلك قتل الخطأ لأن حقًا ماليًا يترتب عليه، فيكفي في هذا كله رجلان أو رجل وامرأتان لقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

د- ما لا يطَّلِعُ عليه الرجال عادةً وتَغْلِب على النساء معرفته والاطلاع عليه فتُقْبل فيه شهادة امرأتين كعُيُوب النساء تحت ثيابهن والولادة والبَكارة والثيوبة والقرْن (انسداد مَحَل الجماع بِعَظْم) والرتق (انسداد محل الجماع بلحم) والبَرَص.

هـ- الرضاعة: وتقبل فيها شهادة امرأة واحدة عدل.

و- رؤية هلال رمضان وتُقبل فيه شهادة رجل مسلم واحدٍ عدلٍ أو شهادة مسلمةٍ واحدةٍ على السواء.

المساواة ظلم أم عدل؟

أول استعمال لهذا المبدأ حدث في شعار الثورة الفرنسية: حرية، إخاء، مساواة. حينها كان أمنية تمناها جميع من عانى من: الأنظمة الملكية الدكتاتورية، والسلطة البابوية، والاضطهاد الإقطاعي. حيث حرمت شعوب أوربا من أبسط حقوقها، التي استأثر بها جمع من المتسلطين. كان الشعار جميلا، لكن أحدا لم ينفذ إلى العمق، ليدرك ماهيته!!.

لم يسأل أحد: في أي شيء تكون المساواة؟ أمساواة بين العالم والجاهل؟ أمساواة بين المجتهد والكسول؟ أمساواة بين العامل والعاطل؟ أم مساواة بين الناس في الحقوق العامة الأساسية: كالسكن، والعمل، والتعليم، وإبداء الرأي؟

قدر من المساواة مطلوب، لا شك. هي التي لا تصلح حياة الإنسان وكرامته من دونها.

فأما المساواة المطلقة فظلم ظاهر: ظلم أن يساوى في المكافأة بين العامل والمهمل، والعالم والعامي. لكن ذلك الشعار لم يفصل، ولم يبين حدود المساواة، بل أطلق، ليبقى محل الجدل والتوهم، والاستعمال السيئ إذا لزم.

ولما أرادت الشيوعية المساواة بين الناس في ذلك: كان من نتيجتها تراجع الإنتاج، وضعف الاقتصاد. فأي شيء يغري الإنسان في العمل الجاد، إذا كان ما يُعطاه العامل المجتهد في النهاية، هو نفس ما يُعطاه المتواني في عمله؟!

ولو عدنا إلى المساواة بين الرجل والمرأة: نجد التضليل ذاته يعاد ويكرر هنا!!

فكيف يساوى مساواة مطلقة، بين اثنين مختلفين في الجنس، ولو اتفقا في النوع؟!

هذا شيء يخالف: الخلقة، والجبلة، والفطرة، والعقل، والدين!!

المرأة في شكلها، وتكوينها، وروحها، وعقلها شيء آخر غير الرجل.

والوظائف تختلف تبعا لذلك؛ ولذا نرى المرأة لا تقوى على كثير من أعمال الرجل، خاصة الشاقة منها.

ونحن نتحدث عن مساواة مطلقة. أما المقيدة، فقد تقدم أن قدرًا من المساواة مطلوب، تلك التي تكون في الحقوق العامة، التي لا تصلح حياة الإنسان وكرامته إلا بها.

وفي المساواة المطلقة انتهاك لحياة المرأة وكرامتها؛ فعندما تطالَب المرأة أن تكون رجلًا، فهذا انتهاك ظاهر لأنوثتها، الذي تعتز بها، وليس من امرأة إلا وتعتز بأنوثتها، وليس في أمانيها أن تصبح رجلا.

فالمطالبة بمساواتها المطْلَقة بالرجل لا يكون إلا بأحد أمرين:

- إما أن تترك أنوثتها، لتكون ذكرا حقيقة لا مجازا، وهذا مستحيل.
- وإما أن يترك الرجل رجولته، ليكون أنثى حقيقة لا مجازا، وهذا مستحيل أيضا، وهم لا يدعون إليه.

نعم. . هذه المساواة المطلقة تطلب من المرأة أن تكون رجلا، والدليل:

- أنها تقرر أن المرأة لها أن تعمل نفس عمل الرجل، وفي أعماله أشياء لا تطيقها المرأة، إلا أن تكون رجلا.
- أنها تقرر سلب قوامة الرجل عليها، لتكون شريكا له، وفي هذا مساواتها بالرجل.
- أنها تخرج المرأة من طبيعتها، ولا تخرج الرجل من طبيعته، لم تطلب من الرجل أن يدع عمله، واختصاصه، بل طلبت من المرأة أن تدع عملها، واختصاصها، لتتولى مهام مثل مهام الرجل، بغير فرق.

وأكبر دليل على استحالة حصول هذه المساواة بهذا المفهوم المقرر:

أن الغرب أول من دعا لمثل هذا المفهوم، منذ ما يزيد على القرنين، من حين بدء الثورة الصناعية، وإلى اليوم لم تَنَل المرأة الغربية القدر المطلوب الحسن من هذه المساواة، دع عنك المُطْلَقة منها، فعلى سبيل المثال:

أجرها على النصف والثلث من أجر الرجل، وهي تقوم بالعمل نفسه الذي يقوم به الرجل. ومثل هذا الظلم لا يوجد في كثير من البلدان، خاصة الإسلامية، التي تحصل فيها المرأة على كامل حقوقها المالية، مثل الرجل بلا فرق.

حقيقة الأمر: أن الدعوة إلى حقوق المرأة ومساواتها بالرجل لم يكن الغرض منه سوى:

- رفع قوامة الرجل عنها.
- وأن تُمنَح حريتها الجنسية، لتتمتع بجسدها وتُمَتِّع من شاءت تحت حماية القانون، ورقابته.

هذا هو الغرض. . لا غير.

ولا أدل على هذا من التركيز الشديد على مسألة الجنس، والحرية الجنسية للمرأة، في كافة المؤتمرات، وكثير من البنود والقرارات، فكثرتها ملفتة للنظر، يعطي دليلا على أن الغاية كلها تدور حول الجنس.

ولأن هذا هو الباعث للبحث في حقوق المرأة، فإن الغرب أكد ودلل على أن هذا هو هدفه وغايته؛ لما منح المرأة هذا الحق، كما هو تعبيرهم، ثم حرموها من الحقوق الأخرى، وفيها ما هو حق لها حقيقة، كمساواتها بالرجل في الأجور، وفيها ما هو من دعاواهم، كحقها في الترشح، والوزارة، والرئاسة، والقضاء، والمناصب العليا، والقيادات:

- فلو ذهبت تحصي عدد رؤساء الدول من النساء مدة قرن وزيادة، ما وجدت إلا واحدة أو اثنتين.
- أو وزيرات، ما وجدت شيئا يستحق الذكر.
- أو جنرالات حرب، وقادة عسكريين من النساء، لم تجد شيئا ذا بال.
- أو قاضيات، فأعداد لا تتناسب مع النسب النسوية.

ما وجدت إلا: سكرتيرات، عاملات نظافة، نادلات، بائعات هوى، بغايا، فتيات

دعاية وإعلان، عارضات أزياء، ممثلات، مغنيات، كانسات للطرق، عاملات في المحطات، ممرضات، حاضنات، بائعات.

كلها أعمال متدنية، ليست راقية، ولا بأعمال وعدت بها المرأة، لما نودي بمساواتها بالرجل!!.

فهل ظلمها الغرب، أو احتال عليها، أو نسي وعوده؟!

كل ذلك جائز، لكن الحقيقة أن المرأة نفسها لم تخلق لما كانوا يدعون إليه، ولو خلقت لمثل ذلك، لكسرت كل العوائق، ووصلت بكثافة نسائية إلى كل تلك المناصب التي حرمت منها، كما وصلت إلى ما دونها!!

الغرب أكبر شاهد على فساد دعوات المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة:

- شاهد بأن شعار حقوق المرأة، لن يعطي المرأة إلا الحرية الجنسية، والتخلص من قوامة أبيها الشفيق، لتكون تحت قوامة كل عشيق، وكل محتال.
- شاهد بأن المرأة لن تصل إلى ما قيل لها أنها تصل إليه: إلى المساواة بالرجل.
- شاهد أنها ستشقى، وتخسر حنان البيت والأسرة، والأولاد، والأبوين، والإخوة والأخوات، لتعيش في غربة موحشة، وحياة فردية ليس فيها أنيس.
- شاهد أنها لن تجني من الحقوق إلا: الاغتصاب، والنصب، والاحتيال، وبيع الجسد، والتقوت بالشرف.

كلمة للنساء الببغاوات:

إن كنتن تُرِدْن المساواة مع الرجل فهل تردن قلب الحقائق؟

على سبيل المثال:

١- تقوم المرأة بالذهاب إلى أهل الرجل الذي تريد الزواج منه وتخطبه، وهو يفكر في الموافقة أو عدمها.

٢- تقوم بدفع مهر للزوج.

٣- تقوم بعمل قائمة للمنقولات الزوجية ضمانا لحق الزوج.

٤- تجهز له الشقة التي يرضاها هو.

٥- تقوم بالإنفاق عليه من مأكل وملبس ومشرب.

٦- في حالة طلاقه تتضمن له نفقة المتعة وسائر النفقات.

٧- تقوم هي بدفع نفقات الأطفال.

وهكذا سائر الحقوق التي تأخذها المرأة من الرجل عليها أن تعطيه إياها.

أما بالنسبة للرجل:

يقوم بخدمة البيت من طبخ وغسل وتربية الأطفال وتجهيزهم، السهر على راحتهم، وكافة ما يتطلب من المرأة في البيت.

فهل ترضى النساء بذلك؟!

ولنبدأ أولا بالحياة العادية في المجتمع، وعلى إثرها تطلب المرأة الحقوق الأخرى إذا نجحت في البداية.

إن هؤلاء الذين يقولون اليوم بالمساواة قد ظلموا المرأة ظلمًا عظيمًا، إنهم يريدون أن يحمِّلوها ما لا تتحمل، إنهم لا يرحمون النساء، إنهم يظلمون المرأة. إن مناطحة الواقع الذي شهد بالاختلافات العظيمة بين الرجل والمرأة ستؤدي إلى الفساد والبوار، وإلى الشقاء والتعاسة. إن جريمة المساواة التي ينادون بها مخالفة للطب، للشرع، للعقل، للفطرة، للواقع.

موانع دعوى التساوي بين الرجال والنساء:

أما المناداة بالتساوي:

فقد خدعت به المرأة، لأنه لا يمكن التساوي بين الناس في كل شيء، وإلا لكان الطبيب والممرض والصيدلي في درجة واحدة، والموظفون كلهم رؤساء، ولا فرق بين الرئيس وفرَّاشه أو سائقه.

والذين ينادون بالمساواة بين الرجل والمرأة اندفعوا بدون روِيَّة وتأمل ينعقون بما لا يدركون.

وعلى هؤلاء على حد مناداتهم بالمساواة أن يساووا بين الرجل والمرأة في الحمل والولادة والحضانة، أو في حمل السلاح وخوض المعارك، وفي العواطف، وأن يساووا بين المجد والكسول، وغير ذلك من موانع المساواة الواضحة والتي لا يمكن أن تتم إلا في خيال غير العقلاء.

إن هناك فوارق واضحة جليَّة بين الرجال والنساء، لا يستطيع أحد إنكارها، فمثلا: حالة الحيض: تتأثر بها المرأة في قواها الذهنية وتعتبر حالة مرضية عند المرأة، وقد ذكر الدكتور «جب هارد» والدكتور «فيشر» أن المرأة في حالة الحيض تتأثر قواها الذهنية، وفي حالة الحمل يصاب مزاجها بالتلون وعقلها بالشرود، فتختل فيها ملكات التفكير والتأمل.

وحين وضع الكونجرس الأمريكي مشروعا لتعديل الدستور بما يكفل للمرأة المساواة الكاملة مع الرجل قامت بعض المنظمات النسائية بالاعتراض على هذا معللين ذلك بالآتي:

- إن مساواة المرأة بالرجل يلزم المرأة بالعمل، فلا تستطيع التفرغ للبيت إن شاءت.
- أن مساواة المرأة بالرجل تلغي وجوب النفقة على الرجل، بل تجعل له حقا في النفقة في مالها.
- أن مساواة المرأة بالرجل تلغي امتيازات المرأة في السجون.
- أن مساواة المرأة بالرجل تستلزم وجوب تجنيد المرأة في الجيش.

ثم لم توافق أغلب الولايات على قانون الكونجرس فتوقف التعديل.

ومن العجيب أنه بعد الاعتراضات النسائية:

- قضت المحكمة العليا أن من حق الولايات افتتاح معاهد خاصة بالبنات.
- قضت المحكمة العليا أن من حق ولاية ميتشجان منع النساء من العمل ساقيات في

الحانات. في المجر استقلت البنات عن الأسرة والأطفال بسبب استقلال المرأة في حياتها لعملها واكتفائها بالعلاقات غير الشريفة، فاضطرت الحكومة لمنح أجازة حضانة بمرتب كامل للراغبات في البقاء في البيت.

وهذا يدل على مدى التخبط الذي يعيشه الخارجون عن منهج الله تعالى، ومدى ما هم عليه من الإفراط والتفريط، إذ لم يوفقوا إلى السلوك الوسط الذي أراده الله تعالى للحياة البشرية.

ومن العجائب- والعجائب جَمَّةٌ- أن الأمر خاصٌّ بالمرأة، ومتعلقٌ بها وبحريتها وحقوقها، ومع ذلك أكثر الناعقين به من الرجال!! وأن بعض النساء المنفلتات اللاتي لم يجربن الحياة المعيشية والأخلاقية في عالم الإلحاد ينزعن برغبة جامحة إلى نبذ الحياة الإسلامية والدخول في خضم تلك الحياة العاهرة، بينما النساء اللاتي اصطلين بنار الحضارة الإلحادية وجرَّبنها ينزعن بشوق إلى الدخول في الحياة الإسلامية بعد أن سمعن- وإن كان سماعا مشوشًا- عن عدل الإسلام وحفاظه على المرأة، أو قرأن قراءة عابرة عن الإسلام ومعاملته الكريمة للمرأة.

استطلعت شبكة «سي إن إن» الأمريكية المشهورة بالتعاون مع صحيفة «يو الإسلام توداي» رأي النساء والرجال في بقاء المرأة في المنزل والرجل خارج المنزل، فأكدت ٤٨٪ من النساء بقاء المرأة في المنزل وعمل الرجل خارجه، بينما أكد ٦٠٪ من الرجال خروج المرأة للعمل، وهذا دليل على خداع الرجال للمرأة وعدم الرحمة بها، وأنهم يرغبون في أن تكِدَّ وتشقى وتعاني الحياة التعيسة ومصاعبها كما يعانيها هم تماما.

إشكالية المساواة بين الرجل والمرأة .. رؤية اقتصادية:

حينما جاء الإسلام الحنيف قبل أكثر من ١٤٠٠ سنة جاء بمشروع كامل لحل مشكلة حقوق المرأة، وأعطى الإسلام للمرأة كل حقوقها التي تتناسب مع أنوثتها البيولوجية والإنسانية، ولكن الغرب الحديث لم يعجبه ما قدم الإسلام للمرأة من حقوق، بل ظل الغرب يتهم الإسلام بأنه خطف حقوق المرأة وأعطاها للرجل بغير وجه حق. وما زالت

كل المجتمعات الإنسانية تناقش قضية حقوق المرأة التي يقال إن الرجل خطفها من المرأة منذ فجر الإنسانية.

ويبدو أن المباراة بين الإسلام والغرب اليوم حول ما يسمى المساواة بين الرجل والمرأة باتت عنيفة وشديدة، ولكن واضح ومن دون تحيز أن الحل الإسلامي هو الحل الأنسب لبناء أسرة مستقرة تتمتع بعافيتها الإنسانية الكاملة، بينما الحل الغربي هو الحل الذي أدى إلى إلغاء الأسرة في المجتمعات الغربية وأصبح الشباب لا يتطلعون إلى بناء أسر تضمهم وتحنو عليهم بل يتطلعون إلى الانعزال والفردية.

ولكن المشكلة في هذه الأيام أن الغرب يستهدف الأسرة باعتبارها عمود المجتمع الإسلامي، وتسعى وسائل الإعلام الغربية بكل قوة لضرب هذا النظام حتى تستطيع تفتيت وتفكيك المجتمع المسلم، ومن ثم الوصول إلى حدود مبادئ الدين الإسلامي وضرب قواعده وأعمدته الحصينة.

ولقد نجح الغرب في تحقيق بعض أهدافه وأحدث تصدعات وشروخًا في معمار نظام الأسر الإسلامي. إن ظاهرة الخلافات الزوجية، ثم ظاهرة الطلاق والخلع في المجتمعات الإسلامية- وهما من إفرازات مشكلة المساواة بين الرجل والمرأة- اتسعت وزادت معدلاتها بسبب ركض عدد كبير من المثقفات والمثقفين وراء الثقافة الغربية.

ويبدو من طروحات الفكر الغربي أن الوصول إلى حل نهائي لمشكلة المساواة بين الرجل والمرأة- ووليدتها مشكلات الخلافات الزوجية- لن تجد لها حلًّا البتة طالما أن هناك رجلا، وهناك امرأة.

هذا النزاع الطويل العريض عبر مختلف حقب التاريخ كان وما زال له ثمن غال دفعته البشرية من مواردها وثرواتها حتى انكفأ الجميع خلف سلسلة من المشكلات التي عصرت المجتمع وشغلته عن استثمار الوقت والجهد والمال من أجل تحقيق مزيد من التنمية والرخاء للمجتمع.

إن النظام الاقتصادي السليم يحتاج إلى نظام أسري مستقر ومنتج، ولا يحتاج إلى

أسر ضائعة أو مفككة ذات إنتاجيات منخفضة. إن الخسائر التي دفعها الاقتصاد من تصدع مئات الآلاف من الأسر في مجتمعنا الإسلامي كبيرة وكثيرة، وتحتاج إلى دراسة وحسابات حتى نقف بالضبط وبالأرقام على حجم الخسائر التي يتكبدها المجتمع جراء انهيار الأسر، وبالذات الأسر الصغيرة.

إن إنتاجية الأسر تبعثرت بين الخلافات وضاعت ثرواتها في جهود الانفصال، وأن أموالًا طائلة صرفت حتى تم الزواج، وأن أموالًا أكثر ستصرف على حل رباط الزواج، وأن أموالًا أكثر ستصرف على عقد الزواج مرة ثانية وثالثة، وأن حجمًا هائلًا من الأموال والجهود والوقت تذهب أدراج الرياح، ولو أن نسب الطلاق أو الخلع كانت في معدلاتها الطبيعية وكان المجتمع ينعم بالاستقرار لاستطاع هذا المجتمع أن يوفر المال والوقت والجهد الكثير ويسهم في بناء المجتمع بمعدلات أكبر عوضا عن الانشغال بالحروب العائلية!!

إن هذا الانشغال بالحروب العائلية في المجتمع الإسلامي سببه الغزو الثقافي الغربي، ولا عجب فإن مشكلة حقوق المرأة التي يتباكى من أجلها الغرب ما زالت مشكلة قائمة في المجتمع الغربي، بل استدارت المشكلة وانقلب السحر على الساحر من جديد وظهرت في المجتمع الغربي في شكل مطالبات بالعودة إلى نظام الأسر القديم، ولكن مع ذلك يتجه الغرب صوب المجتمعات الإسلامية ويثير الفتنة فيها ويؤجج النعرات ويطالب المرأة المسلمة بالثورة على مجتمعها لكسب حقوقها المسلوبة !!! والوقوف صفًا واحدًا ضد الرجل !!! وضد المجتمع الذكوري المغتصب!!!

إن قوام المجتمع المسلم هو الأسرة المتماسكة القوية التي تربي أجيالها على مبادئ الدين الأقوم وتحميهم من الغزو الصليبي، ويوم يفقد المجتمع الإسلامي هذا العمود، فإن المجتمع كله سيتفكك وينهار كما انهار وتحلل المجتمع الغربي وأصبح بلا روابط اجتماعية وأسرية.

إن المطلوب من علماء الاقتصاد في جامعاتنا أن يدرسوا حجم تكاليف انهيار الأسر، لأننا إذا عرفنا حجم الخسائر الاقتصادية ربما نصاب بالفزع فننهض بقوة لوضع حد الاستهانة بالصبايا والصبيان، ومطلوب من علماء الاقتصاد أيضًا أن يدرسوا أهمية

استقرار الأسر على الاقتصاد، كما أن المطلوب من علماء الاجتماع في جامعاتنا أن يبحثوا قضية حقوق المرأة ومشروعيتها ومدى انعكاسها على معدلات الطلاق والانفصال. وعلى علمائنا الاقتصاديين والاجتماعيين أن يضعوا الحلول الناجعة لهاتين المشكلتين اللتين بدأت نتائجهما تتفاقم حتى أصبحتا تتهددان تماسك المجتمع المسلم، ولا ننسى أن أصوات العقلاء بدأت ترتفع وتطالب المصلحين بضرورة التدخل لإنقاذ المجتمع من أوضاع هذه القضايا المؤسفة.

دعوة غربية غريبة:

إن دعوة مساواة الرجل بالمرأة في جميع جوانب الحياة دعوة غربية وكانت غريبة على المجتمعات الإسلامية في فترة من فترات تاريخها، ويريد دعاة التغريب وتحرير المرأة من أبناء جلدتنا الذين يتكلمون بألسنتنا أن ينقلوا تلك النار إلى داخل المجتمع المسلم، فيريدون باسم المساواة أن لا يكون للرجل سلطة على زوجته، وأن تشترك المرأة في الألعاب والدورات الرياضية، وأن تعمل المرأة الأعمال الخاصة بالرجل... وسلسلة لا تنتهي من الأعمال.

ولما أصرت المجتمعات الغربية على هذه المصادمة للفطرة، وبدأت تساوي المرأة بالرجل في كل شيء ذاقت ويلاتها ونتائجها المرة، حتى صرخ العقلاء منهم- رجالًا ونساء- وكتبَوا الكتب والرسائل التي تحذر مجتمعاتهم من الاستمرار وراء هذه المصادمة.

فهذه «جويس دافيسون» زعيمة حركة «كل نساء العالم» تقول: «هناك بعض النساء حطَّمْنَ حياتَهن الزوجية عن طريق إصرارهن على المساواة بالرجل».

وهذه «هيلين أندلين» وهي خبيرة في شؤون الأسرة الأمريكية تقول: «إن فكرة المساواة- التماثل- بين الرجل والمرأة غير عملية أو منطقية، وإنها ألحقت أضرارًا جسمية بالمرأة والأسرة والمجتمع».

ورئيسة الجمعية النسائية الفرنسية «رينيه ماري لوفاجيه» تقول أيضًا: «إن المطالبة بالمساواة الكاملة بين الرجل والمرأة تصل بهما إلى مرحلة الضياع، حيث لا يحصل

أحد من الطرفين على حقوقه». ولو رجعنا إلى لغة الأرقام التي أجريت في بلاد الغرب لطال بنا المقام[١].

إن المرأة في الغرب عندما انحرفت عن فطرتها التي فطرها الله عليها دفعت ضريبة المساواة مقابل صحتها، وأسرتها، ومجتمعها، فهل ترضى المسلمة أن يصبح حالها كحال المرأة الغربية في دعوة المساواة؟

إن المساواة بين الرجل والمرأة في الغرب أحدثت آثارها الواضحة، وقد ظهر هذا في تخلخل الأسر وانحراف الأبناء. وبعد فترات بدأت المرأة الغربية تشكو من هذه المساواة، وتحسّ بأنّها أصبحت مظلومة من كلّ ناحية، وبدأت تعيد النظر في كلّ ما يقال لها، لأنّها أحسّت بالمتاعب المتنوعة التي تمرّ بها، والمعاناة النفسية والجسمية، فبدأت المرأة الغربية تقول: (لا مساواة .. لا عدالة .. لا تكافؤ)، وبدأت تتحدّث عن همومها، وتشكو من الوظيفة، كما بدأت تستعمل المهدئات، كما أنّها أحسّت بأنّها تدفع ثمن الوظيفة، وبدأت استطلاعات الرأي تأخذ مجراها بين النساء في الغرب.

وظهرت أندية للصداع، أكثر زائريها من النساء، لأنّ من أسبابه الضوضاء والتلوّث والضغوط النفسيّة والعصبيّة والزحام والعمل والظلم والاضطهاد والملل والإحباط النفسي.

كما بدأت أمراض جديدة تظهر في الغرب مثل مرض الطفل المضروب، ووجدت ظاهرة بيع الأطفال، وهم فلذات الأكباد، إلى جانب أمراض القلب والاكتئاب النفسي بالنسبة للمرأة العاملة، وبذلك ازداد معدّل الجريمة. وبدأت المرأة الغربية بعد ذلك تستجيب لنداء الفطرة، وتطالب بأن تعود المرأة إلى وظيفتها الطبَعية فتكون رهن إشارة زوجها، وبعض النساء تركن الوظيفة، ووجدت تجمّعات نسائية تطالب بعودة المرأة إلى وظيفتها الطبَيعية، وترك الشعارات.

وبعد هذا كله: فماذا يقال عمن سوّى بين الذكر والأنثى، والذي خلقهما يقول: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾؟ [آل عمران: ٣٦].

(١) سيأتي في ذلك إن شاء الله مزيد من التفصيل في فصل: «الثمار المرة للنسوية وتحرير المرأة».

وإنك لا تتعجب أن يقع الرَّدُّ لهذا الحكم القدري من كفار! أو ملاحدة! وإنما تستغرب أن يقع هذا من بعض المنتسبين لهذا الدين، والذين يصرحون في مقالاتهم وكتاباتهم بأن هذا الحكم كان في فترة نزول الوحي يوم كانت المرأة جاهلة لم تتعلم! أما اليوم فقد تعلمت المرأة، وحصلت على أعلى الشهادات! نعوذ بالله من الخذلان!.

وهذا الكلام خطير جدًا؛ قد يكون ردّةً عن الدين؛ لأنه ردٌّ على الله تعالى، فإنه هو الذي قدر هذا الحكم، وهو الذي يعلم ما ستؤول إليه المرأة إلى يوم القيامة.

ثم إن التاريخ والواقع يكذب هذه المقولة من جهتين:

الأولى: أن تكوين المرأة النفسي والبدني (الفسيولوجي) لم يتغير منذ خلق الله تعالى أمنا حواء من ضلع أبينا آدم، وإلى أن يرث الله ومن عليها! ولم يربط الله تعالى ذلك بعلمٍ تتعلمه، أو بشهادة تحصل عليها.

والجهة الثانية لبيان خطأ هذه المقولة: أن هذا الحكم يدخل فيه أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وعلى رأسهن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وهن- بلا ريب - أعلم نساء هذه الأمة، وأتقاهن، ومع ذلك لم تعترض واحدة منهن على هذه الأحكام الشرعية التي سمِعْنَها مباشرة من زوجهن رسولِ الله ﷺ، بل قابَلْنَ ذلك بالانقياد والتسليم، والرضى والقبول، وجرى على هذا الهدي من سار على نهجهن من نساء المؤمنين إلى يومنا هذا.

المنهج الإسلامي موافقٌ للفطرة:

إن المساواة منكَرةٌ فطرةً، ومرفوضةٌ عقلًا، وباطلةٌ شرعًا.

ولقد جاء المنهج الإسلامي موافقًا للفطرة في تقسيم الوظائف وتقسيم الأنصبة بين الرجال والنساء، لا لحساب جنس منهما بذاته، ولكن لحساب هذه الحياة الإنسانية التي تقوم وتنتظم، وتستوفي خصائصها وتحقق غايتها من تعمير الإنسان للأرض، وعبادة الله بهذه العمارة عن طريق هذا التنوع بين الجنسين، والتنوع في الخصائص والوظائف الذي اقتضاه الاختلاف الفسيولوجي البحت بين الجنسين.

إن الاختلاف بين الرجل والمرأة هو اختلاف اختصاص لا اختلاف انتقاص، وإن ما بينهما من التفاضل فإنما هو لتكتمل الحياة فوق هذه الأرض، فتتوازن المتطلبات والاختصاصات، وتعمر الأرض بالتكامل والتعاون بينهما، لا بالتنافس والتسابق.

من هي؟

* استمرت علاقتها بسارتر لنصف قرن، إلى أن توفي قبلها بست سنوات.

* اختارت أن لا تتزوج أبدًا ولذا لم تسكن مع سارتر (!!!) ولم تُرزق بأطفال أبدًا، الأمر الذي منحها الفرصة لتتفوق أكاديميًا، وتنضم للحقل السياسي وتسافر وتكتب وتُدرّس، ولتحظى بأحباء من كلا الجنسين. (!!!)

* عُرِفَتْ بعلاقتها الشاذة مع فتيات قاصرات من خلال عملها كمعلمة واللاتي عرَّفتْهُن إلى سارتر.

* كتبت إحدى طالباتها السابقات وتدعى «بيانكا بينفيلد» في كتاب لها تحكي عن مذكراتها بأنها تعرضت للتحرش الجنسي من قبل أستاذتها «...».

* وفي عام ١٩٤٣ تم توقيفها عن مهنة التدريس نظرًا لاتهام طالبتها «ناتالي سوروكين» ذات السبعة عشر عامًا بإغوائها في عام ١٩٣٩.

* تحكي في كتبها علاقات جنسية متعددة مع رجال ونساء.

إنها الرائدة النسوية «سيمون دي بوفوار»

الفصل الرابع
دعاة النسوية
نماذج حية.. أقوال وأفعال

تقول البروفيسورة «كاثرين بالم فورث»: «إن لجنة المرأة في الأمم المتحدة شكَّلتها امرأة إسكندنافية كانت تؤمن بالزواج المفتوح ورَفْض الأسرة، وكانت تَعتبِر الزواجَ قيدًا، وأن الحرية الشخصية لا بد أن تكون مُطْلقة.

وإن المواثيق والاتفاقيات الدولية التي تخص المرأة والأسرة والسكان تصاغ الآن في وكالات ولجان تسيطر عليها فئات ثلاث: (الأنثوية المتطـرفة) و(أعداء الإنجـاب والسكان) و(الشاذون والشاذات جنسيًا)»[١].

وفي مقالة بعنوان: «النسوية والأسرة» كتبت «ب. لانسا» الآتي:

«إن فكرة تحرير المرأة لم تجذب إليها إلا هذه الفئات من النسوة من ضعيفات العقول، اللواتي عشن حياة عاطفية مشوهة، فجعلن من هذه الحياة سبيلًا لتشويه الواقع، فهددن بذلك ليس فقط جنس النساء كله، وإنما المجتمع بأسره. لقد عاش هؤلاء النسوة حياة زوجية محطمة، وكن أمهات غير متزوجات، ووجدن أنه يصعب عليهن الجمع بين تربية أطفالهن، والمحافظة على سياقهن المهني، وحرمت البعض منهن من دعم اقتصادي رجولي، فدفعتهن كل هذه الظروف إلى الانجذاب للنسوية، فتسببن فيما يعرف الآن بالعنوسة القهرية. هذه الحياة النكدة التي عاشت فيها هؤلاء النسوة، جعلتهن فريسة سهلة لبائعات نسوة الجندر. لقد وجدت هذه النسوة في نسوية الجندر هذه تفسيرا مقبولا وتعويضا عن المآسي والكوارث اللاتي عشنها»[٢].

---

(١) موقع الأمم المتحدة http: / /www.un.org /ar /documents /index.shtml
وانظر: كاثرين بالم فورث: ندوة حول اتفاقية السيداو، ٤ يناير ٢٠٠٠م، على هامش مؤتمر المرأة والعولمة الذي عقد بالخرطوم، حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر (دراسة إسلامية نقدية)، د.مثنى أمين الكردستاني، دار القلم للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٢٩٢.

(٢) sami119.tripod.com /shemaisrael /id29.html

وفي تغريدة له قال الدكتور خالد عمارة: «في كل مرة أسمع كلمة ناشطة اجتماعية أشعر بالشك والريبة! أشخاص فاسدون يتاجرون بشعارات المرأة والبيئة والطفل. غيسلين ماكسويل، سيدة فاحشة الثراء من هذه التجارة، هي واحدة من هؤلاء الناشطات! كانت تتاجر بعمل جمعيات حماية البيئة والكلام عن حقوق المرأة إلخ، اليوم حكمت المحكمة عليها في إنجلترا وأمريكا بالسجن لأنها كانت تتاجر بالفتيات القاصرات في الد عارة!!».

من هي جيسللين ماكسويل؟

تواجه شريكة الممول الأمريكي والمعتدي الجنسي جيفري إبستاين، ٨ تهم، بما في ذلك الاتجار بالجنس للقصر وإغراء قاصرين لا تتجاوز أعمارهم ١٤ عامًا للانخراط في أعمال جنسية غير قانونية، وقد أُدين باستدراج قاصر لممارسة الدعارة وقضى ١٨ شهرًا في السجن.

وقال «سبنسر كوفين»، المحامي المقيم في فلوريدا ويمثل إحدى الضحايا، إن المتآمرين شاركوا بشكل وثيق في مخطط لجذب الفتيات الصغيرات إلى قصر «إبستاين».

العلاقة مع جيفري إبستين:

جيسلين ماكسويل هي الطفلة التاسعة والصغرى لرجل النشر «روبرت ماكسويل»، وكانت جزءًا من أعلى الدوائر الاجتماعية في بريطانيا والولايات المتحدة.

وفي عام ٢٠١٩، تم تسليط الضوء عليها في وسائل الإعلام بعد أن اتهمت العشرات من النساء صديقَهن السابق ورفيق الحياة جيفري إبستين بالاغتصاب والاعتداء الجنسي.

وادَّعَيْن أن «ماكسويل» قد استدرجتهن إلى يدي «إبستاين» من خلال وعْدِهن بوظائف جيدة الأجر في منزل المليونير.

وزعمت بعض النساء أنها لم تعتنِ بهن؛ بل شاركت أيضًا في الإساءة والاعتداء عليهن.

هكذا كانت
الرائدة سيمون دي بوفوار

«سيمون دي بوفوار» (٩ يناير ١٩٠٨ - ١٤ أبريل ١٩٨٦) كاتبة ومفكرة فرنسية، وفيلسوفة وجودية، وناشطة سياسية، ونسوية إضافة إلى أنها منظرة اجتماعية. ورغم أنها لا تعتبر نفسها فيلسوفة إلا أن لها تأثير ملحوظ في النسوية والوجودية النسوية. كتبت «دي بوفوار» العديد من الروايات والمقالات والسير الذاتية ودراسات حول الفلسفة والسياسة وأيضًا عن القضايا الاجتماعية.

اشتهرت «سيمون دي بوفوار» برواياتها -والتي من ضمنها «المدعوة» و«المثقفون» كما اشتهرت كذلك بكتابها «الجنس الآخر» والذي كان عبارة عن تحليل مفصل حول اضطهاد المرأة وبمثابة نص تأسيسي للنسوية المعاصرة.

كانت سيمون أثناء طفولتها ملتزمة دينيًّا وقد كانت تنوي أن تكون راهبة حتى خاضت أزمة مع الديانة النصرانية في عمر الرابعة عشر مما حدا بها لتكون ملحدة بقية حياتها.

كانت «سيمون» مفكرة منذ عمر مبكر بفضل تشجيع والدها الذي كان يتباهى قائلًا: «سيمون تفكر كرجل». وبعد أن اجتازت امتحان البكالوريا في الرياضيات والفلسفة في عام ١٩٢٥ م درست «سيمون» الرياضيات في معهد سينت ماري. ودرست بعد ذلك الفلسفة في جامعة السوربون وقد كتبت أطروحتها عن «لايبنتز».

عملت «بوفوار» بدايةً مع «موريس ميرلو بونتي» و«كلود ليفي ستروس» حين كان الثلاثة ينهون متطلبات مهنة التدريس في نفس المدرسة الثانوية رغم أن «بوفوار» لم تنضم لمدرسة الأساتذة العليا إلا أنها حضرت هناك بعض الفصول للتحضير لاختبار الفلسفة، وتعد هذه المؤسسة واحدة من أعرق المؤسسات الفرنسية التعليمية، هدفها هو رفد الجمهورية الفرنسية بنمط جديد من المتعلمين يكونون قادرين على الاستقراء بصورة مغايرة للنمط المألوف.

سارتر: وخلال دراستها للفلسفة هناك قابلت بوفوار طلاب تلك المدرسة ومن بينهم «جان بول سارتر»، ومنحت هيئة التحكيم سارتر المرتبة الأولى بدلًا من «بوفوار» التي حازت على المرتبة الثانية. وقد كانت في عمر الواحد والعشرين وبذلك هي أصغر شخص يجتاز الامتحان في التعليم الفرنسي في ذلك الوقت.

عُرِفَ «جان بول سارتر» بذكائه وطوله الذي لا يتعدى الخمس أقدام (متر ونصف). ارتبط الاثنان بعلاقة في أكتوبر من عام ١٩٢٩ وطلبها سارتر للزواج منه. يومًا ما وبينما هم جالسين على مقعد خارج متحف اللوفر، طلب منها سارتر أن يوقعا عقد بينهما لمدة سنتين. وقالت بوفوار في نهاية حياتها «الزواج كان مستحيلًا. فأنا لا أملك مهرًا» ولذا، ارتبطا بعلاقة مدى الحياة(!!!).

اختارت دي بوفوار أن لا تتزوج أبدًا ولذا لم تسكن مع سارتر (!!!) ولم تُرزق بأطفال أبدًا، الأمر الذي منحها الفرصة لتتفوق أكاديميًا، وتنضم للحقل السياسي وتسافر وتكتب وتُدرّس، ولتحظى بأحباء من كلا الجنسين. (!!!)

واستمرت علاقتها بسارتر لنصف قرن، إلى أن توفي قبلها بست سنوات.

تعليم المدرسة وعلاقاتها الجنسية مع الطالبات القاصرات:

بدأت وظيفتها كمعلمة في مدرسة ثانوية في مارسيليا عام ١٩٣١ ثم انتقلت إلى «ليسي بير في روين». عُرِفَتْ بوفوار بعلاقتها الشاذة مع فتيات قاصرات من خلال عملها كمعلمة واللاتي عرَّفتْهُن إلى سارتر. وقد سببت طبيعة بعض تلك العلاقات الكثير من الجدل حول سيرتها الذاتية.

كتبت إحدى طالباتها السابقات وتدعى «بيانكا بينفيلد» في كتاب لها تحكي عن مذكراتها بأنها تعرضت للتحرش الجنسي من قبل أستاذتها «سيمون دي بوفوار». وفي عام ١٩٤٣ تم توقيف بوفوار عن مهنة التدريس نظرًا لاتهام طالبتها «ناتالي سوروكين» ذات السبعة عشر عامًا بإغوائها في عام ١٩٣٩.

رحلت سيمون عن عالمنا في ١٤ أبريل عام ١٩٨٦ عن عمر يناهز ٨٧ سنة في باريس أثر إصابتها بالالتهاب الرئوي.

يعتبر كتابها «الجنس الآخر»- الذي يسمى»إنجيل النسوية»- بمثابة نص تأسيسي للحركة النسوية الحديثة، والعجيب كيف لسيمون ديبوفوار أن تحدد للناس معالم السلوك الإنساني ومعالم السلوك الحيواني وهي التي فصلت من عملها كمدرسة في المرحلة الثانوية بسبب تحرشاتها الجنسية بطالباتها إضافة إلى ما تحكيه في كتبها ورواياتها من علاقات جنسية متعددة مع رجال ونساء بشكل أغضب بعض شركائها!

هكذا تكلمت سيمون دي بوفوار:

ماريا فاوسيه (١٩٥٥) صحفية وكاتبة هولندية، بحثت في سيرة الرائدة النِسوية الهولندية «يوكه سميت» وكتبت كتابًا عن حياتها بعنوان: يوكه سميت، سيرة نسوية (٢٠٠٨)، كما روت عن تجربتها النِسوية الشخصية في: صناديق كتب قديمة، قراءات نِسوية (٢٠١٩). وصدر لها نصّ بعنوان مختصر دوبوفوار (٢٠١٩) راجعَت فيه كتاب الجنس الآخر للفيلسوفة والكاتبة الفرنسية سيمون دي بوفوار ضمن سلسلة تُعنى بتقديم مختصرات للأعمال العالمية العملاقة. وقد ترجمته رحاب منى شاكر عن اللغة الهولندية، وأطلقت عليه بنسخته العربية عنوان هكذا تكلمت سيمون دي بوفوار.

ويمكن اعتبار هذا النص مراجعة طويلة لكتاب ضخم، غرضها التذكير بأحد أهم الأدبيات النسوية العالمية التي كُتِبت في القرن العشرين.

ونقتبس من هذا النص بعض الفقرات لعلها تسهم في إلقاء بعض الضوء على شخصية «سيمون دي بوفوار « (١٩٠٨-١٩٨٦)، مع ملاحظة أنه لا داعي لوضع علامات تعجب بعد كل فقرة، فالكلام يخالف الفطرة والعقل والعلم والدين:

«لا يولد المرء امرأة، وإنما يصبح كذلك»، هذه هي أشهر عبارة في أشهر كتاب خطته سيمون دي بوفوار بعنوان الجنس الآخر».

«وما زال يشكل الكتاب حتى يومنا هذا مرجعًا للرد على الآراء العلمية والدينية والشعبية التي تمجد الأمومة والعناية كقدَر طبيعي لحياة المرأة».

«وقد استنتجت دوبوفوار أن السلوكيات المنسوبة إلى اختلافات راسخة بين

الجنسين مبنية بالدرجة الأولى على التربية والعادات المتجذرة والتوقعات المنغرسة في النفوس والتبريرات التي يختلقها الرجال لسيطرتهم على العالم والأسلحة والنساء».

«كتبت في مقدمتها: «يظن أقل الذكور قيمة نفسه نصف إلهٍ أمام النساء».

«أفردت فقرات واضحة حول الجِماع والدعارة والإجهاض والجنس السحاقي والترهل الجسدي. أما أكبر فضيحة، فكانت في أغلب الظن جراء افتتاحها الفصل حول الأمومة بمرافعة مسهبة تطالب بقوننة الإجهاض تحت إشراف طبي مسؤول».

«لم تذكر دوبوفوار تجاربها الشخصية مع الإجهاض في الجنس الآخر، ولم تصرّح بهذا الخصوص إلا في بداية السبعينات».

«في ١٩٧٣ كتبت دوبوفوار «بيان الـ٣٤٣»، حيث طالبت ٣٤٣ امرأة فرنسية بحرية الإجهاض مُعلِنات أنهنّ أَجهضنَ من قبل».

«بعد عشرين عامًا من صدور الجنس الآخر، غدت سيمون دي بوفوار رمزًا للحركة النسائية الجديدة، وشرعت تسمي نفسها نسوية».

«كما ألقت نفسها في مغامرات جنسية بشراهة لا تقلّ عن الرجال في محيطها. بالنسبة لها لم يكن ثمة فرق كبير في الهوية بينها وبينهم، وخاصة بينها وبين الفيلسوف والكاتب «جان باول سارتر « الذي عاشت وعملت معه قرابة العشرين عامًا. كانت غير متزوجة، وليس لديها أطفال، وتمارس الحب الحر».

«لم تكن تهتم بالشؤون المنزلية أو تحضير الوجبات، فسكنت في فنادق، وأتبعت فترات محمومة من العمل المتواصل بنزهات طويلة ورحلات إلى خارج البلاد، وواظبت على تناول طعامها خارج البيت إلى درجة أن شاع عنها أنها لم تحضِّر فنجان قهوة قط».

«حكت دوبوفوار لاحقًا أنها أرادت أن تصبح راهبة حينما كانت صغيرة، فهي مهنة محترمة للفتيات الرافضات لدور المرأة- الأم في سجن الزواج الأحادي. وقد ارتادت حتى السابعة عشرة من عمرها المدرسة الكاثوليكية الداخلية، حيث تخلت عن دينها في

الرابعة عشرة، وشرعت تقرأ وتفكر بحياة تحتل فيها «الحقيقة» و«المسؤولية الشخصية» مكان الرب الجبار».

«هي تفكر كالرجل»، هذا ما قاله والدها عنها حينما كانت صغيرة جدًا».

«يُعتقد غالبًا أن سارتر هو الذي رسم حدود علاقتهما، فالرجل هو الذي يفضل عادة ألا يقيّد نفسه أو يتصرف كذلك. ولكن في حالتهما، كان الاثنان معًا يميلان أن يعتبرا نفسيهما وبعضهما أحرارًا، وبالنسبة لهما كان الزواج أحد التقاليد «البرجوازية» الكثيرة. ومع ذلك لم يعرف «سارتر» كيف يتعامل مع علاقتهما إلا من خلال طلب الزواج منها ثلاث مرات. وفي كل مرة كانت ترفض، إلى أن جاءها بعد المرة الأخيرة بفكرة بديلة. كانت دوبوفوار في الحادية والعشرين وسارتر في الرابعة والعشرين حين عقدا اتفاقهما الشهير: سوف يصبحان شريكين في الحياة من دون زواج، ويحافظان على استقلاليتهما وحريتهما بممارسة العلاقات الجنسية المفتوحة مع الآخرين.

كانت تلك العقلية نادرة في ١٩٢٩، إلا أنها انتشرت في الستينات بين شباب ما بعد الحرب الذي تحول طموحه بعد قدوم الحبوب المانعة للحمل إلى إطلاق ثورة جنسية إلى جانب الثورة الاجتماعية».

«اعتُبِر كل من دوبوفوار وسارتر أمثولتين للنساء والرجال المتأثرين بمثاليات المساواة والحرية والمواطنة العالمية. كانا يجسّدان باريس المثقفة والفنية والماتعة والأنيقة وغير التقليدية والرومانسية والمتمردة، وحيث يحصل كل شيء لأول مرة. كان أسلوب حياتهما لا يقل إلهامًا عن تعاطفهما مع الحركات التحريرية في الجزائر وفيتنام. يكثفان التواصل مع أشخاص مثيرين للاهتمام ومتجانسين فكريًا معهما، ويسافران إلى بلدان بعيدة، ويسكنان في فنادق، ويكتبان في المقاهي الباريسية، ويمارسان الجنس مع من يشتهيه القلب. كل شيء كان في غاية الجاذبية».

«وقد أدرك كثير من معجبيها شيئًا فشيئًا أن التعددية في الحب التي كانت تروِّج لها، تنطوي كذلك على أشكال خاصة من التعاسة. حيث أنهم قرأوا بِنَهَمٍ كتب سيرتها الذاتية التي نُشِرت بعد وفاتها، والتي كتبت فيها عن عُشاقها، ومن بينهم نساء صغيرات جدًا

ممن تقاسَمَتْهُن مع سارتر لفترة من الزمن، وعن الفيلسوف والمخرج «كلود لانزمان» الذي يصغرها بسبعة عشر عامًا، والذي سكنت معه في الخمسينات في منزل واحد. إذ تبين من تلك الكتب، الواحد تلو الآخر، أن التزامها المميز بسارتر ترافق بحزن وجودي لديها ولدى عشاقها وعشيقاتها على حد سواء.

كما كشف النبش في مذكراتها أنها عانت فعلًا من الغيرة وعذاب الهجران اللذين حسبت الطليعة المنادية بالحرية الجنسية أنهما صارا ينتميان للماضي».

«ولكن الأمر يقترب من الزناخة حين ينكب كثير من قرائها على سؤال ما إذا، وإلى متى، «نامت» مع سارتر، وألم يكن من الأفضل لها لو استبدلته في نهاية الأربعينات بـ«نلسون ألغرين» الذي عاشت علاقة جياشة معه. ذلك أن «ألغرين» أرادها أن تصبح زوجته وتأتي لتعيش معه في شيكاغو، إلا أنها لم تكن مستعدة لذلك».

«ورغم أن الشوق إلى ألغرين ذبح رُوحَها، إلا أن أفكارها حول الاستقلالية في علاقات الحب لم تتغير».

«تصف «دوبوفوار» الدورة الشهرية والحمل والرضاعة والأمراض المزعجة التي تترافق معها بطريقة مؤثرة، إلى درجة تجعلك تتساءل كيف بإمكان المرأة بعد كل هذا العذاب الجسدي الذي تتحمله كأنثى، أن تضع أمثولة المساواة نصب عينيها».

«بعد صدور "الجنس الآخر" ببضعة عقود جاءت عالمات الاقتصاد والاجتماع النسويات بتحليلات مفادها أن العمل المنزلي والرعاية، التي تُطالَب النساء أن يقدمنها عن حب أو واجب، هي ذات أهمية كبيرة في دوران عجلة الاقتصاد. فمن دون الدفء المنزلي والراحة والنظافة والنظام، لن يقدر رجل واحد على تكريس طاقته في العمل خارج المنزل، ولن ينمو طفل واحد ليصبح مواطنًا معافى ومسؤولًا».

ومن بني جلدتنا نماذج[١]

ارتبطت الأحزاب النسائية في الشرق على اختلاف أسمائها بعجلة الاستعمار منذ أول يوم من نشأتها وقامت بتزعم هذه الأحزاب نسوة لا يمكن تفسير نشاطهن ضد الآداب والأحكام الإسلامية إلا بإلقاء بعض الضوء على الخلفيات والبيئات التي نشأن فيها وبالتالي خرجت منهن زعيمات مقلدات للغرب بل ومنفذات لخططه في تدمير الأسرة المسلمة وانخدع بهن كثير من المسلمات وانقدن وراء دعوتهن.

أَعْمَــى يَقُــودُ بَصِيرًا لَا أَبَــا لَكُمْ قَدْ ضَلَّ مَنْ كَانَتِ الْعِمْيَانُ تَهْدِيهِ

صفية زغلول[٢]:

زوجة «الزعيم» «سعد زغلول» وابنة «مصطفى فهمي» رئيس الوزراء التركي الأصل الذي كانت سياسته تمثل الخضوع التام للاحتلال الإنجليزي وهو «أشهر صديق للإنجليز» عرفته مصر في تاريخ الاحتلال الإنجليزي من أوله إلى آخره، ولم يكن من أنصار الاحتلال فحسب بل كان من المخلصين له العاملين على تحقيق مآربه مما دفع الخديوي «عباس» إلى إقصائه عن رئاسة الوزارة سنة (١٨٩٣م) فحدثت أزمة مع كرومر انتهت بتأليف «الوزارة الطويلة» برئاسة «مصطفى فهمي» ثانية والتي حكمت مصر بالحديد والنار لمدة ثلاثة عشر عامًا خضوعًا للاحتلال الإنجليزي، وقد حرصت أن تستأثر بالزعامة السياسية فأرادت أن تفتح مجالًا جديدًا تنفرد فيه بالزعامة فكان ذلك هو مجال المرأة خاصة.

في عام ١٩٢١ قامت صفية بخلع حجابها لحظة وصولها إلى الإسكندرية مع زوجها سعد زغلول حيث كانت مُثقفة ثقافة فرنسية وكانت هي أول زوجة لزعيم سياسي عربي تظهر مع في المحافل العامة والصور دون نقاب فقد أعطاها سعد الحرية الكاملة.

(١) انظر: عودة الحجاب (١/ ١٠٥- ١٣٥)، أعلام وأقزام (١/ ١٠٥- ١٠٩)، (١/ ١٤١-١٥٣)، (١/ ٣٨٢- ٣٩٠).

(٢) هي بنت (مصطفى فهمي) وقد تسمت باسم زوجها «سعد زغلول» تشبهًا بالإفرنج في نسبة المرأة إلى زوجها.

وكان خلعها للنقاب لحظة وصولها الإسكندرية وظهورها من دونه في المحافل العامة والصور هو المرحلة الأولى لخلع النقاب عن فتيات مصر حيث طلب سعد من بعض النساء اللاتي حضرن خطابه أن يقمن بخلع النقاب وهو الذي شجع نور الهدى سلطان الشعراوي والملقبه بهدى شعراوي التي كوّنت الاتحاد النسائي أن تخلع النقاب ومن ورائها العديد من النساء.

هدى شعراوي:

هي نور الهدى بنت محمد سلطان باشا- التي تسمت فيما بعد على الطريقة الأوربية بهدى شعراوي إلحاقًا لها باسم زوجها «على باشا شعراوي» بواسطة حرم حسين باشا رشدي الفرنسية وقد اعترفت هدى شعراوي بنفسها في مواضع كثيرة من مذكراتها بفضل هذه السيدة عليها، وأبوها «محمد سلطان باشا» الذي كان يرافق جيش الاحتلال الإنجليزي في زحفه على العاصمة، والذي كان يدعو الأمة إلى استقباله وعدم مقاومته ويهيب بها علانية أن تقدم له كافة المعاونات والمساعدات، وقد سجل التاريخ فوق هذه الصفحة السوداء صفحة أخرى أشد سوادًا حينما تقدم هذا الخائن مع فريق من الكبراء بهدية من الأسلحة الفاخرة إلى قادة جيش الاحتلال شكرًا لهم على «إنقاذ البلاد».

وهكذا لم يكن عجبًا أن يفرض الاحتلال على الخديوي أن يمنح أمثال هذا الخائن عشرة آلاف من الجنيهات الذهبية اعترافًا من بريطانيا له بالجميل. ليس هذا فحسب بل لقد أنعمت عليه انجلترا بنيشان «سان ميشيل» و «سان جورج» الذي يلقب حامله بلقب «سير».

وهدى هي زوجة «علي شعراوي» باشا ابن عمتها وتلميذ عبد العزيز فهمي وغيره من أصدقاء الإنجليز والصديق الوفي للطفي السيد وأحد أعضاء «حزب الأمة» الذين أطلق عليهم «الإنجليز» اسم «الرجال المعتدلون» لأنهم حاربوا في سبيل بريطانيا «مصطفى كامل» وناوأوه ووصفوه بالرجل العنيف، وقد كان هذا الحزب المشبوه ينكر الجامعة الإسلامية ويحاربها داعيًا إلى وطنية تقوم على المصلحة المتبادلة والمنفعة المادية لا على الإسلام.

وهي أيضًا رفيقة «صفية زغلول» ابنة «مصطفى فهمي» تلقفتها جماعات تحرير المرأة في روما وأمستردام ومرسيليا واستانبول وباريس وبرلين وبروكسل وبودابست وكوبنهاجن وجنيف وحيدر أباد ونيو دلهي لتقود حركة «تحطيم المرأة المسلمة» في مصر.

وهي أيضًا تلميذة وفية لزوجة «حسين رشدي» باشا الفرنسية التي كانت «هدى» تكبرها وتفيض في ذكر مبررات إعجابها بها واتخاذها مثلها الأعلى، وكانت هذه المرأة الفرنسية الأصل التي أعدت «هدى شعراوي» إعدادًا خاصًا لمهمتها قد ألفت كتابين الأول بعنوان «حريم ومسلمات مصر» وكتاب «المطلقات» تعبر فيهما – على حد قولها– عن مدى الألم والتعاسة التي تعانيها من «أجل تعاسة المصرية وظلم الرجل لها».

وكانت هدى شعراوي تصف زوجها بأنه كان يسلبها كل حق في الحياة وذكرت من أمثلة ذلك أنها كانت لا تستطيع تدخين سيجارة لتهدئة أعصابها حتى لا يتسلل دخانها إلى حيث يجلس الرجال فيعرفوا أنه دخان سيجارة السيدة حرمه (!!!) وقالت: «إلى هذا الحد كانت التقاليد تحكم بالسجن على المرأة وكنت لا أحتمل مثل هذا العذاب ولا أطيقه».

لقاء (هدى) و (موسوليني)

قالت (هدى) في (مذكراتها): «كان من بين ما حققه مؤتمر روما الدولي أننا التقينا بالسنيور موسوليني ثلاث مرات وقد استقبلنا وصافح أعضاء المؤتمر واحدة واحدة وعندما جاء دوري وقدمت إليه كرئيسة وفد مصر عبر عن جميل عواطفه ومشاعره نحو مصر وقال إنه يراقب باهتمام حركات التحرير في مصر،.. ثم كررت رجائي الخاص بمنح المرأة الإيطالية حقوقها السياسية». (!!!)

ولما عادت هدى من مؤتمر الاتحاد النسائي الدولي المذكور كونت الاتحاد النسائي المصري سنة ١٩٢٣ ووضعت الحجر الأساسي له في إبريل ١٩٤٢ م وبطبيعة الحال عمل ذلك الاتحاد بقيادتها لتحقيق الأهداف التي حرص الاستعمار على الوصول إليها وردد نفس المبادئ التي نادى بها من قبل (مرقص فهمي) ونقلها عنه (قاسم أمين)

وفي مقدمتها تعديل قوانين الطلاق ومنع تعدد الزوجات علاوة على المطالبة للمرأة بالحقوق الاجتماعية والسياسية المزعومة التي وصلت أخيرًا إلى حد المطالبة بالمساواة في الميراث.

هدى شعراوي زعيمة ما يسمى بحركة النهضة النسائية وصلتها بالاستعمار:

رائدة «حركة النهضة النسائية» وقد التف حولها «سيزا نبراوي» سكرتيرتها ومنيرة ثابت وباحثة البادية وعصبة ممن خلعن رداء الحياء وسخرن أنفسهن لخدمة الدوائر الصليبية.

اشتد الحماس لهذه الحركة- في فترة عصيبة حرجة- وهذا التوقيت المشبوه يوحي بأن وراء الأكمة ما وراءها! - ذلك أنه في سنة ١٩١٩ هبت مصر في وجه الاستعمار ووقف الشعب بشجاعة مع عدد من المخلصين حقيقة يطالب بحقه من الحرية والحياة.

وفي تلك الظروف الصاخبة التي تتميز بالغليان والاضطراب. وفي غمرة الثورة العارمة نشطت دعوتان مريبتان متآخيتان، إحداهما استغلت ظروف الثورة لسلخ الأمة عن انتمائها وهي الدعوة إلى اللادينية تحت ستار الشعار الذي رفعته الزعامات المصطنعة «الدين لله والوطن للجميع» والأخرى: دعت إلى نسف الفضائل الإسلامية من خلال دعوتها إلى «تحرير المرأة».

في ذلك الجو العاصف انبرت هدى ورفيقاتها للدفاع عن حقوق الوطن وطرد المحتلين ولكن بماذا؟ لقد خرجن في مظاهرة ومزقن الحجاب وأحرقنه في ميدان عام، وكان هذا أعظم إسهام منهن في الثورة!! ولماذا يمزقن الحجاب؟!! وهل بتمزيق الحجاب يُطرَدُ المحتل؟!! وانظر إلى تسمية الميدان «بميدان التحرير»!! التحرر من أي شيء!! وكم ذا بمصر من المبكيات؟!

وقد كان عدد المتظاهرات يربو على الثلاثمائة، وعلى رأسهن «صفية زغلول» و«هدى شعراوي»، ومن النساء اللاتي اشتركن في تلك المظاهرة كزعيمات: حرم حنا مسيحة، حرم د. نجيب اسكندر، حرم اسكندر مسيحة، الآنسة جولييت صليب، رفائيل

بغدادي، حرم ويصا واصف، الآنسة ماري ميرهم، حرم صليب منقريوس، حرم ميخائيل لبيب، وحرم قاسم أمين.

وإذ حدث أن الجنود البريطانيين- لحاجة في نفس يعقوب- طوقوا الشوارع ساعة المظاهرة واعتدوا على بعض المتظاهرات- فقد بدا ذلك في أعين الشعب محاولة من بريطانيا لمنع المرأة المصرية من التحرر، وبذلك اكتسبت الحركة النسوية صفة البطولة الوطنية!!

وتنجلي الحقيقة أكثر إذا علمنا أنه في تلك الفترة نفسها كان أتاتورك يهدم الإسلام تحت زيف البطولة الوطنية أيضًا. لقد اعتبرت هذه البطولة مبررًا كافيًا للانقضاض على الأخلاق بل لمهاجمة أحكام الإسلام علانية، إذ ردد دعاة الإباحية قولهم: أليس الجنس اللطيف الذي أدى دوره في الثورة الوطنية بإخلاص جديرًا بأن يتساوى في كل شيء مع الجنس الخشن؟ أتريدون أن تقدم المرأة للوطن كل شيء ولا يقدم الوطن لها شيئًا؟!

ولكن الحق لم يلبث أن انكشف وإذا بالحركة النسائية في حقيقتها حركة عميلة مريبة ترتبط خارجيًا بالدوائر الاستعمارية وداخليًا بالزعماء المصطنعين. أما ارتباطها بالاستعمار- والجمعيات التبشيرية خاصة- فيؤيده خطاب هدى شعراوي الذي ألقته في مؤتمر الاتحاد النسائي الدولي بروما، وهذه مقدمته: «إنه ليسرني حقًّا أن أرى نفسي بينكن في هذه الجمعية المحترمة التي أمكن للمراة المصرية أن تجيء لتناقش في حقوقها لأول مرة في التاريخ، وأنه لما يدعوني إلى الاغتباط والفخر اختياري لإظهار تلك الرابطة بين بنات النيل وأخواتهن فى أوربا».

وتختتم خطابها قائلة: «والآن قبل أن أعود أرجو أن تسمحن لي أيتها السيدات على طلبكن بإلحاح إبداء الرغبة في إشراك المرأة المصرية في واجب «الاتحاد» الجليل ولنا عظيم الرجاء في أن نصل بفضل نصائحكن الغالية التي نعتبرها السبيل الهادي والنسج على منوالكن الذي نجد فيه خير كفيل إلى تحقيق آمالنا ورغائبنا، ونضع تحت تصرفكن أنفسنا في خدمة مبادئكن ونشر آرائكن».

وقفة مع الاتحاد النسائي:

وقد اهتمت الدوائر الأجنبية بأمر ذلك الاتحاد النسائي عند قيامه حتى أن الدكتورة (ريد) رئيسة الاتحاد النسائي الدولي حضرت بنفسها إلى مصر لتدرس عن كثب تطور الحركة النسائية ولتناصر الحركة بنفوذها في المحيط الأوربي وبتصريحاتها التي ترمي إلى المساعدة بإعطاء المرأة المصرية الحقوق السياسية المزعومة.

وبعد عشرين عامًا من تكوين هذا الاتحاد استطاع بالنفوذ الأجنبي وأذناب الاستعمار أن يمهد لعقد ما سمي بالمؤتمر النسائي العربي سنة ١٩٤٤ م وقد حضرت مندوبات عن الأقطار العربية المختلفة واتخذت فيه القرارات «المعتادة » وفي مقدمتها بالطبع:

- المطالبة بالمساواة في الحقوق السياسية مع الرجل وعلى الأخص الانتخاب.
- تقييد حق الطلاق.
- الحد من سلطة الولي أيًا كان وجعلها مماثلة لسلطة الوصي.
- تقييد تعدد الزوجات إلا بإذن من القضاء في حالة العقم أو المرض غير القابل للشفاء.

ثم في نهاية القرارات: اقتراح: تقديم طلب بواسطة رئيسة المؤتمر إلى المجمع اللغوي في القاهرة والمجامع العلمية العربية بأن تحذف نون النسوة من اللغة العربية.

هدى شعراوي والأديان:

وطالبت هدى شعراوي في المؤتمر الثاني عشر للاتحاد النسائي الدولي في مدينة استانبول (١٨ إبريل ١٩٣٥ م) بإزالة الفوارق الجنسية والدينية بين الشعوب.

وفي الخطبة التي ألقتها (هدى) بمناسبة الاحتفال بالعيد العشرين للاتحاد النسائي قالت: «ومنذ ذلك اليوم- أي يوم قبلت عضوية مصر في الاتحاد النسائي الدولي- قطعنا على أنفسنا عهدًا أن نحذو حذو أخواتنا الغربيات في النهوض بجنسنا مهما كلفنا ذلك وأن نساهم بأمانة وإخلاص في تنفيذ برامج الاتحاد النسائي الدولي الذي يشمل أغراضنا المشتركة».

لقاء (هدى) و (أتاتورك):

عقد المؤتمر النسائي الدولي الثاني عشر في استانبول في ١٨ إبريل ١٩٣٥ م وتكون من هدى شعراوي رئيسة وعضوية اثنتي عشر سيدة – وقد انتخب المؤتمر «هدى» نائبة لرئيسة الاتحاد النسائي الدولي تقول (هدى) في مذكراتها:

«وبعد انتهاء مؤتمر استانبول وصلتنا دعوة لحضور الاحتفال الذي أقامه «مصطفى كمال أتاتورك» محرر تركيا الحديثة (!!!). وفي الصالون المجاور لمكتبه وقفت المندوبات المدعوات على شكل نصف دائرة وبعد لحظات قليلة فتح الباب ودخل «أتاتورك» تحيطه هالة من الجلال والعظمة وسادنا شعور بالهيبة والإجلال،... وعندما جاء دوري تحدثت إليه مباشرة من غير ترجمان وكان المنظر فريدًا أن تقف سيدة شرقية مسلمة وكيلة عن الهيئة النسائية الدولية وتلقي كلمة باللغة التركية تعبر فيها عن إعجاب وشكر سيدات مصر بحركة التحرير التي قادها في تركيا (!!!)، وقلت: إن هذا المثل الأعلى من تركيا الشقيقة الكبرى للبلاد الإسلامية شجع كل بلاد الشرق على محاولة التحرر والمطالبة بحقوق المرأة، وقلت: إذا كان الأتراك قد اعتبروك عن جدارة أباهم وأسموك «أتاتورك» فأنا أقول إن هذا لا يكفي بل أنت بالنسبة لنا «أتاشرق» فتأثر كثيرًا بهذا الكلام الذي تفردتُ به ولم يصدر معناه عن أي رئيسة وفد، وشكرني كثيرًا في تأثر بالغ ثم رجوته في إهدائنا صورة لفخامته لنشرها في مجلة «الإجيبسيان»».

وأفعال « أتاتورك » وجرائمه في حق الإسلام أكثر من أن تحصى فليت شعري ما الذي يدعو (هدى) إلى هذا الانبهار به سوى وحدة الهدف.

قال هذا الزنديق في افتتاح البرلمان التركي عام ١٩٢٣: «نحن الآن في القرن العشرين لا نستطيع أن نسير وراء كتاب تشريع يبحث عن التين والزيتون».

لقد كانت اللعبة العالمية تقتضي اصطناع (بطل) تتراجع أمامه جيوش الحلفاء الجرارة! وتعلق الأمة الإسلامية اليائسة فيه أملها الكبير وحلمها المنشود، وفي أوج عظمته وانتفاخه ينقض على الرمق الباقي في جسم الأمة فينهشه ويجهز عليها إلى الأبد!

وتمت صناعة البطل بنجاح باهر ووقف يتحدى الحلفاء وألقى باليونان في البحر،

ولم ير الحلفاء بدًا من التفاوض معه! وكانت ثمرة المفاوضات هي الاتفاقية المعروفة باتفاقية «كيرزن» عام ١٩٢٣ ذات الشروط الأربعة:

١- إلغاء الخلافة الإسلامية نهائيًّا من تركيا.

٢- أن تقطع تركيا كل صلة مع الإسلام.

٣- أن تضمن تركيا تجميد وشل حركة جميع العناصر الإسلامية الباقية في تركيا.

٤- أن يستبدل الدستور العثماني القائم على الإسلام بدستور مدني بحت.

انطلق كمال أتاتورك يكمل عمل التحطيم الشامل الذي شرع فيه وقد قرر أنه يجب عليه أن يفصل تركيا عن ماضيها، فنصب مصطفى كمال نفسه إلهًا من دون الله يشرع للأمة كما يشاء، فلفق قانونًا فريدًا يتكون أكثره من القانون السويسري والقانون الإيطالي وغيرهما وأكمل الباقي من عنده، ومع ذلك فهو يدعي أنه كله من عنده قائلًا: «نحن لا نريد شرعًا فيه قال وقالوا ولكن شرعًا فيه قلنا ونقول».

واتخذت تركيا المتعلمة تدبيرات وإجراءات غريبة حقًّا: فقد ألغت بالعنف والإرهاب الكتابة التركية بالأحرف العربية ثم تجرأت فحرمت الأذان بالعربية، وكتبت المصحف أو ترجمته بلغتها الهجين، وحددت عدد المساجد وأقفلت كثيرًا منها أو حولته إلى ما لا يتفق وقداسته كما فعلت بجامع أيا صوفيا، وألغت وزارة الأوقاف. وفرضت بقوة السلاح المسخ الفكري وحتى المظهري على الأمة لا سيما معركة القبعة الأوروبية التي سالت لأجلها الدماء، وألغت الأعياد الإسلامية، وحطمت بصورة استبدادية مظاهر الحشمة والحياء الإسلاميين، فأكرهت النساء على تقليد المرأة الغربية في كل شيء.

وفعلت ما لم تفعله الدول اللادينية في الغرب بثوراتها المعروفة حيث لم تتدخل في حروف الأناجيل وزِيِّ رجال الدين وطقوسهم الخاصة ولم تلغ الكنائس.

والحقيقة المرة أن مصطفى كمال قد خلق نموذجًا صارخًا للحكام في العالم الإسلامي، وكان لأسلوبه الاستبدادي الفذ أثره في سياسات من جاء بعده منهم، كما أنه أعطى الاستعمار الغربي مبررا كافيًا للقضاء على الإسلام، فإن فرنسا مثلًا بررت

تنصير بلاد المغرب العربي وفرنجتها بأنه لا يجب عليها أن تحافظ على الإسلام أكثر من الأتراك المسلمين أنفسهم!!

درية شفيق.. المرأة الغامضة:

رحلت وحدها- بمجرد تخرجها- إلى فرنسا لتحصل على الدكتوراة ثم تعود لتشكل حزب (بنت النيل)، ففي سنة ١٩٤٩ فوجئ الشعب بإنشاء حزب نسائي جديد ترأسه المرأة الغامضة. ولم يمض قليل حتى أصدر ذلك الحزب الناشئ ثلاث مجلات تطبع في حجم كبير وعلى ورق مصقول، اثنتان منها باللغة العربية والثالثة باللغة الفرنسية عدا المطابع المجهزة، والسيارات الفاخرة.

وأخذ الناس يتساءلون عن موارد السيدة الغامضة، ومن أين لها هذا، ولكنها لم تمهلهم حتى أمطرتهم بوابل من القذائف الرائشة على الدين والأخلاق، لتشغلهم عن نفسها بالأخذ والرد والجذب والشد.

ثم رحلت إلى إنجلترا حيث قوبِلَت بحفاوة بالغة قيل إنه لم يَنَلْ مثلَها كثيرٌ من رؤساء الدول وزعمائها ورحبت بها الصحف البريطانية بدون استثناء ونشرت عنها الأحاديث العديدة التي تصورها بصورة الداعية الكبرى إلى تحرير المرأة المصرية من أغلال الإسلام وتقاليده، أغلال الحجاب والطلاق وتعدد الزوجات.

وعادت إلى مصر فاجتهدت في أن تدرس بالجامعة، ولكن الجامعة وقفت دون رغبتها، وبدأ يزداد الغموض في حياتها، فمن شقة متواضعة إلى شقة مترفة وأثاث ورياش إلى ظهور في المجتمعات والحفلات إلى رحلات متعددة بين مصر وأوربا.

وعظم نشاطها وتوفرت لها أسباب الحماية والحرية وتهيأت لها عوامل النشر والإذاعة حتى لقد حيل بين أهل الرأي ودعاة الدين وحماته وبين الرد على دعوتها التي وصفتها هي نفسها بأنها تريد للمرأة (حقًا في الحرية الحرة المطلقة من كل قيد).

وبلغ التوتر مبلغه ونهض علماء الدين ودعاة الفضيلة والأخلاق على قلب رجل واحد يجابهون الاستعمار في شخص هذه المرأة أمام أعظم حصن من حصون الإسلام وهو الأسرة المسلمة ووقف الاستعمار بأمواله ونفوذه، وانكشف بعض المستور حين

قدمت إحدى عضوات مجلس إدارة الحزب استقالة مسببة ما لبثت أن قَبِلَتْها الرئيسة دون عَرْضِها على مجلس الإدارة.

وكم كانت الدهشة كبيرة حين عُلِمَ أنه قد حِيلَ بين كثير من الصحف وبين نشر سبب الاستقالة، حتى فوجئ الشعب بأن السبب هو أن السفارة الإنجليزية والسفارة الأمريكية تمدان الحزب بألفين من الجنيهات سنويًا عدا الورق المصقول وغيره، فضلًا عن تقديم المشورة والتوجيه.

فقد اعترفت السيدة المستقيلة بفساد الأصول التي يقوم عليها مجتمع نسائي كهذا، وقالت: «وإني لا أدري الحكمة من اشتراك الرجال في حزب نسائي، لذلك أقدم استقالتي»، وقد كان الكثيرون منهم من الشباب ومن الشباب الأعزب بالذات.

وفي إبريل سنة (١٩٥١ م) عقد مؤتمر نسائي دولي في أثينا حضرته هذه المرأة ممثلة المرأة المصرية زورًا وبهتانًا وقد كان المؤتمر مؤامرة استعمارية بعيدة المدى كما يبدو من أحد قراراته التي أيدتها «درية شفيق» فيما يتعلق بإقرار «سياسة التسليح الدفاعي» مما كان من شأنه تأييد الاحتلال البريطاني لمصر ولذلك صفقت المندوبة البريطانية تصفيقًا حارًا لذلك القرار.

«درية شفيق»، ومثلها الأعلى:

وتجهر « درية شفيق » بالدعوة إلى التبعية المطلقة للغرب ولبريطانيا التي كانت تحتل مصر آنذاك على وجه الخصوص فتقول: «وبالرغم من أن ثقافة معظم المصريين المتعلمين متأثرة أشد التأثر بالثقافة الفرنسية وبالرغم من أن كثيرًا من مظاهر حياتنا الاجتماعية منقولة عن مظاهر الحياة الفرنسية الاجتماعية فإنا لا نجد في ظروفنا الحاضرة مثلًا أرفع من مثل الإنجليزية المثالية التي نرجو أن نخطو في نشاطنا النسائي على نهجها وهداها.

... وقد تأثرت المرأة الإنجليزية في ذلك كله بملكة إنجلترا، ونحن بذلك نضرب المثل بخير مثل وهو جلالة ملكة بريطانيا.

فلنأخذ القدوة من أهل القدوة وليكن في السيدة الإنجليزية وعلى رأسها ملكة إنجلترا مثالًا لنا في كفاحنا من أجل السيدة المصرية ونصيبها في الحياة».

انتحارها:

قال مصطفى أمين الذي كان جارًا لها أنها بعد طلاقها من زوجها «ذهلت درية في وحدتها: أنصارها تخلوا عنها، صديقاتها انقطَعْن عن زيارتها، والصحف منعت من ذكر اسمها حتى وهي تذكر القرار بمنح المرأة المصرية حق الانتخاب ودخول نائبات في البرلمان وتعيين وزيرة في الوزارة، نسي الناس اقتحامها البرلمان سنة ١٩٥١ مطالبة بحق المرأة في الانتخاب، ونسَوْا أنها فقدت حريتها وصحفها ومالها وزوجها لأنها طالبت بمزيد من الديمقراطية. (!!!)

وبقيت درية شفيق شبه مسجونة في شقتها في الدور السادس بعمارة وديع سعد طوال ١٨ عامًا، لا تزور أحدًا ولا يزورها أحد! وكنتُ أراها من وقت لآخر في مصعد العمارة- لأنها كانت جارتي- بلا زينة ولا طلاء، في فستان قديم، وقد كانت قبل ذلك ملكةً للجمال وملكةً للأناقة، وجهها شاحب، عيناها تبكيان بلا دموع، شفتاها ترتعشان بلا نطق، قلبها ينزف بلا دم، روحها تصرخ بلا صوت، كانت هذه المرأة أشبه بالشبح، امرأة ميتة تمشي خرساء برغمها ...

وبعد ظهر يوم ٢٠ أيلول (سبتمبر) ١٩٧٥ عدتُ إلى بيتي بعد أن تناولت الغداء في أحد الفنادق، وفي ردهة العمارة رأيت جمعًا من الناس يلتف حول ملاءة بيضاء، وسألت: ماذا حدث؟ قالوا: إن سيدة ألقت بنفسها من شرفة الطابق السادس.

ورفعتُ الملاءة البيضاء ووجدت جثة جارتي «درية شفيق»!»[1].

انتهى كلام مصطفى أمين؛ وفيه عبرة وموعظة لما يعيشه هؤلاء من تناقض وصراع نفسي بين ما يعرفونه من دين الإسلام، وبين ما يشتهونه... قد يؤدي ببعضهم إلى (الانتحار)- عياذًا بالله- أسأل الله أن يتوفانا مسلمين، وأن يجنبنا حال دعاة الفساد.

(١) انظر: الأخبار ١٢ / ٤ / ٨٦، شخصيات لا تنسى (ص ٢٥٧ وما بعدها)، ونقله عنه صاحب «لماذا انتحر هؤلاء» (ص ١١٣-١١٨).

أمينة السعيد وعداؤها لكل ما يمت إلى الإسلام بصلة:

كانت ترأس تحرير مجلة (حواء)، ومن خلالها كانت تحرض نساءنا على النشوز وفتياتنا على التهتك والانحلال. وهي المرأة التي أزعجتها ظاهرة (عودة الحجاب) إلى المجتمع المصري فجردت قلمها المسموم لتواجه هذه الظاهرة (المقلقة) ووصفت الحجاب بأنه (كفن ككفن الموتى).

فقد كانت تهاجم الحجاب الإسلامي بكل جرأة إذ كانت لا تألو جهدًا في الصد عن سبيل الله والاستهزاء من شرعه ﷻ حتى وصل بها الأمر إلى أن قالت: «كيف نخضع لفقهاء أربعة ولدوا في عصر الظلام ولدينا الميثاق؟»- تقصد ميثاق عبد الناصر الذي يدعو فيه إلى الاشتراكية- وقالت: «إنني لا أطمئن على حقوق المرأة إلا إذا تساوت مع الرجل في الميراث».

ومن مخازيها مناصرتها لتغريد عنبر في قولها عن القرآن في ست حلقات متتالية، بدأت بالعدد ٢١٧٢ من المصور الصادر في ٧ صفر ١٣٨٦ (٢٧/ ٥/ ١٩٦٦ م) واستمرت حتى انتهت في العدد ٢١٧٧ الصادر في ١٢ ربيع الأول ١٣٨٦ (١/ ٧/ ١٩٦٦ م).

زَعَمت «تغريد عنبر»- في رسالتها التي تقدمت بها إلى كلية آداب جامعة الأسكندرية- أن رسول الله ﷺ كان يُغيِّر ويُبَدِّلُ في القَصَصِ القرآنيِّ، وأن النصَّ القرآنيَّ لم يتعرَّضْ للتغيير والتبديل على يدِ رسولِ الله وحدَه، بل تَعَرَّض لهذا التغيير والتبديل على أيدِي الصحابة، ولَـمَّا طالَبَ الدكتور محمد محمد حسين الجامعةَ بالتوقُّفِ عن مَنْحِ الدرجة واستجابت الجامعة، شَنَّعَ أعوان الشرِّ على الدكتور محمد محمد حسين، وتولَّى كِبْرَ هذه الحملة مجلة «المصوِّر» التي يُشرف عليها محمود أمين العالم، وتزَّعَمَت الحملةَ «أمينة السعيد» بمقالاتها في «مجلة المصور».

نوال السعداوي:

تخرجت نوال من كلية الطب جامعة القاهرة في ديسمبر عام ١٩٥٥ وحصلت على بكالوريوس الطب والجراحة وتخصصت في مجال الأمراض الصدرية وعملت كطبيبة امتياز بالقصر العيني، تزوجت في نفس العام من أحمد حلمي زميل دراستها في الكلية. لم

يستمر الزواج لفترة طويلة فانتهى بعدها بعامين. وعندما سُئلت عنه في إحدى حواراتها قالت:

«زوجي الأول كان عظيمًا، زميلي في كلية الطب. كان رائعًا، والد ابنتي. لم يرد والدي مني أن أتزوجه لأنه غادر إلى السويس لمحاربة البريطانيين. لكن بعد ذلك تم خيانة المقاتلين، والكثير منهم تم حبسه. هذه الأزمة كسرته وأصبح مدمنًا. وأُخْبِرْتُ أنني لو تزوجتُه، قد يوقف إدمانَه، لكنه لم يفعل. حاول قَتْلي، لذا تركتُه».

تزوجت مرة ثانية من رجل قانون ولم يستمر هذا الزواج أيضا.

ثم قابلت زوجها الثالث الطبيب والروائي الماركسي شريف حتاتة الذي كان يشاركها العمل في الوزارة. تزوجا في عام ١٩٦٤ وأنجبا ولدًا وبنتًا، ولكن انتهى الزواج بطلاق بعد ٤٣ عاما معا. وقالت عنه:

«الزوج الثالث هو شريف حتاته، والد ابني، كان رجلا حرًا جدًا، ماركسي تم سجنه. عشت معه ٤٣ عامًا، وأخبرت الجميع: هذا هو الرجل «النسوي» الوحيد على وجه الأرض. ثم بعد ذلك اضطررت للطلاق أيضًا. كان كاذبًا. كان على علاقة بامرأة أخرى. تعقيد الشخصية ذات الطابع الأبوي. ألف كتبًا عن المساواة بين الجنسين ثم خان زوجته. أنا متأكدة أن ٩٥٪ من الرجال هكذا». (!!!)

من أشهر أقوالها:

- الدين هو تجسيد للعنصرية. كل الآلهة غيورون. يقتل الناس لأنهم لا يصلّون إلى الإله الصحيح.
- تقبيل الحجر الأسود والطواف حول الكعبة أفعال وثنية.
- المرأة مقهورة في جميع الأديان.
- كل نظام سياسي يفسر الدين كما يشاء.
- طالبَتْ بإلغاء التعليم الديني في المدارس.

- ترى أن نظام الميراث الإسلامي ظلم كبير للمرأة وتطالب بمساواة ميراث الرجل والمرأة.

- ترى أن الحجاب والنقاب من صور العبودية وضد الأخلاق والأمن، وأن الحجاب لا يعبر عن الأخلاق.

- تعارض تعدد الزوجات.

- لا ترى المثلية الجنسية كشيء محرم فقالت إن الجنس عادة وتعوُّد والمثلية لها أسبابها، ولا بد أن تكون هناك حرية، فالمجتمع والدين لا دخل لهم بالجنس.

- وقالت إن العلاقات الجنسية شخصية.

مؤسسة بالكامل لإعلان الحرب على ثوابت الإسلام:

أسست د. نوال السعداوي جمعية «تضامن المرأة العربية» وكان شعار «رفع الحجاب عن العقل» يكتب على أغلفة مطبوعاتها، وكانت معركة الخطاب النسوي مع الحجاب شرسة باعتباره رمز القهر الذكوري الديني الرجعي.. إلخ.

وكثير من هذه التجمعات النسوية في مصر، انفضح أمرها في غمرة جهادها التحرري! وتكشف أبعاد دورها عندما كشف النقاب عن «نَفَق الدولارات» الذي ينساب في جيوب المتنفذات من زعماء تحرير المرأة، على النحو الذي تكشّفت فيه فضيحة نوال السعداوي وتلقيها أموالًا من مؤسسة «فورد فَوِنْديشَن» الأمريكية وغيرها من المؤسسات الإنجليزية والهولندية[1].

ولنوال السعداوي عدد من المؤلفات تكشف عن هويتها، من هذه المؤلفات: «المرأة والجنس» و«الأنثى هي الأصل»، و«الوجه العاري»، و«معركة جديدة في قضية المرأة»، و«المرأة والصراع النفسي» و«مذكرات طبيبة»، و«سقوط الإمام».

أما عداؤها للدين فإنه واضح، وهي لا تُخفيه بل يظهر جليًا في كتبها:

١ - فالدين - عندها - صناعة إنسانية، ومنتج تاريخي، والدين ينتمي للماضي وليس

(١) ثقافة الضرار، لجمال سلطان (ص ٧٢ - ٧٣).

للحاضر أو المستقبل وهو بالضرورة أداة قهر. والدين يجب أن يخضع للهوى، فيتغير بتغير الظروف، لا بالتجديد والاجتهاد وضبط التوازن بين المطلق (الوحي) والنسبي (الواقع) بل بإخضاع المطلق للنسبي، الوحي للمادة، وإلا كان الدين ظلاميًا رجعيًا وأداة للظلم والقهر.

٢- والدين جزء من المجتمع وهو نتاج من نتاجات المجتمع البشري فكرًا وممارسة، وكأنه لا ثوابت ولا قيم ثابتة بل أديان صناعة محلية.. وحسب!!.

٣- والدين هو خادم السياسة يتم فقط توظيفه وهو حليف الرأسمالية البغيضة المستغلة وأداة لاستغلالها، والاقتصاد هو الذي يحدد مسار التاريخ وليس الدين.

٤- وأن رجال الدين خضعوا للسلطة السياسية والاقتصادية على مرّ العصور، وإن عليهم أن يعتذروا عن الجرائم التي اقترفوها في حق الناس والنساء كما اعتذرت الكنيسة الكاثوليكية.

٥- أن الدين حليف الرجعية، ويجب فصله عن حياة النساء ليتحقق التقدم.

والطريف أنها حين تشير إلى الإسلام تشير إليه إشارات أقل ما توصف به أنها مقتضبة، والطريف أنها جلها مغلوطة، ومليئة بالأخطاء المضحكة فهي لا تعرف الفرق بين الآية القرآنية والحديث النبوي الشريف، فتقول في كتابها «المرأة والدين والأخلاق» (ص ٣٧): «يقول الله في القرآن: لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى»، وهو حديث وليس آية.

الإبداع السعداوي.. المشكلة في الإله كونه الإله الذكر الواحد أصل الوجود:

انظر إلى التشوش في تصورها للإله، وهو تشوش قد يكون مقبولًا من «ماركس» أو «إنجلز» لأنهما لم يعرفا عن الإسلام شيئًا، أما أن تضع نوال السعداوي كل العقائد في سلة واحدة سواء كانت عقائد عن (إله) أو (آلهة)، وترى أن المشكلة في الإله كونه الإله الذكر الواحد أصل الوجود؛ لأن الإلهة الأنثى هي الأصل!!، لذا فهي تحتفي بالعقائد الوثنية الفرعونية؛ لأنها كان بها آلهة إناث وكانت لهن مكانة عالية، تعلو أحيانا على الآلهة الذكور.

فالمشكلة الحقيقية بين نوال السعداوي والله تعالى أنه ذكر!!! في حين أنها تريد الله الأنثى؟؟ وحتى تجد الإلهة الأنثى تنفق وقتها في قراءة كتب الأساطير الفرعونية وكتب التاريخ الفرعوني وتخلط بينهما وتتحمل عناء البحث.. أما قراءة القرآن الذي تشير له لمامًا أو الأحاديث فلا، بل حتى لا تعرف الفرق بينهما.

كيف تجهل نوال السعداوي رغم سنوات العمر الطويلة أن الله في الإسلام ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وأنه ليس ذكرًا ولا أنثى وأن هذا هو جوهر التوحيد في الإسلام، والذي يميزه عن أية عقيدة أخرى، يميزه عن تجسد الإله في المسيح الذكر في التراث المسيحي المحرَّف، ويميزه عن الإله في التصور اليهودي، ويميزه عن الإله بالمرة في بعض مذاهب البوذية، وكذا غياب اليوم الآخر.

وفي كتب مقارنة الأديان كلام طويل حول اختلاف تصورات الإله في الأديان والملل المختلفة، لكن آثار الماركسية من إنكار الألوهية، ونزعة التمركز حول الأنثى التي تمثل نوال السعداوي نموذجًا مثاليًا لها تحجب كل هذا عن عقل نوال السعداوي؛ لأن الدين ليس فقط منفيًّا من عقلها كمصدر للمعرفة بل كموضوع لمجرد المعرفة.

* وتفتري الكذب فتزعم أن نبي الله موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قد قرأ فلسفة إخناتون ونفرتيتي وتأثر بهما ونقل عنهما، وتزعم أن ذلك أمر طبيعي؛ لأن كل نبي أو زعيم سياسي لا يبدأ من فراغ أو من الصفر، ولكنه يبني أفكاره على أفكار من سبقوه ويزيد عليها، أو يطوّرها إلى الأفضل أو إلى الأسوأ حسب المرحلة التاريخية التي يمر بها الشعب في ذلك الوقت. فمن الواضح أن نوال السعداوي تقرأ «عن» الإسلام، ولا تقرأ «في» الإسلام.

وتمدح إبليس وتسب الله تعالى وأنبياءه:

تقول في مقدمة كتابها «الإله يقدم استقالته فى اجتماع القمة»؟ (ص: ١١) إنها رأت في شخصية إبليس جوانب إيجابية لأنه كان أكثر الملائكة توحيدًا لله، فهو الوحيد الذي رفض أن يركع لغير الله، واعترض على أمر الله له بالركوع لآدم». (الركوع وليس السجود كما في القرآن الكريم!!!).

تمدح الشيطان في مقدمة ذلك الكتاب الذي هو عبارة عن مسرحية مكتوبة، خطتها

يدُها الآثمة وضمنتها هجومًا صريحًا على الذات الإلهية، وسخرية من الله تعالى واتهامه بالظلم وأنه لا يستحق أن يكون إلهًا تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا، وسخرية من الأنبياء أولي العزم من الرسل: إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم وجميع الأنبياء الصلاة والسلام.

أعجب والله من جرأتها على الله ورسله، لها من الله ما تستحقه.

نوال السعداوي والتمركز حول الأنثى:

تنطلق نوال السعداوي في تفكيرها من فكرة المرأة الفرد لا من فكرة الإنسان في إطار جماعة اجتماعية بينها ترابطات من الحقوق والواجبات المتبادلة، وهي تصوغ حقوق المرأة بشكل بالغ التطرف ومثير للسخرية ومسلمات أسطورية مفزعة وصار الأمر عندها محاربة كل المحاربة لأنصار الأبوية الذكورية المستبدة المعادية... إلخ.

وهي تريد الاستغناء النسوي عن الرجال جنسًا واجتماعًا وإنجابًا وهي تريد أن نحمل نسب أمهاتنا لا آبائنا «مساواة!»، ثم لماذا لا نجمع بين زوجين؟.

وهي تعلن أن الأسرة غير مقدسة وأن المرأة لن تعود بعد أن تحررت بالاستقلال الاقتصادي «لحظيرة» الأمومة والدين والأخلاق ولا لحظيرة البيت فهي في بيت زوجها أجيرة، وفي بيت أبيها عالة.. والأسرة مؤسسة قهر... إلخ إلخ.

مقتطفات من حوار نوال السعداوى مع «المصرى اليوم»[١]

* جميع الأديان تقهر المرأة، وأخطر الأديان قهرا للمرأة هو اليهودية وورثت المسيحية عنها ذلك ومن بعدها الإسلام.

* كنت أدرِّس الإبداع والتمرد وقضايا المرأة.

* ثقافة مجتمعاتنا وتعليمنا بالأساس قائمان على الثنائيات والازدواجيات التى أرى أنها متغلغلة فى كل شىء فى الأديان والسياسة والأعراف والاقتصاد والجنس ولا يمكن

(١) في ٠٢- ٠٥- ٢٠١٧.
https: / /www.almasryalyoum.com /news /details /1127570

فصل واحد من هذه العناصر عن الآخر، وهذا هو الإبداع الذى أدرسه، فالتقاليد جزء من الدين، والدين بنى على التقاليد، وجميعها نتاج اجتماعى.

* أقول للنساء فى يوم المرأة العالمى: «لا تقهرن أنفسكن ولا تلبسن الحجاب».

أروى صالح:

أبلغ ما فى حياتها لحظة موتها. اختارت النهاية وارتطم جسدها بأسفلت الشوارع، التى كانت يومًا شوارع غضب، وشوارع ثورة.

أروى صالح مناضلة شيوعية ماركسية مصرية انتهت حياتها بالانتحار.

بلغت أول وعيها السياسي في بداية السبعينيات، أعقاب حرب ١٩٦٧، ونهاية عهد عبد الناصر وبداية عهد أنور السادات.

كانت عضوة في اللجنة المركزية لحزب العمال الشيوعي المصري الماركسي اللينيني، أكبر جماعة ماركسية في ذلك العقد، وسرعان ما ذاع صيتها بين مشرفيها، ورفقائها، ككادر شاب مُتَّقِد وموهوب.

انتمت لجيل السبعينات، أو ما عرف بجيل الحركة الطلابية، ذلك الجيل الذي أشعل المظاهرات في جامعات مصر تأثُّرًا بحركة الطلاب الفرنسية في ١٩٦٨. لم يقتصر نضال «أروى» على العمل العام فقد ترجمت كتاب (نقد الحركة النسوانية) لتوني كليف ذلك الكتاب الذي لا زال يستخدم كمصدر هام لنقد الحركة النسوية الغربية بعد تحليل جذورها وأسباب نموها وانتشارها في أمريكا وبريطانيا وفرنسا والدول الأوربية الأخرى.

كما قدمت كتاب (المبتسرون)، ذلك الكتاب الذي فجر ضجة كبيرة في وسط المثقفين اليساريين في مصر لأن الكتاب امتلك جرأة وقدرة على التحليل لحركة جيل السبعينات والذي كان في أوج صعوده في مختلف المجالات.

مقتطفات من كتاب المبتسرون:

«إن الفتاة التي تُواعِد مثقَّفًا لا تُمَنِّي نفسها بنزهة فاخرة إنما تتوجه إلى مقهى كئيب

يسقيها فيها شايًا مغليا مُرًّا ويبيعها أحلاما تقدمية لا تكلفه سوى أرخص بضاعته.. الكلام.. كلام لم يعد يعرف هو نفسه أين استقر موقعه الأخير من روحه.

وتتطلع هذه الفتاة البرجوازية الصغيرة إلى عدالة حيث تحاصرها كل صنوف القهر وأحيانا المهانة.. أو تكون فتاة برجوازية تجرب التمرد. ويتكلم المثقف عن أشياء كثيرة أهمها الحب الحر الذي لا يحتاج أموالًا لممارسته ولا مسئوليات لذلك يندفع فيه المثقف بثبات يعوزه أحيانا في مواقف لا تقل أهمية.

ولكن المسئولية الشخصية كما يتضح في آخر القصة- القصيرة غالبا- يتحملها طرف واحد هو المرأة فتديُّنها بيقين جلسات المثقفين الخاصة لتحولها في أحكامهم إلى (عاهرة) ...أما مسئوليته هو تتمخض في النهاية عن إنجاز آخر لفحولته، فيتيه برجولته... إنه رومانسي حين يحلم بالمرأة، كما أنها تتجلى أحيانا في أعماله الأدبية آلهة صغيرة تمسح الجراح وتعوض عن الهزائم والخيبات وتحتضن وتعطي الأمان المفقود. فضلا عن أنها جميلة رغم ذلك هي في واقعهم إما عاهرة أو امرأة خرقاء».

تناقض دعاة النسوية

يقول سليمان بن صالح الخراشي:

حدثني أحد الإخوة أن إحدى الكاتبات الداعيات إلى تغريب المرأة المسلمة في بلادنا متزوجة من أحد الأطباء النفسيين، فكانت إذا اتصلت به إحدى النساء تطلب رأيه أو استشارته في مشكلة ما ترفض هذه الكاتبة أن تسمح برد زوجها على النساء مباشرة إنما تكون وسيطًا بينهما! كالمترجم!

حدثني بهذا الخبر الموثق- لأن بينه وبين الكاتبة نسبًا- وهو متعجب من هذا التناقض بين الفكرة والواقع الذي يعيشه هؤلاء.

فقلت له: لا تعجب! فبعض المنحرفين يعلم خطأ ما يقوم به أو يدعو إليه، ولكنه ينساق مع شهوته- والعياذ بالله-.

فتجده يرضى للآخرين ما لايرضاه لنفسه أو لأهله وأحبابه.

ولهذا تجد من حكمة الرسول ﷺ لما جاءه من يريد الزنا أن ذكره بهذه القضية؛ وهي أنه لا يرضى الزنا لأهله وقراباته؛ فانتهى الرجل[1].

وأضيف إلى هذا التناقض الذي يعيشه هؤلاء المفسدون هذين الخبرين اللذين رواهما شاهد عيان؛ وهو الصحفي الشهير مصطفى أمين الذي تربى منذ صغره في بيت سعد زغلول لقرابة بينهما:

الخبر الأول عن زوجة من يسمى (محرر المرأة)! قاسم أمين:

يقول مصطفى في كتابه «من واحد لعشرة» (ص ١١٩-١٢٠) متحدثًا عن واقع بيت سعد زغلول الذي كان إسلاميًا ثم انتكس وتمت صناعته صناعة (عصرية) (تنويرية)!:

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَصَحَّحَهُ مُحَقِّقُو الْمُسْنَدِ.

«كان غريبًا في تلك الأيام أن يُدعَى رجل من غير أفراد الأسرة للجلوس على مائدة واحدة مع سيدات الأسرة، ولكن الفلاح الأزهري القديم سعد زغلول كان لا يجد غضاضة في أن يجلس أصدقاؤه المقربون مع أسرته لتناول الغداء والعشاء.

وكانت هذه ظاهرة غريبة في بيت سعد زغلول! إن معاصريه ما كانوا ليسمحوا لزوجاتهم برؤية أصدقائهم، ولا يذكر أحد من أصدقاء عدلي يكن باشا أنه رأى وجه زوجته، ولا يذكر أقرب صديق لحسين رشدي باشا أنه تناول معه الغداء في حضور زوجته.. بل الأغرب من هذا كله أن قاسم أمين زعيم تحرير المرأة، كان يتردد باستمرار على بيت سعد زغلول ويتناول الغداء معه ومع صفية، ولكن زوجة قاسم أمين لم تحضر هذا الغداء الدوري مرة واحدة!

ويذكر الطفلان (أي مصطفى أمين نفسه وأخاه علي أمين) بعد وفاة قاسم أمين بعشر سنوات أن زوجته كانت تأتي بين وقت وآخر لزيارة صفية زغلول، فلا تكشف وجهها أمامهما، بل إنها إذا تناولت الغداء مع صفية، كانت تُعد لهما مائدة في غرفة أخرى، وتُناول سعدًا الطعام وحده، ذلك أن قاسم أمين الرجل الذي دعا المرأة المصرية إلى نزع الحجاب فشل في إقناع زوجته بأن تنزع حجابها، وظلت متمسكة بوضع الحجاب على وجهها.

الخبر الثاني: عن داعية شهيرة من داعيات تغريب المرأة (درية شفيق):

قال مصطفى أمين الذي كان جارًا لها في كتابه «شخصيات لا تنسى» (ص ٢٥٧ وما بعدها) ونقله عنه صاحب «لماذا انتحر هؤلاء» (ص ١١٣-١١٨):

«صدرت جريدة «الأهرام» ذات صباح، وفي صدر الصفحة الأولى صورتان كبيرتان بعرض أربعة أعمدة بعنوان «قران سعيد»، ودهش القراء، فهذه أول مرة تنشر جريدة الأهرام صورة عروسين في الصفحة الأولى، حتى خبر زواج الملك فؤاد من الملكة نازلي نشرته جريدة الأهرام الوقورة في صفحة المحليات في داخل الجريدة.

وتضاعفت دهشة القراء عندما قرأوا أن العريس هو الكاتب الشاب المحبوب أحمد الصاوي محمد، الذي يكتب باب «ما قلَّ ودلَّ» في الصفحة الأولى من الأهرام، وقد كان

الصاوي يومئذ أحد نجوم الصحافة الموهوبين وكانت كتاباته وقصصه موضع إعجاب السيدات والآنسات فقد كان ينصر المرأة، ويؤيد تعليمها، ويحيي نجاحها في جميع الميادين، وكانت العروس هي الآنسة «درية شفيق» التي تحمل شهادة في الآداب والتي حصلت على (الليسانس) من جامعة السوربون في باريس، والتي تحدث المجتمع عن جمالها ونبوغها.

ثم زاد ذهول القراء عندما قرأوا في النبأ أن حفلة عقد القران تمت في قصر السيدة «هدى شعراوي» زعيمة النهضة النسائية في مصر، وأن قيمة الصداق كانت خمسة وعشرين قرشًا مصريًا فقط!!

وكان هذا الزواج هو زواج الموسم وخاصة أن بَطَلَيْه كانا من أنصار المطالبة بحقوق المرأة، وتم عقد الزواج بسرية تامة، ولم يتسرب النبأ أو الإشاعة إلى جريدة أو مجلة، وانفردت الأهرام وحدها بنشر الخبر الخطير.

ولكن الزواج الذي أحدث ضجة كبرى لم يستمر، بل حدث الطلاق قبل الزفاف، فقد كان أحمد الصاوي أوروبيًا من الخارج وصعيديًا من الداخل (يعني مسلمًا!!)، ولد في مدينة أسوان وتعلم في باريس، فهو متحرر في كتابته ومحافظ في بيته، وكانت درية شفيق متأثرة بدراستها في السوربون، تطالب للمرأة المصرية بكل حقوق المرأة الفرنسية، تريدها ناخبة ونائبة ووزيرة، وكان الصاوي لا يمانع أن تكون كل امرأة في مصر وزيرة وسفيرة ما عدا زوجته هو فإن مكانها في البيت!

وتم الطلاق، وعندما تزوج أحمد الصاوي محمد بعد ذلك بأكثر من عشر سنوات رفض أن تُنشر صورة زوجته في الصحف، ولم تظهر حتى الآن صورة زوجة الصاوي الثانية على صفحات الصحف، بينما مضى على زواجهما أكثر من خمسة وثلاثين عامًا!![1]

(١) هل تصدق؟ (زوجة قاسم أمين تغطي وجهها! ودرية شفيق انتحرت!) سليمان بن صالح الخراشي.

لماذا أصبحنا نسويات؟

في ورقة بحثية، نشرت في أحد المواقع النسوية في ١٣ مارس ٢٠١٩[١] تحت عنوان «لماذا أصبحنا نسويات؟ حكايات وتجارب النسويات، من الحيز الشخصي إلى المجال العام» يجد القارئ تسليط الضوء على الجانب الشخصي من حيوات وتجارب بعض النسويات في مصر في محاولة للكشف عن الأسباب والعوامل والسياقات التي أدت بالنتيجة إلى وصول هؤلاء النسوة إلى ذلك «الوعي النسوي»(!!!) واختيارهن بشكل واعٍ الانخراط في العمل والسعي نحو تحقيق العدالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للنساء بأشكال وأدوات مختلفة كنتيجة لذلك الوعي(!!!).

وينطلق البحث أيضًا من مفهوم «الشخصي هو العام» الذي يعد من أهم مبادئ النسوية. كما يحاول البحث استعراض وتحليل تجارب وحكايات هؤلاء النسويات للكشف عن القواسم والعوامل والسياقات المشتركة التي ساهمت في تعزيز هذا الوعي والإدراك النسوي لديهن، واختيارهن لهذا النهج مع الاحتفاظ بخصوصية تجاربهن المختلفة (!!!).

من جهة أخرى، يعد هذا البحث محاولة لتوثيق تلك الحكايات كفعل نسوي، فهذا البحث يسلط الضوء على قصص وحكايات وتجارب النساء الخاصة في مسيرتهن كنسويات، وإبراز أصواتهن الداخلية ومشاعرهن وأفكارهن ومراجعاتهن الذاتية في رحلة استكشافهن لوعيهن واختياراتهن النسوية (!!!).

منهجية البحث:

اعتمد هذا البحث بشكل أساسي على التحليل النوعي لـ ٢٢ مقابلة معمقة، تم إجراؤها مع نسويات مشتبكات مع الموجة الرابعة التي تشهدها مصر، وكانت أهم معايير الاختيار هي انتمائهن للمشهد النسوي في مصر خاصة منذ اندلاع الثورة في

(١) نظرة للدراسات النسوية، 03/ 2019/ https: / /nazra.org

يناير٢٠١١، وأنهن نساء ناشطات وفاعلات يشتبكن مع قضايا النساء في مجالات مختلفة من أكاديميات وباحثات وعاملات في منظمات المجتمع المدني وصحفيات وفنانات بالإضافة إلى العاملات في المجال السياسي. أعمارهن تتراوح بين العشرينيات والثلاثينيات ولا تتعدى الأربعين.

وقد ضمت المقابلات مجموعة من نسويات هذه الموجة اللائي انخرطن في العمل النسوي من قبل الثورة، بالإضافة إلى مجموعة من الشابات الملتحقات بركب النسوية إبان قيام الثورة.

جمعت المقابلات بين الأسئلة المعيارية والأسئلة السردية، حيث استغرقت المقابلات من نصف ساعة إلى ساعتين، وتم تسجيلها ثم تفريغها وتحليلها مع الحرص على تجهيل المقابلات من خلال استخدام أسماء مستعارة للمشاركات في البحث، بالاضافة إلى إخفاء بعض المعلومات المتعلقة بهن للحفاظ على خصوصيتهن كون أسئلة البحث لا تركز على أنشطتهن وإنجازاتهن على مستوى العمل العام، إنما تتمحور حول حياتهن وتجاربهن الشخصية.

كما تجدرالإشارة إلى أن الحكايات قد تتضمن ألفاظًا وعباراتٍ حادة، تم الإبقاء عليها حرصًا على مصداقية البحث وللحفاظ على سرد الحكايات كما هي.

تم تقسيم هذه العوامل والإشكاليات إلى ثلاثة محاور، الأول معني بسؤال الجسد وإشكاليات تواجد أجساد النساء في المجال الخاص والعام، والمحور الثاني يتناول سؤال الدين وتأثيره على حياة النساء والمجتمع بشكل عام. والمحور الثالث يتناول سؤال السياسة والانخراط في المجال العام خاصة بعد ثورة يناير ٢٠١١.

ومن هذا البحث «النسوي» (!!!) نقتبس ما يلي مع تحويل بعض الألفاظ من العامية إلى الفصحى وتجنب بعض الألفاظ التي تفوهت بها هؤلاء النسويات مما قد يخدش حياء الرجل قبل حياء المرأة:

المحور الأول: التمييز والعنف وسؤال الجسد:

١- تحكي شيرين، وهي ناشطة شابة مستقلة، مقيمة حاليًا في القاهرة، عمرها في

أواخر العشرينات ممن التحقن بالحراك النسوي بعد الثورة، وتعمل حاليًا في إحدى المنظمات النسوية- عن حوادث متفرقة من حياتها متعلقة بالعنف الجنسي (التحرش) والتمييز بينها وبين إخوتها الذكور، حيث تقوم بأعمال البيت بينما إخوتها لا يعملون شيئا لدرجة أنها كانت تبكي وتأتيها رغبة في الانتحار. وكذلك كان يؤثر فيا جدًا تنمر أخواتها عليها ووصفها بأنها دميمة وغير جميلة، وكذلك الختان الذي فهمته من كتاب «نوال السعداوي»، ثم بعد ذلك أخذت تقرأه على الطالبات.

٢- تحكي «مها» وهي ناشطة نسوية في أوائل الثلاثينات، تعمل في إحدى المنظمات النسوية- عن تجربة تعرضها للتحرش من قبل والدها، وشعورها بالخذلان كون والدتها ربما علمت بما يحدث لها هي وأخواتها الصغيرات عنها، ولكنها آثرت الصمت.

وذكرت اعتراض والدها على مبيتها خارج البيت ولبسها للملابس القصيرة أو المفتوحة، وقوله إن البنت المحترمة لا تفعل ذلك.

٣- وعلى نفس الصعيد، تحكي إيناس وهي ناشطة نسوية وقيادية في أحد الأحزاب اليسارية في منتصف الثلاثينات- عن تجربة تعرضها للعنف الجنسي من أحد الأقرباء في العائلة في سن الطفولة المبكرة في سن ٦ سنوات إلى ١٠ سنوات، وكان يتحرش بأطفال آخرين في العائلة. وكيف كانت لهذه التجربة تبعاتها العميقة على مدار نشأتها، مما أثار لديها تساؤلات حول الجسد وإشكالياته. وكانت التجربة من أهم الدوافع لاحقًا لأن تنتمي فكريًا للنسوية التي تعرفت عليها من خلال قراءاتها لكتب نوال السعداوي، التي وجدتها في مكتبة أبيها وهي في سن ١٤ سنة.

وعندما كبرت وفتحت الموضوع مع والدها وقريباتها اتهموها بأنها متحررة جنسيًا، وأنها غالبًا غير عذراء وتفعل ذلك لكي تخفي مشكلتها، وإنها وأباها من الشيوعيين وليس عندهما مبادئ اجتماعية وحرص على الحلال والحرام.

٤- وتحكي سلوى وهي ناشطة نسوية في منتصف العشرينات، وعضوة ناشطة في أحد الأحزاب اليسارية- أنه أثناء مليونية كبيرة ظل شخص ملتصقًا بها من الخلف وممسك بمؤخرتها ما لا يقل عن ساعة (!!!). ظنت في البداية أنه من الممكن أنه لا

يدري أين يضع يده من الزحام (!!!) ثم أدركت أنه كان يتحرش بها (!!!). [أدركت بعد ساعة أنه كان يتحرش بها].

وقالت إنه كانت هناك تحرشات في المظاهرات. واعتبرت أن ما حدث لها كأنه لا شيء مقارنةً بما حدث لبنات كثيرات، خاصة أنها ترى نفسها قوية ولا تخاف ولا تسكت ولا تستحي، وأن أهلها متحررون وسيتقبلون لو قالت إنها تعرضت لتحرش.

٥- على عكس ظروف نشأة سمية المتحررة، فإن سهى وهي ناشطة نسوية مستقلة في منتصف العشرينات، تعمل في إحدى منظمات المجتمع المدني، نشأت في جو عائلي محافظ ومتشدد جدًا، حيث عانت من التحكمات العائلية، من تقييد لحركتها وطريقة لبسها (!!!) واختيارها لكليتها وحرمانها من السفر للقاهرة (!!!) ومن المشاركة في الكثير من الأنشطة أثناء فترة الجامعة لتحسين قدراتها وفرصها في الحياة. فكانت القراءة والكتابة متنفسها الوحيد للتعبير عن ذاتها.

وفي سن التاسعة عشر، ألفت رواية أدبية تتمحور حول خمس فتيات مختلفات وتفاعلهن مع المجتمع ولم تلق الدعم من والديها لنشر الرواية بحجة أن الرواية فاضحة وغير لائقة أخلاقيًا (!!!)، الرواية فيها تفاصيل بالنسبة لها عادية، فيها وصف صريح لأجسام البنات (!!!). فلما قرأها أبوها شعر كأنه يقرأ رواية فاضحة. أما أمها فبكت عندما قرأتها غير مصدقة أن ابنتها تكتب مثل هذه الأشياء القبيحة.

وبسبب نشر روايتها وفوزها بجائزة أدبية، تم اختيارها من قبل منظمة نسوية للمشاركة في أحد أنشطتها. الشيء الذي أدى بها إلى التعرف أكثر على النسوية.

ولكنها تحكي أيضًا عن تعرضها لموقف ضرب وتحرش عنيف في أحد المواصلات العامة، وكان هذا الموقف بالنسبة لها كالقشة التي قصمت ظهر البعير. إذ قررت بعدها أن تمارس ما تؤمن به دون أن تضع اعتبارات لأحد فتحكي أنها كانت في علاقة استمرت ٦ سنوات وتمت الخطبة، وكان يضغط عليها لكيلا تخلع الحجاب لكيلا يقوم أبوه بإفساد الزواج.

لكن في لحظة خلعت الحجاب، عندما ضُربَت في الشارع. كانت راكبة في أوتوبيس

وكان هناك ولدان وبنت يقولون عليها كلامًا سيئًا جدًا في الأوتوبيس. فعند نزولها سكبت عليه العصير الذي كان معها. فصفعها على وجهها وضربَتْه، وضرب أحدهما الآخر ضربًا مبرحًا، وركلها ركلة شديدة طيَّرتها عند السائق، ووقعت الطرحة وقعت في منتصف الأتوبيس، والناس في الأوتوبيس كانوا يريدون خروجها لكي يتحرك السائق. ولما خرجَت، قرر الناس في شارع عابدين أن يكملوا التحرش بها، ويسألونها: هل أنت بخير؟ ويعرضون عليها الذهاب معهم للبيت.

بعد كل ذلك قررت أن تخلع الحجاب (قالت كلمة قبيحة- والعياذ بالله- تشتم فيها الحجاب)[١].

وقالت إنها أصلًا كانت تريد أن تخلعه منذ زمن، وأنها كانت تشعر أنه غير متوافق معها، فلما انخلع في ذلك الموقف قررت إن لا ترتديه مرة أخرى. فاستاء خطيبها جدًا من خلعها للحجاب. بعد ذلك حدثت بينهما مشكلات كثيرة وانفصلا.

٦- وتحكي أماني وهي ناشطة نسوية ومدافعة عن حقوق الإنسان في منتصف الثلاثينات، وتعمل في منظمة نسوية- أنه من أهم أسباب اهتمامها بالنسوية تعرضها لحوادث تحرش أثناء طفولتها ومراهقتها.

٧- وتحكي سناء وهي فتاة مستقلة في أواخر العشرينات، تعمل في إحدى المنظمات النسوية- أن إدراكها للتمييز الذي تتعرض له النساء من قبل الأهل والمجتمع عزز من رغبتها في التحرر من التمييز الذي كان يمارس ضدها أو ما تلمسه في المجتمع. وأن تكون مالكة قرارها وهو ما دفعها لأن تصبح نسوية، وأن وعيها النسوي عزز عندها الرغبة في الاستقلال عن عائلتها، فقررت أن تتساجر مع أهلها لكي تخرج وتدخل متأخرة، وإن أنا

(١) إن الاستهزاء بشعائر الدينِ كالحجاب أو الصلاة أو غيرهما أو الانتِقاص منها كفرٌ محض؛ وهو يُنافي إيمانَ القلب منافاةَ الضد لضده، ويُنافي الإيمان الظاهر باللسان كذلك. والكتابُ العزيزُ قد نَطَقَ بذلك؛ فقال اللهُ تعالى: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ۝٦٤ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٤ - ٦٦]، وهذا نصٌّ في أن الاستهزاءَ بالله أو بآياته أو برسوله أو بشعيرة إسلامية كفرٌ، وكذلك كل مَن تنقَّص بالدين جادًّا أو هازلًا فقد كَفَرَ، وقد بيَّن تلك المسألة شيخُ الإسلام ابن تيميَّة في كتابه: «الصارم المسلول على شاتم الرسول».

تركت بيت أهلها وتحدَّت أمها وأباها واستقلت بنفسها والآن تعيش وحدها في شقتهم القديمة وبذلك شعرت أنها قادرة أن تفعل مثل الأولاد، تخرج وتدخل براحتها وتستقل بحياتها، وتلبس ما تشاء، وأنها حرة في جسمها، وهذا ما تعلمته من النسوية.

٨- كما أن رشا- وهي تعمل في إحدى المنظمات النسوية- فرغم نشأتها في بيئة متحررة وجو من المساواة بينها وبين أخيها، إلا أن الصدمة كانت حادثة تحرش من الطفولة.

٩- وتحكي داليا- وهي ناشطة نسوية ومنخرطة في العمل الحقوقي والسياسي- أنها لم تلمس التمييز بشكل واضح في محيط أسرتها، ولكنها أدركته بشكل واضح من خلال عملها في المجال العام وانخراطها في النشاط السياسي والحقوقي من سن مبكرة. وقالت إنها كانت تبيت في مقر الحزب وتسهر معهم رغم أنها كانت تعلم تبعات ذلك من أمها في البيت أو أن تُخطف في الشارع.

١٠- وتحكي راندا وهي ناشطة وصحفية وإعلامية في أواخر العشرينات- عن تعرضها لحوادث تحرش وابتزاز جنسي في رحلة بحثها عن عمل.

المحور الثاني: الدين والعادات والتقاليد:

ذكرت الورقة البحثية أن الدين يعتبر مكونًا أساسيًا من مكونات المجتمعات العربية ويلعب دورًا هامًا في تكوين الهوية والوعي الجمعي للمجتمعات. حيث إن تعاليمه تتغلغل في أركان المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية. وذكرت أن الدين هنا يشير إلى الدين الإسلامي (!!!) كونه الدين الرسمي للدولة (مصر) ومعتنقوه يشكلون الأغلبية، بالإضافة إلى كون الشريعة الإسلامية مصدر من مصادر التشريع في الدستور المصري.

ولجهلهم بالإسلام أو تجاهلهم له يطعن كاتبو/ أو كاتبات تلك الورقة البحثية في الإسلام تحت ستار أن البعض يجادل في أن الدين في جوهره يتبنى خطابًا أبويًّا يعكس ويعزز التمييز والتفاوت بين الرجال والنساء. ويزعمون أن المعتقدات الدينية تعمل

كأيديوجية أبوية تضفي شرعية للمكانة الثانوية للنساء في ظل المجتمعات الأبوية القائمة على الهيمنة الذكورية (!!!).

ويظهرون اعتراضهم على سيطرة الرجال على المؤسسات الدينية، بحيث يكون دور النساء هامشي ولا يجوز للنساء أن تصبح إمامة(!!!)، ويجلسن في الصفوف الخلفية أو يتم الفصل بين الرجال والنساء في دور العبادة، ويحتل الرجال الصفوف الأولى والأماكن الأكثر تقديسًا. كما اعترضوا على ما زعموا أنه سيطرة الرجال على حق التفسير الفقهي للنصوص الدينية، بينما تحرم النساء من قراءة النصوص الدينية (!!!) أو الدخول لدور العبادة عندما تكون حائضًا مثلًا (!!!)، حيث يعتبر الحيض والولادة من الملوِّثات.

كما أن القوانين والتشريعات المستمدة من الدين تعطي للنساء حقوقًا أقل من الرجال في العديد من المجالات، وتعزز عدم المساواة في المعاملة مثل الميراث [١] والحصول على الطلاق والتفريق في عقوبة الزنا وخلافه (!!!).

(١) إن كان أصحاب تلك الورقة البحثية من غير المسلمين، فندعوهم للقراءة المنصفة للإسلام لعل الله يهديهم لهذا الدين الحق، وإلا فعليهم من باب الحرية التي يتغنون بها أن يحترموا حرية ١٠٠ مليون مسلم مصري أو أكثر وأن يحترموا مشاعرهم ولا يطعنوا في دينهم، فهم لم يجرؤوا على التلفظ بكلمة واحدة عن النصرانية رغم وجود النصارى في المجتمع المصري.

أما إن كان أصحاب تلك الورقة من المنتسبين للإسلام فنذكرهم بأن من أصول الإيمان التحاكم إلى الله تعالى، ورسوله ﷺ، والتسليم لحكمهما، والرضا به، قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [سورة النساء:٦٥]، وقال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، فكل حكم خالف حكم الله فهو حكم جاهلية، وقال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين: ٨]، وقال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠].

وبهذا يظهر أن رفض التحاكم إلى الله جل شأنه وإلى الرسول ﷺ، أو رفض حكمهما، أو اعتقاد أن حكم غيرهما أحسن من حكمهما، كفر وخروج من الإسلام.

فالأحكام التي شرعها الله لعباده وبيَّنها في كتابه الكريم، أو على لسان رسوله الأمين عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم، كأحكام المواريث والصلوات الخمس والزكاة والصيام ونحو ذلك مما أوضحه الله لعباده وأجمعت عليه الأمة، ليس لأحد الاعتراض عليها ولا تغييرها، لأنه تشريع مُحْكَمٌ للأمة في زمان النبي ﷺ، وبعده إلى قيام الساعة، فالواجب العمل بذلك عن اعتقاد وإيمان، ومن زعم أن الأصلح خلافه فهو كافر، وهكذا من أجاز مخالفته يعتبر كافرًا؛ لأنه معترض على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ وعلى إجماع الأمة.

وإن كان كفر إبليس بسبب اعتراضه على أمر واحد من أوامر الله وهو السجود لآدم فما بالنا بمن يعترضون على الكثير من أحكام الشريعة الواردة في القرآن والسنة. =

ومما يدل على تحامل الباحثين على الإسلام -دين أكثر من ١٠٠ مليون مصري- زعمهم أن الإسلام يميز بين الرجل والمرأة في عقوبة الزنا، مع أن الشريعة ساوت بينهما، أما التمييز الذي يتحدثون عنه فليس في الإسلام وشريعة الإسلام بل في قانون العقوبات المخالف للإسلام المأخوذ من القانون الفرنسي، حيث فرق قانون العقوبات المصري بين الرجل والمرأة في عقوبة الزنا وطرق الإثبات، بينما لا تجد ذلك في الشريعة الإسلامية.

ويلاحظ هنا أن الدراسة على الدين الإسلامي فقط رغم وجود النصارى في المجتمع المصري، فعند الطعن لا يوجهون سهامهم إلا للإسلام، والإسلام فقط هو الذي يكيلون له الاتهامات، وكأن المنظمات النسوية في مصر ليس فيها من النسويات إلا من يحملن أسماء المسلمين، وكأن الإسلام هو السبب في انجرافهن إلى تلك المنظمات، وسيأتي إن شاء الله الرد المفصل على كل هذه المطاعن، وبيان تهافتها، وبيان عظمة هذا الدين وحمايته للمرأة وإنصافه وإعزازه لها.

ثم ذكرت تلك الورقة البحثية أن بعض تفسيرات النصوص الدينية تتحكم بأجساد النساء (!!!)، وتنظم دور النساء المقتصر على أدوارهن الإنجابية (!!!). مثل التفسيرات المتعلقة بتحريم الإجهاض (!!!) ووسائل تنظيم الحمل، بالإضافة إلى التحكم في حرية الملبس (!!!) والحركة (!!!) والأدوار المقبولة منها باسم الدين والعادات والتقاليد المجتمعية.

ثم أشارت تلك الورقة البحثية إلى أن البعض يجادل في أن الدين في حد ذاته ليس السبب المباشر في تعزيز الأدوار الثانوية للنساء، بل إن ذلك يعود إلى ظهور أشكال أبوية للمجتمعات التي بدورها أثرت على الدين وإعادة تشكيله (!!!). حيث أعاد الرجال تفسير المعتقدات الدينية بطرق تعزز من هيمنتهم(!!!).

= وقال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، فالمسلم يعلم أن هذه التشريعات حق لأن مصدرها الحق سبحانه، ويعلم الإنسان أن العقل البشري عاجز عن إدراك الحكمة في أمور كثيرة، جاهل بنفسه، ففي كل يوم وهو يزداد علما بنفسه وأسرارها، فإذا كان الأمر كذلك فلا ينبغي للمسلم أن يعلق قبوله لحكم الله تعالى بإدراك الحكمة؛ بل واجبه هو التسليم والانقياد أدرك الحكمة أم لا، ولكن لا مانع أن يتلمس الحكمة إن كانت مما يمكن معرفته.

ثم وصلت تلك الورقة البحثية إلى نتيجة مؤداها أنه «بعيدًا عن جدلية إذا ما كان الدين في جوهره ذو طابع ذكوري أبوي أم أن التفسيرات الخاطئة للدين وهيمنة الرجال عليه هي ما تجعله كذلك، فإن واقع الدين الحالي بتفسيراته يساهم في قمع النساء وفرض شرعية سلطة الرجال على النساء (!!!) حيث يشكل الدين بهذا التعريف مع العادات والتقاليد أداة من أدوات القمع التي تعزز من التمييز والعنف ضد النساء بشكل عام (!!!).

وتميل المجتمعات إلى التحجج بالدين والعادات والتقاليد، خاصة عندما يكون الشأن متعلق بالنساء وذلك بغرض التحكم أكثر بأجساد (!!!) ومصائر النساء؛ بسبب قدسية الدين. ونجد ذلك متجليًا في أنه ما زالت القوانين والتشريعات التي تختص بشئون النساء مستمدة من التفسيرات للشريعة الإسلامية.

والتعامل مع النساء في شتى المؤسسات خاضع لمفهوم المجتمع عن العادات والتقاليد. والضغط الذي تتعرض له الفتيات في البيوت في اختياراتهن لملبسهن (!!!) ودراستهن وشريك حياتهن وحتى أجسادهن (!!!)، كلها لها تفسيرات دينية يستند إليها المجتمع لتعزيز تلك الممارسات، مثل مفهوم الشرف والعذرية المرتبط بالنساء وحرمة الممارسات الجنسية خارج نطاق الزواج خاصة للنساء [بالتدريج وصل الباحثون إلى المهم!!!] وطريقة اللبس والحجاب (!!!). سواء أكانت هذه الممارسات بسبب النصوص الدينية أو تفسيراتها الخاطئة».

ثم بيَّنَت الورقة البحثية أن الدين عامل من العوامل التي ذكرتها النسويات أثناء المقابلات، لذلك في رحلتهن لنقد والتحرر من تلك القيود (!!!)، تضطر معظم النساء للاشتباك مع سؤال الدين وسلطته وتجد نفسها في مواجهات سواء على الصعيد الشخصي أو العام، سواء اختارت الاشتباك مع سؤال الدين بشكل خاص أو لم ترد. فإن معظم النسويات احتكت بذلك السؤال بشكل أو بآخر في مراحل مختلفة من حياتهن.

حيث اهتمت بعض النسويات بتحرير النصوص الدينية من الهيمنة الذكورية من خلال العمل على إبراز التفسيرات التنويرية للدين، (!!!) والعمل من داخل منظومة الدين نفسها لتحسين أوضاع النساء وتحريرهن من القيود المجتمعية المفروضة

عليهن باسم الدين فيما يسمى بالنسوية الإسلامية (!!!)، سواء لاعتبارهن الدين جزء من هوياتهن أو استخدام الخطاب الديني كأداة للإصلاح والتغيير من داخل المنظومة الدينية (!!!).

بينما اختارت أخريات التحرر والانفصال الكامل عن سؤال الدين، وفصله من مجال عملهن من أجل تحسين أوضاع النساء (!!!).

نماذج:

١- تقول هناء إن جميع النسويات تناولن مسألة الدين بشكل أو بآخر. وتزعم أنه لا نستطيع الفصل بشكل حاسم بين النسويات الإسلاميات وبين النسويات العلمانيات أو الليبراليات أو اليساريات خاصة في منطقتنا.

وتحكي عن تجربتها الخاصة في الاصطدام مع سؤال الدين وإشكالياته، وكيف أنه شكل وعيها وإدراكها واقتناعها بحاجتنا للنسوية لمحاربة المكانة الثانوية التي توضع فيها النساء باسم الدين (!!!) والعادات والتقاليد(!!!). وقالت إنها وهي في سن الثامنة عشرة كانت الوحيدة غير المحجبة في العائلة.

٢- كما تتحدث فريدة عن إشكالية فرض الحجاب من قبل الأهالي، بغض النظر عن اقتناعهن من عدمه (!!!) كشيء مُسَلَّم به دينيًّا (!!!) وكجزء من العادات والتقاليد (!!!) التي لا يجب التخلي عنها، واضطرارهن لعيش حياة مزدوجة أو خوض مواجهات عنيفة مع أهاليهن بسبب رفض مجتمعاتهن للتغيير(!!!).

وقالت إن الحجاب هو المشكلة التي كانت تواجهها، وأن أهلها رفضوا طلبها بأن تخلع الحجاب، وأنها تحجبت في الصف الأول الإعدادي عن غير اقتناع، فكانت تخلعه في الأماكن البعيدة عنهم. فكانت تعيش حياة مزدوجة.

٣- أما روان فتذكر أن الدين كان يشكل حيزًا هامًا في حياتها، وأنها تحجبت لفترة عن اقتناع وخوف من العاقبة إن لم تمتثل لتعاليم الدين، فتحجبت في الصف الثالث الثانوي وسيطر عليها الدين لفترة الكلية. لكن بعد الكلية كانت تريد أن تخلعه. فرفض أبوها رفض، فلا زالت تلبسه حتى الآن، لكنها كانت تبين رقبتها وجزءًا من شعرها،

لكن لا تخلعه تمامًا، وقالت إن أهم شيء عند أهلها الطرحة، حتى لو أظهرت ذراعها أو رجلها (!!!).

وقالت إن هذه الازدواجية في المعايير والاهتمام بالمظاهر الخارجية دفعها إلى إدراك أن التحجج بالدين تارة وبالعادات والمجتمع تارة أخرى كان من أهم العوامل للعديد من مظاهر الظلم والقهر والتحكم في الحركة واللبس فقررت الثورة على ذلك، وقررت أن تترك الدين نهائيًّا (!!!) وتنتقم من كل الممارسات التي كانت تفعلها بسبب الدين (!!!).

وقالت إنه كان داخلها ثأر، وتصف الدين بأنه كذبات ألَّفها رجال ضاع بسببها من عمرها ألف ربيع. وأنها بدأت تخوض معركة النسوية في الدين. لماذا لا يوجد نبيَّات (أنبياء من النساء)؟ لماذا يُرفض أن أخلع الحجاب؟ من الذي له الحق أن يقول نعم أم لا على شيء يخصني؟

٤- كما تحكي مها عن تجربة تديُّنها لفترة مع ظهور موجة دعاة القنوات الفضائية، وقرارها أن تتحجب بسبب ابتزاز أمها العاطفي وخوفها من الذنوب، واضطرارها لاحقًا لخوض معركة خلع الحجاب، حيث بدأت تغير لبسها على الموضة أكثر. ثم اتخذت القرار أن تخلعه وهي في القاهرة ورجعت من دونه (!!!)، لكنها لم تكن تعرف أن هذه مباديء نسوية.

٥- أما أماني فتطرقت لسؤال العذرية ومفهوم الشرف، الذي يُلقى على عاتق النساء باسم الدين (!!!) والعادات والتقاليد(!!!)، والذي تتجلى فيه الازدواجية التي تعيشها المجتمعات فيما يتعلق بالنساء. وأن فكرة العذرية التي تصفها بأنها قطعة من الجلد كانت من الأشياء الصادمة لها.

٦- وعلى صعيد آخر فإن الدين يشكل بالنسبة لفايزة جزء هام من انتماءاتها أو الأيديولوجيات التي تؤمن بها. إلا أنها واجهت إشكالية في تقبُّل العديد من التعاليم والنصوص الدينية التي تعزز من النظرة الدونية للنساء (!!!)، خاصةً مع بداية وعْيِها النسوي (!!!) وتناقض مبادئها مع التعاليم الدينية (!!!)، واضطرارها لمواجهة

إشكالية التناقض في الإنتماءات. ولكنها أدركت في نهاية المطاف إمكانية التقاطعية intersectionality في الانتماءات والأيديولوجيات. حيث وجدت في النسوية الإسلامية (!!!) مساحة من الممكن أن تخلق نوعًا من المواءمة بين أيديولوجياتها المختلفة الدينية والعرقية. وهذه من مميزات الفكر النسوي المتنوع والغير جامد، الذي يضم في طياته طيفًا واسعًا من الأيديولوجيات المختلفة تحت مظلة النسوية (!!!).

ومن الأمثلة التي تعترض عليها: الحجاب والتفاضل بين حق الأخ والأخت في الميراث[١].

وتزعم فايزة أنها نسوية إسلامية وإن أنا مؤمنة بحقوق المرأة، ومؤمنة إن ربنا عادل (!!!) لكن التفاسير فيها أزمة (!!!)، وقالت إن النص أحيانًا تكون فيه أزمة، فمن المهم فهم السياق التاريخي للنص (!!!)، وهذا الذي اشتغل عليه نصر حامد أبو زيد.

وللعلم فإن نصر حامد أبو زيد هذا كان ينادي بالتحرر من سلطة النصوص وأولها القرآن الكريم، حيث طالب بالتحرر من هيمنة القرآن.

٧- بالرغم من أن هناء لا تنتمي إلى الفكر النسوي الإسلامي، إلا أنها ترى أن تجديد الخطاب الديني من خلال جهود النسويات الإسلاميات شيء هام، يساهم في إثراء الحراك النسوي باختلاف أطيافه بشكل عام (!!!)، ومع ذلك قالت إنها لن تكون نسوية إسلامية؛ لأنها عملت قطيعة عقائدية مع الإسلام منذ زمن بشكل شخصي[٢].

(١) لا أدري كيف توفِّق «ما يسمى بالنسوية الإسلامية» بين مبادئ النسوية وتعاليم الدين الإسلامي الذي يعزز من النظرة الدونية للنساء (!!!) وتحل إشكالية التناقض بينهما، فكيف يلتقي النقيضان مع بقاء الإسلام إسلامًا والنسوية نسوية، لا بد أن يتغير أحدهما، لا بد من هدم أو إعادة تشكيل أحدهما ليتوافق مع الآخر!!! أم أن مظلة النسوية تتسع لتلك التناقضات؟!!! فهل تتنازل النسوية عن مبادئها؟ أم تقوم النسوية الإسلامية بإعادة تشكيل دين الإسلام- بالاعتراض على آيات الحجاب والمواريث- ليتوافق مع دين النسوية؟!!!

(٢) يعني ارتدت عن الإسلام، والعياذ بالله.

* في أمريكا ٤ , ١٠ مليون أسرة تعيلها الأم فقط (دون وجود أب)[١].

* في أمريكا يقتل بالإجهاض أكثر من مليون طفل سنويا!![٢]

* في أمريكا: أكثر من ٦٥ مليون شخص مصابون بأمراض جنسية لا يمكن شفاؤها[٣].

* في أمريكا يتم اغتصاب ٦٨٣ ألف امرأة سنويا أي بمعدل ٧٨ امرأة في الساعة مع العلم أن ١٦ ٪ فقط من حالات الاغتصاب يتم التبليغ عنها!![٤]

* في تقرير لوزارة العمل الأمريكية: ٨٩ ٪ من الخدم وعمال التنظيف هم النساء[٥].

* انتشرت في أمريكا (وأوروبا) مطاعم تقدم الطعام على أجساد النساء العاريات، ونساء عاريات يغسلن السيارات[٦].

* حوالي خمسين ألف امرأة وطفلة يتم تهريبهن إلى الولايات المتحدة سنويًا لاسترقاقهن وإجبارهن على ممارسة البغاء[٧].

(١) دائرة الإحصاءات الأمريكية:
http: / /www.census.gov /Press-zelease /www /releases /archives /families_house-holds /009842.html.

(٢) المراكز الأمريكية الحكومية للسيطرة على الأمراض:
http: / /www.cdc.gov /mmwr /preview /mmwrhtml /ss5511a1.htm.

(٣) CNN والمراكز الأمريكية الحكومية للسيطرة على الأمراض:
http: / /www.cnn.com /2000 /HEALTH /12 /05 /health.stds.reut /
http: / /www.cdc.gov /nchstp /od /news /RevBrochure1pdfintro.htm.

(٤) وزارة العدل الأمريكية:
http: / /www.ojp.usdoj.gov /ovc /publica...gy /general.htm.

(٥) وزارة العمل الأمريكية: http: / /www.dol.gov /wb /factsheets /20lead2007.htm .

(٦) نيويورك تايمز عدد ١٨ -٤- ٢٠٠٧، وعدد ٢٤ -٨- ٢٠٠٨ وأعداد أخرى).
رويترز: http: / /www.reuters.com /article /oddly...D8075020070517
بي بي سي: http: / /news.bbc.co.uk /2 /hi /uk_news /england /leicestershire /4889570.stm

(٧) نيويورك تايمز: http: / /query.nytimes.com /gst /fullpag...57C0A9669C8B63 .

الفصل الخامس
الثمار المرة للنسوية وتحرير المرأة

من الثمار المرة للدعوات النسوية محاربتها للدين والفضيلة والعفة ومحاولة هدم الأسرة بتحريض الفتيات على التمرد، سواء التمرد على الحجاب، أو التمرد على الأهل ومهاجمة الدين بشكلٍ حادٍّ.

وسلوك المرأة في الغرب في حريتها الدينية والجنسية والحقوقية وتساويها مع الرجل في جميع الأمور هو المفهوم الكامل والتفسير الصحيح للحركة النسوية، فهي تقيم وتسافر وتمارس الجنس على حسب رغبتها، وتختار ما تشاء من الأديان أو تنبذ الأديان كلها، وتؤمن بشرعية الإلحاد وحقوق الشواذ (من يسمونهم المثليين).

ولقد استطاعت الحركة النسوية الغربية أن تمتد بفكرها العلماني إلى مجتمعاتنا العربية والإسلامية، وأن تتغلغل داخل حصوننا لتعمل فيها معاول الهدم والتغيير، وهي في ذلك مدعَّمة بتأييد ومساعدة المنظمات والمؤسسات الدولية خاصة الأمم المتحدة المتبنِّية تطبيق هذا الفكر بآليات ووسائل شتى، من خلال فرض ما تريده على حكومات العالم الثالث بإلزامها بقرارات وتوصيات مؤتمراتها الدولية، ومن خلال الدعم والتمويل للمنظمات والمؤسسات المتعاونة معها في طرح وتنفيذ برامجها وأهدافها، مدعومة بمَن تشرَّبوا الفكر الغربي وأصبحوا مِن أشد دعاته بين صفوفنا من النخبة والمثقفين ورجال الأعمال الذين تربوا على موائد الغرب.

إن هذه المنظمات النسوية تبث سمومها من خلال برامج ظاهرها الإنسانية والرغبة في تحسين أحوال المرأة، وإخراجها من الفقر والجهل، وحمايتها من العنف والتمييز، وحقيقتها خلط السم بالعسل؛ إذ سرعان ما تجد خلف هذه المزاعم برامج مُعَدَّة سلفًا، تم إعدادها بدقة لصَبغ مجتمعاتنا بصبغة مادية علمانية، أخطر ما فيها أن مرجعيتها الأولى هي أفكار وقيم الحركة النسوية الغربية المتطرفة التي تخالف تمامًا مرجعيتنا

الإسلامية وتعارضها أشد المعارضة، وهم يعلمون تمامًا أن هدفهم لا يتحقق إلا بنبذ المسلمين لدينهم، وهم بالفعل يسعون لذلك، وإن لم يجهروا في هذه المرحلة به، وكل مَن سبر أغوارهم وعرف حقيقة أغراضهم لا يساوره شك في سوء النية والطوية التي خلف معسول كلامهم وظواهر أعمالهم.

إن من أبسط مطالبهم التي يدعون إليها: الحرية الجنسية بشتى صورها؛ لفتح الباب للانحلال الخلقي. ومِن وسائل ذلك:

١- نشر تعليم الجنس بين الشباب:

والمقصود به تقديم جرعة تعليمية جنسية يتعرف مِن خلالها المراهقون على شتى الطرائق الجنسية والإشكالات المصاحبة لها؛ ليتم اختيار الطريقة المناسبة التي يتحقق من خلالها إشباع الغريزة داخل وخارج نطاق الزوجية دونما وقوع آثار جانبية غير مرغوبة، مثل الأمراض التناسلية أو الحمل غير المرغوب فيه، وهذا يتم طرحه في العالم الإسلامي من خلال مصطلح: (الثقافة الجنسية).

وقد وضحت المادة ٨٣ من وثيقة (بكين) ١٩٩٥م الإجراءات التي يتعين اتخاذها من جانب الحكومات والسلطات والمؤسسات التعليمية والأكاديمية، حيث جاء فيها: «وعند الاقتضاء إزالة الحواجز القانونية والتنظيمية والاجتماعية التي تعترض التثقيف في مجال الصحة الجنسية والإنجابية في إطار برنامج التعليم الرسمي بشأن مسائل الصحة النسائية».

٢- الدعوة إلى الجنس الآمن:

والجنس الآمن مصطلح يقوم على حق المرأة في إشباع غريزتها بالصورة التي تقررها هي، لا التي تضبطها لها أية معايير أخرى، ومِن ثَمَّ فهي تمارس الجنس بصورةٍ توفر لها الحماية من الوقوع في براثن الأمراض الجنسية أو الحمل غير المرغوب فيه، وحتى يتحقق الجنس الآمن لا بد مِن توافر عنصرين مهمين: الأول: تعليم الجنس حتى تتعلم المرأة كيف تحصل على المتعة دونما خطر. الأمر الثاني: خدمات الصحة الإنجابية،

والمتمثلة في موانع الحمل والواقيات الذكرية والأنثوية، ويتطرق الأمر أحيانًا بالإشارة إلى أن أفضل مراحل الجنس الآمن لا يتم تحقيقها إلا بالسحاق!

وقد جاء في المادة ٩٦ من وثيقة بكين: «وتشمل حقوق الإنسان للمرأة حقها في أن تتحكم، وأن تبت بحرية ومسئولية في المسائل المتصلة بحياتها الجنسية والإنجابية، وذلك دون إكراه أو تمييز أو عنف»)، كما تنص المادة: (١٠٨/ م) من الوثيقة على: «كفالة توفير حصول الأزواج والأفراد على الصعيد العالمي على الخدمات الوقائية المناسبة وبأسعار زهيدة فيما يتعلق بالأمراض التي تنتقل عن طريق الاتصال الجنسي، بما في ذلك فيروس نقص المناعة البشرية (الإيدز)، وذلك من خلال نظام الرعاية الصحية الأولية، وتوسيع نطاق توفير المشورة وخدمات التشخيص والعلاج الطوعية والسرية للمرأة».

وتنفيذ أطروحات الفكر النسوي الغربي يتطلب:

أ- تحريض النساء على الرجال، وتشجيع تمردهن على الكثير من قيم وأخلاقيات المجتمع الذي يعشن فيه، بالمطالبة بما يراه الفكر الغربي العلماني المادي حقًّا للمرأة.

ب- العمل على معاداة النساء في المجتمعات الإسلامية للشريعة فيما يتعارض فيه الفكر الغربي مع أحكام الشريعة، أو على الأقل تأويل نصوص الشريعة وتحريفها لتتوافق مع تلك الأفكار الغربية العلمانية.

ج- هذا التمرد وهذا الخروج عن أحكام الشريعة أو تحريفها لتناسب المقاييس العلمانية هي الوسيلة إلى تخريب المرأة المسلمة أولًا، وكل المجتمع المسلم من ورائها ثانيًا.

د- الترويج لذلك بصور ووسائل متعددة تقوم على الاحتيال الفكري، وخداع الجماهير، وبث الشبهات، وهو باب واسع استفاد فيه الغرب كثيرًا مِن جهود المستشرقين والمبشرين.

هـ- التعاون والتنسيق مع السلطات المحلية لتنفيذ الأجندة الغربية من خلال طرق

عديدة للتوجيه والضغط والإلزام، مع تجنيد النخب من المفكرين والمثقفين والفنانين والمشاهير للترويج لهذه الأجندة من خلال الإغراء أو الترهيب، مع تجنب الصدام المباشر مع المخالفين عن طريق التدرج في تحقيق الأهداف المطلوبة من جهة، وإجبار المخالفين لاتجاهاتهم على قبول الأمر الواقع، أي نشر ثقافة الاستسلام لعمليات التغيير من جهة أخرى.

وقد يكون من طبيعة البيئة التي تعمل فيها الحركة النسوية في البلاد الإسلامية ما يدفع تلك الحركة إلى عدم الجهر أو الدعوة إلى الأجندة كاملًا، ريثما يضعف المجتمع الإسلامي شيئًا فشيئًا تحت مطارق الغرب، والتوصيات والتشريعات والقوانين العابرة للقارات، القادمة من تحت عباءة الأمم المتحدة، فيكفي الآن في المرحلة الأولى تناول القضايا والأمور التي لا تتعارض تعارضًا بيِّنًا مع الشريعة الإسلامية، أو تناولها بطريقة فيها التواء بحيث لا يظهر المراد منها واضحًا بيِّنًا لعامة المسلمين، أو التي يمكن الاختلاف بشأنها بحيث يبدو الخلاف، وكأنه خلاف في أمور اجتهادية يسوغ الخلاف حولها، ثم ينتقل بعد ذلك إلى الأمور الأكبر والأشد التي تليها.

الحركات النّسوية
طريق الارتداد عن الدّين

نظرة النسوية للدين:

تقوم النسوية بتَبَنِّي الإلحاد كبديل عن الأديان باعتبارها مصدر الشرور وسبب ظلم المرأة وأن آلهة تلك الأديان آلهة ذكورية تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرا وكامتداد لعلاقة الصراع بين الرجل والمرأة في السردية النسوية فتميل بعض النسويات الراديكاليات إلى تبني وترويج ما يعرف»بالوثنية الأنثوية» أي تأليه المرأة مقابل الآلهة «الذكورية» في الأديان الأخرى.

ومن أهم مبادئ هذا التيار محاربة الأديان باعتبارها مكرسة للذكورية واستعباد المرأة والتخلي عن الأنوثة باعتبار الأنوثة ضعف يقود إلى الزواج ثم الأمومة وتكوين أسرة والتي تكون فيها المراة هي الطرف الأضعف.

تناقض في المصطلحات؟

تقول الكاتبة والأكاديمية «كريستين أون» إنها عندما كانت تقوم هي والكاتبة «كاثرين ردفرين» بالإعداد لكتابهما «Reclaiming the F Word: The New Feminist Movement» الذي يتناول ما وُصف بانبعاث النسوية من جديد في القرن الحادي والعشرين، إنهما طرحتا بعض الأسئلة على نحو ١٣٠٠ نسوية بريطانية، كان من بينها سؤال عن آرائهن الدينية، فوجدتا من خلال الإجابة أن تلك النسويات، مقارنة بعامة النساء البريطانيات، أقل إيمانا بالأديان.

وليس سرًّا أن الكثير من النسويات، قديما وحديثا، وسواء في الغرب أم الشرق، يرين أن الأديان تضطهد المرأة وتعارض حريتها، أو على الأقل استُغلت وفُسرت لتكريس اضطهاد المرأة في إطار مجتمع ذكوري بطريركي.

كيف يكون تبنّي النّسويّة بداية طريق التخلي عن الدين؟

المرحلة الأولى:

يبدأ كُل شيء بمظالِمَ مشروعة، عن الطريقة التي يُعامل بها بعض الرجال المسلمين النساءَ المسلمات.

هنالك اضطهاد مجتمعيّ وعنف منزليّ على الصّعيدين الجسديّ والعاطفيّ في مجتمعاتنا، وهنالك مساجدُ ومؤسّسات إسلامية تتجاهل احتياجات ومطالب المرأة، وفي بعض ثقافاتنا حول العالم تتعرض الفتيات لتمييز قائم على معايير مزدوجة ظالمة مقارنة بالذكور، والمُثيرُ للحُنْقِ أنّ الجِهات المسؤولة عن هذا الاضطهاد تحاول بكل جَهل وأنانيّة تسويغَ مُمارساتها في الإساءة والاضطهاد من خلال الاستشهاد بالقرآن والأحاديث النبويّة.

الحل لهذه المشاكل ليس الحركة النسوية، بل تصحيح الجهل بالشّريعة الإسلامية، وهذه المعرفة تتأتّى من العلماء الحقيقيين ممّن ليسوا تحت التّأثير الخانِق للحداثة والليبرالية والنّسوية ذاتها.

لكن لسوء الحظ، يصعُب العثور على هذهِ المعرفة الحقيقية، لذلك انخرط بعض المسلمين- نساءً ورجالًا- في الحركة النّسوية كوسيلة للتعبير عن إحباطهم وصدماتهم. هكذا يدخل المسلمون في المسار النّسوي، حيث كانت النتائج كارثية ولا يمكن التخفيف من وقعها.

إذا كان اضطهاد المرأة داءً، فإنّ المبادئ والأخلاق الإسلامية هي العلاج الطبيعيّ والعضويّ النافع، بينما النّسويّة هي علاج كيميائيّ سامٌّ وقاسٍ، والذي قد يتخلّص من المرض ولكنه يوشك على قتل المريض من خلال تكوين المزيد من الأمراض مكانه.

تصيح النسويات دائمًا أنّ السّبب في كل مشاكل المرأة هو «النظام الذّكوري»؛ وفقًا للنسوية، فإنّ الرجال- كنوع- هم من يمثّلون المشكلة (وكذلك النّساء اللواتي «تَقبَلْنَ» النظام الأبوي) لأنّ الرجال بطبيعتهم تَبَعٌ لهذا الفكر؛ يرغبون في السيطرة على النساء

والإساءة إليهنّ واستغلالهن. هذه هي اللغة غير الشرعيّة المستخدمة لمعالجة مشكلة مشروعة، ولكن سيطرت تلك اللغة ببطء.

المرحلة الثانية:

في المرحلة الأولى، كانت الإساءات الملموسة لبعض الرجال (والنساء) هي المشكلة، أمّا في المرحلة الثانية تصبح المشكلات أكثر تجرُّدًا وخياليَّة.

حيث تتضمن تساؤلات من قبيل: لماذا يتحدث إمام المسجد عن الحجاب وما تلبسه المرأة؟ لماذا يهتم الرجال المسلمون بما ترتديه النساء على الإطلاق؟ لماذا يوجد في المسجد فاصل بين الرجال والنساء؟ لماذا يُعدُّ الفصل بين الجنسين (المعروف أيضًا باسم «الفصل العنصري بين الجنسين») مشكلةً حتى في عصرنا الحالي؟ لماذا لا يعترف الرجال المسلمون بامتيازاتهم كذكور؟ لماذا تُعتبر مسألة الاحتشام مهمة على أي حال؟

الإجابة التلقائية على كل هذه الأسئلة، هي نفسها- بالطبع- كما كانت في المرحلة الأولى: «النظام الذكوري»!

على عكس المرحلة الأولى، لا يتمّ تحديد مشاكل المرحلة الثانية من خلال فهم راسخ للإسلام وتقاليده المعيارية، بل يتم تحديدها وطرحها من خلال إطار الخطاب النّسوي والليبرالي الغربي. يتضح هذا من خلال حقيقة أنّ النّسويات المسلمات في المرحلة الثّانية سوف يَنْتَقِدْنَ الأشياء التي لها أساسٌ قويٌّ في الشريعة الإسلامية وتعاليمها، مثل الفصل بين الجنسين والاحتشام، وقواعد المَلْبَسِ وما إلى ذلك. لكنّ النّسويات في المرحلة الثّانية عادةً ما يجهلْنَ هذه التعاليم، وعندما يتمُّ إخبارهن بأنّ هذه المُمارسات متجذّرة بقوّة في التّعاليم الإسلامية؛ هُنا يبدأنَ بالعمل عليها.

المرحلة الثالثة:

في المرحلة الثالثة، تُصبح التعاليم الإسلامية ذاتُها تحت مرمى النّيران، ففي المرحلة الثانية؛ كانت المظالم تتعلّق بممارساتِ المسلمين المعاصرين، لكن في هذهِ المرحلة؛ يمتدُّ هذا الغضبُ ليَطالَ تاريخ المسلمين، وعلمائهم تحديدًا.

يتساءل هنا أصحاب الفكر النّسوي، إذا كان النظام الأبويّ المُماثِل لهذا النّظام

الشّموليّ هو مصدر الظّلم والاضطهاد، فإنّ من المنطقيّ أن يكون هذا الاضطهاد موجودًا بالتّأثير والمدى نفسه، إنْ لم يكن أكبر، في الماضي؛- أو بعبارة أخرى- يصبح السؤال: لماذا لم يتصرّف علماء الإسلام عبر التاريخ وفقًا لأنماط التفكير المعادية للمرأة التي نراها من العلماء اليوم؟ وعندما ننظر إلى كتابات كبار علماء الإسلام؛ نجد أنّها مليئة بالمواضيع التي تعتبرها النّسويّة مثالًا لبُغضِ النظام الأبويّ وكراهيتِهِ للنساء.

لهذا السّبب ستجد الكثير من النّساء المسلمات في المرحلة الثّالثة اللواتي بدأْنَ بسعيٍ حماسيٍّ للمعرفة من خلال الدّراسات الإسلامية في الجامعة، ثم صادفنَ هذه النّصوص أُصِبنَ بالرُّعب، وخاب أملهُنَّ في الدّراسات الإسلامية، معتبرين أنّ الأمر برمَّتِهِ ملوثٌ بغُثاء النّظام الأبوي. في هذه المرحلة، تكتفي النّسوية المُسلمة بفكرة أنّ القرآن والحديث النبويّ هما الوحيدان اللذان يجب الاعتماد عليهما، حيث لم تشملهُا التّحريفات القبيحة من قِبل الرجال [الفقهاء]، ولكن بعد ذلك سوف تطالهما النّيران النّسوية.

المرحلة الرابعة:

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤]، ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء:١١]، «شهادة الرجل بشهادة امرأتين»، وهلمّ جرًّا.

كيف تستطيع النّسوية المسلمة التوفيق بين كل هذا؟ كيف يمكن للوحي الإلهي أن يحتوي على العديد من التعبيرات التي في ظاهرها ازدراء للمرأة من وجهة نظر النّسويات؟ كل هذا يصبح مَعِيْنًا لا ينضب من الأوهام، حيث تستجدي النّسوية التي تنتقل من المرحلة الثالثة إلى الرابعة حلولًا جديدة.

لتبدأ سلسلة: ربّما تمّ تفسير هذه النّصوص بشكلٍ خاطىء؛ لعلّنا لو قمنا بتأويلها لأمْكَنَنَا تفسير تلك الآية وذلك الحديث.

هذا السلوك السّاذج لا يمكن أن يستمر لمدة طويلة إلا في ظل الجهل بالكمِّ الهائل من الآيات القرآنية والأحاديث التي تتناقض مع النّسوية الحديثة؛ كلّما كانت

النسوية المسلمة واعية بوجود هذه الآيات والأحاديث؛ كلمّا زادت احتمالية انتقالها للمرحلة الرابعة.

تُدرك النّسويات المُسلمات في المرحلة الرّابعة أنّ الطريق الوحيد لحسم هذه المسألة العويصة والتوفيق التام بين النّسوية الحديثة وعموم الإسلام؛ هو بانكار وَحْيَانِيَّة القرآن وإمكانية تطبيق السنة النبوية.

ستجد في المرحلة الرابعة إصلاحِيِّين مسلمين يصرّحون بأشياء من قبيل: «يجب أن نقول لا للقرآن» بل فيهم من يذهب إلى أكثر من ذلك فيسيء إلى الأنبياء وينعتهم بالأوصاف القبيحة لسبب تستطيعون تخمينه جميعًا: نعم هو «النظام الأبوي الذكوري»!

في المرحلة الرّابعة، يصبح الطّعن في الدِّين بلا مبالاة أمرًا ممكنًا، كذلك الدعوة إلى أمور من قبيل إمامة النّساء لصلاة جماعة مختلَطة، وزواج المسلمات من غير المسلمين، وإباحة الشذوذ، وتقبّل التحوّل الجنسي، وتحليل الزنا وهلمّ جرًّا. السّبب في ذلك أنّهم لم ينبذوا بعضَ أو كُلَّ المُسَلّمَات العلميّة فحسب، بل هم ينكرون وجود سلطة كالشريعة والسُّنة تحدد سلوك المسلم. وكل من يزعم أنّ لديه سلطة للنطق باسم الإله وبما يأمر به؛ يتمّ إدانته فورًا بكونه ذكوريٌّ ظالم! (مفهوم «السلطة» بالنسبة لهم يعدُّ مفهومًا ذكوريًا على أي حال).

لا يوجد الكثير من النّسويات المُسلمات اللاتي يبقين في المرحلة الرابعة لأنّ تسويغَ كل هذه الأمور مع الاستمرار بادّعاء الإسلام أمرٌ شبه مستحيل.

المرحلة الخامسة:

العذاب العقليّ في المرحلة الخامسة لا يمكن أن يُطاق، ولا يتطلّب الأمرُ الكثير في هذه المرحلة لدفع شخصٍ ما إلى حافّة الانهيار.

ينطلق هنا وابل من التساؤلات من قبيل:

إذا كان الله لا يُميز بين الجنسين، فلماذا يشير إلى نفسه على أنه «هو» في القرآن، وليس «هي»؟ لماذا كان الإنسان الأول رجلًا وليس امرأة؟ لماذا معظم الروايات التاريخية في

القرآن عن الرجال وليس النساء؟ لماذا كان آخر نبيّ رجُلًا وليس امرأة؟ لماذا جاءنا الوحي من الله عن طريق رجل وليس امرأة؟

هذا الوابل من الأسئلة البسيطة ولكن غير المنطقية يأخذهم حيث حافّة جرف الارتداد عن الدِّين، ثم الفكرة نفسها التي دفعتهم إلى هذا الطريق في المقام الأول؛ تمنحهم دَفعة أخيرةً إلى الهاوية: لماذا سمح الله بتواجد النظام الأبوي بالمطلق؟ ألم يعطِ أي أهميّة تُذكر لإخضاع واغتصاب مليارات من النساء البريئات على مدى آلاف السنين؟

الجواب الوحيد الذي يمكن أن تقدّمه الحركة النّسويّة في هذه المرحلة؛ هو الإجابة الوحيدة التي يمكن أن تقدمها في كل المراحل: كان الأمر برمّتهِ كِذبةً من اختلاق الرّجال للسّيطرة على النساء.

النهاية:

يكمن خطر الفكر النّسوي في أنّه يعمل مثل لعبة الدومينو. بمجرد أن يبدأ الشّخص في تفسير كلّ شيء من خلال التذرُّع بالنظام الأبوي «البطريركية»؛ الباقي كُلُّه مجرد مسألة وقت، هذا لأن منطق تحليل كل ظُلم من خلال التذرُّع بالسّلطة الأبويّة؛ تفسيرٌ شامل للغايّة، ولكنّه غير دقيق ومضلّل ومدمّر. كانت النّسويّات في المرحلة الخامسة أكثر صدقًا واتساقًا من الناحية الفكرية من النّسويّات في المرحلة الأولى أو الثانية أو الثالثة أو الرابعة؛ لأنّهن استنبطْنَ في هذه المرحلة تداعياتِ النّسويّة حتى نهايتها المريرة.

إن تبني الحركة النّسوية بشكل ثابت ومنهجيّ يقود المسلِمين إلى أزمة إيمانيّة تؤدي إلى ترك الإسلام بالكامل، وهذه ليست مصادفةً أو شذوذًا إحصائيًّا، حيث تتضح لنا الكيفية عندما نستوعب عملية تقدّم المسلمين من المرحلة الأولى إلى المرحلة الخامسة، وإذا لم يزل بعضنا غير مقتنعٍ، يمكننا أن ننظر إلى جذور النّسويّة نفسها، كما عبّر عنها بعض أبرز شخصيّاتها عبر التاريخ.

فقد كانت النّسويّة مناهضة للدِّين منذ نشأتها، وفي الواقع، كانت أبرز الشخصيات في كل موجة نسوية متطرفة في مناهضتها للدِّين. وإن القانون النّسوي مُشبع بآراءَ

تخريبيّة، تكفي لملء مجلدات متعددة. وبالطبع هذا التّخريب تعكسه النّسويات المسلمات (خاصة في المرحلة الخامسة)، حيث يتعلم المرء من المعلمين، وأحيانًا على الرغم من نفسه.

وبالنظر إلى الانتشار المُطلق للمشاعر المعادية للدِّين بشكل لاذع في جميع مراحل الفكر النّسوي عبر التاريخ؛ كيف يمكننا أن نتخيل أن تَبنّي مثل هذه الأيديولوجية بأيّ شكل من الأشكال من شأنه أن يؤدّي إلى أيّ شيء خلاف هدم عقيدة المسلم؟

«لا» للقومية النسائية

كان دأب دعاة تحرير المرأة منذ البداية لجعل القضية: قضية «تحرير المرأة» فقط مع إسقاط التعيين «المسلمة» ومن ثم ربطها بقضية تحرير المرأة في العالم كأنما صارت هناك قومية خاصة اسمها «القومية النسائية» تربط المرأة المسلمة بالمرأة النصرانية بالمرأة اليهودية بالمرأة عابدة البقروالأوثان بالمشركة بالملحدة... إلخ، كأن قضيتهن واحدة ومطالبهن واحدة وأهدافهن واحدة ومعتقداتهن واحدة.

بل الأدهى من ذلك أن تتجاوز هذه (القومية النسائية) حدود الزمان لتجعل المسلمة الموحدة أختًا لنساء قدماء المصريين الوثنيات انظر ما كتبته (إحداهن) مفتخرة بالفراعنة: «كان الفراعنة هم أول من رفع المرأة إلى مقاعد الحكم وارتضى رجالهم في فخر واعتزاز أن تحكمهم ملكات كانت عهودهن رمز العدالة والتقدم والاستقرار.. ولقد وصلت المرأة الفرعونية إلى هذه المكانة العالية في قومها بغير معارك وبدون اعتراض.. وما كان ذلك إلا لأن المجتمع الفرعوني كان هو المجتمع المتحضر الذي رسم للبشرية بأجمعها طريق الحضارة والعلم والحكمة»[١].

ثم تفتخر ببعض مظاهر حرية المرأة عند الفراعنة مثل :«حق اقتسام الميراث في مساواة مع رجل أسرتها وكانت تملك حق تطليق زوجها بعد أن تدفع له تعويضًا وكانت تسمي أولادها باسمها»[٢].

ثم تفتخر زعيمة حزب (بنت النيل) بنفرتيتي زوجة إخناتون التي تقول عنها إنها «حملت لواء حركة الانقلاب الديني.. وهي الحركة التي قامت في عهد حكم زوجها واشتركت نفرتيتي معه في صنع أسس الدين الجديد الذي توحدت فيه لأول مرة في تاريخ الأديان (!!) جميع الآلهة في إله واحد هو (آتون) أي الشمس»[٣] . (!!!)

(١) المرأة المصرية، لدرية شفيق ص (٧).
(٢) نفس المصدر، ص (١٥).
(٣) نفس المصدر، ص (١٦).

وليت شعري ما الذي يدعو إلى هذا الفخار وقد انتقلت نفرتيتي وقومها من شرك إلى شرك؟ وأي شيء يدعو للإعجاب والاعتزاز بفراعنة وحَّدوا آلهتهم المتعددة في (كومبانية) آلهة مشتركة هي (الشمس) تعالى الله عما يشركون!، وهل خفى على هذه (المتحررة) أن عقيدة توحيد الله سبحانه وتعالى أول من نزل بها إلى الأرض من البشر آدم وحواء.. وأنهما كانا على دين الإسلام الذي أرسل الله به جميع رسله وأنزل به جميع كتبه؟ وأن التوحيد ليس إختراعًا فرعونيًا؟ وهل تتجاهل تلك الكاتبة (المتحررة) حقيقة تلك الوثنية الفرعونية البغيضة التي لا يصح إسلام أحد حتى يتبرأ منها ومن أصحابها؟ قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

وكان السعي:

وكان السعي فعلًا حثيثًا لتأخذ المرأة المسلمة ملامح المرأة الغربية وكلما تطابقت صورتها مع الغربية كلما زاد الإعجاب بها وتقريظها بأنها لا تفترق عن الأجنبية! حتى سقطت بعض المسلمات فيما لم تسقط فيه عابدة البقر التي ظلت معتزة بزيها الخاص " الساري « وتميزها بالنقطة الحمراء بين عينيها.

وقد قامت الدوائر الاستعمارية خاصة في أمريكا وإنجلترا بتغذية هذه «القومية النسائية» في البلاد الإسلامية خاصة مصر فحينما استطاع «الاتحاد النسائي المصري» أن يعقد ما سمي بـ «المؤتمر النسائي العربي» سنة ١٩٤٤ م وسط استنكار الشعوب العربية والمسئولين فيها ووسط احتجاج العلماء وثورة الإسلاميين إذا بزوجة الرئيس الأمريكي " روزفلت» تبرق إلى المؤتمر المذكور في ١٧ ديسمبر ١٩٤٤ م البرقية الآتية:

«يسرني أن تتاح لي فرصة إرسال تحيتي إلى مندوبات الاتحادات النسائية في مختلف بلاد الشرق العربي والواقع أن نفوذ السيدات ليتعاظم ويزداد قوة في مختلف أرجاء العالم وإني لواثقة من أن النساء العربيات سيَقُمْن بدورهن إلى جانب «شقيقاتهن» في باقي بلدان العالم أملًا في نشر التفاهم والسلم العالمي في المستقبل».

ولسنا في حاجة إلى أن نذكر الدور الخطير الذي لعبته «مسز روزفلت» في تكوين الوطن القومي لليهود في فلسطين.

ومن قبلها حضرت إلى مصر «الدكتورة ريد» رئيسة الاتحاد النسائي الدولي بنفسها لتدرس عن كثب تطور الحركة النسائية ولتناصر الحركة بنفوذها في المحيط الأوربي وبتصريحاتها التي ترمي إلى «المسارعة بإعطاء المرأة المصرية الحقوق السياسية» المزعومة!

ومن هنا أيضًا لم يدهش الشعب المصري لزيارة وزيرة الشئون الاجتماعية البريطانية «مسز سمر سكيل» لتتفقد الأحزاب النسائية في مصر وتجتمع بـ «درية شفيق» رئيسة حزب «بنت النيل» المشبوه وتحرضها على أن تترك المقالات والمناقشات والمجلات وتتجه إلى المظاهرات واقتحام أبواب البرلمان.

وتمتثل رئيسة «حزب بنت النيل» لتلك التوجيهات ففي إبريل سنة ١٩٥٢ خرجت مظاهرة من قاعة «إيوارت» بالجامعة الأمريكية -ذات التاريخ الطويل في التبشير- قوامها بضع عشرات من الفتيات الكاسيات العاريات، تتقدمهن زعيمة الحزب المذكور وبعض الشبان من أصدقاء حزبها وأنصاره إلى دار البرلمان هاتفات بالحقوق السياسية المزعومة!

وكان الهدف من ذلك كله إشغال الرأي العام بقضية المرأة عن التفرغ لقضية (الوطن الأسير) الذي كانت تحتله آنذاك الدولة التي تمثلها « مسز سمر سكيل « الغيورة على (حقوق المرأة المصرية) !!!

وفورًا أبرقت جمعية «سان جيمس» الإنجليزية إلى الزعيمة المذكورة بتهنئتها على نجاحها في اتجاهها الجديد نحو المظاهرات وتعلن تأييدها لها حتى تنال المرأة المصرية على يديها الحقوق السياسية تحت قبة البرلمان وفوق كرسي الوزارة.

فهل أدركت يا أخت الإسلام: حقيقة «الحركات النسائية» وهدف «القومية النسائية العالمية»؟ إن الكلام عن «العالمية» في هذا المجال ضار جدًا وهادم لأسباب النهضة عند الأمم الضعيفة بنوع خاص لأنها إذا أرادت أن تنهض فلن تقوم لها نهضة إلا على

مغارسها وأصولها الأولى والنهضة على غير هذا الأساس فناء لذات العنصر الأضعف في العنصر الأقوى.

حصاد المؤامرة:

في نفس الوقت الذي ارتفعت فيه نعرة توحيد «القومية النسائية» كان دأب «دعاة تحرير المرأة» رجالًا ونساءً الأهم هو فصل قضية تحرير «المرأة» المسلمة عن قضية تحرير «الوطن» المسلم وفصل قضية الظلم الواقع عليها عن قضية الظلم الواقع على الرجل المسلم: تجزئة للقضية الواحدة من أجل أن تتفتت في مسارات متباينة متعارضة بل ومتصارعة إذ لم يقف الأمر عند هذه التجزئة بل تعداه إلى أن جُعلت المرأة المسلمة تقف خصمًا أمام الرجل المسلم وأمام الوطن المسلم تقف خصمًا ضد شريعتها تمتلئ رعبًا وهلعًا كلما قيل لها: هناك من يطالب بتطبيق حكم شريعتك وتنفرج أساريرها فرحة كلما وجهت ضربة إلى الشرع الحنيف عن طريق سن المزيد من القوانين العلمانية المستمدة من قوانين الغرب.

دور النسوية في تفكيك الأسرة في المجتمعات الغربية

الحرب على الأمومة:

تخبرنا الحركة النسوية بأن النساء بحاجة إلى «أن يكنَّ أكثر حضورًا»، وأن النساء بحاجة إلى «التمكين»، أي أن المرأة تكسب شيئا ما من خلال قضاء أوقاتها الثمينة في البحث عن المال والألقاب والقيادة بدلًا من قضائها الوقت مع زوجها وأطفالها. في الواقع، تكسب المرأة بذلك القليل جدًّا وتفقد الكثير جدًّا.

تحرِّض النسويات النساء بقوة على السعي إلى تكريس أنفسهن للحياة المهنية على حساب كل شيء آخر. شعارهن «كوني متمكنة»، «كوني مستقلة»، اذهبي إلى مسيرة النساء (وارتدي القبعة الجنسية على رأسك)، وكوني ناشطة صريحة لتغيري العالم، انحري النظام الذكوري الأبوي، الرجال أشرار (أو على الأقل متوحشون وأنانيون) وسيستعبدونك، لذلك لا تطيعي أي زوج، ولكن احصلي على وظيفة حيث يمكنك بدلا من ذلك أن تطيعي رئيسك!!! كوني أَمَةً للراتب، هذه هي الحرية، سوف تكونين سعيدة، وسيمكنك ذلك من فعل أي شيء يفعله الرجل، لماذا يمكن للرجل الحصول على وظيفة مرموقة دونك؟

هذا ما تقرره النسوية، والإسلام يقرر عكس ذلك.

فما الخطأ في أن تريد الزوجة أن تكرس حياتها لزوجها وأبنائها ومنزلها أكثر من وظيفتها؟ إن أحد أهم الأشياء الجالبة للسعادة والرضى عند المرأة في الحياة هو إنجاب الأطفال، وتغذيتهم، وحبهم، إنه من المشين أن يُعتبر هذا شيئًا ثانويًا. وُجهت خدعة للنساء وهي: أنه من الأفضل أن يضحين بأكثر سنوات شبابهن خصوبةً سعيًا وراء أي شيء عدا كونهن زوجات وأمهات؛ هذا الأمر كارثي.

إن ترجُّل النساء هو شق آخر في الفكر النسوي.

يجب أن نسأل أنفسنا: هل دور المرأة في الإسلام أن «تعمل لساعاتٍ طوال» في وظيفة خارج منزلها بعيدًا عن أهلها، وأن تضع حياتها وجسدها «على المحك»؟ متى وأين طلب الإسلام من المرأة المسلمة أن تفعل ذلك؟ أين ومتى قرر الإسلام أن الأمر يستحق؟

في الواقع، المكلَّف بتلك المهام الدقيقة هم الرجال، مثل العمل وتوفير المال والحماية. إن ذلك خوطب به الرجال لا النساء، فهذه المهام الصعبة التي تتمثل في وضع حياتهم وأجسادهم على المحك لحماية عائلاتهم، ومجتمعاتهم، وأمة المسلمين أجمع. بالطبع من الواجب على النساء أن يحمين العائلة والأطفال في الحالات الطارئة والخطيرة، لكن ليس هذا هو الدور الذي اختاره الله للنساء بشكل عام، بل ذلك الدور خوطب به الرجال المسلمون.

هناك مزايا للذكور ومزايا للإناث (كما لكل منهم أوجه قصور). ومع ذلك-بسبب النسوية- أصبح هناك جهد قوي ومتضافر لمساواة جميع السمات والصفات، وإنكار وجود اختلافات جوهرية بين الذكور والإناث. وكل هذا يتناقض تناقضًا صارخًا مع المنظومة الإسلامية.

فللإسلام مفهوم قوي وصحي للاختلافات بين الجنسين وأدوار كلٍ منهما. فهو يقدّر بشكل كبير الزواج والأسرة، والأدوار المناطة بالزوجين. فكل شخصٍ له حقوق وعليه مسؤوليات معينة، تختلف باختلاف الجنس. الزوج هو رب الأسرة، ويرشد زوجته وأولاده إلى أفضل سبيل نحو التقوى والأخلاق والدين وهو مسؤول أمام الله عن ذلك، وهو تكليفٌ مَهِيب.

والزوجة شريك مُتفانٍ ومخلصٌ، تحترم سلطة زوجها وتتعاون معه في مهمتهما المشتركة لتكوين أسرة مسلمة صالحة. الزوج هو القائد، ولذلك فدوره يرتبط بمسؤوليات عظيمة، فيجب عليه الحماية وأن يتخذ ما يلزم بشأن التعليم الديني وأن يلبي احتياجات زوجته وأبنائه، دون أن يسيء معاملتهم أو يهملهم بأي شكل من الأشكال. هذه مسؤوليات الزوج المسلم وحقوق الزوجة المسلمة.

أما مسؤوليات الزوجة المسلمة (ما هو حق للزوج) أن تكون متعاونة في سعيها لإرضاء زوجها وطاعته، وصيانة منزلها، وأطفالها، ونفسها في وقت غيابه. فهذا التقسيم للأدوار ذو كفاءة وفعالية، بحيث يؤدي كل فرد أدواره المحددة، مما يفيد في تقوية الجوانب الفطرية في شريكه.

بتفكير بسيط، يرى كل منصف حكمة النسق الإسلامي الإلهي متفوقة بوضوح على ما تعرضه النسوية من فوضى هدامة.

تشويه الأسرة:

إن الغرب قد شوَّه العلاقة التي ينبغي أن تكون في الأسرة بين الزوج وزوجته، وتبعهم في ذلك العلمانيون والنسويون والنسويات، فالأسرة عندهم كأنها مجرد زوجين يتناطحان فيما بينهما لإثبات أفضلية أحدهما على الآخر، فتقوم الأسرة على النِّدِّيَّة بين الرجل والمرأة، مما قد يحوِّل الحياة بينهما إلى جحيم.

إن النظرة النسوية كانت نتاج التطور التاريخي والاجتماعي في المجتمعات الغربية فمع الثورة الصناعية وخروج المرأة للعمل بدأت تظهر فلسفات مادية تعتبر أن النظام الأسرة هو سبب معاناة المرأة وتطالب بالحرية المطلقة للمرأة وتفكيك الأسرة، هذه النظرة المادية أخذت في الانتشار والتوسع في أعقاب الثورة الفرنسية حيث أعلن ميثاق حقوق الإنسان تحت شعار «الحرّية والمساواة والإخاء» وكان ممّا هدفت إليه الثورة الفرنسية هو تحرير المرأة.

ونتيجة للحراك الفكري المصاحب للثورة الصناعية ظهر في أوربا عدد من المفكرين حاولوا إعادة صياغة مفهوم الأسرة، كان من أبرزهم إيميل دوركهايم (١٨٥٨- ١٩١٦) والذي يعد مؤسس علم الاجتماع الحديث الذي أنكر دور الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية وهو بذلك يعارض أصول أصيلة من النظام الإنساني. إن للأسرة وظائف أساسية أخرى غير عمليات التنشئة تتعلق بعضها بالناحية البيولوجية وتنظيم الاتصالات الجنسية وحفظ النوع ودوام بقائه. كما لا يمكن إغفال دورها الهام في عمليات التنشئة

حتى في ظل المجتمعات الحديثة إلى جانب المؤسسات المجتمعية الأخرى كالمدرسة ووسائل الإعلام.

ولا يعترف «دوركايم» بأن الحياة البشرية يمكن أن تفسر عن طريق نفسية الفرد وطبيعته وكيانه الفردي وإنما يفسرها العقل الجمعي وهذا الرأي معارض مع مفهوم الإسلام الذي يقرر أن كل إنسان مسئول عن نفسه مسئولية خاصة. وأن تعلله بفساد المجتمع أو اضطرابه لا ينجيه من الجزاء.

ومع ذلك اختلف «دوركهايم» مع النظرة الماركسية ولم يطالب بإلغاء الأسرة وإشاعة الجنس، بل إن دراسته لظاهرة انتشار الطلاق والانتحار في دول أوربا الغربية في القرنين السابع عشر والثامن عشر دفعته للاعتراف بأهمية الأسرة في التصدي لهذه الظواهر... حيث يسمح للأسرة بدور سماه (بالصغير) يمكن أن تقوم به لتفادي هذه الظواهر، يتلخص هذا في الدعم المعنوي الذي تقدمه الأسرة لأفرادها الذين أصبحوا ملكا للدولة العلمانية وأنظمتها.

وعلى الرغم من أن دوركهايم لم يَلْغِ تماما دور الأسرة في المجتمع،إلا أن كتاباته والتي انتشرت في أوربا الغربية بالإضافة للفكر الماركسي والذي سيطر بعد ذلك على أوربا الشرقية مَهَّدا الأرض للفكر النسوي وللتغييرات التي وقعت في شكل ومفهوم الأسرة في المجتمعات الغربية.

إعادة التفكيك:

تجاوزت الحركة النسوية خلال النصف الثاني من القرن العشرين، فكرة أنها حركة حقوقية، تطالب بحرية المرأة ومساواتها مع الرجل، إلى مفهوم أعم وأوسع، يحاول إعادة تفكيك كل شيء وصياغته من جديد: المفاهيم، التاريخ واللغة والرموز والفلسفة والأدب- استنادًا إلى رؤية أنثوية تتم في إطار الفكر النسوي، وتستفيد من فرضياته وتصوراته، وكانت أبرز ما قام به الفكر النسوي في هذا الإطار هو محاولة تفكيك مفهوم الأسرة، وإعادة صياغته من جديد.

النظرة النسوية للأسرة:

في عام ١٩٥٥م انطلقت في الولايات المتحدة الأمريكية حركة الحقوق المدنية للسود، حينما رفضت امرأة سوداء في الثانية والأربعين من العمر تدعى روزا باركس Rosa Parks أن تترك مقعدها لرجل أبيض صعد الباص، وأدى ذلك إلى محاكمتها بتهمة عصيان قانون التمييز العنصري؛ مما أدى إلى إشعال ثورة ضد التمييز العنصري، وفي الوقت ذاته كانت هناك مظاهرات طلابية عامة يقودها اليساريون ضد الحرب في فيتنام.

في ظل هذه الأوضاع ظهرت مجموعات نسوية تطالب بحق المرأة في المساواة بالرجل، وقد تجاوب الرئيس جون كنيدي مع هذه المطالب، وقام بتكوين لجنة الفرص المتساوية في العمل، للتصدي لمشكلات المرأة، وقد أدى فشل هذه اللجنة إلى ظهور (المنظمة الوطنية للمرأة) التي أسستها بيتي فريدان، واستقطبت هذه المنظمة غالبية المجموعات النسوية، خاصة اليسارية.

بعد اتساع عضويتها غيرت المنظمة الوطنية للمرأة اسمها إلى حركة تحرير المرأة، ثم عرفت فيما بعد بالحركة الأنثوية، وأعلنت الحركة عن وجودها من خلال تظاهرة حاشدة في مدينة نيويورك، ومنذ ذلك الوقت بدأت تأخذ الحركات النسوية منحى أكثر تطرفا، وتنتشر خارج الولايات المتحدة الأمريكية في أوروبا، بل وبلدان آسيا وإفريقيا.

وفي هذا الإطار قامت منظرات النسوية بما أسمينه (عملية التفكيك) وإعادة تركيب الأطر الأساسية لقمع المرأة واسترقاقها وبحسب النظرة النسوية فإن الأطر التي ساهمت في قمع المرأة هي الدين، اللغة، الفن، الأسرة، وقد سعت الحركة لتفكيك هذه الأطر وإعادة صياغتها من جديد. ما يهمنا في هذا الصدد هو الإطار الأسري.

تفكيك مفهوم الأسرة:

بحسب رأي النسويات فإن الزواج يمثل النظام القانوني الذي يسوغ حبس المرأة فيما يسمى الأسرة، فالنسويات يرون أن الزواج والأسرة هما التجسيد العملي لتصورات الرجل والميدان الذي يمارس فيه نزعته الاستعبادية المشروعة دينا وعرفا.

وتعد "بيتي فريدان" مؤسسة الحركة النسوية هي المنظرة الرئيسة لهذه الآراء، من خلال كتابها "الغموض الأنثوي"، والذي صدر عام ١٩٦٣م، والذي طرحت فيه أن تحرر النساء يُبْنَى على تحريرهن من فكاك الأسرة، والتخلي عن أدوارهن الإنجابية والخدمية، وانتقالهن إلى المجال العام.

كما شنت بيتي فريدان هجوما عنيفا على مفهوم الأسرة وأسمتها بمؤسسة إخضاع المرأة، وطرحت في المقابل مفهوم العمل المرن، والتمييز الإيجابي. وعقدت مقارنة بين موقف النساء الممنوعات من التصويت والانتخاب، وبين الأمريكيين من أصول أفريقية. مؤكدة على أنه من خلال مشاركة النساء في منظمات مناهضة العبودية، أدركن أنهن أيضا يعانين من نوع من العبودية، وأنهن أيضا يحتجن إلى التحرر.

مهدت "فريدان" بكتابها "الغموض الأنثوي" الطريق للنسويات للسير على خطاها في تفكيك مفهوم الأسرة، حيث قامت الكاتبة النسوية "شولاميث فايرستون" في كتابها "جدلية الجنس" بنقض مفهوم الأسرة، والدعوة إلى تحرير المرأة والثورة ضد سيطرة الرجل، وبذلك يصبح الطريق ممهدا لانهيار البنيات الاجتماعية والثقافية وهي الأسرة، والزواج، والأمومة. وهي البنيات التي تقدم الدعم الأيديولوجي لهذا التقسيم الجنسي.

وتدعو الكاتبة النسوية "مونيك ويتق" إلى ثورة أنثوية لا لتغيير النظام السياسي والاجتماعي فحسب، وإنما لتغيير نظام الأسرة والعلاقات الشخصية. وترى أن أول عوامل نجاح هذه الثورة، هو توعية النساء أي أن يترسخ في وعيهن أنهن موضوع الهيمنة والاحتكار.

واعتبرت "ويتق" أن العلاقات السحاقية هي البديل للنظام الأسري حيث تقول: «حاليا يتيح السحاق النمط الاجتماعي الوحيد الذي يمكن أن نعيش فيه بحرية، فالسحاقية هي المفهوم الوحيد الذي أعلم أنه يقع خارج نطاق التقسيم الجنسي (رجل – امرأة)، لأن من تسمي سحاقية ليست امرأة، لا اقتصاديا ولا سياسيا ولا أيدلوجيا».

وشهد العقد السابع من القرن العشرين ظهور كثير من الكاتبات الأنثويات اللائي

يدعمن آراء فريدان وفايرستون، منهن على سبيل المثال "جيرمن جرير" والتي دعت للتحرر الجنسي كوسيلة للحرية الكاملة من الأسرة، كما طالبت النساء برفض الزواج.

كما اشتهرت "شارلوت بانش" التي رأت في الشذوذ قمة تحرر المرأة ورفضها لهيمنة الرجل، كما رأته رمزًا لتحدي المرأة للأنظمة القمعية الأبوية والاجتماعية والأيديولوجية.

وكتبت "شارلوت" قائلة في "السّحاق والحركة النّسائيّة ١٩٧٥": «إنّ المرأة السّحاقيّة ترفض الهيمنة الجنسيّة/ السّياسيّة الّتي يُمارسها الذّكر، وتتحدّى عالمه وتنظيمه الاجتماعيّ، وأيديولوجيّته وتعريفه لها على أنّها أدنى منه».

حتى وصل الأمر بأحد الناشطات النسويات (تي غريس أتكينسون) للقول: «لو كان الفيمينيزم هو النظرية، فالسحاق هو التطبيق».

وتبنت الحركة الأنثوية البريطانية دعوة الأنثويات الأمريكيات، فخلال المؤتمر التأسيسي الأول للحركة النسوية البريطانية دعت المؤتمرات إلى التغيير الكامل للمجتمع من القاعدة إلى القمة، ليس فقط تغيير النظام الاقتصادي والاجتماعي، ولكن تغيير نظام الأسرة والعلاقات الشخصية. وظهر أول تنظيم يدعو لاعتماد الشذوذ بديلا للأسرة في مدينة ليدز البريطانية عام ١٩٧٩م، باعتباره الهوية الصحيحة للمرأة. كما سارت النسوية الفرنسية على النهج نفسه.

ولضمان نجاح هذه الحملة ضد الأسرة، تقلل النسويات من شأن مفهوم الأمومة الذي يتشكل في إطار مفهوم الوظيفة الطبيعية والبيولوجية، وتدعو النسوية إلى الاستفادة من تقنيات الأجنة الحديثة لوضع حد لهيمنة نظام الزوجية باعتباره سبيل التكاثر الطبيعي، وتحلم بعض الكاتبات النسويات من أمثال «شارلوت جيلمان» بتطوير وسيلة التكاثر اللاجنسي. وهو مصطلح يستخدم للإشارة إلى عملية الإنجاب دون أن يكون للرجل أي دور فيها، وهذا يفسر الاهتمام بعمليات التلقيح الخارجي المعروف بطفل الأنابيب، وكذلك الاهتمام الملحوظ بالاستنساخ البشري.

كما ترتب على الدعوة لنقض النظام الأسري الدعوة النسوية لتحديد النسل،

وإتاحة موانع الحمل للجميع وإباحة الإجهاض، ونشطت كتابات النسويات التي تحث على دفع البحوث العلمية الخاصة بموانع الحمل؛ دعمًا للحرية الجنسية، والإباحية وإلغاء الأسرة.

هذه الدعوات لم تَحْظَ في بدايتها بقبول مجتمعي، بل شهدت حالة من الرفض، لكنها بمرور الوقت ومن خلال النشاط والمثابرة أصبحت كلها محاور رئيسة في معظم الوثائق الأممية التي تتناول قضايا المرأة.

النسوية واستراتيجيات التفكيك:

ولتحقيق أهدافها بالقضاء على المفهوم الأسري، سعت النسوية لتفكيك العديد من النظم والعقائد والمفاهيم وأبرز جوانب التفكيك ما يلي:

تفكيك الأبوية:

الأبوية تعني: حكم الأب المطلق داخل الأسرة، وتركز القرار كله في يده، وهذا مفهوم خاص بالغرب. والديانة المسيحية زادت من ترسيخ المفهوم وإصباغ الشرعية عليه عبر الكثير من الطرائق، منها: التأكيد على مفهوم الإله الأب والابن (أي الذكر)، وتسمية وتشبيه المولى ﷻ بالأب.

وغالب المنتمين إلى التيار النسوي يطلقون هذا المصطلح، ويقصدون به حقيقة ما يسمونه بالسيطرة الذكورية المطلقة على كافة مناشط الحياة، وخضوع المرأة في مراحل عمرها المختلفة، منذ نشأنها حتى مماتها، وفي كافة أنشطتها البينية، لسيطرة الرجل.

فهو مفهوم يقصد به التيار النسوي توجيه الأنظار إلى ما يطلقون عليه القهر والاستغلال الذي تتعرض له النساء، والقيم المفروضة عليهن اجتماعيا، أكثر من كونها ترجع لاختلافات بيولوجية بين الجنسين، والتي تجعل المرأة خاضعة كلية للرجل.

وهو ما يسفر، وفق ما يقول النسويون في نهايته عن سيطرة كاملة للذكور، بحيث يبقى الخطاب المهيمن هو خطاب الأب وأمره وقراراته، وينشأ بالتالي ما يسمى بالبطريركية الأبوية، أو المجتمع الأبوي.

ولتفكيك النظام الأسري استخدمت النسوية افتراضيات تاريخية تزعم بأن المجتمع

أصله (أمومي(، وهو عبارة عن شكل افتراضي من أشكال المجتمع، تكون فيه السلطة للمرأة، سواء في الفضاء الأسري أو الاجتماعي أو السياسي. فالأبناء فيه يُنسبون إلى الأمّ، وينحصر حقّ الإرث في فرع الأمّ في سلسلة النسب، هذا فضلًا عن أنّ الزوج يقطن مع عشيرة الأمّ. ووفقا لهذا التعريف فإن المرأة في هذا النظام تحتكر الأدوار المركزية القيادية السياسية والسلطة الأخلاقية.

وقد عملت النسوية على نشر مفهوم الأبوية والسلطة الذكورية في مقررات والمؤتمرات الدولية لكي تلصق به أسباب ما تعانيه المرأة في المجتمعات من عنف وتهميش واضطهاد.

تفكيك الدين:

ترى النسوية أن المسيحية عقيدة أبوية استعبدت المرأة بتشريعاتها الخاصة بالزواج والأسرة وأسقطت هذا الاتهام على الأديان الأخرى كالإسلام، ومن هذا المنطلق بدأت بعض الكاتبات الأنثويات في إخضاع كتابي العهد القديم والجديد للدراسة من منظور أنثوي، وذلك من خلال إعادة تفاسير النصوص ولا سيما تلك التي تتناول علاقة المرأة بالرجل، وحاولت أخريات تأنيث النصوص والذات العلية والملائكة.

وذهبت بعض النسويات إلى أن المجتمع العشائري كان إلهه أنثى وأن المرأة لذلك هي أسمى من الرجل، ترى "لوسي آيجاري" في مقالها "نساء ربانيات" غياب الأنثى في المسيحية واليهودية بجانب أن هذه الديانات منحازة للرجل حيث تجعل الإله ذكرًا وجعلت الذكر مقياسا لكل طموحات الانسان ومن هنا استمد الرجل سلطته على المرأة، لذلك فإنها تدعو بعبادة إله غير إله الديانات ولتحقيق ذلك حسب زعمها يجب الرجوع للديانات التي تواجدت قبل المسيحية واليهودية واستلهام الديانات التي تقوم على الربة الأنثى.

يذكر أن النسويات نجحن في نقل أفكارهن حول الديانات إلى العالم الإسلامي، حيث أوردت "ماري هجلاند" نماذج من باكستان وإيران والشرق الأوسط لنسويات استعرن مصطلحات النسوية الغربية لوصف الدين الإسلامي بأنه أبوي ويدعو

لكراهية المرأة، وتقول عن نسويات الشرق الأوسط: "إنهن ملحدات أو ماركسيات من نوع أو آخر، وأنهن يرين أن تقدم المرأة الشرق الأوسطية لا يتم بصورة أفضل إلا في إطار علماني".

وينسب لهؤلاء تأسيس الشبكة الدولية المسماة (النساء المقيمات في ظل قوانين إسلامية) ومقرها القاهرة ومن بين المؤسسين للشبكة الكاتبة المصرية "نوال السعداوي".

إن هذا الفكر قائم على أساس تدمير الأديان؛ لأنها قامت على أساس ذكوري من الإله إلى الأنظمة السياسية إلى المجتمع إلى الرجل الذي يتحكم بالمجتمع الذكوري ويستبد به ويصنع هذه البيئة الذكورية على حساب المرأة، كما يقوم هذا الفكر على إزاحة البنى التي قامت على أساس ذكوري ونبذ القوالب الثابتة والأفكار الجامدة في إشارة إلى الأفكار المتأثرة بالفكر الديني.

ثم صياغة فكر نسوي يتمثل في الوثنية النسوية أو دين المرأة الجديد يقوم على مفهوم (الجندر) والأسرة الديمقراطية ويقوم على عبادة.

تفكيك اللغة:

تعتبر اللغة عند النسويات أحد الأدوات الرئيسية لفرض الهيمنة على الرجل، حيث يعتقدن أن البطريركية الأبوية همشت وقللت من قيمة المرأة في الخطاب اللغوي السائد. فحرصت النسويات على تطبيق إستراتيجية التفكيك على اللغة، باعتبارها المرآة التي تعكس ثقافة المجتمع. وأولى اللغات التي صُبَّ عليها جامُ الغضب النسوي هي اللغة (الإنجليزية)، أو (اللغة الذكورية) كما تسميها بعض النسويات.

من جملة المطالب التي طالبن بها:

١- الدعوة إلى تحييد اللغة؛ بالتخلص من مظاهر احتقار المرأة من جهة، وأشكال التفوق الذكوري من جهة أخرى.

٢- الدعوة إلى إزالة جميع صور القهر اللغوي للمرأة، والعمل على تحسين صورتها في المجتمع! كأنها ليست المسؤولة عن تربية هذا المجتمع، وتنشئته على فضيلة بر الأم، واحترام الزوجة، والإحسان إلى البنت!

٣- نفي الصفات التي ألصقت بالمرأة، وأظهرتها جنسًا تابعًا، ضعيفًا، متزعزعًا، وإنكار معاملتها معاملة الأقليات؛ برغم زيادة عدد النساء على الرجال في كل المجتمعات.

ومن السبل اللاتي اقترحنها لرفع هذا التمييز: التخلي عن استعمال لفظ (man) بالمعنى العام (إنسان)، وقَصْره على معناه الخاص (رجل)، ويستبدل بـ: (someone) أو (human) أو (person)، أو تحويل الاسم أو الصفة لتكون محايدة، مثل: (mankind =) (manmade = handmade) (working man = worker) (humankind)، واستعمال ضمائر محايدة بدلًا من استعمال الضمير المذكر؛ في حال احتمال أن يكون المشار إليه ذكرًا أو أنثى بالإضافة إلى الدعوة لوضع معاجم محايدة (nonsexist dictionaries)، تخلو من " التحيز الجنسي ".

وترى عدد من النسويات أن "التفرقة النوعية بين الذكر والأنثى لا هي بيولوجية طبيعية، ولا هي في الأساس اقتصادية استغلالية، وإنما هي كامنة في اللّغة، ما يبرّر انتشارها في شتّى المجالات.

فحسب وجهة نظرهن اللّغة هي الّتي تقوم بعمليّة التّأنيث والتّذكير لكلّ شيء، بما في ذلك الصّفات والجماد والمجرّدات، ومن ثمّ فهي مهد الانقسام، ويتبع هذا الانقسام اللّغوي ويبنى عليه سياسات تفصيليّة متعلّقة بعلاقات القوّة.

وتطالب نسويات هذا التيار الخروج من ثنائيّة الرّجل/ المرأة، إلى ساحة ثالثة جامعة يتمّ فيها الاعتراف بكلّ الصّفات وتقديرها جميعًا دون تمييز، وإقرار إمكانيّة وجود ما قد يبدو متناقضًا. وهنّ مقتنعات أنّ التّمييز النّوعي وما أنتجه من إشكاليّات اجتماعيّة ونفسيّة هو نسقٌ ثقافيّ ذهنيّ لا علاقة له من قريب أو بعيد بالاختلاف البيولوجيّ بين الذّكور والإناث، والّذي تمّ إسقاط معانٍ كثيرة عليه دون أن تنطق به لا أجساد النّساء ولا الرّجال.

ومثلما بدأت محاولة تفكيك العقيدة، بالبحث عن الإلهة الأنثى في الأساطير، حاولت النسويات تفكيك اللغة، بالبحث عن اللغة الأم، ولم تقدم النسويات دليلا واحدا في العثور على أم اللغة المفقودة.

تفكيك اللغة العربية:

وفي عالمنا العربي سارت النسويات العربيات على خطى الغربيات، وطالبنا بتفكيك اللغة، وإعادة صياغتها، وطالبن بإلغاء "نون النسوة"، كما رفضن التعبير بالضمير "هو" عن الخالق سبحانه، وطالبن استخدام الضمير "هي" تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرا.

كما يطالبن بإعادة النظر في النظام الذي يقوم عليه النحو والصرف من الأساس، حيث يرد المؤنث إلى المذكر، مما يحول في النهاية لغة المؤنث إلى اللغة المنسية الهامشية المرتبطة بالانفعال.

وهناك عدد من الكتابات التي اهتمت بنقد علم النحو والصرف. معتبرة أنه أسس من وجهة نظر ذكورية نحو كتاب «الحريم اللغوي» ليُسرَى المقدم، حيث ترى أن النحو يقيد الحريم اللغوي بضوابط صارمة وملزمة.

هذا الطرح النسوي لما يسمى التمييز في اللغة، والذي أدى إلى التمييز في الواقع، يشعرك كأن الأمر يتعلق بـ"مؤامرة" واعية، حاكها أناس يعملون في السر ضد المرأة، لصبغ اللغة بهذه الصبغة دون اعتبار لنشأة اللغات وأصولها وتطورها، ولو كانت اللغة هي نتاج تحيز ذكوري ضد المرأة. فلماذا ظلت لغة مثل الفرنسية الغلبة فيها للمذكر؟ على الرغم من التحولات الكبرى على مدار عقود من الزمن، والتي شهدها المجتمع الفرنسي حتى أصبح نفوذ المرأة متعاظما؟

تفكيك الأسرة:

الزواج في رأي النسويات، يمثل النظام القانوني الذي يسوغ حبس المرأة فيما يسمى بالأسرة، فالزواج والأسرة عند النسويات هما التجسيد العملي لتصورات الرجل والميدان الذي يمارس فيه نزعته الاستعبادية المشروعة دينا وعرفا، حيث يعتبرن الأسرة مؤسسة إخضاع المرأة، وتعد بيتي فريدان (١٩٣٤) هي العقل المدبر لهذا التوجه"، ففي عام ١٩٦٣م قامت بنشر كتابها "الغموض الأنثوي"، وكان لهذا الكتاب التأثير الأكبر في تبني التصورات النسوية حول الأسرة، حيث طرحت فيه العديد من المفاهيم والمقولات والتي أصبحت هي الموجه للحركة النسوية فيما بعد.

كتاب الغموض الأنثوي:

في عام ١٩٥٧م، طُلب من بيتي فريدان إجراء استطلاع رأي، يشمل زملاءها السابقين في كلية سميث كوليدج، لكن النتائج أصابتها بالإحباط؛ فالفتيات اللاتي درسن وتميزن في الفنون والعلوم أخضعن عقولهن وشخصياتهن لدور ربة المنزل بنسبة: ٨٩ ٪ من خريجات كلية "سميث كوليدج" اللاتي أَجَبْنَ على استطلاع الرأي أصبحن ربات بيوت. ولما شعرت ربة المنزل في فترة الستينيات بالكبت الفكري والافتقار إلى طريقة للتعبير عن نفسها غير الطهي والجنس. شعرت بالاختناق بفعل ما أطلقت عليه بيتي فريدان "الغموض الأنثوي". كتبت بيتي قائلة: «تُصارِع كل ربة منزل في الضواحي هذا الغموض بمفردها. فبينما ترتب الأسِرَّة، وتبتاع البقالة، وتنتقي أغطية المقاعد المتناسقة، وتأكل شطائر زبدة الفول السوداني مع أطفالها، وتوصِّل الأولاد والبنات إلى معسكرات الكشافة، وترقد بجوار زوجها في الليل، كانت تخشى أن تطرح ولو على نفسها هذا السؤال الذي لم يتجاوز شفتيها: أهذا كل شيء؟».

يبدأ الكتاب بمقدمة، واصفا المحور الذي يدور حوله بـ"المشكلة التي لا يوجد لديه اسم"، أي عدم شعور المرأة بالرضا على نطاق واسع للمرأة في الفترة من عام ١٩٥٠م، وحتى أوائل ١٩٦٠م. ويناقش الكتاب حياة العديد من ربات البيوت، من جميع أنحاء الولايات المتحدة الذين كانوا غير راضين، على الرغم من أنهن يعشن في حالة من المستوى المادي المناسب ومتزوجات ولديهن أطفال، لتعلن أنه "لم يعد بإمكاننا تجاهل ذلك الصوت داخل المرأة الذي يقول: أريد شيئا أكثر من زوجي وأطفالي وبيتي.

يركز كتاب الغموض الأنثوي على قضية المساواة، ويهاجم إعلاء دور المرأة كأم وزوجة، ويدعو إلى تحقيق المرأة لذاتها، من خلال التعليم والعمل، وينتقد محاولات تصوير المرأة ربة المنزل كامرأة سعيدة، وترى "فريدان" أن تحرر النساء يبنى على تحريرهن في المجال الخاص (الأدوار الإنجابية والخدمية)، وانتقالهن إلى المجال العام، كما طرحت "بيتي فريدان" مفهوم العمل المرن، والتمييز الإيجابي. وفي الواقع: فإن هذا الكتاب كان بمنزلة المرجع للعديد من الأفكار بشأن حركة التمركز حول الأنثى لفترة طويلة.

احتل كتاب «الغموض الأنثوي» قائمة صحيفة نيويورك تايمز للكتب الأعلى مبيعًا لمدة ستة أسابيع بعد إصداره، ويعتبر الكتاب على نطاق واسع واحدا من أكثر الكتب تأثيرا في القرن العشرين، وبحلول عام ٢٠٠٠م تم بيع أكثر من ٣ ملايين نسخة من الكتاب، وترجم إلى العديد من اللغات الأجنبية.

تقول "برجيت بيرجر" (أستاذة علم الاجتماع الأمريكية) عن هذا الكتاب: «إنه يصف وضع الزوجة في الأسرة بالسجن، وأن تحريرها لا يكون إلا بخروجها إلى المجال العام. وعليه فالحرية تعني قبل كل شيء: التحرر من الأسرة».

وعلى خطى "فريدان" انخرطت مجموعات من النسويات يطالبن بهدم الكيان الأسري، وتحرير المرأة من الأسرة، من أبرزهن الكاتبة النسوية الفرنسية "مونيك فيتيغ" (١٩٣٥- ٢٠٠٣م) التي تدعو إلى ثورة أنثوية، لا لتغيير النظام السياسي والاجتماعي فحسب، وإنما لتغيير نظام الأسرة والعلاقات الشخصية. وترى أن أول عوامل نجاح هذه الثورة، هو توعية النساء أي أن يترسخ في وعيهن أنهن موضوع الهيمنة والاحتكار.

واعتبرت "ويتق" أن العلاقات السحاقية هي البديل للنظام الأسري، حيث تقول: «حاليا يتيح السحاق النمط الاجتماعي الوحيد الذي يمكن أن نعيش فيه بحرية، فالسحاقية هي المفهوم الوحيد الذي أعلم أنه يقع خارج نطاق التقسيم الجنسي (رجل - امرأة)، لأن من تسمي سحاقية ليست امرأة، لا اقتصاديا ولا سياسيا ولا أيدلوجيا».

هذه الرؤية المركبة المطلوبة لإزالة سلطة الرجل، تتمثل في الثورة على نظام الزوجية وإحلال الشذوذ محله، تقول الشاعرة الأمريكية والباحثة النسوية "أدريان ريتش" (١٩٢٩- ٢٠١٢م): «ربما يدعي بعضهم بأن القمع حالات فردية ينبغي ألا نحكم بها على الزواج مطلقا، لكن القضية الأساسية ليست فيما يترتب على الزواج، ولكن في نظام الزواج نفسه وسيلة لخلق علاقة بين الرجل والمرأة».

وتضيف: «إن الشذوذ هو الأصل الذي تمت محاربته بشتى السبل، ومنها: حزام العفة، والزواج المبكر، ووصم الشذوذ بأنه داء تجب معالجته».

ولضمان نجاح هذه الحملة ضد الأسرة، تقلل النسويات من شأن مفهوم الأمومة الذي يتشكل في إطار مفهوم الوظيفة الطبيعية والبيولوجية، وتدعو النسوية إلى الاستفادة من تقنيات الأجنة الحديثة، لوضع حد لهيمنة نظام الزوجية باعتباره سبيل التكاثر الطبيعي، وتحلم بعض الكاتبات النسويات من أمثال شارلوت جيلمان بتطوير وسيلة التكاثر اللاجنسي. كما ترتب على الدعوة لنقض النظام الأسري الدعوة لتحديد النسل، وإتاحة موانع الحمل للجميع وإباحة الإجهاض.

ما هو مفهوم (الجندر) (Gender)؟

يقوم هذا المفهوم على أساس تغيير الهوية البيولوجية والنفسية الكاملة للمرأة، و يقوم أيضًا على إزالة الحدود النفسية التي تفرق بين الجنسين على أساس بيولوجي أو نفسي أو عقلي، كذلك يزيل الهوية الاجتماعية التي تحدد دورًا مختلفًا لكل واحد من الجنسين في الحياة وتمايزه عن الجنس الأخر.

سبب التمييز والاختلاف بين الرجل والمرأة حسب تفسير الحركة النسوية: أن التنشئة الاجتماعية والأسرية تتم في مجتمع ذكوري أي أن الأنظمة ذكورية والآلهة ذكورية حتى عقيدة التثليث المسيحية هي ذكورية فالأب والابن وروح القدس كلهم ذكور يرمز لهم بـ (He) ضمير المذكر وليس (She) ضمير المؤنث.

هذه التنشئة الاجتماعية والأسرية والبيئية التي يتحكم بها الذكر على الأنثى تحدد دور المرأة في المجتمع فتنشئ تمييزًا جنسيًّا، فالأنثى اكتسبت خصائص الأنوثة بسبب التنشئة الاجتماعية و البيئية وبسبب المصطلحات اللغوية التي تميز بين الذكر والأنثى، التي أبرزتها كأنثى، بينما الذات الواحدة يمكن أن تكون مذكرًا أو مؤنثًا حسب القواعد الاجتماعية السائدة، فلا توجد ذات مذكرة في جوهرها ولا ذات مؤنثة في جوهرها.

هذا الاعتقاد هو الذي قاد إلى فكرة (الجندر) أي النوع الاجتماعي باعتبار أنه إذا بقي الوصف بالجنس (ذكر وأنثى) لا يمكن أن تتحقق المساواة مهما بذل من محاولات

لتحققها فلابد من إزالة صفة الأنوثة لتحقيق المساواة أو تخفيفها على الأقل لتخفيف التمييز وبناء على ذلك لا يقسم المجتمع على أساس الجنس ولا تقوم الحياة الاجتماعية ولا تؤسس العلاقات الاجتماعية على أساس الذكر والأنثى إنما يكون نوع إنساني (Gender)، وبذا تتخلخل هذه الثنائية الاجتماعية المكونة من المذكر والمؤنث.

كيف يمكن إيجاد الأسرة الديمقراطية وتكريس مفهوم جديد للأسرة يتوافق مع مبادئ هذا التيار باعتبار أن الأسرة التقليدية عائق في تحقيق المساواة الكاملة؟ يتم ذلك من خلال إجراءات تحقق في النهاية خصائص الأسرة الديمقراطية،وأهم هذه الإجراءات:

- إلغاء مؤسسة الزواج؛ لأنه معوق أساس في تحقيق المساواة وهو في النهاية يخلق طبقية بين الزوجين ويكرس السيادة للمذكر على المؤنث.
- تحرير المرأة من الحمل والإنجاب وإحلال الحمل والإنجاب الصناعي لأن الحمل والإنجاب عمليتان استبداديتان في حق المرأة فلابد من تحرير المرأة منهما.
- إلغاء دور المرأة في تربية الأطفال ومن القيام بالأعمال المنزلية وإقامة مراكز تربوية لتربية الأطفال داخل المجتمع وليس بالبيت.

هذه المبادئ تأخذ عند بعض جيوب هذا التيار شكل إنشاء دين جديد وثني يسمونه دين المرأة الجديد أو الوثنية النسوية (female paganism) حسب مصطلحاتهم.

بمرور الوقت، ومن خلال النشاط والمثابرة، أصبحت كل هذه النقاط محاور رئيسة لمطالبات منظمات المجتمع المدني كما تم إدراجها في معظم الوثائق الأممية التي تتناول قضايا المرأة، وكان من نتاج ذلك تفسخت الأسرة في المجتمعات الغربية، وفيما يلي شهادة لعدد من الكاتبات الغربيات عن تأثير النسوية على الكيان الأسري في الغرب.

شهادات غربية

أدرك بعض «عقلاء الغرب» خطورة الحركة النسوية على الزواج والأسرة والمجتمع، فظهرت العديد من الكتابات التي تكشف النقاب عن درجة هذه الخطورة وتُحذر منها، وسنختار من هذه الكتابات الغربية ما يمكن أن نعتبره «شهادات» لعلها تنبه النساء المسلمات- اللاتي يَتبنَّينَ هذا النوع من الفكر- إلى آثاره التدميرية على المجتمع عامة وعلى الزواج والأسرة المسلمة بصفة خاصة.

أولًا: في مقالة بعنوان: "النسوية والأسرة" كتبت "ب. لانسا" الآتي:

انطلقت النسوية في هجومها على الأسرة من شعار "سيمون دى بوفوار": «إن المرأة لم تولد أنثى، وإنما المجتمع هو الذي جعلها كذلك». إن مثل هذا الهراء ينكر المواصفات الفطرية للمرأة، ويمثل حربًا ضد طبيعتها. إنه لا بد لنا من أن نعلن بوضوح عن حقيقتين أساسيتين:

الأولى: أن كون الإنسان رجلا أو امرأة ليس بناء اجتماعيا، لكنه حقيقة بيولوجية لها دورها في منهج التناسل البشرى.

الثانية: أنه إذا كانت الفلسفة الماركسية مسؤولة عن القبول العام للعديد من الأفكار الاقتصادية الزائفة، فإن النظرية الفرويدية بمفاهيمها المعروفة عن الجنس والرجل والمرأة، كان لها أثرها العام على العلاقات الجنسية وحياة الأسرة. إن قبول الناس غير النقدي لفكرة أن ضبط الحياة الجنسية يوجد كبتا جنسيا، فتح الطريق أمام التساهل في مسائل الجنس، وجعل اللذة هي الأصل في العلاقة بين الجنسين.

إن فكرة تحرير المرأة لم تجذب إليها إلا هذه الفئات من النسوة من ضعيفات العقول، اللواتي عشن حياة عاطفية مشوهة، فجعلن من هذه الحياة سبيلا لتشويه الواقع، فهددن بذلك ليس فقط جنس النساء كله، وإنما المجتمع بأسره. لقد عاشت هذه النسوة حياة زوجية محطمة، وكن أمهات غير متزوجات، ووجدن أنه يصعب عليهن الجمع بين تربية

أطفالهن، والمحافظة على سياقهن المهني، وحرمت البعض منهن من دعم اقتصادي رجولي، فدفعتهن كل هذه الظروف إلى الانجذاب للنسوية، فتسببن فيما يعرف الآن بالعنوسة القهرية. هذه الحياة النكدة التي عاشت فيها هؤلاء النسوة، جعلتهن فريسة سهلة لبائعات نسوة الجندر. لقد وجدت هذه النسوة في نسوية الجندر هذه تفسيرا مقبولا وتعويضا عن المآسي والكوارث اللاتي عشنها.

إن مكمن الخطر في نسوية الجندر أنها أصبحت أحد العوامل الأساسية في تخريب الأسرة. وضرب مثلث "الله والوطن والأسرة". إننا حينما نتحدث عن هذا المثلث بتقدير واحترام، لا تجد منهن إلا قهقهة عالية مليئة بالسخرية.

لقد أثبتت العديد من الدراسات أن انتشار الكثير من أمراض المجتمع، إنما يعود إلى انهيار الأسرة. إن الأسرة هي المحضن الذي يعلم أفراده الحب والعاطفية النامية. إنها المكان الذي يجد فيه المراهقون الملجأ والملاذ، والراحة والتشجيع في عالم مليء بالمتاعب. فى الأسرة يتعلم الأطفال الولاء، والواجب، والمشاركة، وضبط الذات. إن هذه الفضائل هي النموذج التقليدي الذي تتحقق فيه الصحة العاطفية للأسرة، ويتعلم أفرادها أول الدروس التي تساعدهم على تطوير أنفسهم ومجتمعهم. إن انهيار الأسرة هو اليوم جزء أساس من الأزمة العامة التي يعيشها المجتمع الغربي.

لقد جاء اللوبي النسوى ليعزز هجومه على الأسرة، وينشر ثقافة موانع الحمل والواقي الذكرى.

يكفينا هنا أن نشير إلى هذا القس الإنجليكانى في لندن الذي أعلن أمام الناس أن الزنا ليس بخطيئة، إنه ببساطة نوع من القسوة. لقد اعترفت العديد من البلاد اليوم بشرعية زواج الشواذ، وبحقهم في الشعور بالأبوية. هناك العديد من الأزواج بلا أطفال، وهناك أمهات غير متزوجات، وأعدادهن ترتفع بشدة.

إذا أصبح كل هذا الذي يقوله القس مقبولا اجتماعيا، وليست هناك إلا احتجاجات

ضعيفة على مثل هذه التصريحات، فلا مشكلة هناك إذن مع النسوية الجندرية، ولا نحزن إذا وجدنا العديد من صور التسامح والتعاطف معها[١].

ثانيًا: في مقالة للكاتبتين "مارلورى فاتشز وكلير هالبور" تحت عنوان "الآثار السلبية للنسوية الحديثة على الأسرة" كتبتا تقولان:

«منذ بزوغ الثورة الجنسية تمسكت النساء بأفكار "مارجريت سانجر" وهى المرأة التي دافعت عن الاختلاط، وعن موانع الحمل، وعن الإجهاض عند الطلب. إن قبول هذه العقلية المضادة للحياة والمرأة مزقت الرابطة التي تربط المرأة بطفلها، وأضعفت علاقتها مع زوجها بسبب القتل العمدى للحياة التي كانت ستضيف إليهما شيئا جديدا. اعتبرت النسوية أن قتل الخصوبة عبر استخدام موانع الحمل الصناعية، وتأييدها للإجهاض نصرًا للنساء. إنه في واقع الأمر قتل بدني وعاطفي للمرأة.

أوضحت الدراسات أن موانع الحمل والإجهاض تزيدان من مخاطر تعرض المرأة لمرض سرطان الثدي. ستون فى المئة من النسوة اللواتى قمن بعمليات إجهاض يعانين من اختلالات ما بعد الصدمة، ومن الضغوط الأخرى التي دفعت بعضهن إلى التفكير في الانتحار. إن استخدام موانع الحمل لا يؤثر فقط على عملية تبويض المرأة فقط، ولكنه يؤثر على جدار الرحم كذلك، فيجعله رافضا للجنين وغير قابل لزرعه فيه. وهنا سيموت الجنين حتما لأنه وأمه لا يحصلان على التغذية الحيوية اللازمة لهما.

لقد أصبح الإجهاض واستخدام موانع الحمل الصناعية أكثر انتشارا وأكثر شيوعا وأكثر قبولا. وهذا كله أدى إلى أن تشعر المرأة بأنها غير مسؤولة عن أفعالها، كما جعلت الرجال أكثر استعدادا للدخول في علاقات غير شرعية مع النساء. ويمكن القول من هنا أن الحركة النسوية شجعت المرأة على ملء الفراغ الذي تركته العلاقات المشروعة بعلاقات مؤقتة وغير مشبعة نفسيا وعاطفيا.

فقدت أكثر من نصف المراهقات الأمريكيات عذريتهن، ولم يستكملن السابعة عشرة من أعمارهن. ونظرا لأن استخدام موانع الحمل لم يعد يحول دون انتقال

(١) sami119.tripod.com /shemaisrael /id29.html

الأمراض الجنسية، أصبح هناك اليوم ثلاثة ملايين مصاب بهذه الأمراض. لقد قادت عقلية استخدام موانع الحمل إلى عقلية الإجهاض. هجرت النساء الزواج؛ لأنه يلزم الزوجين بتحمل المسؤولية والإخلاص، وبطاعة المرأة للرجل.

وطبقا لتقديرات مكتب الإحصاء الأمريكي ارتفعت نسبة ربات البيوت غير المتزوجات. أكثر من ٥٠٪ من الزيجات الحالية دخل الزوجان مع بعضهما في علاقة جنسية قبل الزواج. لقد أدى استخدام موانع الحمل إلى تصدع الزواج، وانتهت نصف حالات الزواج إلى الطلاق. لكن الإحصائيات تثبت أن نسبة الطلاق في حالات الزواج المشروع لا تتعدى ٥٪. الزواج أصبح للمتعة فقط وليس للإنجاب، وإذا أردن الإنجاب، فليس الإنجاب مطلوبا إلا لطفل أو طفلين.

ويلعب عدم الاحتشام دورا أساسيا في الفكر النسوى الحديث. شجع هذا الفكر النساء على الاختلاط، فأصبحت التنورات (الجيبات) أقصر، وأصبحت البلوزات أضيق وأقصر جدا. وأصبح جسد المرأة نهبًا للجميع. إن تعرى المرأة دعوة لكل ناظر للتشهي والغواية. لكن هذا التعري نفسه أدى إلى عدم احترام الزوج لزوجته، وأصبحت زوجته بالنسبة إليه موضعا للمتعة فقط، ولم يعد ينظر إليها على أنها شريكة لحياته.

لم تقف سلبيات النسوية الحديثة عند حد الأسرة، بل امتدت إلى أماكن العمل والنظام التعليمي والحكومة والجيش. إن هذا لا يعنى أنى أدعو النساء لترك أعمالهن، إنما أطالب بألا تعلو متطلبات عمل المرأة على متطلبات المنزل والأطفال والأمومة.

هناك العديد من الأدلة على أن بقاء المرأة في البيت متفرغة لأسرتها وأطفالها أكثر إيجابية من تفرغها لعملها، فإذا كان هذا ممكنا فلا شك أنه الاختيار الأفضل.

إننا أكثر حاجة اليوم إلى التأكيد على كرامة المرأة ومصداقيتها. إن المرأة لا تساوى الرجل هذه حقيقة، لكنه رغم ذلك فإن لنا كنساء مواصفات مختلفة وجميلة يجب أن نعض عليها بالنواجذ. إن لدينا قوة غير عادية للتأثير على الرجال. إننا نستطيع أن نحافظ على عائلاتنا أو ندمرها طبقا للطريقة التي ندير بها أمورنا التزاما أو انحرافا عن الأدوار

التى حددها الله لكل من الرجل والمرأة. إن المرأة هي الجذر، والرجل هو الشجرة، ولا يمكن أن تنمو الشجرة إلى أعلى إلا إذا كان جذرها قويا»[١].

ثالثًا: شهادة موقع "Jeremiah project" في مقالة بعنوان «تأثير النسوية على الأسرة» جاء الآتي:

«أخذت الحركة النسوية الحديثة والمعاصرة شكلًا تعصبيًّا قبيحًا، تغيَّرت وجهتها من مطالبة بالمساواة بين الرجل والمرأة والإصلاح إلى مطالب أخرى، لم تعد الحركة النسوية مَرِنة كما كانت، إنها اليوم تميل إلى العراك والقتال، والغضب والتشنُّج، والتركيز الأكبر على متطلبات الحياة المادية، تبنَّت برامج ضد الله، وضد الأسرة، وضد الأطفال، وضد الممارسة المشروعة للجنس، صبَّت عداءَها ضد الرجال بكل السبل الممكنة، سعت بشدة نحو اغتراب الرجال عن النساء، واغتراب الرجال عن النساء.

ارتبطت الحركة النسوية بالقضايا الماركسية، وأبرزت تحمُّس اليسار للزنا، والسحاق، والتمركز حول الذات، والخنوثة، وعمليات تغيير الجنس، وأعلَتْ من شأن هذه القضايا، وجعلتها فوق قِيَم الأمومة والطفولة.

أعلنت الحركة النسوية الحرب ضد الأسرة، والملكية الخاصة والدولة. هناك في الواقع منظمات إرهابية؛ مثل: «التنظيم القومي للمرأة»، و«منظمة الأبوية المخططة»، و«هيئة التعليم القومي»، و«منظمة شعب من أجل الطريقة الأمريكية»، و«منظمات اللوطيين والسحاقيات»، اندفعت هذه المنظمات إلى إضفاء البطولة على ممارسة الزنا والدفاع عن حقوق اللوطيين، وعن ممارسة الإجهاض عند الطلب، هاجمت هذه المنظمات الإرهابية المعتقدات الدينية والتنظيمات المحافظة، وعمِلت على حلِّ عُرى أبنية الأسرة التقليدية.

الآتي بعدُ هو مقتطفات من شعارات رائدات الحركة النسوية:

١- تقول «بيتي فريدن» مؤسسة التنظيم القومي للمرأة: «إن الأسرة معسكر اعتقال مريح لا بد أن نحرِّر المرأة منهط».

(١) www.bigccatholics.com /- /negative-effects-of-modern-feminism-on.html

٢- تقول «ستيلا كرونان» أكثر قادة الحركة نشاطًا: «طالما أن الزواج عبودية للمرأة، فإن على الحركة النسائية أن تهاجمه...، إن الطلاق هو سبيل النساء المحبطات والعاجزات والمغامرات».

٣- تقول «مل كرانتزلر» عما تسميه بـ"الطلاق الخَلَّاق»: «أن تقول المرأة: وداعًا للزواج؛ فإنها تقول في الحقيقة: أهلًا بحياة جديدة؛ حيث الحرية، والتأكيد على الذات، أهلًا بأسلوب حياة جديد ونظرة جديدة للحياة، إن قرار الطلاق بالنسبة للمرأة هو أفضل قرار تتخذه في حياتها».

٤- تقول «جاردن تاجارت» المدافعة عن حقوق السحاقيات: «سنبين للناس أن السحاقيات موجودات في كل مكان وأن لديهم قوة فائقة».

في المؤتمر العالمي الرابع للأمم المتحدة الذي عُقِد في بكين عام ١٩٩٥ استخدم مصطلح «جندر» مائتي مرة، في حين لم يستخدم مصطلحي «الزوج والزوجة» إلا في الصفحة رقم ١٢١ من وثيقة المؤتمر، وإذا أضفنا إلى ذلك هذه الاقتراحات التي كانت تعمل على استبدال مصطلحي «الأم والأسرة» بمصطلحي «الراعي وربة المنزل»، لتبين لنا أن عملية تغيير المصطلحات هي أول السبل لتغيير الطريقة التي يفكر بها العالم نحو الأسرة.

لقد أدَّى اللعب على الدور الفطري للرجل والمرأة إلى المزيد من الفوضى وعدم الثقة والشك بين الجنسين، لقد تحررت النساء من المنزل، ومن أزواجهن، ومن أطفالهن ورعايتهن، تحرر الآباء من سلطاتهم، وتحرر الأطفال من القيود والقواعد التي يفرضها عليهم والديهم، ثم تحرَّر كل الناس من المعايير الأخلاقية، لقد احتقرت النسوية كل هذه المعايير التي كانت تربط المجتمع بعضه ببعض بإحكام، فكانت النتيجة ضياع الأسرة وضياع القِيم، ولم يتبقَّ لنا إلا سعار جنسي، وأمراض جنسية، وانتشار للطلاق، وجيل فقَد الحب، ففقَد الانضباط، أطفال ضائعون، فما الذي أبقته النسوية لنا إذًا؟»[١].

(١) www.jeremiahproject.com /prophecy /feminist2.html

رابعًا: شهادة شيما إسرائيل:

في مقالة لها بعنوان «النسوية في مواجهة الأسرة»، كتبت شيما إسرائيل تقول:

«لا تحتاج مسألة تمييز الاختلافات بين الرجل والمرأة إلى ذكاء شديد، ومن الغباء تجاهل هذه الاختلافات؛ إن الاختلافات النفسية والبيولوجية مركوزة في فطرة كل منهما، وإذا كانت هناك بعض الشواهد على وجود تساوٍ بينهما، فهذا استثناء وليس بقاعدة تغير من طبيعة خلقهما.

إن واقع الحركة النسائية أنها حركة تهاجم البنية الأساسية للمجتمع الإنساني، وهي الأسرة، إنها حركة تسعى إلى تدمير النظام الطبيعي للخلق، وتستبدله بنمط حياة من قِيَمٍ وضعية، لا تترك مجالًا لِما هو شرعي.

إن دور المرأة الرئيس هو أن تعتني بمنزلها وتربي أطفالها، إنها عماد كل ما يخص البناء البدني لأُسرتها، وهذه المهمة من أول أولوياتها، لقد غيَّرت الحضارة الغربية هذا النظام الطبيعي والعقلاني، وجعَلت السياق المهني للمرأة يعلو فوق كل شيء على حساب أسرتها وأطفالها.

لم تعكس الحركة النسوية وتفسد النظام الطبيعي للحياة فحسب، لكنها أفسدت الأخلاق أيضًا.

إنها كحركة اجتماعية عمَدت إلى قتل الأطفال قبل ولادتهم، ودعت إلى اللواط والسحاقية، والفوضوية والماركسية والإباحية، وقُلْ ما تقول بعد ذلك.

إن هذه الحركات المنحلة تعامل المرأة كقطعة من اللحم، ووسيلة لإشباع الرغبات الجنسية، لم تفقه هذه الحركات أن احترام المرأة لا يقوم على تعرية جسدها، وإنما يقوم على شخصيتها وإنجازاتها وتربيتها لأطفالها»[١].

(١) sami119.tripod.com /shemaisrael /id29.html

خامسًا: شهادة من إفريقيا: جاء في أحد المواقع الإفريقية تحت عنوان «آفة النسوية» ما يلي:

«إن المرأة مخلوق محب بطبيعته، وإن في المرأة غريزة مركوزة فيها، وهي أن تعتني بزوجها وتربي أطفالها. إنها تسعى بشتَّى السبل أن تتودَّد للرجل، إنها لم توجد لكي تحارب الرجل، أو تُنافسه، أو أن تتطلَّع إلى السلطة.

إن المرأة تبحث عن حُبِّ الرجل وصِدْقِه معها من أجل بناء أسرة قادرة على أداء وظيفتها في المستقبل.

ومنذ أن أطلَّت علينا النسوية في الستينيات، تغيرت الأدوار التقليدية للمرأة؛ لم تعد المرأة تقنع بدورها في بيتها ودخولها المطبخ، ورعايتها لأطفالها، علمتها النسوية الجديدة أن كونها ربة بيت هو شكل من أشكال العبودية، وأن الزواج نوع من التمييز ضد المرأة، وأن عليها أن تستبدله بالحرية الشخصية، فحلت الحرية الجنسية محل الزواج، وبدأت أفكار الأسرة التقليدية تُمحى ببطء.

ولم تكتفِ النسوية الجديدة بهذا الانحدار الرهيب، بل غيرت نظرة المرأة إلى العالم، فنجحت في الحث على إصدار قوانين تُحابي المرأة أكثر فأكثر، أصبح الزواج أكثر مادية، وأصبح الطلاق أكثر تكلفة، وتفاقم الأمر؛ فأفكار الحرية الجنسية جعلت المرأة في سلوكياتها وفي زيها «موضوعا جنسيًّا»، ازداد العري وانتشرت الإباحية، وأصبحت الحرية الجنسية حقًّا لكل امرأة.

ما الذي حدث للرجال استجابة لهذه التطورات في مسألة المرأة: ازدياد في نسبة الطلاق، وارتفاع تكلفته، ووفرة في عدد النساء من ذوات النظرة المادية، وازدياد في نسبة الرجال الذين لا يتحملون مسؤولية البيت والأسرة.

إنك إذا كنت رجلًا عزبًا تعيش في الغرب، وتأمُل في بناء أسرة مستقرة مع امرأة جميلة من الغرب، فالويل لك، ولا تلومن إلا نفسك»[1].

(١) www.myweku.com/2011/01/the-evils-of-feminism

هذه هي خلاصة أربع شهادات من الغرب مع شهادة خامسة من إفريقيا، تبرز حقيقة الآثار التدميرية للحركة النسوية ليس في بلادها فقط، وإنما خارج بلادها أيضًا.

خلاصة ما توصلت إليه هذه الشهادات الخمس من الغرب ومن إفريقيا الآتي:

أولًا: أكدت أن الاختلافات البدنية والفسيولوجية بين الرجال والنساء، وأن عدم التساوي بينهما، أمرٌ فطري، وأن حدوث خروقات لذلك، إنما هو استثناء وليس بقاعدة.

ثانيًا: أبرزت ارتباط الحركة النسوية بالفكر الماركسي المدعم لظواهر الزنا والسحاق والخنوثة، وعزمه على تحطيم المجتمع والأسرة والملكية الخاصة.

ثالثًا: أبرزت تأثير الفكر الفرويدي المتمحور حول الجنس على الحركة النسوية، وخاصة فكرة أن ضبط الحياة الجنسية يوجد كبتًا جنسيًّا؛ مما جعل اللذة هي الأصل في العلاقة بين الجنسين.

رابعًا: لفتت الانتباه إلى أن النسوية قد تكون سببًا قويًّا فيما يطلق عليه اليوم بالعنوسة الجبرية.

خامسًا: كشفت الغطاء عن أن الحياة الزوجية والأسرية المضطربة والمشوهة التي عاشتها رائدات الحركة النسائية، هي التي أخرجت منهن هذا الفكر الحاقد المدمر للزواج والأسرة، وأن النسوة اللواتي انجذبن لهذا الفكر قد عِشنَ معيشة مشابهة لذلك.

سادسًا: أوضحت دور المنظمات المدنية الداعية إلى الفساد الأخلاقي في تحقيق أهداف الحركة النسوية.

سابعًا: بينت أن القبول الاجتماعي لهذا الفكر وصدور احتجاجات ضعيفة في مواجهته، يعمل على تقويته والتعاطف معه.

ثامنًا: كشفت عن حقيقة هامة، وهي أن سعي الحركة النسوية في استبدال المصطلحات التقليدية الخاصة بالزواج والأسرة بمصطلحات جديدة أخرى، هو أحد الوسائل الفعالة في تغيير الطريقة التي يفكر بها العالم نحو الأسرة.

تاسعًا: أثبتت بالإحصائيات والأرقام التي كشفت عنها الدراسات المختلفة التي استندت إليها، أن ثمار الفكر النسوي بدأت تظهر بوضوح في المجتمع الغربي، فأفسدت الزواج والأسرة بجميع أفرادها، وخاصة الأطفال، وأفسدت الأخلاق، وشجعت اللواط والسحاق والخنوثة.

عاشرًا: أوضحت أن خطر الفكر النسوي لم يقف عند حدود الأسرة، بل امتد إلى مواقع أخرى؛ كالتعليم، والقضاء، والجيش.

آمن الغرب بالفكر النسوي، فآمنا به، لكنه الآن بدأ يكفر به، فهل نكفر به نحن أيضًا؟

أجيال في خطر

تطلق الأخصائية النفسية الدكتورة «مريام جروسمان» صيحة تحذير من الخطر الذي يتهدد المجتمع الأمريكي في ظل القيم الاجتماعية التي يتم فرضها على المجتمع من خلال الإعلام والثقافة المسيطرة، والنظريات الاجتماعية والنفسية التي تدرس في الجامعات.

وتؤكد «جروسمان» في كتابها (أجيال في خطر.. الإباحية ليست حلًّا) أن الحرية الجنسية للمرأة والرجل، وثقافة (كل شيء يجوز) هي قنابل تسقط آلاف الضحايا كل يوم في المجتمع الأمريكي، حتى امتلأت العيادات النفسية بالمرضى من الشباب والشابات، حيث تشير إلى دراسة أجريت عام ٢٠٠٥ أظهرت أنه في ٩٠٪ من مراكز الاستشارات النفسية الجامعية، ارتفع عدد الطلاب الذين يكتشف بعد الفحص إصابتهم بمشكلات نفسية خطيرة، وتضاعفت عدد الاستشارات النفسية، كما أن ٩١٪ من المراكز احتجزت طلابًا بالمستشفى لأسباب نفسية، وأكثر من ٣٦٪ من الطلاب حاولوا الانتحار مرة أو أكثر، هذه الأوضاع الخطيرة دفعت جروسمان، للتساؤل: «لماذا أصبح أطفالنا في تلك الحالة المزرية؟».

البعض يحاول أن يجد مبررًا لهذه الحالة المزرية التي يعاني منها الجيل الحالي من الشباب في المجتمع الأمريكي، خاصة من طلاب الجامعة بعدد من التفسيرات، نحو أنها نتاج للضغط العصبي الناجم عن ترك الشباب والشابات للمنزل، ومحاولة التأقلم مع حياة الاستقلالية أو أنه نتيجة لمتطلبات الدراسة أو توقعات الوالدين أو زملاء السكن، أو الضغوط المادية وسوق الوظائف ذو الطبيعة التنافسية.

لكن «جروسمان» مع تقديرها لكل هذه العوامل، إلا أنها ترى أن هناك سببًا رئيسيًا لهذه الحالة، وهو حالة الهوس الجنسي المتفشي بين أبناء هذا الجيل، والأيديولوجيات الاجتماعية الراديكالية التي تغذي وتشجع الإباحية والهوس الجنسي؛ حتى أن هذه السياسات الراديكالية أصبحت متغلغلة في مهنة الصحة النفسية، وغيرت الكثير من

مفاهيمها، لقد تغيرت الثقافة السائدة في المجتمع، وأصبحت العلاقات المثلية والشاذة والسادية والمازوكية علاقات طبيعية.

وتضيف: الآن ينصح الشباب والفتيات باستخدام الوسائل المطاطية في العملية الجنسية، وأن يكون لهم عدد محدود من الشركاء (بالتقابل مع عدد غير محدود)، وهناك اتفاق ضمني على التعددية الجنسية والتجريبية الجنسية، وأصبحت الإصابة بواحد من الأمراض المنتقلة جنسيًا من طقوس العبور والنضج، وكأنه ملمح ثابت ضمن تضاريس الحياة، وأصبح الإجهاض هو استبعاد أنسجة غير مرغوبة، مثل عملية إزالة لوزتي الحلق.

وتشير «جروسمان» إلى أن فصول صحة المرأة تعمل على توعية الفتيات فقط عن: كيفية تجنب الحمل، والبعد عن الزواج التقليدي، والأسرة المكونة من أم وأب هي مجرد خيار، وهناك بدائل وجميع تلك البدائل متساوية من حيث المشروعية.

وترى تلك التغيرات في المجتمع الأمريكي، هي نتيجة أجندات اجتماعية خادعة، اقتحمت الحياة الجامعية وإصدار الأحكام على هذه السلوكيات ممنوع، وعلى الجميع أن يتعامل وكأن لدى الشاب أو الفتاة شريك بلا توصيف نوعي، حيث لا فرق يمكن أن يحدث كون هذا الشريك شابًا أو فتاة. وتعبر جروسمان عن غضبها لهذه الحالة قائلة: «لقد طفح بي الكيل، ولم أعد أتحمل لذلك أطلق صيحتي «جيل في خطر»».

وتروي «جروسمان» قصة تجسد كيف أصبحت المفاهيم والأوضاع معكوسة داخل المجتمعات الغربية، وقد وقعت لها القصة خلال اللقاء السنوي للأكاديمية الأمريكية للطب النفسي للطفولة والمراهقة، حيث تم عرض فيلم بلجيكي بعنوان: (Ma vie en Rose) وتمت مناقشته، يحكي الفيلم قصة ولد يدعى «لوديفيك»، لا يشعر بالارتياح لذكورته ويتوق فقط لأشياء البنات، مثل: الفساتين الوردية، الحلقان، أحمر الشفاة. وأصر «لوديفيك» على أنه فتاة، واقتنع بأنه سوف ينمو له ثديان ويمر بالدورة الشهرية، وكنتيجة لذلك عانى هو وأسرته من الإهانة والازدراء، وفقد أبوه وظيفته، وأثار الفيلم تعاطفًا كبيرًا مع الولد وأسرته.

وركزت المناقشة التي تلت مشاهدة الفيلم على «لوديفيك» الذي حوَّله المجتمع إلى ضحية من خلال التعريفات الصارمة للذكورة والأنوثة، وقال الحاضرون: إنه إذا لم يصرّ المجتمع على ثقافته تجاه الطبيعة الجنسية لأصبحت حياة هذا الولد أكثر يسرًا. وأضمروا أن على المجتمع أن يتغير، وهكذا يسعون لتغير المجتمع لتتوافق مع سلوكيات ولد مضطرب.

هذه هي الأيديولوجية الاجتماعية التي يتم فرضها على المجتمع الغربي الآن، ويسعون لفرضها على بقية المجتمعات! غير مدركين أن الولد نفسه هو من كان في حالة اضطرابات، وليس المجتمع. وأن الولد هو من كان يحتاج أن يغير من سلوكه.

ومتفقًا مع شهادة جروسمان، يحذر البروفيسور جيمس تولي- في كتابه (سوء تعليم النساء)- من الأيديولوجيات الاجتماعية النسوية التي يتم فرضها على المرأة الغربية، حيث يرى أنها ستؤدي إلى تحلل وانهيار المجتمع.

بين واقعين:

قال السياسي الأمريكي «باتريك جيه بوكانن» في كتابه (موت الغرب): «حتى وقت متأخر في الخمسينيات من ١٩٥٠ كان الطلاق فضيحة، وكان (العيش معًا بلا زواج) يوصف بأنه الكيفية التي تعيش بها (القمامة البيضاء)، وكان الإجهاض مقززا.

أما اليوم، فإن نصف كل الزواجات تنتهي بالطلاق، والعلاقات هي ما تدور الحياة حولها».

ويقول عالم السكان البلجيكي «رون لسثايغي»: «إن انهيار الزواج والخصوبة الزوجية يعود إلى (تحول في نظام تشكيل الأفكار الغربية)، ابتعد على أمد طويل عن القيم وتوجه نحو (فردية علمانية) محاربة، تركزت على الذات.

مع انتشار الزنا المتعدد غير المنضبط، والطلاق على نطاق واسع، وانفجار الكتابة العارية، وشيوع فلسفة الانحلال والعبث في التيار العام، وقيام دافع الضرائب بتمويل الإجهاض، وفي يوم نستطيع فيه أن نقرأ في أمريكا عن فتيات في العشرية الثانية من أعمارهن يرمين مواليدهن الجدد في حاويات القمامة وسط الجليد، تُذكرنا بالعالم

القديم لروما الوثنية، حيث تُترك المواليد الغير مرغوب فيها على سفوح التل؛ ليموتوا من التعرض للعوامل الطبيعية.

ويقوم أطفال وسط أمريكا الآن برحلات متناوبة واجبة في الثورة الجنسية، تحت شعار (اعمل الشيء الذي يخصك)، هو الآن عرف أخلاقي، وكل امرأة أمريكية في سن حمل الأطفال كان لها إجهاض كمرجع تعود إليه، والملايين منهن لن يرجعن عنه، يردنه موجودًا لأنفسهن ولبناتهن، وسوف يصوِّتن ضد أي سياسي أو حزب يهدد بانتزاع الإجهاض منهن».

الإسلام دين الفطرة:

هذه الشهادات وغيرها تأتي للرد على متغربي قومنا الذين يريدون لنا أن نسير خلف الغرب حذو القذة بالقذة، وداعية إلى ضرورة التزامنا بقيمنا الإسلامية التي ينادي بها حكماء الغرب، بعد أن أثبتت التجارب التأثير المدمر لقيمهم على الإنسان والمجتمع.

إن الفطرة الإنسانية كما خلقها الله.. ذات (معايير) و(ضوابط) تضبط منصرفات الطاقة الحيوية وتحدد مقدارها. فإذا انفلت العيار، وبطلت الضوابط، فلن يكون هذا (خيرًا) يصيب الإنسان في نفسه و مجتمعه. ولن يكسبه السعادة التي يرجوها بالانفلات!

ولا فائدة في تحدي الفطرة.. فمنطقها في النهاية هو المنطق الذي يَغْلِب.. وليس منطق الأهواء!

حين انفلت الناس وتكالبوا على متاع الجنس بلا حواجز ولا قيود.. ما الذي حدث في عالم الواقع؟ هل (شبعت) الشهوة بإتاحة الفرص للإشباع؟

كان دعاة «الحرية» والانفلات يقولون: إن (الكبت) أو الامتناع في أية صورة من صوره هو الذي يحدث الجوع الجنسي الذي لا يشبع، والمشغلة الدائمة بالجنس، التي تشغل الأعصاب وتبدد الجهود.

إن بلاد الغرب قد أباحت المتاع الجنسي و(باركَتْه) بإغضاء الدولة أو تشجيعها الصريح، وإتاحة الفرص الواقعية للإشباع بعيدًا عن كل نهي أو زجر أو تخويف أو ترويع.

فما بال الجوعة لم تهدأ بالإشباع المطلق المتاح؟ ما بال هذا العصر أشد العصور كلها اشتغالا بأمور الجنس؟

كم فلمًا.. كم كتابًا.. كم قصة.. كم صورة خليعة.. كم برنامجًا إذاعيًا أو تليفزيونيًا.. كم أغنية.. كم حفلة عارية أو شبه عارية (يستهلكها) الشباب من الجنسين؟ وكم مرة مع ذلك- كم ملايين من المرات- يقع فيها الاتصال الجنسي في سهولة ويسر؟ لِمَ لَمْ يشبع هذا النهم المسعور؟ وما نتائج هذا النهم الذي لا يشبع رغم إتاحة كل الفرص له للإشباع؟

هذا القلق الدائم، هذا الضغط العصبي، هذا الجنون، هذا الانتحار، هذه الجريمة.. أو ليس من روافدها هذا النهم المسعور؟

إن تلك الحياة الفاجرة التي يحياها الغرب، المليئة بالمثيرات فوق الطاقة، تنضج مشاعر الأطفال الجنسية قبل الأوان. قبل أن تنضج المدارك والتجارب التي تصلح لإقامة الأسرة والاستقرار في الزواج. ثم تدفع تلك الحياة الفاجرة بالأولاد والبنات المراهقين إلى ممارسة الجنس في هذه السن المبكرة بلا ضوابط تكبح الجماح. ثم ينتشر بينهم الشذوذ الجنسي! والشذوذ الآخذ في الازدياد في كل البلاد التي أفرطت في إباحة الحرية الجنسية مشكلة خطيرة. إنها نذر الفطرة. إنها مسألة هذا (الإنسان). الإنسان الذي تدمره الإباحية المتحللة، المرتكسة إلى عالم الحيوان. بغير ضوابط الحيوان!.

لغياب القيم التربوية والأسرية والأخلاقية
«موت الغرب».. كتاب يكشف شيخوخة الغرب وانقراضه

يشير كتاب «موت الغرب.. أثر شيخوخة السكان وموتهم وغزوات المهاجرين على الغرب» لمؤلفه «باتريك جيه بوكانن»[١] إلى الانهيار الاجتماعي الذي بدأ يحل بالدول الغربية؛ نتيجة لتخليهم عن القيم الأسرية والدينية، والتي تحمي المجتمع من التفكك والانقراض، متوقعًا قرب موت وانتهاء الغرب إذا ما استمر على نفس الوتيرة، والمؤلف في هذا الكتاب ينبه إلى أن الموت الذي يلوح في أفق الغرب هو في الواقع موتان:

- موت أخلاقي؛ بسبب السقوط الأخلاقي الذي ألغى كل القيم التربوية الأسرية والأخلاقية التقليدية.
- وموت ديموغرافي وبيولوجي؛ نتيجة تناقص أعداد السكان.

تناقص سكاني مخيف:

ويستدل على ذلك بمؤشرات بدأت بالظهور بوضوح في العائلة وفي السجلات الحكومية، والتي تشير إلى اضمحلال القوى البشرية في الغرب، وإصابة ما تبقى منها بشيخوخة لا شفاء منها إلا باستقدام المزيد من المهاجرين الشبان، أو بالقيام بثورة حضارية مضادة تعيد القيم الدينية والأخلاقية إلى مكانتها التي كانت من قبل.

ويقول الكاتب إن الموت المقبل مريع ومخيف؛ لأنه وباء ومرض من صنع أيدينا، ومن صناعة أفكارنا، وليس بسبب خارجي؛ مما يجعل هذا الموت أسوأ بكثير من الوباء الأسود الذي قتل ثلث سكان أوروبا في القرن الرابع عشر، فالوباء الجديد لا يقتل إلا الشباب، مما يحوّل الغرب عمومًا، وأوروبا بشكل خاص إلى (قارة للعجائز).

---

(١) مؤلف الكتاب، هو سياسي ومفكر أمريكي معروف، عمل في منصب مستشار لثلاثة رؤساء أمريكيين، وهو كاتب لعمود صحافي دائم في عدد من الصحف الأمريكية، ومؤسس لثلاثة من أشهر برامج التلفزيون في أكبر قناتين أمريكيتين (إن. بي. سي) و(سي. إن. إن)، وألف العديد من الكتب، وقد صدر كتابه هذا عام ٢٠٠١، وترجمه إلى العربية محمود محمد التوبة، وصدر مترجمًا عام ٢٠٠٥.

ويوضح أن هذه التنبؤات ليست مجرد تخمينات أو توقعات أو احتمالات، إنما هي حقيقة واقعة صادمة لشدة وضوحها. خاصة عندما تبدأ الأرقام بالحديث، فوفقًا للإحصاءات الحديثة، هبط معدل الخصوبة عند المرأة الأوروبية إلى (١ طفل) لكل امرأة، علمًا أن الحاجة تدعو إلى معدل (٢ طفل) كحد أدنى لتعويض وفيات السكان الموجودين الآن، ودون الحديث عن زيادة عددهم.

وإذا بقيت معدلات الخصوبة الحالية على ما هي عليه، فإن سكان أوروبا البالغ عددهم (٧٢٨) مليون نسمة، بحسب إحصاء عام ٢٠٠٠، سيتقلصون إلى (٢٠٧) ملايين نسمة في نهاية هذا القرن. أي أقل من الثلث، وفي المقابل ففي الوقت الذي تموت فيه أوروبا لنقص المواليد، يشهد العالم الثالث كالهند والصين ودول أمريكا اللاتينية-وخاصة البلدان التي يقطنها المسلمون- انفجارًا سكانيًا لم يسبق له مثيل، بمعدل (٨٠) مليون نسمة كل عام، ومع حلول عام ٢٠٥٠ سيبلغ مجمل نموهم السكاني (٤) مليارات إضافية من البشر. وهكذا يصبح كابوس الغرب حقيقة.

ويضيف المؤلف «إن الأرقام تصبح مخيفة أكثر عند تناولها لتشخيص مرض النقص السكاني على مستوى الدول والأمم بعد (٥٠) عامًا من الآن، ففي ألمانيا سيهبط التعداد السكاني من (٨٢) مليونًا إلى (٥٩) مليون نسمة، وسيشكل عدد المسنين ممن تجاوزوا الـ(٦٥) عامًا أكثر من ثلث السكان، أما إيطاليا فستشهد تقلص عدد سكانها البالغ (٥٧) مليونًا إلى (٤١) مليونًا، وستصبح نسبة المسنين ٤٠٪ من التعداد العام للسكان، وفي إسبانيا ستكون نسبة الهبوط ٢٥٪، وحتى روسيا ستشهد تناقص قواها البشرية من (١٤٧) مليونًا الى (١١٤) مليون نسمة، ولا تختلف اليابان كثيرًا في اللحاق بمسيرة الموت السكاني، فقد هبط معدل المواليد في اليابان إلى النصف، مقارنة بعام ١٩٥٠».

الثقافة الجديدة والموت الأخلاقي:

هذه الأرقام المخيفة توصلنا لسؤال محير هو: لماذا توقفت أوروبا وشعوبها عن إنجاب الأطفال، وبدأت تتقبل فكرة اختفائها عن هذه الأرض بمثل هذه اللامبالاة؟

يجيب الكتاب، بأن الجواب يكمن في النتائج المميتة لهذه الثقافة الجديدة في

الغرب، والموت الأخلاقي الذي جرَّته هذه الثقافة على الغربيين، هذا هو الذي صنع موتهم البيولوجي، فانهيار (القيمة) الأساسية الأولى في المجتمع، وهي الأسرة، وانحسار الأعراف الأخلاقية الدينية، التي كانت فيما مضى تشكل سدًّا في وجه منع الحمل والإجهاض والعلاقات الجنسية خارج إطار المؤسسة الزوجية، إضافة إلى تبرير- بل تشجيع- العلاقات الشاذة المنحرفة بين أبناء الجنس الواحد، كل هذا دمر بشكل تدريجي الخلية المركزية للمجتمع، وأساس استمراره، وهي الأسرة.

وتبدو لغة الأرقام هنا أكثر هولًا، فقد ارتفع الرقم السنوي لعمليات الإجهاض في الولايات المتحدة من (٦٠٠٠) حالة سنويًا عام ١٩٦٦ إلى (٦٠٠) ألف حالة عام ١٩٧٣، بعد أن سُمِح بالإجهاض، واعتبرت عملية قتل الأجنة حقًا للمرأة، يحميه الدستور. وبعد عشر سنوات وصل الرقم إلى (مليون ونصف المليون حالة إجهاض) في العام الواحد.

أما نسبة الأطفال غير الشرعيين، فهي تبلغ اليوم ٢٥٪ من العدد الإجمالي للأطفال الأمريكيين، وفي مجتمع الأمريكيين الأفارقة فإن ٦٩٪ من الولادات تتم خارج الزواج، وفي عام ٢٠٠٠ ارتفعت نسبة الأطفال غير الشرعيين في عدد من الدول، فقد وصلت في كندا إلى ٣١٪، وفي فرنسا إلى ٣٦٪، وفي المملكة المتحدة إلى ٣٨٪، ويعيش ثلث أطفال أمريكا في منازل دون أحد الأبوين، إما بدون الأب وهو الغالب، وإما بدون الأم.

وهناك مؤشر آخر خطير، فقد بلغ عدد حالات الانتحار بين المراهقين الأمريكيين ثلاثة أضعاف ما كانت عليه في عام ١٩٦٠، أما عدد مدمني المخدرات-المدمنين وليس المتعاطين- فقد بلغ أكثر من ستة ملايين شخص في الولايات المتحدة وحدها.

وقد تناقصت كثيرًا أعداد الشبان والشابات الراغبين في الزواج، طبعًا في مجتمع يسمح بالحرية الجنسية الكاملة، ويتيح المساكنة بين الرجل والمرأة دون أي رابط شرعي أو قانوني في بيت واحد، وخوف الرجل من قانون الأحوال الشخصية الظالم، إذ تأخذ الزوجة نصف ثروته في حالة الطلاق، واضطرار المرأة للقبول بالمساكنة بدون زواج؛ بسبب حاجتها إلى رجل يقف معها ويحميها، ناهيك عن الحاجة البيولوجية.

أما قضية الشذوذ الجنسي وقانون الزواج بين أبناء الجنس الواحد، فقد بلغت حدًا لم يكن ممكنًا مجرد تخيله في السابق.

ويربط الكاتب بين ما آلت إليه أحوال الغرب وبين تخليه عن الدين، فيقول: «كلما زاد الوازع الديني عند شعب، سواء كان مسيحيًا أو مسلمًا أو يهوديًا، كان معدل الولادة عنده أعلى».

ويقول الكاتب: «في العلم والتكنولوجيا والاقتصاد والزراعة والتسليح والحكم الديمقراطي ما تزال أمريكا وأوربا واليابان متقدمة بأجيال للأمام. ولكن العالم الإسلامي يحتفظ بشيء قد فقده الغرب، وهو الرغبة في أن يكون لديه أطفال، والإرادة لمتابعة حضارتهم وثقافتهم، وعائلاتهم، وإيمانهم. ومن الصعب اليوم أن تجد أمة غربية لا يموت فيها السكان المحليون، ومن الصعب- على الغرار نفسه- أن تجد أمة إسلامية لا ينفجر فيها عدد السكان المحليين».

وأخيرًا يخلص المؤلف للقول بأن «هذه هي إحصائيات لمجتمع وحضارة تحتضر وتموت، وأن بلدًا مثل هذا لا يمكن أن يكون حرًا، فلا وجود للحرية دون فضيلة، ولا وجود للفضيلة بغياب الإيمان».

الأسرة
العدو اللَدود للفكر النسوي

إن أجندات النسوية لا تسعى نحو المساواة بين الرجل والمرأة فحسب، وإنما هي حركة سياسية اشتراكية مضادة للعائلة وتشجع على تدميرها! بهذه الكلمات انتقد الفكر النسوي كثيرون ممن وجدوا لمآلات هذا الفكر خطرًا كبيرًا على أصغر وأهم وحدة في المجتمع.

نماذج من أفكار الموجة النسوية الثانية:

كانت مطالب الموجة النسوية الأولى (١٨٤٨م) متركزة على تحصيل حقوق أساسية كانت المرأة في أوروبا وأمريكا محرومة منها، كحق التملك والاستدانة، أما الموجة النسوية الثانية- أي ما بعد ١٩٦٠م- فقد كان تركيزها على التحرر والمساواة المطلقين، المتضمّنين المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة من حيث الواجبات والمستحقات، وتحرر المرأة والرجل من أي قيود متعلقة بالجسد أو الممارسة الجنسية.

١- سيمون دي بوفوار ورفض الأمومة:

كانت «سيمون دي بوفوار» إحدى أكثر الشخصيات النسوية تأثيرًا، تحديدًا كونها قررت كثيرًا من شعارات الموجة النسوية الثانية وأهدافها في كتابها الفلسفي (الجنس الآخر) عام ١٩٤٩، الذي يعتبره المؤرخون ملهم الموجة الثانية ومشعل فتيلها، فلم تكتف «دو بوفوار» بمطالباتها مساواة المرأة بالرجل، وإنما قررت ضرورة معاداته، ومن ثم الاستغناء عنه؛ كونه أساس النظام الأبوي الذي يمنعها حريتها ويجعلها ملكًا للذكر عبر الدين والقانون، ولكي تتخلص من كل سلطة تمتلك جسدها لم تجد بدًا من التخلي عن الأمومة التي تجبرها على الخضوع لغير رغباتها.

يمكن النظر إلى جزء مما كتبته «دو بوفوار» باعتباره مثالًا على فكرها النسوي، فـتقول إن «أي دور تقليدي للمرأة ينبغي أن يُرفَض، فالأمومة لا تحقق ذات المرأة ولا تفتح أي آفاق جديدة للمستقبل، إنما هي مجموعة من المهمات الروتينية التي كانت النساء تفعلها

منذ القدم، فلا الإنجاب يقدم للعالم شيئًا (!!!) ولا الحياة تتوقف على ترتيب السرير، ولا ذاك يعبر عن النفس أو يحققها». (!!!)

الغريب- حقًّا- أن هذا الفكر انتشر في الغرب كالنار في الهشيم، وحمله النسويون ونادوا به طوال عقود من الزمن، مع أنه يهمل أهمية التربية والإنجاب العظيمة، ويتغاضى عن كون المرأة تنشئ وتبني الجيل الذي سيقوم بكل المهمات في المجتمع في المستقبل، فأي تحقيق للذات أكبر من هذا؟!

والحقيقة أن أي عمل لا يمكن أن يخلو من روتين وتكرار بالنسبة للرجال والنساء على السواء، فمعظم الوظائف لا تحقق الذات بالصورة التي يصفها النسويات-من حيث إحداث التغيير والتعبير عن النفس-، إنما هي عبارة عن روتين لا يسمح للموظف أن يبدي رأيه ولا يغير في بنيته المحددة له مسبقًا، بينما الحلم الذي تقدمه النسويات للمرأة هو أن أي عمل ستحصّله بمجرد خروجها من البيت سيكون مثل الذي تفعله الناشطات اللواتي يقضين يومهن بالكتابة وحضور الحفلات والاجتماعات والمناظرات والظهور في اللقاءات الرسمية وتقديم الندوات والمحاضرات!!!

٢- بيتي فريدان وفرضية تعاسة ربات البيوت:

وقد وافقت الكاتبة والناشطة النسوية الأمريكية «بيتي فريدان» على أفكار سيمون من قبلها، وقدّمتها للأمريكيين في كتابها المبسط (الغموض الأنثوي)، حيث انطلقت فريدان من فكرة محورية في كتابها وهي كون ربّات البيوت- جميعهنّ- تعيسات مكتئبات، يعانين الملل والإحباط، ولا يقضين يومهُنَّ إلا مشغولات بتوافه الأمور التي تسليهنَّ عن مأساتهن، بينما هنّ جاهلات ومحتاجات إلى منقذ يخرجهن من هذه المعاناة إلى النجاة التي تنتظرهنّ في سوق العمل.

تحدّثت «فريدان» في الكتاب عن تجربتها في الزواج والإنجاب، فبيّنت أنّها عاشت مراحل الأنثوية النمطية، لكنها لم تجد ذاتها في أي منها، فقرّرت تركها وتحقيق طموحاتها في تحرير أمثالها عبر النشاط السياسي والاجتماعي. (!!!)

إن من أهمّ معضلات النسوية- كما نرى- حصرها قضية تحقيق الذات في العمل

المدرّ للربح المادي المباشر، حيث اعتبرت أي امرأة لا تمتثل ذلك إنسانة ناقصة البشرية وسلبية فارغة، لا هوية لها ولا طموح ولا أحلام، وأغفلت في هذا كله مشاعر النجاح الكبيرة التي تشعر بها المرأة إن تمكنت من تعليم طفلها القراءة أو رأته يجيد الحساب لأول مرة، وتجاهلت كذلك أن كثيرًا من النساء لا يحتجن العمل خارج البيت ولا يخترنه، وأنّهنّ راضيات وسعيدات بحياتهن البسيطة داخله، يعرفن حق نفوسهن، ويملأن يومهن بما ينفعهن وأسرهن.

وههنا لا بد من ذكر ما قالته فريدان- حرفيًا-: «لا أعرف أي امرأة تمكنت من استخدام عقلها في أداء دورها في الحياة، وفي نفس الوقت أنجبت وأحبت أطفالها!».

لا شكّ أنّنا نرى هنا خلطًا واضحًا لهذا الفكر، وتعميمًا كبيرًا يمارَس على النساء جميعهنّ، فقد جعلهن هذا الكلام أشخاصًا فارغين روحيًا، يتشابهون في نمط الحياة والنشاطات اليومية، كما خلط بين تحصيل المال وبين الإجابة عن الأسئلة الوجودية الكبرى في الحياة، كسؤال الغاية والهدف من الوجود.

تقول فريدان: «حتى حين تكون الأم آمنة دافئة في بيتها محاطة بأولادها تلبس الحرير والمخمل والجواهر، فإنها حتمًا ستطلب ما هو أبعد من ذلك». وفريدان ههنا تشير إلى شعور الغائية الذي لم تتمكّن من تفسيره، والذي لا يختلف فيه رجل أو امرأة، ولا يجيب عنه العمل المربح ماديًا، كما لا تملؤه الأمومة إن لم يكن للإنسان غاية حقيقية يعيش لأجلها- رضوان الله والجنة في الإسلام-، أما جعل تحصيل المال نفسه غاية وتحقيقًا للَّذات فهذا لا يملأ ذاك الفراغ الذي تصفه النسويات، إنما قد يشغل المرء عنه مؤقتًا لا أكثر.

ولنتأمّل التوازن الذي قدمته المنظومة الإسلامية لحياة الفرد والمجتمع، حيث لفت فكر الناس إلى أن غاية العمل كله رضا الله تبارك وتعالى، وأن لكل فرد واجباته الخاصة المرتبطة بظروفه وابتلاءاته، يؤديها مستحضرًا مراقبة الله سبحانه له وحده، بصرف النظر عن ناتجها الدنيوي وتقييم المجتمع لها. والمرأة قد تعمل خارج البيت وقد لا تفعل لأسباب خاصة بها، بينما هي في كل ذلك تعرف ما لها وما عليها شرعًا، وتميز بين واجباتها واختياراتها.

النسوية وهدم الأسرة:

لقد رأت رائدات الموجة النسوية الثانية متمثلة بحركة تحرير المرأة في الولايات المتحدة ضرورة تخليص المرأة من سجن الزواج، الذي وصفته «فريدان» بأنه قفص سنجاب مجمّل تدور فيه المرأة دون توقف، كما انتشرت مقولة «غلوريا ستاينم»: «المرأة بحاجة للرجل كما السمكة بحاجة للدراجة»، ساخرةً فيها من منظومة الزواج والعلاقة التكاملية فيه.

وكذلك هاجمت النسوية الليبرالية الحياة الزوجية بطريقة منمقة أو ساخرة، أما النسوية الراديكالية- في أصوات مثل «كيت ميليت»، و«جيرماين غرير»، و«شولاميث فايرستون»- فقد وجهت سهامها نحو بنية الأسرة بشكل مباشر. تقول «جيرماين غرير»: في كتابها (The Female Eunuch) (الأنثى الخصية): «إن الحياة الزوجية قائمة على تعنيف النساء والإساءة إليهن وإهانتهن، ولذلك يجب التخلص من مؤسسة الزواج وإيجاد البديل عنها، في حياة لا تجبر المرأة على السكن مع الرجل وفق علاقة محكومة بالقوانين والعقوبات الاجتماعية».

لا شك في أن كثيرًا من مكونات نظرة النسوية للحياة الزوجية منبثقة من أفكار فلسفية راسخة في تاريخها منذ أيام «سيمون دو بوفوار»، التي قدست الحرية الفردية المطلقة المبنية على الاعتبار الوجودي للحياة، حيث لا يجد الإنسان الراحة إلا بكونه حرًا بشكل مطلق، تقول «دو بوفوار»: «إن المرء لا يكون محققًا لماهيته إلا حين يمتلك الاختيار المطلق الذي لا يحده أي وازع خارجي (!!!)، وهذا شأن الرجل، أما المرأة فإنها تعيش حياتها في خدمة غيرها ضمن أعمال لا تسمو بها ولا تمنحها استقلاليتها، ولا تثبت أصالة وجودها، ولذلك فإن على المرأة أن تعيش لذاتها، مهتمة بإثبات نفسها، متخلية عن قيد الزواج الذي يمنعها من ذلك».

يبدو واضحًا من خلال قراءة أدبيّات النسويّة ونتاجها أن هناك هوسًا متعبًا لدى هؤلاء بالمساواة والمنافسة بين الجنسين في كل السياقات؛ مما أدى بهم إلى إخفاء مفهوم الأنثى والتعويض عنه بمشابهة الذكر، إضافة إلى تجريم الذكورة وما يتعلق بها من صفات ضرورية في الأب والزوج بشكل عام.

تأثر الواقع بالفكر النسوي:

لقد أصبحت المجتمعات الإنسانية جراء هذا التصور مكونة من معسكرين متحاربين على الدوام، معسكر الرجال ومعسكر النساء، كل منهما يظن في الآخر ظن السوء، ويرى أن حياته معارضة لحياة المعسكر الآخر، وحقوقه تتناقض مع حقوقه، وهذا التصور تشاؤمي ناقص، وهو ناتج عن توهمات باطلة مخالفة لطبيعة الوجود، ونحن لا ننكر أن الصراع موجود في الحياة، ولكننا ننكر تعميمه على كل مظاهرها، والحكم به على العلاقة بين الرجل والمرأة بالخصوص، فمظاهر الوجود متنوعة كثيرًا، منها ما يعيش مع غيره بعلاقة التكامل والتعاضد، ومنها ما يعيش مع غيره بعلاقة التدافع والتصارع.

وتظهر نتائج هذه النظرة جلية واضحة في التفكك الأسري الذي يشهده الغرب اليوم، حيث تنتهي ٥٥٪ من حالات الزواج في فرنسا بالطلاق، ويعيش ربع الأطفال في الولايات المتحدة الأمريكية في أسر أحادية الوالد. هذه الأسر التي تتفاقم باستمرار تقود الأمهات ٨٦٪ منها، ويعيش قرابة ٣ من كل ١٠ منها تحت خط الفقر. وتظهر إحصائيات كثيرة أن مستوى سعادة أفراد الأسر أحادية الوالد أقل بكثير منه في الأسر التقليدية، كما أن الأبناء يعانون بسبب غياب الأب، وتظهر نتائج ذلك في تحصيلهم العلمي وصحتهم النفسية.

إن مهاجمة النسوية لمؤسسة الزواج وتجريمها لكل ما يمكن اعتباره دورًا تقليديًا للرجل أضر بالمرأة أولًا، وبالمجتمع كله ثانيًا، فالرجال في الغرب اقتنعوا بضرورة تخلّيهم عن كل دور نمطي عرفوه بعدما صار عارًا وذنبًا لهم، وقبلوا بالتخلي عن مسؤوليتهم التي وصفتها النسوية بالتسلط والأبوية، وبالتالي انقلب الأمر بؤسًا على النساء اللواتي بتن- في كثير من الحالات- مجبرات على لعب دور الأب والأم في ظل مجتمع ظالم لا يعطيهن أيًا من حقوقهن الأصلية تحت مسميات التحرر والمساواة.

الفكر النسوي
وتدمير الأسرة الأمريكية

أطلق علماء الاجتماع في أمريكا صيحة تحذير قوية مفادها أن صورة الأسرة الأمريكية التي كانت معروفة باتت في طريقها إلى أن تكون «كائنًا معرضًا للانقراض.

وقد يختلف المعنيون بالشأن الأسري في ماهية العوامل المؤدية لذلك، لكن يتفق الجميع على حقيقة واحدة مفادها أن مؤسسة الزواج الأمريكية باتت في خطر، ففي الوقت الذي تفاقمت فيه معدلات الطلاق خلال النصف الثاني من القرن العشرين، تراجعت معدلات الزواج، فضلًا عن الزيادة المطردة في عدد الأسر التي يعولها أب منفرد أو أم منفردة، والأسوأ من ذلك تزايد ميل الأقران هناك إلى إسقاط الزواج من خياراتهم، أو على الأقل تأجيله والعيش معًا في إطار ما يطلق عليه «المساكنة».

وتتداخل وتتشابك العوامل التي تسهم في تراجع أهمية مؤسسة الزواج هناك، ولن يتسع المقام لذكر كافة العوامل- مع أهميتها جميعًا-، ولكن يمكن هنا استعراض بعض الأدوار التي قام بها الفكر النسوي في تدمير الأسرة الأمريكية، مع الاستئناس بدراسات علمية وإحصاءات مستقاة من ناشطات أمريكيات، ضقن ذرعًا بالأثر المدمر لهذا الفكر، وعكفن على تقييم أطروحاته بعد مرور ما يربو على قرن ونصف من الترويج له داخل المجتمع الأمريكي.

دعوة للتحرر من الأسرة:

يؤمن الفكر النسوي بكافة أجنحته من أقصى اليمين لأقصى اليسار، بأن الأسرة صفقة خاسرة لا يستفيد منها إلا الرجل، بينما هي للمرأة قيدٌ وأعباء، وحصر لدورها في الإنجاب والرعاية، وتتفاوت مواقف النسويات من الأسرة ما بين الإبقاء عليها مع إدخال تغييرات على هيكلها أو طبيعة العلاقات بداخلها، وما بين رفضها تمامًا، فالاتجاه الأول وتمثله الليبراليات اللواتي يرددن مقولات الليبرالي جون ستيوارت ميل، وأبرزها

«لا يوجد شيء في هذه الدنيا يستحق التضحية بحرية الفرد، ومن ثم فكل امرأة يعولها زوجها- حتى لو كانت رعايته لها جيدة- قد باعت في الواقع حريتها بثمن بخس، عندما استبدلت بها الطعام والمأوى، ولا يمكن لأي إنسان حر أن يفكر في مثل هذه الصفقة دع عنك أن يقبلها».

بينما يرى أصحاب الاتجاه الثاني، وغالبيتهن من الشيوعيات والماركسيات والراديكاليات ونسويات التحليل النفسي، أن أول اضطهاد في التاريخ وقع من الرجل على المرأة في إطار الصراع بينهما داخل مؤسسة الزواج، بل إن الزواج ذاته اخترعه الرجل؛ ليضم المرأة إلى ملكيته الخاصة.

وعلى هذا فإنه كي تتحرر المرأة لابد من العودة إلى المشاعية الأولى، حيث حرية المرأة تقتضي أن تكون حرة في علاقاتها الجنسية مع الرجال، (!!!) ليكون بمثابة إعلان أنها ليست ملكًا فرديًّا للرجل، وهذا لن يتحقق إلا بالتحرر من الزواج والارتباط بأسرة، (!!!) وعن الأطفال الذين قد ينجموا عن علاقاتها المشاعية الحرة مع الرجال، فسوف يتولاهم المجتمع بمؤسساته الرعائية، وحاولن تدعيم أطروحاتهن تلك استنادًا إلى قراءة كارل ماركس للتاريخ، ومقولات فردريك إنجلز من قبيل: «إن التدبير المنزلي سيتحول إلى صناعة اجتماعية، فتنتقل العناية بالأطفال وتربيتهم إلى الدولة؛ لأن المجتمع هو الذي سيرعى أمرهم، سواء أكانوا أولادًا شرعيين أم غير شرعيين». (!!!)

مأْسَسة العدائية للزواج:

تكونت في الستينيات جمعية راديكالية تحمل اسم «الفيمينست»، تضمنت في شروط عضويتها بعض المحاذير المتعلقة بالزواج فتنص على:

- حيث تؤمن «الفيمينست» بأن الظلم عنصر متأصل في مؤسسة الزوجية، سواء على الصعيد الرسمي (القانوني)، أو على الصعيد غير الرسمي «الاجتماعي».
- وحيث نعتبر أن مؤسسة الزوجية هي صيغة تطبيع لاضطهاد المرأة.
- وحيث نؤمن بأن مناهضة هذه المؤسسة سواء على الصعيد النظري أو التنفيذي هو علامة أساسية للفكر النسوي...

فإن لدينا لائحة للعضوية لا تسمح بأن تُشارك أكثر من ثلث أعضاء الجمعية-بشكل أو بآخر- في مؤسسة الزوجية، سواء بصورة رسمية (عقد قانوني) أو غير رسمية (مساكنة رجل) (أي زنا والعياذ بالله).

وسائل للتنفير من الزواج:

وقامت الحركة النسوية الأمريكية بجهد كبير في تنفير الرجل والمرأة من الزواج من خلال عدة وسائل، منها:

١- تزييف وعي الفتيات بأن الأسرة مؤسسة ذكورية شريرة:

قامت كريستينا ستولبا، والتي تكتب لمنتدى «المرأة المستقلة»، بمراجعة المناهج الخاصة بفصول الدراسات النسوية التمهيدية، والتي تقدمها ثلاثون كلية مختلفة، فوجدت أن كل تلك المناهج تعتمد على عدد محدود جدًا من الكتب الدراسية، وبقراءة جميع تلك المراجع وجدت كمًّا هائلًا من المعلومات المشكوك في صحتها، والتي يتم تقديمها للطلاب الأمريكيين وكأنها حقائق مسَلَّمة، وجميع هذه الكتب الدراسية اعتبرت أن فكرة الزواج والاحتفاظ بالجنس للزواج تنبع من تلك المؤسسة الذكورية الشريرة البدائية المسماة «الباتريباركية».

٢- إلصاق العنف بالرجال وبخاصة في الأسرة:

عادة ما تومِئ النسويات إلى أن الرجال بشكل عام خطر على سلامة المرأة، بل إن العلاقة الجنسية الطبيعية في حد ذاتها في عرف الحركة النسوية هي علاقة تفيض بالخطر على صحة المرأة العاطفية والجسدية واستقلالها الشخصي، وتروج مرارًا وتكرارًا عبر الإحصائيات المبالغ فيها أن العنف ضد المرأة هو أمر حتمي في وجود الرجال ولا مفر منه، وبالأخص داخل مؤسسة الزوجية، بل صار لا يُذكر الزواج إلا حين الحديث عن العنف المنزلي، وكأنه مشكلة لا تتواجد إلا بين هؤلاء الذين جمعهم الميثاق الغليظ أو الرباط المقدس.

وقد أحدثت المغالاة في ترويج المفاهيم التي ترى أن «الزواج ترخيص بالضرب» ردود أفعال معاكسة، حيث تناولت كل من «ليندا مايت وماجي جالاجار» تلك الكذبة في كتابهما المعنون بـ «في إنصاف الزواج» حيث قالتا: «يميل البعض لاستخدام مصطلح

العنف المنزلي، ومصطلح العنف ضد الزوجة، وكأنهما مترادفان قابلان للتبادل، وهذا غير صحيح، فتلك الممارسة اللفظية غير المسئولة تُصور الزواج كمؤسسة تُعرض المرأة إلى خطرٍ شديد، بينما تُشير الدراسات إلى أن المرأة المتزوجة أقل عرضة لأن تُصبح ضحية عنف من كل من المرأة المطلقة والمنفصلة وغير المتزوجة التي تعيش مع رجل، وبدراسة البيانات التي جمعها الاستطلاع القومي لضحايا الجريمة، نجد أن ثلثي الاعتداءات على النساء المصنفة باسم «عنف حميمي» لم يرتكبها الأزواج.

٣- إرهاب الرجال من الإقدام على الزواج:

لضمان عزوف الرجال أيضًا عن مؤسسة الزواج ابتكرت النسويات في السنوات الأخيرة صياغات جديدة لمفهوم العنف ضد المرأة، وبخاصة في إطار الزواج، تجعل الرجل يعرض عن الزواج، ولاسيما أن هناك علاقات بديلة مستحدثة «المساكنة، المصاحبة، الجنس الكاجوال العابر، علاقات التيك أواي...»، تُمكن الرجال من الاستمتاع بكثير من مزايا الزواج، ليس فقط جنسيًا، ولكن من حيث الصحبة، وتحسن نمط الحياة الذي يرتبط بوجود امرأة تشعر بالسعادة، وهي تطبخ وتنظف لهم، لكن دون ضرورة بذل ما يتطلبه الزواج في المقابل من التزامات. (!!!)

كما اتسع مفهوم العنف ليشمل كل ما تعتبره المرأة غير لائق، وصار مفهوم «الاغتصاب» في إطار الزواج من المطاطية والغموض، بحيث يجعل الرجل يفكر ألف مرة قبل الزواج بأية امرأة، ومن أمثلة ذلك التعريف الذي قدمته الناشطة النسوية «كاثرين ماكينون» للاغتصاب، والذي يقول: «من وجهة نظر سياسية يُعتبر اغتصابًا كلما مارست المرأة الجنس وشعرت بانتهاكٍ ما»، أي أن تكييف الواقعة سواء في إطار الزوجية أو خارجها يتوقف على ادِّعاء المرأة، ونظرتها للأمر، ومدى رضائها عنه، بل ومدى رضائها عن الرجل، والذي بات من السهل التضحيه به لمجرد التعاطف مع المرأة.

وفي كتاب «أوقفوا النيران» لمؤلفته كاثي يونج، تقول بأن ذلك الغموض في تعريف الاغتصاب قد أدى إلى خلق مشكلات عميقة في النظام القانوني، فالتعريف الليبرالي للاغتصاب قد فتح الباب أمام النساء للتجني على الرجال، هذا المقياس الجديد لما يُعتبر اغتصابًا أدى بالفعل لسجن وملاحقة رجال أبرياء.

هذا هو النموذج الذي يُراد لنا أن نتوحد خلفه، رغم التباين الشاسع بين الثقافتين،

بل ولا يزال يُغرر بالسُذج من بلادنا بإبهارهم به؛ بُغية ربط قاطرة أسرنا المسلمة بقاطرة الأسرة هناك، وذلك من خلال جماعات الضغط النسوية، وما يُجند لها من إعلام مهيمن، لا يمل من ترديد مفردات أجندتها، ومن يعترض يجد نفسه في مرمى نيران تُهمة أننا مجتمع ذكوري.

فلنأخذ حذرنا من تنامي نفوذ نسويات بلادنا، ولنعتبر بالثمار المرة التي يحصدها المجتمع الأمريكي اليوم من جراء الرضوخ لهذا الفكر المدمر، لنستفيق قبل أن تصبح الأسرة عندنا أيضًا كائنًا في طريقه للانقراض.

ومن العوامل التي أسهمت في تراجع أهمية الأسرة الأمريكية عاملٌ آخر كان له أبرز الأثر في تحطيم صخرة الأسرة من الداخل، وهو الفكر الماركسي الذي حمل لواءه داخل المجتمع الأمريكي أسماء لامعة، مثل جورج لوكاش، وهربرت ماركيوز.

تحذيرات رسمية:

وصيحة التحذير هذه المرة جاءت رسمية عبر وثيقة أمريكية، وهي عبارة عن شهادة سجَّلها «بيل وود» في جلسة استماع أمام الكونجرس الأمريكي في السابع عشر من يوليو عام ٢٠٠٣.

تكشف هذه الوثيقة عما يعرف بـ«الهيمنة» و«الهيمنة المضادة» أي سعي الماركسيين لخلق ثقافة مضادة لتحطيم الثقافة الغربية، وعلى حد تعبير بيل وود: «إن نيكيتا خروشوف حينما خلع حذاءه وقال إننا سندمركم من الداخل كان يعني ما يقول»[(١)].

وتبدو أهمية هذه الوثيقة بالنسبة لنا نحن المسلمين، في أنها تصف بدقة خفايا الحرب الثقافية التي يتم شنّها على القيم والمعتقدات، وضرب المجتمع من داخله، وإذا كانت نتائجها الكارثية قد ظهرت في المجتمع الأمريكي فإن هذا ليس عنا ببعيد، ولاسيما أننا معهم كما قال الشاعر:

(١) يقصد الحادثة التي وقعت عام ١٩٦٠، عندما نزع الزعيم السوفيتي «نيكيتا خروتشوف» حذاءه في جلسة للأمم المتحدة، وراح يضرب به على الطاولة في مواجهة رئيس الوزراء البريطاني هارولد مكميلان عند مناقشة الاقتراحات السوفيتية بشأن الحد من التسلح، وسياسته تجاه أمريكا أخذت طابعًا عدائيًا ولاسيما فيما يعرف بأزمة الصواريخ الكوبية (١٩٦٢)، وكادت أن تهدد حينها بنشوب حرب عالمية؛ لأنها أوصلت البلدين إلى حافة الحرب.

تَفَـرَّقَ شَـمْلُهُمْ إِلَّا عَلَيْنَـا فَصِرْنَـا كَالْفَرِيسَـةِ لِلْـكِلَابِ

كما تكشف هذه الوثيقة أيضًا ارتباط الحركة النسوية بالفلسفة الماركسية، والدور الخطير الذي لعبته النسويات الماركسيات في تدمير الأسرة بإقناع أعضائها بأنهم ضحايا بناء أبوي، ويعقّب «وود» على تزييف الوعي هذا بأن «هذا النظامُ- البناء الأبوي- في حقيقته ما هو إلا هذه الأبنية الاجتماعية والمؤسسات التي حفظت الثقافة الغربية ملتحمة لفترة طويلة، قبل انتشار الفساد الاجتماعي والتعفُّن الذي نراه اليوم».

يقول بيل وود في شهادته أمام الكونجرس: «على القادة السياسيين والدينيين والمحافظين، والقضاة والمحامين، والعائلات والآباء بصفة خاصة، وغالبية الأمريكيين الحريصين على قيم ومثاليات الأسرة والمجتمع أن يفهموا بوضوح أن هناك حربًا مفتوحة قد أُعلنت ضدهم وضد مجتمعهم».

تكاليف الحرب الاجتماعية:

«إن التكاليف المادية والبشرية لهذه الحرب ضد الولايات المتحدة، تجعلها أكثر الحروب تدميرًا في التاريخ الأمريكي، وإذا قارنا ثقافة الخمسينيَّات بتلك التي في أواخر التسعينيات لوجدنا فروقًا رهيبة. فقد وصلت نسبة الاعتداءات الإجرامية إلى ٧٠٠٪، وارتفعت نسبة ممارسة الجنس بين المراهقين الذين لم يبلغوا الثامنة عشرة من أعمارهم من ٣٠٪ إلى ٧٠٪، وارتفعت نسبة الضرائب التي تتحملها الأسرة التي تتكون من أربعة أفراد إلى ٥٠٠٪، وهي تمثل ربع دخل الأسرة، تضاعفت معدلات الطلاق أربع مرات، كذلك ارتفعت معدلات المواليد غير الشرعيين بين الأمريكيين السود من ٢٣٪ إلى ٦٨٪، أما على مستوى الأمة ككل فقد قفزت النسبة من ٥٪ إلى ٣٠٪ أي بنسبة ٦٠٠٪، وارتفعت معدلات انتشار الأمراض الجنسية إلى ١٥٠٪، وزادت نسب حمل المراهقات، وارتفعت معدلات الانتحار إلى ٢٠٠٪.

في الفترة ما بين ١٩٥٠م إلى ١٩٧٩م ارتفعت نسب الجرائم الخطيرة التي يرتكبها الأطفال دون سن الخامسة عشرة، ويتفق معظمنا على أن مجتمعنا قد انحدر إلى ما هو أسوأ في الثلاثين سنة الأخيرة؛ فإن العديد من الأمراض الاجتماعية التي يعاني منها مجتمعنا ترجع جذورها إلى انهيار الأسرة وتدمير الزواج».

دور الماركسيين في تفكيك الأسرة:

يكشف «بيل وود» في شهادته أمام الكونجرس، كيف نجح من أطلق عليهم أعداء المجتمع الأمريكي في العمل وفق خطة نظرية «الهَيْمنة المضادَّة» على تدمير الزواج والأسرة التقليدية، وتحطيم الثقافة الغربية بالتسلل إلى مختلف المؤسَّسات.

أما عن أبرز الأسماء التي ذكرها «وود»، والتي لعبت دورًا خطيرًا في إحداث هذا التغيير الاجتماعي: جورج لوكاش الذي كان ينادي بأن يتعلَّم أطفال المدارس الحب الحر، والاتصال الجنسي الحر، ونبذ أخلاقيات الطبقات الوسطى، وإبطال الزواج، والاعتقاد بعدم تناسب التعاليم الدينية مع هذه الحريات؛ لأنها تحرم الرجال من السعادة، و هربرت ماركيوز الذي برأيه «أن كل المحرمات- وخاصة الجنسية منها- يجب أن تتراخى، كما يقول ماركيوز: «يجب أن تكون النساء بمثابة (بروليتاريا ثقافية) أي تكن أداة لتحول المجتمع الغربي، وإذا نجحنا في إقناع النساء بترك أدوارهن التقليدية كناقلات للثقافة التقليدية إلى الأجيال الجديدة، فإن هذه الثقافة لن تنتقل بالطبع إلى هذه الأجيال».

وكذلك يكشف «وود» كيف أن الأفكار الماركسية الشيوعية، قد سيطرت على الحركات النسوية اليوم وطوَّقَتْها، فهذه الحركات النسوية برأيه عملت على استخدام المرأة كأداة لتدمير الثقافة، والتخلي عن الزواج، والحيلولة دون نقل الثقافة التقليدية للجيل الجديد.

الماركسيات الجديدات وهدم الأسرة:

هنا يلزم التنويه إلى الفارق الدقيق داخل التيار النسوي الماركسي بين قديمه وحديثه، فكلاهما يستمد جذوره الفكرية من أفكار «إنجلز» و«ماركس» و«لينين» في السعي لبناء مجتمع لا طبقي، إلا أن الماركسية الجديدة تأخذ على الماركسية القديمة خطأ، وهو اللجوء إلى الأساليب الاقتصادية لبناء مجتمع لا طبقي، بينما- برأيها- اللجوء إلى الأساليب الاجتماعية هو السبيل الوحيد لمجتمع خالٍ من الطبقات والميول الطبقية، ومن ثم تمثل الأسرة والأمومة في نظر «الماركسية الحديثة» -التي تستمد النسوية أفكارها منها- السبب وراء نظام طبقي جنسي يقهر المرأة لدورها في الحمل والأمومة.

والمطلع على الدراسات التي تتناول المجتمع الأمريكي لن يعوزه كثير جهد كي يري كيف روجت النسويات الماركسيات الجدد لهذا الفكر باقتدار، من خلال المواقع

التي يشغلونها كأساتذة جامعات، أو صحفيين، أو اجتماعيين، أو إعلاميين، أو ككتاب للسينما أو التلفاز.

فها هي البروفيسور «إي.كاي تربمبيجر» أستاذة الدراسات النسوية والجندر بجامعة سونوما- ستيت، في كتابها «المرأة العزباء الجديدة» وهو كتاب يشيد بقدرة غير المتزوجين على إنشاء علاقات اجتماعية بديلة تشبه في بعض ملامحها ما يوفره الزواج من تأمين، وتحمل «تربمبيجر» عبر صفحات كتابها بشدة على المجتمع الذي يمنح أهمية لارتباط الزواج بتقديم الهدايا وإقامة الاحتفالات، في حين لا تحظى العلاقات المماثلة بقدر مماثل من القبول والدعم، وتوصي في خاتمة كتابها بضرورة أن يتخلص المجتمع من بقايا الوصم الاجتماعي والنظرة الدونية تجاه المرأة العزباء، والمضي قدمًا نحو استيعاب ودعم القرار الذي تتخذه النساء بالامتناع عن الزواج.

وعلى نفس المنوال تغزل «جاكلين جيللر» البروفيسور بجامعة نيويورك كتابها «ها قد جاءت العروس» فتقول: «لابد أن أعلن أن دعم مؤسسة تقوم على مقايضة النساء كسلعة مؤسسة تحتقر الصداقة، ولا تتخيل الوجود الإنساني للمرأة إلا في سياق قصة رومانسية تهدف لرفاهية الذكور، وهو أمر غير مقبول في أي عمر».

كما روجت النسويات الماركسيات لكتاب «الهروب» لمؤلفته «آشتون أبيلوايت» التي صالت وجالت عبر صفحات كتابها حول معنى بعينه «أن الزواج التقليدي يفي بحاجات الرجل، وأن استقلال النساء لا شك أثمن من العبودية».

ودعاة النسوية الماركسية هؤلاء يخدعون النساء بتجاهل تأثير الرغبة الأنثوية الداخلية في الزواج، وأنه ليس لرفاهية الذكور فحسب، وإنما لرفاهيتهن أيضًا، ويتجاهلن المؤشرات التي تدل على معدلات السعادة الأكبر التي يوفرها الزواج.

وإذا حاجَجْنَهُنَّ بنفس منطقهن لقلنا إن دعاويهن تلك تعكس عنصرية مناهضة لرغبات النساء، وهو ذاته الأمر الذي تنفر منه النسويات ويدعين محاربته، فضلًا عن أنه مصادرة لحق الاختيار الذي طالما نادَيْنَ به وتشدَّقن بشعاراته.

الحصاد المر:

وأثمر هذا الفكر حصاده المر، إذ انصرف كثيرون عن الزواج وانتشر نمط «المساكنة»،

وهي معايشة الشخص لنصفه الثاني دون زواج، دون التعرض إلى مسئولياته كالالتزام، ودون المخاطرة بالتعرض إلى الطلاق والتشارك في نصف الثروة.

وأصبح العيش معًا دون زواج أمرًا يتزايد قبوله في المجتمع الأمريكي يومًا بعد يوم، حتى بلغ تعداد الأمريكيين الذين يعيشون في إطار المساكنة خمسة ملايين رجل وامرأة بعد أن كان نصف مليون عام ١٩٧٠.

وصارت النساء هناك تحت التجريب وعلى حد وصف «جنيفر موريس» نمط المساكنة هذا كالشخص الذي يأخذ شريكه في قيادة تجريبية كما يحدث قبل شراء سيارة، إذ عليك التصرف كأنك متزوج حتى يستطيع الطرف الآخر تقييم مدى توافقكما كشركاء، وإذا لم ينجح بشكل ما في إشباع توقعاته فيمكنه إعادتك إلى معرض السيارات.

ويتهم «وود» النسويات اتهامًا مباشرًا، فيقول: إن ارتفاع معدلات قضايا الطلاق أمام المحاكم، وكذلك ارتفاع معدلات هجر الزوجات والأطفال، وارتفاع معدلات الإجهاض، وممارسة الجنس قبل الزواج، يعتبر نتاجًا مباشرًا لجهود الحركات النسوية... حيث:

- «نسونة الأسرة»، عن طريق إيجاد فيالق من النساء العازبات والسحاقيات وآباء لا يصلحون إلا لإضعاف المجتمع.
- زرع التعليم الجنسي المتطرف في المدارس، الذي رأى فيه أفضل سبيل لتحطيم الأخلاقيات الجنسية التقليدية، وإضعاف الأسرة التقليدية.
- حث الأطفال على السخرية من الدين، وتجاهل السلطة الأبوية، ورفض قواعد الأخلاقيات التقليدية.
- تخريب الأدوار التقليدية التي تقوم بها المرأة، فتدمير المرأة يعتبر ضربة مميتة للثقافة، وبهذا التدمير تكون الماركسية الثقافية قد أصابت الهدف، فهي قضت بذلك على السكون الداخلي للأسرة، وأطلقت العنان للجنس أو اللذة العابرة.

انتهى وود في شهادته إلى القول: «لا زال الماركسيون يعملون في الحكومة، وفي مجالات القانون، والدين، والإعلام والترفيه، إنهم يستخدمون مصطلحات مثل «التسامح»، ويعنون بها في الحقيقة «عدم التسامح» في كل ما يَهْدفون إليه من تدمير للبناء

الاجتماعي والمعايير المجتمعية، إنهم يفجرون الكراهية في كل هو تقليدي ومحافظ، وأخلاقي وقيمي. إنهم يسعون إلى تدمير الثقافة تمامًا، ولا يهمُّهم الآثار التدميرية المترتبة على انهيار هذه الثقافة على المجتمع؛ من تحطيم للأسرة، وتشرُّد للأطفال، وامتلاء للسجون، وانتشار للأمراض الاجتماعية.

علينا أن ندرِّب شبابنا على الحد من الانغماس في الملذات، علينا أن نُوقِف الاتصالات الجنسية بين المراهقين، وأن نَعِيَ ماذا يقول معلمو الاتجاهات الحديثة في الجنس في المدارس. على الأسر المحافظة أن تتحرك وتقوم بحملات، وتبذل جهودًا؛ لإنقاذ نفسها وأبنائها». اهـ كلامه.

النسوية المتوحشة تهدد القلعة الحصينة:

إن أكثر تيار يجتاح العالم أفقيا وعموديا، ويمتاز بالتقدم الشرس، والنهم الذي لا يكاد يجاريه فيه تيار آخر هو تيار (النسوية/ التنسون).. Feminism، فهذا تيار ينشط في السلم والحرب، وفي ظروف الغنى والفقر، وفي بيئات العلم والجهل، ويعمل على اختراق المستويات الرسمية والأهلية دون توقف، ولكن مع بطء تقتضيه الظروف أحيانا، ولديه قدرة عجيبة على صناعة أو افتعال معركة يحدد سلفا أدواتها وأسلحتها وميدانها، ويعرف بالضبط ماذا يريد منها، ولو كان يعلم أنه سيخسرها، ولكنه يضيف عبر تلك المعارك نقاطا متراكمة تصب في مصلحته.

متوحش بلا مبالغة:

وحين يوصف التيار بالتوحش فهذا ليس مبالغة، أو مجرد حقد أو وضع تصورات وآراء مسبقة، مثلما درجت عادة المنافحين عنه، أن يصفوا من يختلف معهم في قليل أو كثير؛ ذلك أنه يهاجم بعنف ومكر ومراوغة وضراوة لا يقبل فيها التراجع ولو خطوة عن أهدافه ورغباته، وفي هجومه لا يأبه بخطوط حمراء، ولا يراعي ضوابط أو تعاليم دينية أو أعراف وخصائص اجتماعية وهوية تاريخة وثقافية، ولأنه كلما حاز شيئا، طالب فورا بالمزيد والمزيد، وازداد شراسة وتغوّلا، ورفع صوته عاليا، ومع الصوت سوط يجلد كل معترض أو مخالف أو متحفظ أو حتى من يقف على الحياد. وربما يصعب التكهن إلى أين يريد أن يصل بالضبط؟ مع وجود سيناريوهات وتصورات، وقد كانت في وقت ما بعيدة، فصارت واقعا، والله أعلم ما هو القادم؟!

شبه صحوة غربية:

لم يعد الخوف والتوجس وخوض المعارك المستمرة مع هذا التيار محصورًا في المجتمعات الشرقية أو العربية والإسلامية التي توصف بالمحافظة؛ بل تعداه إلى المجتمعات الغربية التي صنعته، فصار مثل وحش ضار تمت تربيته في قفص فأفلت أو كسر قضبان القفص وهاجم حتى من رعاه وأطعمه وسقاه واهتم به.

ومن معالم الصحوة التي قد تبدو متأخرة تأخرا لا يليق معه القول المشهور (أن تأتي متأخرا خير من ألا تأتي) هو النشاط الملحوظ المتزايد (ولو على مستوى الإعلام) لحركة MGTOW وهي أحرف تختصر اسم الحركة:-Men Going Their Own Way - الرجال يسلكون طريقهم الخاص.

ومع أن الحركة المذكورة تصنف عادة على أنها من (كارهي النساء) وهذا تصنيف منبعه سلطة الثقافة السائدة الناجمة عن تغوّل الحركة النسوية، ولكن الحركة وجدت نساء غربيات- مع أن عناصرها رجال- يبررن أسباب التحاق الرجال بها، والسبب في رأيهن هو التطرف والتغوّل الذي صار ديدن الحركة النسوية.

فالحركة هي ردة فعل طبيعية على التوحش النسوي في تلك البلاد الغربية؛ بحيث يصبح الرجل وفق وصف المنتسبين إليها مجرد (ماكنة صراف آلي) بل هو كذلك فعلًا؛ وبالتالي يجب انفصال الذكور والرجال وعزوفهم عن الزواج بل حتى المعاشرة وتكوين بيئة خاصة بهم!

تهديد الإنسانية:

لو تأملنا المشهد جيدا بالفعل النسوي وردَّات الفعل عليه لوجدنا أن التنسون يهدد مستقبل الإنسانية بأسرها. فلا شك بأن الضرر الذي لحق بالأرض والإنسان بسبب الغرب وتقليعاته يفوق الوصف ويتعب من أراد العد والإحصاء. وكأنه لا يكفينا الاحتباس الحراري وذوبان الجليد والتغيرات المناخية وغيرها من المصطلحات التي صارت لازمة لحياتنا على هذا الكوكب الذي جعلنا الله خلفاء فيه، فأفسدته طائفة من الناس، بسبب الجشع والوحشية، التي أفرزتها الحضارة الغربية المبنية على أنانية مطلقة لا تبالي إلا بتحقيق المكاسب وزيادة الأرباح ولو على حساب التوازن البيئي الذي جعله الله مناسبا لحياتنا وحياة المخلوقات الأخرى على هذه الأرض.

كأن هذا لا يكفي؛ فتأتي التيارات النسوية ومن شايعها بتقليعات تنذر وتهدد الوجود الإنساني على هذه الأرض، إذا لم يتم لجمها وكبح جماحها، مع أن ترميم ما خربته ودمرته يحتاج وقتا وجهدا كبيرين.. فالهدم أسهل وأقصر من البناء!

إن تيار التنسون لا يتوقف ولا يعرف اليأس ولا يكفّ عن المحاولة ولا تشبع نهمته؛ فما يحوزه من أدوات وأموال وما راكمه من اختراقات تقيه من الاندثار، فيبدأ معركة جديدة مستعينا بمنظومة لها تأثير سلبي على القلعة، فلم يستسلم ولم يكف عن مهاجمة القلعة؛ فالتيار تغوّل في الغرب، وصار تقريبا هو الآمر الناهي، واستطاع تجيير القانون لخدمة أهدافه ومصالحه إلى حد كبير جدا. والغرب تأثيره على مجتمعاتنا، وبالتأكيد على أنظمتنا السياسية عميق جدا، بأدوات ظاهرة أو خفية.

ماذا علينا؟

يجب علينا أن ننتبه لما جاء بوثيقة «وود»، فالكيِّس مَن دان نفسه واعتبر واتعظ بما يحدث لغيره، فمرامي الفلسفة التي يدبرها شياطين الخراب عظام، ولن يقف أثرها عند حد المجتمع الأمريكي، بل مع العولمة يسري سمّها الزعاف في عروق الجميع، ويمكن تطبيق نظرية الهيمنة الثقافية على كل حالة تعمل فيها جماعة بشكل منهجي منظم؛ للقضاء على الثقافة السائدة جذريًا، واستبدالها بثقافة أخرى، وهذا ما يتم في مجتمعاتنا منذ أن غربت شمس تمكين أمتنا.

فجهود الغرب بمعسكريه الليبرالي والماركسي عبر وكلائه لتغيير قيم المجتمع العربي ومفاهيمه بادية للعيان، والهيمنة المضادة التي تبغي فساد قيمنا وتدمير مقدراتنا من خلال مراكز الأبحاث ومنظمات التمويل الأجنبي ليست بخافية على كل ذي بصر وبصيرة.

واقع المرأة في الغرب

المرأة الغربية هي الأنموذج والمثل الذي يُحتذى من قِبَل أدعياء التحرر والتغريب؛ فهي بزعمهم قد وصلت إلى قمة السعادة، وحصلت على كافة حقوقها الإنسانية، ولكن هل هذا الزعم صحيح حقًا؟! أم أنه مجرد وهْم كبير يريدون أن يوقعونا في شراكه؟

إن الشيء الذي حصلت عليه المرأة المسماة « محررة» هو الغرور بأن تعتبر مساوية للرجل فقط؛ إذ ليس لها وقت أو إحساس لتحيا حقيقة أنها زوجة أو أم، وهذا مما يُحزِن؛ لأن الله سبحانه وتعالى خلق المرأة زوجة للرجل وأمًّا لأولاده لتراعي بيت الأسرة والأطفال وحاجات زوجها، ولمَّا لم يتحقق ذلك للمرأة المتحررة فقد ضاع عليها أهم شيء في الحياة؛ ويومًا مَّا سوف تشعر بهذا، ولكن بعد فوات الأوان!

إن تحرر المرأة في الغرب لم يستطع أن ينقذ المرأة أو يكرمها، فقط استطاع أن يضغط على النساء ليخرجن من البيوت من غير رقيب ولا حسيب، يكون لهن هواياتهن وحياتهن الخاصة، لا يردن العمل فقط بل دفعن بأنفسهن للوصول إلى أعلى مرتبة في العمل، والوصول إلى هذه (القمة) ليس بالسهل للنساء، ولهذا هن دائمًا تحت ضغوطات محاولاتهن للتنافس مع الرجال، وفي النهاية إذا وصلن إلى أعمال ووظائف فعادةً لا يرقين إلى ما يحققه الرجال؛ فبعد كل هذا العمل، والوقت، والجهد والضغط ما زالت النساء لا يحصلن على المرتبات نفسها لنظائرهن من الرجال، وهذا يؤدي إلى نتيجة سلبية!

وبعض الشركات لا تقبل النساء للعمل عندهم إذا كن حوامل ولا يوظفون النساء اللاتي لديهن أطفال، وهذا يزيد التعقيدات للنساء اللائي يسعين للتساوي التام مع الرجال، وهذا التعقيد هن اللواتي جلبنه؛ فبدلًا من أن يرفعن مكانتهن جعلن حياتهن مضطربة وتحت ضغوط جمة، و هذا لا بد أن يؤدي إلى الحزن والأسى.

إن النساء في الغرب عشن مراحل (التحرر) واستُعبدن من قِبَلِ أفكار المجتمع الداعية

لتحرير المرأة. ولقد ناضل النساء لنيل ما يسمى: (حقوق المساواة في أماكن العمل) وطالبن بالمعاملة بالمثل مساواة بالرجل ولكن هؤلاء النساء أنفسهن سمعناهن فيما بعد يصرخن مطالبات بحقوق تختلف عن الرجال العاملين، مثل مطالبتهن بإجازات وضع الحمل، وتفريغهن للبقاء في رعاية أطفالهن الرضع، وفي هذا تناقض مع دعوات المساواة، حيث إن الرجال ليس لهم مثل تلك الحقوق، وهناك أمور أخرى مثل ترقيات العمل، فالمرأة عادة لا تمنح مثل تلك الترقيات ما لم تكن مستعدة لتقبل التحرشات المخدشة للعرض من قِبَلِ رؤسائها في العمل.

كثير من النساء خرجن للعمل مع الرجال، ولكن تسمية ذلك نجاحًا شيء يحزن؛ والتنافس مع الرجال خطأ بالكلية، ولعل المرأة العاملة تعتقد أنها ناجحة بالتمكن من نفس مكانة الرجل، أو أعلى منه، ولكنها في الحقيقة هي الخاسرة؛ فمن مشاكل الاختلاط مع الرجال أنها تخاطر بنفسها في الوقوع بعلاقات محرمة معهم، وطبيعي أن يؤدي هذا إلى الطلاق فتخسر زوجها وأطفالها.

أيضًا عدم وجودها مع زوجها قد يقلل من اكتراثها به، ويمكن أن يجعله هو الآخر يدخل في علاقات جنسية غير مشروعة، حينئذ الأطفال حتمًا سيعانون؛ لأن الأم ليست موجودة لتعلمهم ولترعاهم. وعادة ما يؤدي هذا إلى أن يخرج الأطفال إلى الشوارع، فيزيد احتمال وقوعهم في مشاكل عويصة، ومن تلك المشاكل الحمل المبكر غير الشرعي للبنات. وللعلم يوجد في المجتمعات الغربية أكثر عدد من حالات الطلاق في العالم، وكذلك حالات حمل المراهقات من علاقات جنسية غير مشروعة.

وفي مجتمع العمل المختلط في الغرب ينظر إلى العلاقات التي تنشأ بين الرجال والنساء على أنها علاقات من قبيل المتعة غير الضارة[1]، ولكن ينسى هؤلاء أن هذه العلاقات قادت إلى الزنا وإلى تفكك الأسرة والقضاء على الكثير من الزيجات. هذا

(١) فالمرأة في الغرب لا تنظر «للبوي فريند» نفس نظرتنا نحن أنها تقيم معه علاقة محرمة، وأن هذا عيب وحرام، لا تمامًا، هي نشأت في بيئة ومجتمع يعتبر هذه العلاقة علاقة طبيعية جدًا، وسوية جدًا، بل يشجع عليها ويدعمها ويصاب أهل الفتاة بالقلق إذا ما وصلت لسن محددة وهي ما زالت عذراء، أو وهي ما زالت لم تقم علاقة جنسية كاملة مع شاب، باستثناء الطبقة العليا جدًا من الأرستقراطيين أصحاب الأصول العريقة فهم يجدون عيبًا وحرجًا في أن تنجب ابنتهم طفلًا من «البوي فريند»، لكن ما دون ذلك يوافقون عليه ويقرونه بل ويشجعونه.

الاختلاط خلق كثيرًا من الشك بين الأزواج حول العلاقات غير المشروعة التي يقيمها كلا الطرفين من خلال العمل، كما أنه ورَّث كثيرًا من المضايقات والتحرشات الجنسية في العمل من قِبَل الرجال للمرأة، تلك المرأة التي تبدي نصف جسدها أثناء العمل.

إن دور المرأة أمًّا ومربية للأطفال لم يعد له قيمة في الغرب، بل إن المرأة تُلقي بأطفالها في الحضانة أو إلى شخص آخر ربما يكون غريبًا، وتنطلق للعمل وبأجر أقل من أجر الرجل. ليست هناك وظيفة أكثر ربحًا، وأجرًا من وظيفة الأم التي تربي أطفالها في بيئة متزنة حانية. كل طفل يحتاج أن يشعر بالحنان والطمأنينة، وهل يستطيع أحد أن يعطيه هذا الشعور مثل الأم؟! على الرجال في الغرب أن يتحملوا مسؤولياتهم تجاه أسرهم وأن يقوموا على الأسرة معيلين لها، وأن يشعروا بأخطائهم عندما يدفعون نساءهم للعمل خارج البيت.

ومن آثار عمل النساء بجانب الرجال في الغرب أن المرأة تبدأ في لبس زي معين لكي تجذب الرجال داخل العمل، كما يؤدي اختلاطها بالرجال إلى عدم الرضا عن زوجها. ولعل وجود المرأة في محيط عمل الرجال من الأسباب التي أدت إلى ارتفاع نسبة الطلاق.

والتعليم المختلط يشجع على العلاقات بين الأولاد والبنات، وإذا أُحصي عدد المراهقات الحوامل من مدارس مختلطة ومن مدارس بدون اختلاط (خصوصًا المدارس الإسلامية) لوجدنا في الغالب أن النسبة في المدارس المختلطة ستكون ٥٧ ٪ على الأقل مقارنة بالمدارس التي تطبق الفصل بين الجنسين بنسبة لعلها تقرب من ٥٪ (في حين ستجد أن النسبة في المدارس الإسلامية هي الصفر)، كما أن اختلاط الجنسين يؤدي إلى عدم تركيزهم من الناحية الدراسية؛ لأن اهتمامهم سيكون موجهًا للجنس الآخر.

إن التعليم المختلط خطر يهدد المجتمع؛ فالمربون (المعلمون والمعلمات) في الغرب يؤمنون بمشروعية إقامة العلاقات بين الجنسين من الطلبة المراهقين، متناسين الأبعاد الخلقية والصحية والجنسية لهذا الأمر، وهم أنفسهم (الهيئة التعليمية) قد يكونون متورطين في أعمال غير خلقية، مثل تعاطي المخدرات والعلاقات غير الخلقية

بل وحتى الزنا. إن الشغل الشاغل للمراهقين في مثل هذه الحال هو معايشة هذه الأجواء وبذلك يصبحون معرضين لمختلف الأخطاء التي تحيق بهم في مجتمع تحطمت فيه القيم الخلقية، والمجتمع نفسه هو الخاسر في نهاية الأمر.

تعاني الفتاة الغربية المراهقة من مشكلات اجتماعية ونفسية متعددة نتيجة انتشار الشذوذ والزنا والاغتصاب ونحو ذلك؛ فالزنا منتشر؛ فالأولاد يُعَلَّمون في المدارس أن العلاقات الجنسية مسموح بها بشرط أن يُستخدَم الواقي، أو ما يسمى بالجنس الآمن؛ ولكنهم لا يُعَلَّمون القيم الأخلاقية أو أهمية الزواج. وهذه الأشياء لم تؤدِّ إلى أعداد كثيرة من الحمل المبكر غير المرغوب فيه، وإلى أعداد من الأمهات بدون أزواج فحسب؛ بل أدت إلى مجتمع يفتقر إلى الاتزان الأخلاقي والذي هو من الضرورات لتربية الأطفال في أي مجتمع.

كثير من الفتيات أصبن بصدمة نفسية نتيجة الحمل المبكر (بطريق الزنا) وأدى ذلك إلى الإجهاض، ولا تسأل عن آباء صغار السن والذين يتنكرون للمسؤولية عادة. إن الصدمة النفسية والمعاناة المترتبة على هذه المشاكل خيالية. الإعلام يدفع الفتاة إلى التجمُّل والخروج بشكل سافر وهو ما يؤدي غالبًا إلى الاعتداء الجنسي، والقتل أحيانًا. كل ذلك له تأثير سيئ على المجتمع؛ فالفرد الذي اعتاد الخلاعة والإباحية يصعب عليه أن يقيم علاقة متزنة من خلال أسرة وأن يربي أطفالًا. إن المجتمع والمربين والآباء لا يقدمون إلا القليل في مواجهة هذه المشاكل.

فأنَّى للمربين أن يُقدِّروا خطر هذه الانحرافات وهم أنفسهم من ضحاياها؟! لقد انضم كثير من ذوي الانحرافات وبمختلف أصنافها إلى فئة المربين، وهذا يشجع المراهقين على ممارسة ما يسمى بالطرق المأمونة لتعاطي المخدرات وممارسة العلاقات الجنسية وهم في عمر يافع لا يعون معه المخاطر التي تحيق بهم!

إن حجم هذه المشاكل أكبر من أن يتخيله أحد، والمربون واعون لأخطار هذه الانحرافات السلوكية ولكن لا يعرفون كيف يُوقِفونها. فهذه المشاكل تؤدي إلى خلخلة أسرية؛ فعندما يكبر الأطفال يغدون مختلين وينقلون مشاكلهم وخللهم الاجتماعي إلى

مراهقين آخرين أو حتى أطفالهم؛ وهذا ينتج قلة الاحترام في المجتمع، ولهذا فإن هناك تفككًا كبيرًا في الحياة الأسرية، وفي القدرة على التعامل الاجتماعي الجيد.

إن للإعلام دورًا بارزًا في صناعة الأخلاق والقيم؛ فكيف يصور الإعلام الغربي المرأة الغربية؟ وهل لهذه الصورة دور في إفساد المجتمع وتفككه؟

إن الإعلام الغربي يستخدم النساء معظم الوقت أدوات للنظر إليهن، والبنات الصغيرات يشاهدن هؤلاء النساء ويرغبن في الظهور مثلهن، ولذلك فإن المشكلات كثيرة منها تخلي المرأة عن عملها البيتي كالطبخ وغيره من الخدمات وانشغالها بجسمها.

فالإعلام يركز على منظر المرأة ومظهرها؛ فالمرأة الجميلة ذات الجسم الرشيق تغطي صورتها الصفحات، وتعرض جسمها بطريقة مقززة، والمرأة تفاخر بجمالها وتعتبره سلعة ناجحة. وتعتقد بعض النساء أن الحرية للمرأة هي في التعليم وفي تحقيق المنصب والشهرة، ولا يخفى أن هذه الحرية هي التي أنتجت صناعة الجنس والتي تعتبر من أكثر الصناعات نموًا في الغرب.

نعم! لقد امتُهِنَت المرأة في الغرب وهي التي سمحت للعابثين بذلك. غسيل الدماغ مستمر في الإعلام من خلال طرح نماذج على أنها مثال أعلى؛ إذ تقدم حياتهم الجنسية على أنها المثال، مثل نجوم الموسيقى والغناء مع عدم تقديمهم أمثلة إيجابية يمكن الاقتداء بها.

إن الإعلام الغربي يصور المرأة الغربية على أنها قوية، مستقلة، جميلة ومثالية؛ لأن النساء يرغبن بذلك كما يقول الإعلام، وإذا لم يكن عندها أي من تلك الصفات فستفعل أي شيء للحصول على ما يتوقعه الناس من هذه المظاهر مثل لون الشعر، ولون البشرة، وإذا لم تستطع أن تحقق ذلك فسوف تكون في غاية من الضيق؛ لأنها لم تبلغ (المثالية) التي يصوِّرها الإعلام! وهذا يؤدي بها إلى الكآبة الشديدة والإحباط، بل وأحيانًا إلى قتل النفس.

صورة الإعلام هذه شر ماحق يمكن أن يدفع المرأة إلى أن تحطم عزتها بنفسها، وإذا

فقدت عزة النفس فلن تُكرَم أو تراعي أي أحد، أو أي شيء آخر، وهذا يمكن أن يؤدي إلى الإجرام واللامبالاة بين أفراد المجتمع.

إن الإعلام في تصويره للمرأة في الغرب يهمل دورها في المجتمع زوجةً وأمًّا، ويركز على مسائل مظهرها وهيئتها ودوافعها إلى كسب المال. فالغالب في الغرب أن البنات الناشئات لم يعد لهن قدوة حسنة في أمهاتهن اللائي أصبحن يعلمنهن أن قيمة المرأة تكمن في اهتمامها بالملبس وقابليتها على جذب وإبهار الرجال.

ومن المفاهيم المنحرفة التي أصبحت مترسخة عند كثير من النساء أن الاهتمام برشاقة الجسم مثلًا مقدم على الإنجاب والاعتناء ببيتها. كذلك فإن نظرة المرأة الغربية للرجل أصبحت تتسم بقلة الاكتراث لدوره في المجتمع، حيث إنها ما عادت في حاجة ملحة للارتباط بزوج؛ فالحرية الجنسية تصور لها أن الزواج أضحى من عادات الماضي وتقاليده وأن الزواج يؤدي إلى استعبادها من قِبَل رجل واحد!

والإعلام الغربي بارع في إبراز قضية تحرر المرأة الغربية.. الحرية في الذهاب إلى العمل، السياحة، السوق.. ونحوها. النساء في خطر كبير وهو: الاقتناع بأن كل شيء في الحياة رائع ويُشْرَع لها نيله؛ فلماذا تتزوج، وفي استطاعتها نيل المتعة من غير زواج؟! ولماذا تجلس في البيت وفي استطاعتها أن تعمل وتختلط بحرية مع الرجال، وتحصل على أي عدد من الأخلاء كما تريد؟! المرأة في الغرب اليوم لا يوجد عندها قِيَم لنفسها، وليس لها كرامة البتة، وسوف تهلك نفسها بنفسها.

إن التفكك الأسري، والتمزق الاجتماعي هو أحد سمات المجتمع الغربي، ومن أهم أسباب تفكك الأسرة في الغرب كثرة الطلاق وارتفاع نسبته، وقلة الزواج؛ فالكثير لا يتزوج. ومن آثار هذا التفكك الآثار السلبية على الأطفال الذين يقعون ضحية للطلاق. ومن مظاهر التفكك كثرة الأمهات العزاب التي يكون لديهن أطفال من غير زواج، ولكن من علاقات غير مشروعة، وعدد هؤلاء في ارتفاع مع ما يواجهن من صعوبات في تربية الأطفال وفقدانٍ للعطف والرعاية من الآباء. وهذا يفسر انحراف كثير من الأطفال في هذا المجتمع.

والآثار على تربية الأطفال بالغة؛ ففي المجتمع الغربي لا يربى الأفراد في أسرة تعتني بهم؛ لأن كل عضو في الأسرة منشغل بنفسه، ولهذا عندما يصل الأطفال إلى سن البلوغ فإنهم يمرون بهذه المرحلة الحساسة (سن المراهقة) وحدهم دون رقيب ولا حسيب ولا قلب حانٍ شفوق، وحتمًا فإن المجتمع سيتدهور عندما يعاني الناس من المشاكل، وهذه نتيجة طبيعية لا مفر منها.

والأطفال إذا ما نشؤوا في أسرة مفككة فلربما أدى ذلك إلى مرورهم بطفولة مؤلمة. كما أنهم عندما يكبرون ربما تنشأ عندهم مشكلة بخصوص تحمل مسؤوليات الزواج، هذا إذا لم يعدلوا عن فكرة الزواج أصلًا خوفًا من الوقوع في زيجات غير موفقة، مما يدفعهم إلى أن يخوضوا في العلاقات المحرمة التي بدورها ستنتج أطفالًا غير شرعيين في بيوت لا تربطها الأنظمة الأسرية؛ وهكذا دواليك.

إن التفكك الأسري من سمات العائلة الغربية؛ فمصطلح (العائلة) أصبح يعني مجموعة من الأفراد الذين يتقاسمون مكانًا معينًا، ولكن ليس عندهم هموم ولا أهداف ولا قيم مشتركة، وتُرِكَ الأمر للصحافة والتلفاز والحاسب لتثقيف العائلة. والغربيون يصدقون ما تبثه لهم هذه الوسائل على أنها الحقيقة الخالصة ولا يلتفتون كثيرًا إلى ما قد يبث عبرها من حملات إعلامية تضليلية. كما انشغل أفراد العائلة الغربية فأصبحوا نادرًا ما يأكلون سويًا، وقلما يتخاطبون فيما بينهم، بل وقد ينعدم اكتراث بعضهم ببعض، وأصبحت الأنانية وحب الذات من سمات المعيشة في المجتمع الغربي، ومن أساسيات البقاء فيه على (هامش الحياة). كما صار العزوف عن القيم الأخلاقية من قِبَل الأبوين ينعكس على أولادهم فينشؤون هم بدورهم أفرادًا بعيدين عن المعايير الخلقية ينقصهم احترام الذات واحترام الآخرين.

إن تعاليم الإسلام تحفظ للمرأة كرامتها وأي حدود توضع لها هي لحفظها وصيانتها؛ ولكن للأسف فإن هناك جهلًا بحقوق المرأة في الإسلام؛ فمثلًا واجب الإنفاق من قِبَل الزوج على المرأة والأطفال والبيت هو حق لهم مقرر في الإسلام؛ فعلى الزوج أن ينفقَ ومع ذلك يحق للمرأة أن تحتفظ بما تمتلك لنفسها إلا إذا أرادت المساعدة في حال العسر مثلًا. المرأة في الإسلام ليست تحت ضغط يدفعها للخروج من المنزل للعمل، بل

لها الحرية في البقاء في البيت لتربية أطفالها دون الشعور بالذنب الذي تشعره الكثيرات من النساء غير المسلمات في الغرب. وللمرأة حق التعلُّم وخاصة في أمور دينها وأن تسد الحاجة في مجال الطب والتدريس حتى تقوم بخدمة أخواتها المسلمات في بيئة تعمل فيها بعيدًا عن الاختلاط وتحكم بأحكام الإسلام.

لا يوجد شيء في الإسلام يقلل من كرامة المرأة، بل إن الإسلام يعطيها الكرامة، إنها تحفظ نفسها بالستر والكرامة وتغض نظرها وتخفض صوتها ولا تكون مصدرًا للمشاكل لا داخل البيت ولا خارجه، إنها محدودة فقط داخل نطاق الإسلام، ولكن ليس كما يصوره الإعلام الغربي؛ فالمرأة المسلمة تعامل بالود والكرامة التي تستحقها، وإذا عرفت النساء الغربيات كيف تُعامَل المرأة المسلمة كما يأمر الله سبحانه وتعالى فسوف يسرعن لاعتناق الإسلام إن شاء الله.

إن الإسلام لا يقيد ولا يصادر أي شيء من كرامة المرأة. والحقيقة أن الإسلام يرفع من منزلة المرأة إلى درجة لا يمكن التعرف عليها ما لم تعتنق المرأة الإسلام فعليًا. تقول إحدى المسلمات البريطانيات: «عند دخولي في الإسلام دهشت لما يتمتع به النساء من منزلة رفيعة. فالصورة مغايرة لتلك التي عند الغربيين؛ فالمرأة عندهم زينة في ذراع الرجل يتباهى بها ثم يلقيها أرضًا بعد حين.

إن التزام المسلمة بالحجاب والنقاب يُعد بمثابة حماية داخلية، وأخرى خارجية لها. فلسان حال مظهرها الخارجي يقول: إنني أغطي جسدي لأحميه من قلة الستر المستشرية في المجتمع، وحتى لا أدع مجالًا للآخرين كي ينجذبوا لعورتي؛ ومن دون ذلك ربما كانوا سيهينونني بنظراتهم أو لمساتهم التي كان من الممكن أن تنشأ نتيجة سوء فَهْم لمظهري أو حركاتي فيما لو كنت غير ملتزمة بالزي الإسلامي. إنني أعتز بكوني مسلمة، والآن وقد تزوجت فأحس بالمشاعر الخاصة كوني امرأة لها زوج يعتني بها، وإن شاء الله يكون ممن يتذكر تعاليم الله تعالى وأحكامه بخصوص معاملة الزوج لزوجته».

حقيقة حياة المرأة الغربية

بالرغم من تفاخر الغرب بما أنجزته قوانينه وتشريعاته في ملف حقوق المرأة ومساواتها بالرجل، وتسخير ماكينته الإعلامية واستغلال ساسته لكافة المحافل والمناسبات الدولية للحديث عن الحريات التي مُنحت للمرأة التي فشل غيرهم في بلوغها حسب ما يُشاع في إعلامهم ويؤكده مُنظروهم ومثقفوهم في كتاباتهم، إلا أنه ما زال عاجزًا عن تحديد أبسط المعايير التي تنظم حياة المرأة وتصون كرامتها؛ فالتشريعات المتعلقة بالمرأة تختلف من بلد أوروبي لآخر دون أي مرجعية دينية أو أخلاقية.

فالغرب الحائر في تحديد سن بلوغ الفتيات، واختلاف تشريعات بلدانه حول هذه المسألة، لا يمكن لمنظومة قِيَمِه أن تنصفها حتى في أبسط حقوقها؛ فما يُشاع عن إعلائه من قيمة المرأة ومشاركتها في الحياة العامة تدحضه بكل بساطة لغة الأرقام التي تُقدمها الدراسات الغربية من حين لآخر عن أوضاع المرأة الغربية، فتؤكد على إن المرأة التي طالما سعت إلى الحصول على حقوقها ودافعت عنها لبلوغ منزلة الرجل، تحولت إلى سلعة للبيع وماكينة للربح!

ثمة ما يدعو إلى الاعتقاد أن أبرز ما يقذف بالمرأة الغربية خارج المؤسسة الأسرية هو افتقادها لأبسط مفردات الأمن الاجتماعي، كونَها بعد سن النضج تفتقد للكافل أو المسؤول، وهو ما يدفعها إلى السعي للانخراط في قفص الزوجية، وغالبًا ما تفشل أمام الرجل الغربي الذي يحظى بكثير من الخيارات على عكس المرأة التي تتحول إلى سلعة تباع وتُشترى من أجل إشباع رغبات الرجال.

فإذا كان الزواج يُشكل أساسًا لتكوين الأسرة، فالوضع في ألمانيا- مثلًا- مختلف لأن حالات الانفصال التي تحدث بين الأبوين لا تسجل غالبًا تحت بند الطلاق؛ فالرجل والمرأة يجتمعان لسنوات طويلة وينجبان الأطفال دون أن يُقْدِما على خطوة الزواج، وهو ما يكفله القانون الذي جعل الشعب الألماني يستخدم مصطلحات جديدة

بين الأزواج مع مرور الوقت، فالنساء تستبدل كلمة زوجي بـ «رَجُلي» وكذلك الحال بالنسبة للرجال اللذين يفضلون استخدام مصطلحات ومسميات أخرى غير «الزوجة».

ولأن تلك التشريعات تترك الحرية للمرأة والرجل في مسألة الزواج الرسمي من عدمها، يصبح من الطبيعي أن تتصاعد حالات الانفصال، وحينما يتعلق الأمر بإنجاب الأطفال فسنلاحظ ذلك العزوف المستمر لدى المرأة الغربية، فأكثر النسوة إنجابًا في تلك المجتمعات لا تنجب أكثر من طفلين في أحسن الظروف؛ لأن الاعتقاد السائد هو أن الزواج يحد من حرية الفرد في الحياة، وهو ما يشكل دافعًا للرجال والنساء ليطلقوا العنان لمشاعرهم في اختيار الشريك متى راق لهم الأمر.

وربما يمثل هذا أحد أهم الأسباب التي حولت المرأة إلى سلعة، لأن دورها في المجتمع تغير ولم تعد العامل الأساسي في تشكيل الأسرة، كما أن نقص معدلات الخصوبة في الدول الأوروبية، يؤكد بما لا يدع مجالًا للشك على أهمية دور المرأة في بناء المجتمعات، ولأنها باتت تلعب دور النصف المضطهد في المجتمع الغربي، كانت النتائج تبدو كارثية على مستقبل الأمن القومي للعالم الغربي.

إن منظومة القيم الغربية التي أساءت للمرأة تذهب إلى أبعد من ذلك حين تُعامل المرأة الفاقدة لحقوقها معاملة غير إنسانية، سواء في حياتها الزوجية أو أثناء عملها أو حتى في الشارع، وهذا ما عبرت عنه تلك الحشود التي شهدتها العاصمة الإسبانية مدريد في ٨ نوفمبر عام ٢٠١٥، حين دعت ٤٥٠ منظمة بينها قرابة ٣٨٠ منظمة معنية بالمرأة، ونقابات العمال وأحزاب سياسية ذات توجهات يسارية، إلى تظاهرات جابت شوارع مدريد، حيث رفع الآلاف لافتات كتبوا عليها عبارة «الحركة النسائية ضد عنف الذكور».

وقد اعتبر ممثلو منظمات الدفاع عن حقوق المرأة في إسبانيا، أن العنف ضد الأنثى تحول إلى «مشكلة دولة»، مطالبين القوى السياسية والمدنية في البلاد بالتضامن للتصدي لإرهاب الذكور على حد تعبيرهم، حيث سجلت حوادث قتل النساء في البلاد نحو ٤٨ امرأة جراء تعرضهن للعنف المنزلي عام ٢٠١٥، كما أكدت الإحصاءات الرسمية أيضًا على مصرع ٥٨٤ امرأة إسبانية خلال الثماني سنوات الأخيرة جراء تعرضهن للعُنف.

إن العنف ضد النساء في إسبانيا لا يُشكل استثناءً لأن الأمر مماثل في مختلف الدول الأوروبية وبمستويات مختلفة، فبيانات وزارة الشؤون الاجتماعية الفرنسية سجلت في ٢٥ نوفمبر ٢٠١٥ مقتل ١٣٤ امرأة على يد أزواجهن خلال عام ٢٠١٤، وذلك خلال مناسبة إحياء اليوم العالمي لمكافحة العنف ضد المرأة، ووفقًا للدراسة التي قدمتها الوزارة الفرنسية المذكورة، تعرضت ١٦٤ ألف امرأة للعنف الجسدي، و٣٣ ألف امرأة للعنف الجنسي، و٢٦ ألفًا لهذين النوعين من الاعتداء. وأن ٧ من كل ١٠ نساء يتعرضن للاعتداء بشكل متكرر، في حين أن واحدة من النساء المُعتدى عليهن من بين كل أربع حالات تتقدم بالشكوى للشرطة.

يبدو أن القوانين الغربية التي أساءت للمرأة تحت ذرائع مختلفة وحجج زائفة كانت كفيلة بجعل مؤسساتها المعنية بالدفاع عن حقوق المرأة، تدور في حلقة مفرغة، لأنها لا تبحث عن الأسباب التي تدفع إلى العنف ضدها بقدر ما تسعى إلى تحويلها إلى سلعة رخيصة، وهو ما تؤكده بيانات ونتائج الدراسات الذي قدمها الاتحاد الأوروبي عام ٢٠١٤؛ فالدراسة الاستقصائية التي أُجريت على نحو ١٥٠٠ امرأة من كل دولة عضو في الاتحاد، أظهرت أن ١٣ مليون امرأة في دول الاتحاد الأوروبي تعرضن للعنف الجسدي خلال ١٢ شهرًا، ونحو ٣,٧ ملايين امرأة تعرضت للعنف الجنسي، كما أكدت الدراسة على أن ٣٣ ٪ من النساء اللواتي شملهن الاستبيان تعرضن للعُنف الجنسي منذ بلوغهن سن الخمسة عشر من العمر.

إن هذه الأرقام الكبيرة والمزعجة لدى المؤسسات الغربية المعنية والتي لا يتم تسليط الضوء عليها في الميديا، لأنها تبين مدى الاضطهاد والمهانة التي تتعرض لها المرأة الغربية، لها ما يؤكدها أو ويبرر حدوثها، لأن العنصرية الغربية ضد المرأة تتجلى في أبشع صورها حين يأتي الحديث عن قضايا أخرى لاسيما الأجور أو الرواتب؛ فالنظرة الدونية التي ربما كانت عاملًا مهمًا في تعرضها للعنف، هي النظرة نفسها التي جعلت أجرها أقل من الرجل في الأعمال المختلفة؛ فقد بينت دراسة أجرتها صحيفة «فايننشال تايمز» في سبتمبر ٢٠١٣، أن النساء الأوروبيات في العشرينيات من العمر تقل أجورهن

عن أقرانهن من الرجال، بما في ذلك النساء اللواتي يحملن شهادات الدراسات العليا، حيث تؤكد تلك الدراسة على أن أجور النساء تقل عن أقرانهن من الرجال بنسبة ٢٢٪.

إن هذه الدراسة التي نشرتها الصحيفة المذكورة ليست الأولى التي تظهر ذلك التمييز الواضح بين أجور النساء وقرنائهن من الرجال، لأن دراسة المعهد الوطني الفرنسي للإحصاءات الاقتصادية أجرت مسحًا على الرواتب في فرنسا عام ٢٠١٢، لتؤكد هي الأخرى على اتساع الهوة بين رواتب الرجال والنساء؛ حيث أشارت الدراسة إلى أن راتب المرأة أقل من راتب الرجل في فرنسا بنسبة ٢٨٪.

قصارى القول إن تحويل المرأة الغربية إلى سلعة عبر شروع كل بلد غربي في تفصيل تشريعات مختلفة تخصها، تعكس زيف منظومة القيم التي حقرت من قيمتها، فأضحت تواجه مصيرًا مجهولًا في قضاياها الحياتية؛ فالخلاف على سن بلوغ الفتيات والقوانين المعقدة في حالات الزواج والطلاق وقوانين العمل وبعض القضايا التي تظهر من حين لآخر كقوانين الإجهاض وغيرها، كلها تؤكد على الحط من حرية وكرامة المرأة الغربية.

الحقيقة المرة:

لا يدرك أكثر المسلمين حقيقة حياة المرأة الغربية فكل ما يرونه هو الأفلام ووسائل الإعلام الخادعة التي تظهر حياة المرأة الغربية بأبهى صورة، ما أدى إلى انطباع زائف بأن المرأة الغربية تعيش حياة سعيدة بهيجة تمرح مع قرينها على شواطئ البحار وعلى القوارب وفي الحدائق وأماكن الترفيه وعلى المروج الخضراء.

وفي الصفحات التالية كشف للحقائق ليس اعتمادا على مجرد وجهات نظر وانطباعات شخصية بل على معلومات وإحصائيات شاملة وموثقة أشد التوثيق ومن مصادر غربية معتبرة.

إن الشخص البصير حين يشاهد امرأة غربية مع عشيقها فوق قارب سريع مبتسمة وشعرها يتطاير في الهواء أو أخرى وقد وضع شريكها يده على يدها على شاطئ البحر يتسامران، يعلم ما سبق ذلك من سلسلة من الحسرات والآلام وما سيتلو تلك الابتسامة من حزن شديد وعبرات!

إنه يعلم كيف سيحول هذا الذئب بسمتها إلى دمع غزير وقلب كسير! ويعلم كم سبق هذا الذئب من ذئاب توالت في خداعها، كلما قضى أحدهم حاجته منها رماها مُحَطَّمَةَ النفْسِ والمشاعر في يأس بالغ واكتئاب.

في تقرير للمراكز الأمريكية الحكومية للسيطرة على الأمراض: متوسط عدد النساء اللاتي يقيم معها الرجل الأمريكي علاقات جنسية هو سبع نساء، بل إن ٢٩ ٪ من الرجال قد أقاموا علاقات جنسية مع أكثر من ١٥ امرأة في حياتهم[١].

ونشر في بي بي سي دراسة أجريت على ١٤ دولة أظهرت أن: ٤٢٪ من البريطانيين اعترفوا بإقامة علاقة مع أكثر من شخص في نفس الوقت بينما نصف الأمريكيين يقيمون علاقات غير شرعية (مع غيرأزواجهم). وكانت النسبة في إيطاليا ٣٨ ٪ وفي فرنسا ٣٦ ٪[٢].

العلاقة بين الرجل والمرأة تعني شيئا مختلفا لكليهما فالمرأة حين تحب رجلًا فإنها تتعلق به وحده وتحبه بعقلها وقلبها وبكل جزء من جسدها وحين يقطع حبيبها أواصر الحب ويفارقها إلى غيرها، ينكسر قلبها وتتحطم مشاعرها، أما الرجل فيميل بشكل عام إلى التعدد، وقد يقيم العلاقات مع النساء لمجرد نزوات عابرة فينهي علاقته حالما يقضي وطره، وفي البيئة الغربية الإباحية حيث حرية العلاقات الجنسية فإنها المرأة التي تتضرر نفسيا وعاطفيا وعليها أن تدفع ثمنا باهظا جدا من أجل ما يسمى بالتحرر.

علاقات عابرة دون أي أمان مادي أو عاطفي:

على خلاف الزواج الإسلامي فللرجال في الغرب الحرية في استغلال النساء بدون زواج ولا ضمانات ولا حقوق ولا أمن مادي أو عاطفي. فمعظم الرجال يعاملون النساء كالبغايا وإن كانت البغيُّ أحسن حالًا إذ تحصل على مقابل أما هؤلاء النساء فدون مقابل.

وإذا حبلت إحداهن من هذا الزنا فهو عبؤها وحدها وعليها أن تختار إما أن تتحمل مسؤولية تربية هذا الابن غير الشرعي أو قتله وهو ما يسمى بالإجهاض:

(١) http: / /www.cdc.gov /nchs /data /ad /ad384.pdf .

(٢) http: / /news.bbc.co.uk /2 /hi /uk_news /177333.stm .

في أمريكا ٤ , ١٠ مليون أسرة تعيلها الأم فقط (دون وجود أب)[١].

وفي أمريكا وحدها يقتل بالإجهاض أكثر من مليون طفل سنويا!![٢]

حقا، يمتلئ القلب حزنا وتفيض العيون دمعا حين نرى كيف يقتل هؤلاء الأطفال الضعفاء وبطلب من أمهاتهم! انظروا كيف تمكن ذئاب البشر من خداع هؤلاء النساء وتدنيسهن وتوريطهن بأطفال الزنا ثم التخلي عنهن حتى انسلخن من كل خلق ورأفة ورحمة! فقتلوا أطفالهن بطرق في غاية الوحشية، بل إن الوحوش والحيوانات لتدافع عن صغارها حتى الموت!

٤٢ مليون جنين قتلوا بالإجهاض في أمريكا منذ عام ١٩٧٣ إلى ٢٠٠٢.

الأمراض الجنسية: ولا تقتصر معاناة النساء على ألم الخيانة والفراق بل قد تتعرض للأمراض الجنسية المهلكة بسبب انتشار الفواحش. ففي أمريكا: أكثر من ٦٥ مليون شخص مصابون بأمراض جنسية لا يمكن شفاؤها[٣].

الاغتصاب: في أمريكا يتم اغتصاب ٦٨٣ ألف امرأة سنويا أي بمعدل ٧٨ امرأة في الساعة مع العلم أن ١٦ ٪ فقط من حالات الاغتصاب يتم التبليغ عنها!![٤]

العنف الأسري:

- ١٣٢٠ امرأة تقتل سنويا أي حوالي أربع نساء يقتلن يوميا بواسطة أزواجهن أو أصدقائهن في أمريكا[٥].

---

(١) دائرة الإحصاءات الأمريكية:
http: / /www.census.gov /Press-zelease /www /releases /archives /families_house-holds /009842.html.

(٢) المراكز الأمريكية الحكومية للسيطرة على الأمراض:
http: / /www.cdc.gov /mmwr /preview /mmwrhtml /ss5511a1.htm.

(٣) CNN والمراكز الأمريكية الحكومية للسيطرة على الأمراض:
http: / /www.cnn.com /2000 /HEALTH /12 /05 /health.stds.reut /
http: / /www.cdc.gov /nchstp /od /news /RevBrochure1pdfintro.htm.

(٤) وزارة العدل الأمريكية: http: / /www.ojp.usdoj.gov /ovc /publica...gy /general.htm

(٥) تقرير لوزارة العدل الأمريكية: http: / /www.ncjrs.gov /pdffiles1 /nij /199701_sectionI.pdf

- ٤٠ – ٥٠ ٪ ممن يقتل من النساء في أمريكا يكون القاتل هو شريكها الحميم (زوج أو صديق) (intimate partner)[١].
- سنويا حوالي ٣ ملايين امرأة في أمريكا يتعرضن لاعتداء جسدي من زوج او صديق[٢].
- ١ , ٢٢ ٪ من النساء في أمريكا تعرضن لاعتداء جسدي من زوج او صديق (حالي أو سابق)[٣].

عمل المرأة الغربية:

الإسلام قد كرم المرأة وأغناها عن العمل إلا إذا رغبت في ذلك حيث إن مسئولية العمل وكسب المال والإنفاق تقع شرعا على عاتق الرجال، بينما المرأة لا تتحمل مسئولية الإنفاق على أي أحد حتى على نفسها إذ يتولى ذلك الرجال سواء كانوا آباء أو أزواجا أو إخوانا فهم مسئولون عن المرأة مسئولية دائمة. وعلى خلاف المجتمع الإسلامي فإن المرأة بشكل عام في الغرب يجب أن تعمل لكسب قوتها حيث أن قوانينهم لا تلزم الرجال بالإنفاق على النساء.

أكد تقرير لوزارة العمل الأمريكية أن: معظم النساء في الغرب يعملن في الوظائف ذات الأجور المنخفضة والمكانة المتدنية. وحتى مع الضغوط التي تبذلها الحكومة في تحسين وظائف النساء فإن ٩٧ ٪ من المناصب القيادية العليا في أكبر الشركات يشغلها رجال[٤].

---

(١) وزارة العدل الأمريكية:
http: / /www.ojp.usdoj.gov /nij /topics /... /measuring.htm.

(٢) الموقع الرسمي الحكومي لولاية نيوجرسي الأمريكية:
http: / /www.nj.gov /dca /dow /publications /dvfactsheet06.pdf.

(٣) وزارة العدل الأمريكية: http: / /www.ncjrs.gov /txtfiles1 /nij /181867.txt .

(٤) وزارة العمل الأمريكية (تقرير السقف الزجاجي – Glass Ceiling):
http: / /www.dol.gov /oasam /programs /history /reich /reports /ceiling.pdf.

وفي تقرير آخر لوزارة العمل الأمريكية:

٨٩ ٪ من الخدم وعمال التنظيف هم النساء[١].

وبدلا من مكان العمل الآمن في المنزل عملت المرأة الغربية واختلطت بالرجال وتعرضت للاضطهاد والابتزاز والتحرش الجنسي بمعدلات هائلة.

أكدت دراسة قامت بها وزارة الدفاع الأمريكية أن: ٧٨ ٪ من النساء في القوّات المسلّحة تعرضن للتحرش الجنسي من قبل الموظّفين العسكريّين[٢].

مزيد من الخداع والاستغلال:

وكل ما ذكر أعلاه كان للمحظوظات نسبيا من النساء الغربيات، فكثير من غيرهن قد اضطرتهن الحاجة للقمة العيش للوقوع ضحايا للاستغلال الذكوري إذ كان صعبا عليهن منافسة الرجال في مجالات أعمالهم، وبالتالي لجأن إلى عرض أجسادهن وأنوثتهن ليدنسها كل فاجر.

- انتشرت في أمريكا (وأوروبا) مطاعم تقدم الطعام على أجساد النساء العاريات، نساء عاريات يغسلن السيارات[٣].

- حوالي خمسين ألف امرأة وطفلة يتم تهريبهن إلى الولايات المتحدة سنويًا لاسترقاقهن وإجبارهن على ممارسة البغاء[٤].

- وتفنن الغرب في جر النساء إلى أعمال مخزية ومهينة نافسوا فيها صور العبودية

(١) وزارة العمل الأمريكية: http://www.dol.gov/wb/factsheets/20lead2007.htm

(٢) الوزارة الأمريكية (Veterans Affairs):
http://www.rehab.research.va.gov/jour/08/45/3/pdf/Street.pdf.

(٣) نيويورك تايمز عدد ١٨-٤-٢٠٠٧، وعدد ٢٤-٨-٢٠٠٨ وأعداد أخرى).
رويترز: http://www.reuters.com/article/oddly...D8075020070517
بي بي سي: http://news.bbc.co.uk/2/hi/uk_news/england/leicestershire/4889570.stm

(٤) نيويورك تايمز: http://query.nytimes.com/gst/fullpag...57C0A9669C8B63.

القديمة؛ لقد أصبح استغلال أجساد النساء في شتى صور الإباحية صناعة عظيمة في الغرب حيث تجلب ١٢ مليار دولار سنويا في أمريكا وحدها[١].

نهاية حياة المرأة الغربية:

وتظل المرأة الغربية في غالب الأمر تتجرع صنوف الأسى في ربيع عمرها وحين تكبر تجد نفسها وحدها بعد أن تخلى عنها الرجال وتخلى عنها أبناؤها لتمضي ما بقي من عمرها وحيدة أو مع كلبٍ أو في دار عجزة إن كان لديها ما يكفي من مال، بينما المرأة المسلمة تظل محاطة بالحب والرعاية من أبنائها وأحفادها.

حوالي نصف عدد النساء الأمريكيات ممن تجاوزن ٧٥ سنة يعشن وحدهن[٢].

(١) رويترز: http: / /www.reuters.com /article /latestCrisis /idUSN1265950.

(٢) دائرة الإحصاءات الأمريكية:
http: / /www.census.gov /Press-Release /www /releases /archives /facts_for_features_special_editions /001626.html.

المرأة الغربية
أرقام ناطقة.. وحقائق شاهدة [١]

إن المرأة الغربية هي الأنموذج والمثل الذي يحتذى به من قبل أدعياء التحرر والتغريب؛ فهي بزعمهم قد وصلت إلى قمة السعادة وحصلت على كافة حقوقها الإنسانية. هل هذا الزعم صحيح؟! أم أنه مجرد وهم كبير يريدون أن يوقعوا نساءنا ومجتمعنا في شراكه؟

إن لغة الأرقام تحدثنا عن حقيقة واقع المرأة الغربية ومأساتها وما تعانيه من ظلم واضطهاد وزيادة في جرائم الاغتصاب والضرب المبرح وتفكك الأسرة وضياع الأجيال ومواجهة مخاطر الانقراض. إن هذه الأرقام تحكي الثمار المرَّة للسفور والاختلاط تحكي ثمار إخراج المرأة من بيتها ومن مكان عفتها. إن هذه الأرقام والإحصائيات والتصريحات تنقل لنا صراخ الفطرة وبداية الإفاقة. تحدثنا عن عودة الفطرة من جديد وأن هناك أصواتًا في الغرب بدأت تتعالى وتؤسس جمعيات للمطالبة بعودة المرأة إلى بيتها والعودة إلى قيم العائلة، بعكس حالنا الذي بدأ يتردى.

إن هذه الأرقام والإحصائيات تمثل صيحة نذير للمفتونين من أبناء المسلمين وبناتهم من أن يتحولوا إلى جسور نقل لرؤى المفسدين في الأرض إلى مجتمعاتهم.

ماذا فعلت مصادمة الفطرة؟

ماذا فعلت تلك الحرية أو الفوضى بأصحابها لقد صنعوها لتسعدهم فدمرتهم، وانقلب السحر على الساحر، وغرقوا في بحور الشهوات. فهل من العقل أن نقلدهم أم الأولى أن نأخذ بأيديهم إلى شاطئ الإيمان والأمان وأخلاق الإسلام.

وها هو حصاد الفوضى ومصادمة الفطرة.

(١) لتوثيق ما سيأتي من بيانات انظر: المرأة الغربية، أرقام ناطقة وحقائق شاهدة، لعبد الملك حسين التاج، مع ملاحظة أن كثيرا من هذه البيانات قديمة، وأن الواقع الآن قد يكون أسوأ مما سيذكر بكثير.

حقيقة القيم الغربية:

تقول الإنجليزية فيكتوريا كيب وول: «أنا لا أعتقد أن هناك قيمًا باقية في الغرب، فالنساء أصبحن كالرجال، والرجال كالنساء، حتى الكنيسة التي كانت أساس القيم الغربية، غيَّرت كلام الله لتكثِّر حضور الناس، فصَاروا يجعلون الحرام حلالًا والحلال حرامًا ... فالقيم الغربية انهدمت».

أما الإنجليزية «ويندي بوث» فتقول: «لقد فُقدت فكرة القيم في الغرب، والأحوال تُقزز النفس أكثر وأكثر، فالأفعال التي تحصل هنا من هذه الأنواع كثيرة، والناس المسؤولون عنها لا يوجد لديهم قيم، فهم لا يعتنون بتصحيح الأخلاق للناس والأطفال. هذه الأيام المسلمون الملتزمون هم فقط الذين لهم قيم هنا في الغرب».

هذه هي أمريكا المنادية بحقوق المرأة:

رمتنا بدائها وانسلت: «الولايات المتحدة الأمريكية هي البلد الصناعي الوحيد في العالم الذي لم يوقع على اتفاقية القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة»[1].

لم تصدق الولايات المتحدة الأمريكية على أي اتفاقية للقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، بالرغم أنها لعبت دورًا بارزًا في صياغة المعاهدة. وبذلك أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية واحدة من السبع دول الذين لم يصدقوا على الاتفاقية: إيران، وبالاو، والصومال، وجنوب السودان، والسودان، وتونغا.

حرية في كل شيء إلا مع الإسلام والمسلمين، فعنصرية مقيتة:

أصدرت المحكمة الإدارية الألمانية في (شتوتجارت) عام ١٩٩٨م حكمًا بمنع المعلمة المسلمة (فيريشتا لودين) من مواصلة عملها كمعلمة، طالما أنها تلبس الحجاب.

كما تعتزم عددًا من الولايات الألمانية إصدار قوانين جديدة لحظر الحجاب في الوظائف العامة.

أما فرنسا التي تتباهى بعدالة مبدأ علمانية الدولة تفضح بنفسها ظلم هذا المبدأ

(١) المصدر: المرأة في الولايات المتحدة، موقع ويكيبيديا.

من حيث لا تدري أو لا تدري!! فهل هناك مشكلة تهدد فرنسا من تلميذة في العاشرة من عمرها تدخل الفصل الدراسي فقط لأنها محجبة الرأس؟ فرنسا التي احتلت بلدانًا وشعوبًا وقهرتهم بقوة الحديد والنار وسحقتهم وصهرتهم وجعلت من الجزائر بلد المليون شهيد (قتيل)، تأتي اليوم لتخاف من متر واحد من القماش يغطي رأس تلميذة وديعة لا تعرف من هو حاكم فرنسا نفسها؟ أم أن المشكلة أكبر من هذا التبسيط بكثير؟!!

وإلا فلماذا طردت إدارة مدرسة دوكربي الثانوية الطالبات الثلاث المحجبات؟!

وفي بلجيكا قالت ميكافوخلر وزيرة الشئون الاجتماعية البلجيكية بعد زيارتها للجالية المسلمة: «لقد شعرت بالرعب من هذا الهجوم على الصورة التي نُشرت لي وأنا أرتدي الحجاب مع سيدات مسلمات، هل سيكون هذا هو رد الفعل إذا ما قام أحد السياسيين بزيارة الجالية اليهودية وارتدى الطاقية التي يرتديها أبناء اليهود المقيمين في بلجيكا».

وفي بلد تمثال الحرية تدفن الحرية: في أمريكا قدر مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية (كير) أن حالات الاضطهاد الديني في أمريكا تصل في العام إلى ٦٠٠ حالة.

المرأة الغربية

جريمة وعنف وفقدان للأمن واعتداء أثيم عليها:

انقذوا نساءكم أولًا.. واتركوا نساءنا وبناتنا فقد حماهن الإسلام قبل أن نعرف منظماتكم:

في أمريكا: أورد تقرير أمريكي إحصائيات حول نسبة العنف ضد المرأة أن:

- ٢٤٠ امرأة أمريكية تضرب في كل ساعة.
- كل خمس سنوات يقتل العنف الأسري، ما يعادل مجموع الأمريكيين الذين قتلوا في حرب فيتنام.
- مائة ألف امرأة تنام في المستشفيات كل عام نتيجة العنف الأسري.
- ٣٥٪ من النساء اللائي يراجعن قسم الطوارئ في المستشفيات الأمريكية بسبب الضرب المبرح والمستمر.

- خمسة مليارات دولار خسارة أمريكا كل عام نتيجة الغياب عن العمل الناجمة عن الضرب.

- ١٠٠ مليون دولار خسارة أمريكا نتيجة دفع فواتير التأمين للأطباء المعالجين لحالات الضرب.

- ١,٦ مليار دولار مخصص قانون مكافحة العنف المنزلي الذي صدر خلال الولاية الأولى للرئيس كلينتون، لتعويض النسوة المضروبات من قبل أزواجهن، وللصرف على البيوتات والملاجئ التي تحتمي فيه النساء من ضرب أزواجهن.

وأورد تقرير أمريكي إحصائية أخرى، ذكر فيها:

- أن ستة ملايين زوجة تضرب كل عام في أمريكا، وأن ألفين إلى أربعة آلاف يفضي ضربهن إلى الموت.

- أن ثلث أوقات رجال الشرطة يضيع في الرد على مكالمات هاتفية للإبلاغ عن حوادث العنف المنزلي.

وتاريخ من انتهاك حقوق المرأة وتناحر الأزواج:

في تقرير لمكتب التحقيقات الفيدرالي عام ١٩٧٩م، ورد فيه أن:

- ٤٠٪ من قتل السيدات تمت بفعل الزوج.

- ١٠٪ من القتل بين الرجال بفعل زوجاتهم.

- وفي دراسة استمرت أربع سنوات في إحدى المستشفيات الكبيرة في واشنطن ورد فيها أن ٢٥٪ من محاولات الانتحار التي يقدم عليها الزوجان يسبقها تاريخ من حوادث الضرب بواسطة الزوج.

وفي تقرير آخر عام ١٩٧٨م ورد فيه: أن ٤٠٪ من إصابات رجال الشرطة، ٢٠٪ من حوادث قتلهم تقع بسبب تواجدهم في مكان نزاع عائلي.

ونشرت مجلة التايمز بتاريخ ٦/ ٢/ ١٩٩٥م إحصائية تفصيلية مروعة عن انتشار

الجريمة في أمريكا، ومنها أنه في كل ٢١ دقيقة تقع جريمة قتل، منها ١٠٪ يقع من داخل الأسرة.

وأوردت إحصائية أمريكية أخرى أن أربعة مليون امرأة أمريكية يتعرضن للعنف الأسري سنويًا، وبلغ عدد الوفيات من النساء من جراء ذلك ١٥٠٠ امرأة سنويًا.

وفي إحصائية أمريكية صدرت عام ١٩٩٧م ورد فيها ما يلي:

- ضرب ستة ملايين امرأة أمريكية ضربًا مبرحًا.
- مقتل أربعة آلاف امرأة في نفس العام.
- أن امرأة واحدة من كل أربع نساء يطلبن العناية الصحية من قبل طبيب العائلة، نتيجة تعرضهن للاعتداء الجسدي من قبل شركائهن، وفي بحث شمل ستة آلاف أمريكية وجد أن ٥٠٪ من الرجال الذين يعتدون على زوجاتهم يعتدون على أطفالهم.

وذكرت دراسة أمريكية أن وجود السلاح في المنزل يزيد من خطر مقتل أحد أفراد العائلة بنسبة ٤١٪، لكنه يزيد الخطر على النساء بنسبة ٢٧٢٪.

وفي بريطانيا:

- ذكرت الإحصائيات الرسمية في بريطانيا أن ٢٥٪ من مجموع الجرائم فيها هي جرائم العنف المنزلي، والتي تفضي بحياة امرأتين أسبوعيًا، ونتيجة لذلك صرح وزير الداخلية البريطاني قائلًا: «إن الحكومة ستفي بالتزاماتها في التصدي لظاهرة العنف المنزلي بكافة مستوياتها، وهذه جريمة يتعين بذل قصارى الجهود لمواجهتها».
- وقد صدر بيان عن الحكومة البريطانية أنها تنوي تشديد قوانين العنف المنزلي لحماية الضحايا.
- وتقول الدراسات أن ٥٠٪ من القتيلات كن ضحايا الزوج أو الشريك.
- ارتفاع نسبة العنف في البيت خلال عام واحد إلى نهاية عام ١٩٩٩م بنسبة ٤٦٪.
- ٢٥٪ من البريطانيات يتعرضن للضرب من قبل أزواجهن.

- تتلقى الشرطة البريطانية مائة ألف مكالمة سنويًا تبلغ عن شكاوى اعتداء على زوجات أو شريكات، ولا يبلغن إلا بعد الاعتداء عشرات المرات.

- ٧٠٪ من حالات الطلاق تقريبًا تُعْزَى إلى العنف في البيت.

- وفي استبيان شمل سبعة ألف امرأة تبين أن ٢٨٪ منهن تعرضن للضرب، وأن ٧٧٪ يضربن بدون مبرر كما جاء في الاستبيان، وأن الضرب يكون باللطمات واللكمات والركلات والرفسات وضرب الرأس عرض الحائط، وأحيانًا إطفاء السجائر على جسد المرأة، وتكبيلها بالسلاسل، ثم إغلاق الباب عليها وتركها على هذه الحالة ساعات طويلة، مما اضطر المنظمات النسوية إلى توفير الملاجئ والمساعدات المالية والمعنوية للضحايا، ونتيجة لزيادة هذه الحالات بلغت عدد الملاجئ ١٥٠ مركزًا في عموم بريطانيا كان أولها في السبعينيات في مدينة مانشستر.

- في ٢١ أبريل سنة ٢٠٠٥م أوضحت إحصاءات أصدرتها وزارة الداخلية البريطانية أن جرائم العنف في إنجلترا وويلز، قد ارتفعت بنسبة ٩٠٪ خلال الأشهر الثلاثة الأخيرة من العام السابق لتصل إلى ٢٩٥٤٠٠ جريمة.

- وأوضحت الإحصاءات- أيضًا- أن الاعتداءات الجنسية ارتفعت بنسبة ١٨٪.

وفي فرنسا أجريت دراسة بناء على طلب من الحكومة الفرنسية عام (٢٠٠٢م) ورد فيها:

- أنه في كل خمسة أيام تموت امرأة بالضرب من شريكها.

- تضرب امرأة في البيت من كل عشر نساء.

- وصرحت ماري دوفينيك رئيسة الاتحاد الوطني للتضامن مع المرأة أن مليون ونصف المليون امرأة في فرنسا يتعرضن لسوء المعاملة جسميًا وجنسيًا ونفسيًا على أيدي أزواجهن أو شركائهن.

وفي ألمانيا:

• تلجأ ٤٥ ألف امرأة سنويًا في ألمانيا إلى بيوت النساء الخاصة لحمايتهن من عنف الأزواج.

• تتعرض ٢٥٪ من النساء لعنف مصحوب بتحرش جنسي خلال فترة نضوجهن، وهو ما يترك آثارًا جسدية ونفسية عميقة عليهن مدى الحياة.

• وجاء في التقرير الذي نشرته وزارة الصحة الألمانية بمناسبة يوم المرأة العالمي: «إن الآثار التي يتركها العنف على النساء تتلخص بـ: الخوف والارتجاف وضيق التنفس والصداع والإسهال وآلام في أسفل البطن. ويؤدي العنف المستمر ضد النساء إلى فقدانهن الشعور بأهميتهن وتخدير أنفسهن جسديًا ونفسيًا بالكحول وإدمان المخدرات وتطور الرغبة لديهن في إيذاء أنفسهن».

وفي هولندا:

• ذكر مكتب الإحصاء الهولندي أن عشرين ألفًا من النساء يهربن من منازلهن سنويًا بسبب تعرضهن للضرب والتعذيب.

• ونتيجة لذلك فقد بادرت الجمعيات النسائية بإقامة ملاجئ للنساء الهاربات بسبب العنف المتزايد والذي زاد في عدد الهاربات حتى جعل ١١٤٠٠ امرأة لا يجدن لهن مكانًا في هذه الملاجئ سنويًا.

• وعلى إثر تفشي ظاهرة العنف ضد النساء فقد قدم وزير العدل الهولندي قانونًا ينص على طرد الأزواج المعتدين على زوجاتهم من البيت لمدد تتراوح من أسبوع إلى ثلاثة أشهر.

وفي أسبانيا:

سجلت الشرطة الأسبانية أكثر من ٥٠٠ ألف بلاغ عن اعتداء جسدي على المرأة في عام واحد، وأكثر من حالة قتل واحدة كل يوم.

وفي تقرير أسباني صدر عام ١٩٩٧م ورد فيه:

- أن ٥٤ ألف شكوى تم الإبلاغ عنها عن رجال قاموا بالاعتداء الجسدي والضرب ضد النساء، إلا أن الشرطة الأسبانية تقول إن الرقم الحقيقي عشرة أضعاف الرقم السابق أي ما يقارب ٥٤٠ ألف شكوى وأنه قد مات في عام ١٩٩٧م أربعة وخمسون امرأة على أيدي شركائهن من الرجال.

- وأنه يتم يوميًا في أسبانيا ما لا يقل عن حالة بلاغ واحدة حول قتل امرأة أو أكثر، وبأبشع الطرق على يد الرجل الذي تعيش معه.

- وفي تحقيق للشرطة الأسبانية ٢٠٠٢م وجد أن العنف وقتل النساء في أسبانيا يتزايد يومًا بعد يوم حيث حققت الشرطة في عام ٢٠٠٢م في ١٠٨٧٧ بلاغًا ضد الأزواج.

- وتنوعت أساليب القتل ما بين الرمي للزوجة من الطوابق العلوية كالطابع السابع، والدهس بالسيارة، والذبح، والضرب بالفأس على الرأس.

وفي فنلندا البلد المتقدم تكنولوجيًا:

ذكرت إحصائية أن ٢٢٪ من النساء الفنلنديات المتزوجات أو اللاتي يعشن مع شريك يتعرضن للعنف المنزلي وسوء المعاملة.

الخوف يلاحقهن في كل مكان:

في ألمانيا ورد في استطلاع أجرى على نساء ألمانيات أن ٨٥ ٪ من النساء الألمانيات اللاتي يسكن المدن الكبرى، ٧٥٪ في غير المدن الكبرى يشعرن بالخوف والفزع من الخروج من المنزل ليلًا.

وفي استطلاع من معهد (إنفاس) أجرته مجلة شتيرن الألمانية الأسبوعية:

- أن ٥٠٪ من الساكنات في المدن الكبرى يخفن من المرور عبر الحدائق العامة.
- أن ٣٣٪ يشعرن بالخطر من محطات المترو.

- أن ٢٠٪ لا يشعرن بالاطمئنان في السفر عبر وسائل النقل ليلًا.

ما تفعله تلك النساء لتجنب ذلك الخوف:

- ٢٦٪ منهن يحاولن تجنب شوارع وأماكن معينة. (عدم الاختلاط).
- ٢٥٪ يمتنعن امتناعًا تامًا من مغادرة المنزل عند حلول الظلام. (القرار في البيوت).
- ٢٥٪ يطلبن من ذويهن مرافقتهن. (هو المَحْرَم في الإسلام).
- فمعنى ذلك أن ستة ملايين من الألمانيات يخشين الخروج بمفردهن ليلًا.

وذكر نفس الاستطلاع أن:

- امرأة من كل ثلاث نساء عانت من ملاحقة الرجال.
- ٧٪ تعرضن لمحاولات اغتصاب.
- ٣٪ منهن ذهبن ضحية اعتداءات مهينة.

وفي روسيا:

- أوضح تقرير أن أسرة واحدة من كل أربع أُسَر في روسيا تعاني العنف المنزلي، وترتكب ٨٢٪ من هذه الجرائم على أيدي الأزواج حسب الإحصائيات الحكومية.
- في كل سنة تلقى ١٤ ألف امرأة في روسيا حتفها على أيدي أزواجهن أو شركائهن في العلاقات غير الشرعية.
- عدد القتيلات يساوي عدد قتلى الروس في أفغانستان: صرحت «ناتاليا أبو بيكروفا» المديرة التنفيذية لجمعية مراكز الأزمات: «أن عدد النساء اللاتي يمتن كل سنة على يد الزوج أو الصديق في الاتحاد الروسي يعادل تقريبًا عدد كل الجنود الذين قُتلوا في حرب الاتحاد السوفيتي في أفغانستان التي استمرت عشر سنوات.

عيِّنة من إكرام المرأة عندهم:

- قالت: «ألكر اندر اكرييفا» منسقة جمعية مراكز الأزمات: «كانت لدينا حالة قام فيها الزوج بكسر فك زوجته، لأن فطيرة البيض التي قدمتها له كانت بيضاء، لقد غطت الإناء أثناء إعدادها للفطيرة فجاءت بيضاء، كان هذا هو ذنبها.

- وفي حالة أخرى: كُسرت سن امرأة وأصيبت بجرح في حاجبها لأنها قدمت لزوجها حساءً لم يكن ساخنًا بما فيه الكفاية».

- صرحت (أنا كازاكوفا) البالغة من العمر ٣٠ عامًا متحدثة عن زوجها في فترة زواجها ٥ سنوات فقالت: «يعتقد أنه يملكني وأن له الحق في ضربي، ويفترض أن أعبده».

- أشار تقرير لوزارة الداخلية الروسية عام ٢٠٠٣م في استطلاع للنساء ضحايا العنف المنزلي أن ٧٦٪ من النساء قلن أنهن يعانين من الإساءة لمدة طويلة، قبل القيام بإبلاغ الشرطة عنها أو قبل كشفها بشكل ما.

غاب الولي... فغاب الملاذ الآمن وتجرأ الأزواج:

أدرج تقرير وزارة الداخلية الروسية الأسباب التي قدمتها بعض النساء والتي منها:

- «كنت خائفة من انتقام الزوج».
- «لم أؤمن بأن سلطات القانون ستساعدني».
- «كنت خائفة من أن أفقد مكانًا أقيم فيه إذ لا يتوفر لي مكان آخر للذهاب إليه».
- «كنت خائفة من لعنات الآخرين».
- « لم أرغب في أن أترك أطفالي بدون أب».

إذا كان هذا هو حالهم، فما الذي جاء بمنظماتهم الحقوقية إلى بلادنا؟!

التدهور الأخلاقي والاعتداء الجنسي:

حضارة الفاحشة وهتك الأعراض بالقوة:

أمريكا العفيفة الطاهرة:

- ذكرت إحصائية حديثة أنه يتم اغتصاب ١٩٠٠ فتاة يوميًا في أمريكا ٢٠٪ منهن يغتصبن من قبل آبائهن.

- وفي إحصائية أخرى صدرت في أمريكا عام ١٩٩٧م، أنه في كل ثلاث ثوان تغتصب امرأة أي بمعدل ٢٠ حالة اغتصاب في الدقيقة.

- كما كشفت عدد من مراكزا لدراسات والبحوث الأمريكية أن كل ألف جريمة اغتصاب ٨٠٪ وقعت في محيط الأسرة والأصدقاء.

- وفي إحصائية أخرى أن عدد النساء الأمريكيات المغتصبات في كل شهر بلغت ٥٦٩١٦ امرأة. وان الولايات المتحدة الأمريكية تحتل المرتبة الأولى في نسبة التحرش الجنسي بين الدول المتقدمة صناعيًا حيث ارتفعت حالات الاغتصاب إلى ١٠٠ ألف حالة، وارتفعت في السنوات العشر الأخيرة إلى ٤٠٠ ألف حالة اغتصاب سنوية.

- وفي إحصائية أخرى أن نسبة الاغتصاب قد بلغت نصف مليون حالة في كل سنة.

- مدينة لوس أنجلوس الأمريكية أصبحت تشتهر بأنها «عاصمة حوادث الاغتصاب في العالم» حيث تشير الإحصائيات أن واحدة من كل ثلاث فتيات في سن ١٤ عامًا معرضة للاغتصاب في هذه المدينة.

- ٣٦٤٦ ضحية اغتصاب في عام واحد، أدخلت إلى غرف الطوارئ في مستشفيات مدينة لوس أنجلوس، الأمر الذي دفع بحاكم ولاية كاليفورنيا أن يعلن في حديث تلفزيوني حربًا لمدة عشرة سنوات لمكافحة الجريمة بتكلفة خمسة مليارات دولار، وقال: «إن مستوى الخوف ودرجة العنف البشعة ضد الصغار والكبار على حد سواء أوجدت جوًّا من شأنه تقويض حقنا الأساسي في أن نكون أحرارًا في مجتمعنا».

ولا يختلف الحال في فرنسا كثيرًا عن أمريكا:

- فقد صرحت المحامية الفرنسية (كوليت دومار)- وهي محامية متخصصة في جرائم الاغتصاب- بقولها: «لم يعد هناك حالات استثنائية... إن الأمر يكاد يكون موجة واسعة الانتشار».

- عدد المغتصبات في فرنسا مائة ألف امرأة.

- من كل عشر فتيات مغتصبات، ثمان منهن يرفضن الإدعاء على المغتصب.

وفي أسبانيا: ١٣٠ ألف امرأة في أسبانيا تقدمن ببلاغات الاعتداء الجنسي خلال عام.

وفي ألمانيا: ورد تقرير ذُكر فيه:

- أن ٣٥ ألف حالة اغتصاب للنساء مسجلة لدى الشرطة خلال سنة، أما الحوادث غيرا لمسجلة فتبلغ خمسة أضعاف هذا الرقم.

- ٧٠٪ من حوادث الاغتصاب مدبرة، وهذا يعني أن الجاني قد رأى ضحيته مرارًا قبل اغتصابها.

- أن المجني عليهن تتراوح أعمارهن ما بين ست سنوات وثمانين سنة.

إنها حضارة الرذيلة والشذوذ:

في أمريكا: شهدت ولاية كاليفورنيا وحدها أربعة آلاف حالة زواج بين أبناء الجنس الواحد (الرجال بالرجال، والنساء بالنساء) وأشرف على ذلك عمدة كاليفورنيا.

في بريطانيا: أوضح تقرير بريطاني: أن ١٧٠ شابة تحمل سفاحًا في كل أسبوع في بريطانيا.

وذكرت إحصائيات جديدة بُنيت على شهادات الميلاد في عموم بريطانيا، أن عدد المواليد غير الشرعيين أكثر من المواليد الشرعيين، حيث بلغ في الشمال الشرقي من بريطانيا ٥٠,٥٪.

إيطاليا: ورد في تقرير إيطالي أن ٧٠ ألف امرأة إيطالية يمارسن الرذيلة في الشوارع.

في فرنسا: أذاع الراديو الفرنسي (فرانس أنتير) بتاريخ ٢٥/ ٩/ ١٩٧٧م إحصائية ذُكر فيها أن خمسة ملايين امرأة متزوجة على علاقة جنسية بغير وجها.

(خمسة ملايين خائنة لزوجها.. فكم عدد الأزواج الخونة؟!! وهذا في ١٩٧٧، فكم العدد الآن في ٢٠٢٢ بعد ٤٥ سنة من التحرر الجنسي؟!!)

أوضح التقرير السنوي للمعهد القومي للدراسات الديموغرافية في باريس (INED) أن ٥٣٪ من الفرنسيات يضعن أطفالًا خارج العلاقة الزوجية المشروعة.

وأن ثلاثة أطفال من بين كل أربعة يولدون بدون زواج شرعي.

في السويد وفي شرفة بيت الثقافة في العاصمة «استوكهولم» مارس اثنان الزنا أمام عشرات المارة، واعتبر بعض المشاهدين الأمر: مؤشرًا على أن الإنسان يتجه إلى عالم الحيوان.

وذكرت صحيفة الحياة بتاريخ ٢٩/ ١١/ ٢٠٠٣م أن الظاهرة توسعت إلى بعض الدول الأوروبية، وانتشرت في كثير من الأماكن العامة في بريطانيا.

وحتى القساوسة... جنس ورذيلة حتى النخاع:

في عام ٢٠٠٢م، واجه ثلاث آلاف قسيس اتهامات من قبل مكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي بدعوى التحرش الجنسي بالأطفال والقصَّر.

ذكر موقع هيئة الإذاعة البريطانيةBBC في ٢٥ أغسطس ٢٠١٨ أن البابا فرانسيس الثاني قال إنه يشعر بالألم والخجل حيال فشل الكنيسة في التعامل مع «الجرائم المقيتة» للانتهاكات الجنسية بحق أطفال التي ارتكبها رجال دين في الكنيسة. وقد حض رئيس وزراء أيرلندا « ليو فارادكار » في وقت سابق بقوة البابا فرانسيس على ضرورة اتخاذ إجراء ضد رجال الدين المتورطين في الانتهاكات الجنسية في حق أطفال والإبقاء عليها طي الكتمان.

وقد قضى البابا تسعين دقيقة في لقاء مع بعض ضحايا هذه الانتهاكات الجنسية التي ارتكبها رجال دين بحقهم أثناء طفولتهم.

وشدد البابا على ما كتبه في وقت سابق في رسالة وجهها إلى المسيحيين الكاثوليكيين الرومان حول العالم، البالغ عددهم ١,٢ مليار شخصا، وأدان فيها «فظائع الانتهاكات الجنسية بحق الأطفال وتستر رجال دين عليه. وقال: «ليس بوسعي سوى الاعتراف بالفضيحة المثيرة للأسى التي شهدتها أيرلندا عندما تعرض بعض الصغار لانتهاكات جنسية على أيدي أعضاء في الكنيسة مكلفين بالمسؤولية عن حمايتهم وتعليمهم».

وأشار «ليو فارادكار»رئيس وزراء أيرلندا إلى تحقيق أجرته ولاية بنسيلفانيا الأمريكية كشف عن أن أكثر من ألف من القُصَر كانوا عرضة لانتهاكات جنسية ارتكبها ٣٠٠ من القساوسة.

وقال فارادكار إنها «قصص تدمي القلوب» ارتكبها رجال دين وتم التعتيم عليها لحماية المؤسسات، موضحا أنها قصص مأساوية بات يعرفها جميع الناس في أيرلندا.

ومن المضحك المبكي أن رئيس وزراء أيرلندا ليو فارادكار، شاذ جنسيًّا، وقد استمع البابا فرانسيس الثاني إلى كلماته التي انتقد فيها التعاليم الكاثوليكية التقليدية بشأن العائلة.

وقال أثناء كلمته أمام بابا الفاتيكان إن جمهورية أيرلندا حدثت قوانينها، انطلاقا من قناعتها بأن «الزيجات قد لاتكون ناجحة على الدوام، وأنه لابد للنساء أن يمتلكن حق اتخاذ قراراتهن بأنفسهن، وأن للأسرة أشكال مختلفة»، وبضمنها تلك الأسر المكونة من أب أو أم واحد، أو من والدين من الجنس نفسه[١].

حمل المراهقات:

في أمريكا ٨٠٪ يفقدن العذرية تحت سن العشرين.

في أمريكا وبريطانيا عند سن ١٥ سنة تكون نسبة الأبكار ٧٥٪ وعند سن ١٧ سنة تكون ٥٠٪ وعند سن ٢٠ سنة تكون ٢٠٪.

مليون فتاة مراهقة في أمريكا تحمل كل عام، ينتهي ٤٤٪ منها بالإجهاض.

لا نستغرب إذا عرفنا- رغم استخدام وسائل منع الحمل- أن مليون فتاة مراهقة

(١) https: / /www.bbc.com /arabic /world-45309574

في أمريكا تحمل كل عام (٤٠٪ من الفتيات المراهقات) ينتهي الحمل كالآتي: ٥٦٪ يضعن أطفالًا، و٣٠٪ يجهضن الحمل، و١٤٪ ينتهي بالسقوط. معظم حمل المراهقات يكون خارج نطاق الزوجية (٧٨٪). يكلف حمل المراهقات وما يتبعه ٧ بلايين دولار سنويًا. مع ضعف التغذية والتدخين وشرب الخمر وإهمال الرعاية الصحية للجنين وعدم إدراك عظم المسؤولية أو تحمل أعباء التربية والرعاية، يكون الأطفال المولودين لمراهقات أكثر عرضة للإصابة بالمشكلات الصحية والاجتماعية والعاطفية، والاعتداء والإهمال.

وعلى المدى البعيد يكثر فيهم الفشل الدراسي، والفقر، والأمراض النفسية.

٦٠ ألف مراهقة في بريطانيا تحمل كل عام، ينتهي ٤٥٪ منها بالإجهاض. تحمل كل عام ٣٩ ألف مراهقة في انجلترا وحدها، ينتهي ٤٥٪ منها بالإجهاض، منهن ٨ آلاف تحت ١٦ سنة، ينتهي ٥٥٪ منها بالإجهاض. إذا أضيفت ويلز واسكتلندا وآيرلندا الشمالية وصل العدد ٦٠ ألفًا في العام. كان العدد طبقًا لجمعية الأطباء البريطانية منذ ست سنوات ٩٤ ألفًا، فاضطرت الحكومة لصرف ١٨٣ مليون جنيه في حملة قومية لتقليص العدد، قال بلير رئيس الوزراء يومئذ: لا ينبغي في مجتمع متحضر أن ينجب الأطفالُ أطفالًا، في آيرلندا الشمالية ٩٦٪ من حمل هؤلاء يقع خارج نطاق الزوجية.

هؤلاء البنات في العادة لا يستطعن رعاية الطفل ويتعرضن لمشكلات صحية ونفسية في أثناء الحمل أو الإجهاض أوا لولادة خاصة أن الحمل لم يكن مخططًا له. فإن جمعيات أمريكية دينية وغير دينية تدعو الفتيات بقوة إلى الامتناع عن العلاقات الجنسية وانتظار الزواج.

الإجهاض:

في أمريكا مليون و٣٧٠ ألف حالة إجهاض في العام، ٦٧٪ من الحالات لنساء غير متزوجات.

في بريطانيا ٦٠ ألف مراهقة تحمل كل عام. ينتهي ٤٥٪ منهن بالإجهاض.

٩١ ألف حالة إجهاض (مراهقات وغير مراهقات) في إنجلترا وويلز كل عام، ٧٥٪ من الحالات لنساء غير متزوجات.

قبل مؤتمرات بكين والقاهرة ونيويورك الدولية الخاصة بالمرأة كانت ٥٤ دولة في العالم (تمثل ٦١٪ من عدد السكان) تبيح الإجهاض، بينما غير مرخص في ٩٧ دولة تمثل ٣٩٪ من عدد السكان. ينتج عن ذلك ٤٦ مليون حالة إجهاض كل سنة منها ٢٠ مليونًا خارج القانون أو ما يسمى بالإجهاض غير الآمن. هذا يعني أن هناك ١٢٦ ألف حالة إجهاض في العالم كل يوم، ويموت ٦٨ ألف امرأة كل عام في العالم من جراء الإجهاض.

منذ قانون السماح بالإجهاض في بريطانيا سنة ١٩٦٧م، أجهضت خمسة ملايين أنثى، واستمر عدد الحالات في ازدياد حتى وصل سنة ٢٠٠٣م إلى ١٩١ ألف حالة إجهاض كل عام.

وفي إنجلترا وويلز تبلغ التكلفة السنوية للإجهاض ٣٨,٢ مليون جنيه استرليني- لا توجد أي حالة كان السبب فيها لحفظ حياة الأم أو لمنع ضرر دائم بدنيًا أو نفسيًا للأم- وإنما معظم الأسباب ٩٤٪ تقديرية ترجع إلى الضغوط النفسية وتقدير الطبيب.

٧٥٪ من حالات الإجهاض لنساء غير متزوجات، ٤٥٪ من حمل المراهقات في إنجلترا وويلز ينتهي بالإجهاض.

في أمريكا مليون و٣٧٠ ألف حالة إجهاض في العام، ٦٧٪ من الحالات لنساء غير متزوجات. ٤٣٪ بروتستانت، و٢٧٪ كاثوليك.

الاعتداء الجنسي:

في أمريكا حالة اعتداء جنسي كل دقيقتين، وربع مليون حالة في السنة.

١٩٠ ألف حالة في السنة في بريطانيا.

في سنة ٢٠٠١م كان إجمالي عدد حالات الاعتداء الجنسي في أمريكا ٢٤٨ ألف حالة، ١٠٪ من المعتدى عليهم ذكور. ٣٩٪ من الحالات فقط يبلغ عنها للسلطات.

٤٤٪ من ضحايا الاغتصاب تحت سن ١٨ سنة. ١٥٪ تحت سن ١٢ سنة. امرأة أمريكية من كل ست نساء كانت ضحية الاغتصاب أو محاولة الاغتصاب. ثلثا الجرائم ارتكبت من أشخاص يعرفون الضحية.

في بريطانيا نشرت إحصائية في ٢٠٠٤م تقول: إنه سجلت ١٩٠ ألف حالة اعتداء جنسي منها ٤٧ ألف حالة تم فيها وقوع الاغتصاب فعلًا، وأن ٥٠٪ من نساء إنجلترا وويلز وقع لهن اغتصاب و٣٠٪ تعرضن للإيذاء الجنسي الشديد، ٤٠٪ من الحالات لا يُبَلَّغ عنها وتصل نسبة عدم التبليغ إلى ٨٠٪ إذا كانت الضحية من الأطفال.

أطفال بلا أسَر:

حين نتكلم عن الأطفال بلا أسر، فإننا بالتأكيد لا نقصد أولئك الذين يعيشون في أسرة فقدت عائلها بموت أو طلاق أو غياب الأب عنها حينًا من الوقت لسبب ما ثم يعود بعده، فهؤلاء قد يخرجون من تلك المحنة أصلب عودًا وأقوى نفسًا قد رُبُّوا وهُذِّبوا، إنما نقصد إظهار الصورة القاتمة وبيان الثمرة المرة التي يدعو إليها من أرادنا أن نبني أسرًا بلا زواج بدعوى الحرية المزعومة التي يجنون ثمرتها الآن أشد مرارة من الحنظل.

نسبة الأطفال الذين يعيشون في أسر بعائل واحد في بريطانيا ٢٠٪ (٢,٩ مليون).

وفي أمريكا ٢٨٪ (٢٠ مليون).

نسبة المواليد خارج نطاق الزوجية ٤١٪ في بريطانيا، و٣٣٪ في أمريكا.

نسبة الطلاق ٥١٪ في بريطانيا، و٥٠٪ في أمريكا.

الأطفال المتضررون من الطلاق في العام ١٤٧ ألفًا في بريطانيا، ومليون في أمريكا.

في بريطانيا ١,٧٥ مليون أسرة بعائل واحد، ٩٠٪ أم فقط، ١٠٪ أب فقط. نصف هذه الأسر يعيش في الفقر. ٤٠٪ فقط من هؤلاء الأمهات أو الآباء يشتغلون. سُبْع الأمهات لم يتزوجن أو يعشن قط مع (والد) الطفل. في عام ٢٠٠٢م بلغت نسبة المواليد خارج نطاق الزوجية ٤١٪.

في أمريكا ١١ مليون شخص يعيشون معًا بدون زواج منهم ١,٢ مليونًا من نفس الجنس (ذكور معًا أو إناث معًا).

وهناك ١٢ مليون أسرة بعائل واحد.

ماذا يحدث عندما يعيش الأطفال بلا أب؟

- يزيد فيهم الانتحار (يمثلون ٦٣٪ من جملة الشباب المنتحر).
- تكثر فيهم حالات السلوك المرضي (٨٥٪ من جملة الأطفال ذوي السلوك المرضي).
- يكثر فيهم شم المواد الكيماوية (عشرة أضعاف الأطفال الآخرين).
- لا يواصلون الدراسة (يمثلون ٧١٪ من جملة من لا يكملون تعليمهم).
- يرتكبون الجرائم ويدخلون السجن (يمثلون ٨٥٪ من جملة الشباب المساجين).
- وينتهي الأمر بهم إلى العيش في دور رعاية الأحداث (٧٠٪ ممن يعيشون في دور الأحداث جاءوا من أسر بلا أب.
- يهربون من البيوت، (يمثلون ٩٠٪ من جملة الأطفال الهاربين).

الإيدز والأمراض الجنسية:

في أمريكا:

٥٠٪ من الشباب عند عمر ٢٥ سنة مصابون بالأمراض الجنسية، يكلفون ١٠ بلايين دولار.

١٣ مليون حالة سنويًا، (ثلثاهم تحت ٢٥ سنة) منهم ٢ ملايين مراهق ومراهقة.

وورد في تقرير لمجلس الشيوخ الأمريكي، ونقله الكاتب الأمريكي أندرو شابيرو في كتابه «أين تقف أمريكا وأين تسقط» ما يلي:

- أن تكلفة علاج مرض الإيدز ازدادت بين عام ١٩٩٢-١٩٩٥م بنسبة ٤٨٪؛ أي من ١٠,٣ مليار دولار إلى ١٥,٢ مليار دولار.
- أن أكثر من مليون أمريكي مصابون بفيروس الإيدز.
- أن أكثر من ١٣٠ ألف أمريكي ماتوا في نفس الفترة بسبب الإيدز.

في بريطانيا: مريض أو مريضة كل ١٥ ثانية.

٩٠ ألف حالة جديدة تشخص كل عام.

١٠٪ من الشباب والفتيات تحت ٢٤ سنة مصابون.

الإيدز والشذوذ:

في أمريكا ٦٠٪ من حالات الإيدز لرجال شواذ (٣٠٠ ألف لم يموتوا، و٤٢٠ ألفًا ماتوا).

في بريطانيا ٥٥٪ من حالات الإيدز لرجال شواذ (٣٤ ألف حالة).

طوفان الفساد الأخلاقي يجرف أمريكا:

في دراسة أعدها البروفيسور ميري كاكووس أستاذ علم النفس بجامعة كاليفورنيا جاء فيها: أن مراهق من بين كل ثمانية مراهقين تم اغتصابهم أثناء الدراسة الثانوية.

وصرح القس الأمريكي جيري فوتويل قائلًا: «إن نفس عقاب قوم لوط ينتظر أمريكا عما قريب»، واستشهد برأي المؤرخ «أرنولد توينبي» القائل: «إن من الثلاثين من الحضارات الإنسانية التي شهدها التاريخ، فإن تسعة عشرة منها سقطت بعد أن انتشرت فيها الفاحشة».

حضارة الرق والعبودية والبهيمية:

نساؤهم في المخازن.. تباع كالأغنام، فأي حقوق يريدونها للمرأة في بلداننا؟!!

في أوروبا تهان المرأة وتداس كرامتها بتحويلها إلى سلعة تجارية تباع كأدوات

السباكة ومواد البناء، تباع كما تباع الأغنام، حيث يتم بيعها لتكون مكانًا لتفريغ شحنات الرجال البهيمية، ويظهر ذلك من خلال الإحصائيات الآتية:

وصل عدد النساء في هذه التجارة بحلول عام ١٩٩٥م إلى ٨٠ ألف امرأة. واستمر هذا الارتفاع بشكل منظم حتى وصل إلى ٥٠٠ ألف امرأة.

الأمم المتحدة تقول: بأن تجارة النساء (الرقيق الأبيض) ازدهرت إلى تجارة عالمية تصل قيمتها إلى سبعة بلايين دولار. وتقول الشرطة في بعض البلدان الأوروبية في تقاريرها: أن الفتيات يوضعن في مخازن، ويتم عرضهن لمشترين في الغرب، يدفعون عادةً ألف دولار عن كل فتاة.

أطفال في المزاد العلني:

الاتحاد الأوروبي: أورد تقرير أن عملية بيع الأطفال حديثي الولادة وأطفال السفاح تتم بين أوكرانيا ودول الاتحاد الأوروبي، حيث وصل ثمن الطفل إلى ١٥٠ ألف دولار.

ثمار حقوق المرأة المزعومة.. التي يتسترون وراءها

تفكك وانهيار أسري:

مجتمع الرذيلة:

فرنسا: ورد في التقرير السنوي للمعهد القومي للدراسات الديموغرافية بباريس (INED) ما يلي:

- من عام ١٩٩٠-١٩٩٩م عدد حالات الطلاق ٢,٤ مليون مطلقة.
- عدد المتساكنين بصورة غير مشروعة ٤,٨ مليون رجل وامرأة.
- عدد حالات الزواج الشرعي لا يتجاوز ٢٨٠ ألف حالة.
- بروز العنوسة بشكل ملفت، حيث يوجد ٣ نساء من بين كل ٦ نساء من مواليد عام ١٩٦٥م لم يتزوجن حتى الآن.
- ٢٥٪ من حالات الزواج تنتهي بالطلاق.

- من بين ٧,٨ مليون حالة زواج توجد ٦٦٠ ألف أسرة متكاملة فقط.

في فرنسا منع كلمتي «أب» و«أم»[١]

في فبراير ٢٠١٩ صوَّت البرلمان الفرنسي بالموافقة على منع استخدام كلمتي «أب» و«أم» في استمارات المدارس والأوراق الرسمية. وطُرح الأمر لأول مرة في سبتمبر/ أيلول عام ٢٠١٢، ضمن مشروع قانون للسماح بزواج المثليين ومنحهم حقوقًا متساوية في التبني. واليوم، تعتبر خطوة إلغاء العمل بكلمتي «أب» و«أم» استكمالا لنهج القضاء على التمييز ضد الأسر المثلية. ومن المقرر استخدام «والد رقم واحد» و«والد رقم اثنين» بدلا من الكلمتين.

وكان البرلمان قد صوت بالموافقة على زواج المثليين في أبريل عام ٢٠١٣.

وفي سابقة أخرى بخصوص استخدام الألقاب، أُلغي لفظ آنسة من الدوائر والأوراق الحكومية الفرنسية عام ٢٠١٢. وجاء القرار بحجة أن كلمة «آنسة» تعتبر تمييزا ضد المرأة على أساس النوع والحالة الاجتماعية. وشمل القرار آنذاك حذف لقب آنسة، والخانات الخاصة بلقب عائلة المرأة قبل الزواج، ولقب عائلة الزوج حال اتخاذ الزوجة لقب زوجها. واعتبرت المجموعات النسوية القرار انتصارا في نضالها لإنهاء التمييز ضد المرأة.

ويسمح القانون الفرنسي بتزويج الأشخاص من شركاءهم بعد الوفاة، حال ثبوت نية المتوفي الاقتران بشريكه. ويمكن لأحد الشريكين أن يتقدم للسلطات بما يثبت الخطبة أو نية الزواج قبل وفاة شريكه. ويُعقد قرانا رسميا، يُستبدل فيه الشريك المتوفى بصورة له. ولا يمنح هذا الزواج حقوق الميراث أو الملكية المشتركة، لكن السلطات تقره لأسباب عاطفية ونفسية. كما أن الأطفال الذين يولدون بعده يُسجلون كأطفال من زواج قانوني.

وأحد أشهر هذه الزيجات ترجع إلى يونيو ٢٠١٧، إذ أقيم حفل زواج لشرطي قُتل في هجوم في باريس، في شهر أبريل من نفس العام. وتقدم شريك !!! الشرطي الراحل بما

(١) https://www.bbc.com/arabic/world-47281754 (١٨ فبراير ٢٠١٩).

يثبت نيتهما الزواج!!!. وأقيمت المراسم!!! في بلدية باريس، بحضور الرئيس السابق فرانسوا أولاند، والمرشح الرئاسي آنذاك، إيمانويل ماكرون!!!.

عدد أولاد الزنا في أمريكا:

في دراسة أعدها معهد الدراسات الديموغرافية بنيويورك ذُكر فيها أن المواليد خارج الزواج- من السفاح- يبلغ عددهم ٣٠٪ من إجمالي المواليد في أمريكا.

فطرة منكوسة واختلال سكاني:

ألمانيا: صدر تقرير ألماني، جاء فيه ما يلي: - ارتفاع كبير في نسبة العجائز بالنسبة للشباب، وأن ألمانيا ستفقد سبعة ملايين نسمة خلال السنين القادمة إن لم تسارع ألمانيا باستقدام نصف مليون مهاجر سنويًا.

إيطاليا: ارتفع الصراخ في إحدى التقارير، وذلك لأنهم وجدوا أن من تجاوزوا الستين من أعمارهم يزيد بكثير عمن هم أقل من ٢٠ سنة.

فرنسا: بسبب قلة عدد المواليد وخوفًا من أن تصبح فرنسًا شعبًا من العجائز فإن الهيئات الاجتماعية هناك تمنح ٨٠٠ يورو لكل طفل لحظة ولادته، وتجري له راتب شهريًا لمساعدة أسرته على تحمل نفقاته حتى سن الثالثة، وتستمر المساعدات حتى سن الدراسة، وأكثر الناس استفادة من هذه الكفالات هي العائلات العربية في فرنسا.

أوضح التقرير السنوي للمعهد القومي للدراسات الديموغرافية في باريس (INED) المأساة الحقيقية في المجتمع الفرنسي حيث تحتل فرنسا المرتبة الأولى في عزوف مجتمعها عن الزواج ولذلك قل عدد المواليد.

أمريكا: سجل تقرير أمريكي أن أكثر من مليون ونصف حالة إجهاض تتم في أمريكا، ٣٠٪ منها لفتيات تحت سن العشرين.

يقتل سنويًا في أمريكا مليون طفل ما بين إجهاض متعمد أو قتل فور الولادة.

أسبانيا: في تقرير لمعهد المرأة المتخصص في رصد أحوال المرأة الأوروبية ذكر فيه:

انخفاض نسبة المواليد في أسبانيا وأن نسبة الانخفاض في نسبة المواليد كبيرة، حيث تناقص في أسبانيا عام ١٩٩٢م من ١,٣٦ إلى ١,٠٢.

أن ٩٣٪ من الأسبانيات يستخدمن حبوب منع الحمل.

هذا يغضبهم.. ولذا ينصحوننا بأضحوكة (الصحة الإنجابية):

أفاد الكتاب الدولي للكنائس أن عدد المسلمين يتزايد يوميًا بمعدل ٨٢ ألف نسمة، وأنه سيصبح الدين الأول عام ٢٠٥٨م.

حضارة السكارى:

فتيات وخمور ووضياع مرعب في عمر الزهور:

أمريكا: أعلنت إدارة خدمات الصحة العقلية أن عدد الفتيات اللاتي تتراوح أعمارهن بين العشر وأربعة عشر عامًا قد تزايد أعدادهن على شرب الخمر وتعاطي المخدرات، وشكلت نسبتهن ٣١٪.

وذكر المجلس القومي الأمريكي لأبحاث المرأة: أن المرأة أوا لفتاة الأمريكية استطاعت تقليص الفجوة بينها وبين الفتى الأمريكي إلى حد كبير، ولكنها تغلبت على الفتى في معدلات التدخين والاكتئاب والمخدرات والكحوليات، وارتفعت معدلات الفتيات المدخنات قبل سن ١٣ عامًا من ١٣٪ عام ١٩٩١م إلى ٢١٪ عام ١٩٩٩م، والمخدرات من ٥٪ إلى ١٧٪.

بعد اكتشافهن أن دعوى تحرير المرأة ومساواتها بالرجل وإخراجها من حصنها مؤامرة وخدعة ماكرة:

أمريكا: كشفت إحصائيات أن ٨٠٪ من الأمريكيات يفضلن البقاء في البيت لرعاية أسرهن، وأن ٦٤٪ من الرجال يفضلون بقاء الأمهات مع الأطفال في البيت، وقال ٤٢٪ من الأمريكيات أنهن يجدن المتعة في العمل خارج البيت، بينما رأت ٤١٪ من النساء أن البقاء في البيت هو المتعة الحقيقية.

وفي دراسة علمية حديثة، جاء فيها ما يلي:

صرحت ٨٧٪ ممن أجريت عليهن الدراسة، بأنه لو عادت عجلة التاريخ للوراء لاعتبرن المطالبة بالمساواة مؤامرة اجتماعية ضد الولايات المتحدة الأمريكية، ولوقفن ضد اللاتي يرفعن شعاراتها.

قال الكاتب الأمريكي البروفيسور/ هنري ماكوو في مقالة له آثارت- مؤخرًا- ضجة وردود أفعال في الأوساط الأمريكية قال فيه: «تحرير المرأة خدعة من خدع النظام العالمي الجديد، خدعة قاسية، أغوت النساء الأمريكيات وضربت الحضارة الغربية... لقد دمرت الملايين، وتمثل تهديدًا كبيرًا للمسلمين».

وجاء في دراسة أجراها المجلس القومي لأبحاث المرأة في أمريكا: تشير الاستطلاعات في الدول المتقدمة والنامية أن حوالي ٧٧٪ من النساء يفضلن البقاء في المنزل وعدم العمل إذا ما توفرت لهن الإمكانيات المادية بسبب الضغوط الشديدة التي تتعرض لها المرأة في عملها ومنزلها.

بولندا: أظهر استطلاع أُجري مؤخرًا في بولندا ما يلي:

٦٧٪ من البولنديين يرون عدم خروج النساء إلى العمل وأن رعاية الأسرة هو من طبيعة المرأة.

ثلاثة من كل أربعة بولنديين يرون أن الرجل هو الذي يجب أن يوفر حاجات الأسرة.

فرنسا: في استفتاء نشرته مؤسسة أبحاث السوق الفرنسية في مجلة (ماري كيري) وشمل الاستفتاء ٢,٥ مليون فتاة وكانت نتيجة الاستفتاء ما يلي:

٩٠٪ ممن شملهن الاستفتاء يرغبن في العودة إلى البيت لتجنب التوتر الدائم في العمل، ولعدم استطاعتهن رؤية أزاوجهن وأطفالهن وأسرهن إلا عند تناول طعام العشاء.

منظمة الصحة العالمية: وطالبت منظمة الصحة العالمية في تقرير لها الحكومات في

العالم بتفريغ المرأة للمنزل ودفع راتب شهري مقابل ذلك التفرغ إذا لم يكن لها من يعولها حتى تستطيع أن تقوم بالرعاية الكاملة لأطفالها.

الثمار المُرَّة... لتجنيد المرأة واختلاطها بالرجال:

بريطانيا: صرحت الإنجليزية راشيل بريتشرد في ندوة عقدت في لندن بعنوان «واقع المرأة في الغرب» بإحصائيات ذكرت فيها مخاطر الاختلاط وعدم فصل الطلاب عن الطالبات، وذكرت النتائج التالية:

نسبة المراهقات الحوامل في المدارس البريطانية المختلطة ٧٥٪.

نسبة المراهقات الحوامل في المدارس البريطانية غير المختلطة ٥٪.

نسبة المراهقات الحوامل في المدارس الإسلامية التي تمنع الاختلاط صفر٪.

وقد طالعتنا وسائل الإعلام البريطانية في وقت قريب بخبر أثار الاهتمام ولفت الانتباه، خبر ثلاث أخوات انجليزيات في مدينة (درابي) حملن من السفاح (الزنا) في أعمار ١١، ١٣، ١٥ سنة، وظهرن معًا في صورة «عائلية» ليس فيها أي رجل، وهن يحاولن اصطناع التبسم، وكل واحدة تحمل طفلها البريء الذي لا يعلم من أبوه ويعلم الله كيف سيكون مستقبله، أثارت هذه القضية في المجتمع البريطاني مرة أخرى مسألة حمل القاصرات بدون زواج وكيفية تقليصه، والمشكلات المترتبة عليه من قضايا عدم القدرة على تربية الأولاد في هذه السن، واستحالة ذهاب البنات الوالدات للمدرسة للتعليم، ومسألة الإنفاق واختفاء الآباء الذين هم أيضًا صغار.

أمريكا: ورد في دراسة أعدها البروفيسور «ميري كاكووس» أستاذ علم النفس بجامعة كاليفورنيا، ما يلي:

- أن طالبة من كل خمس طالبات في الجامعة يتعرضن للاغتصاب، وأن ٥١٪ من حالات الاغتصاب كانت لفتيات عذارى.
- وأن مراهقة من بين خمس مراهقات، ومراهق من بين كل ثمانية مراهقين تم اغتصابهم أثناء الدراسة الثانوية.

- أن ٢١٪ من النساء تعرضن للاغتصاب قبل بلوغهن الرابعة عشرة.

وهذه الإحصائيات لا تمثل النسب الحقيقية، لأن ١٠٪ فقط من النساء والفتيات اللاتي يتعرضن للاغتصاب يتقدمن بالشكوى إلى الشرطة.

وجاء في تقرير لمجلس الشيوخ الأمريكي ما يلي:

أن واحدة من كل عشر فتيات تصاب بأعراض الحمل بين سن الخامسة عشرة والتاسعة عشر من الزنا، وأن ٣٦٪ يجهضن الحمل، ونصف مليون أنجبن من السفاح (الزنا)، وان ربع هذا العدد سبق لهن إنجاب أطفال غير شرعيين.

وأظهرت دراسة للمعهد الوطني للعدل بالولايات المتحدة الأمريكية أصدرها في سبتمبر ٢٠٠٢م أن عدد الطالبات اللاتي يتعرضن للاغتصاب سنويًا يصل إلى ٣٥٠ طالبة من بين كل ١٠٠٠ طالبة.

وكشفت الدراسة التي تم إجراؤها على طالبات الجامعة أن طالبة من كل عشر طالبات قد تعرضت للاعتداء الجنسي قبل التحاقها بالكلية، وفي الغالب يكون هذا المغتصب صديقًا مقربًا أو أحد معارفها.

واعترف ٥٠٪ من رجال الجامعة في أمريكا بأنهم قد قاموا بإجبار النساء على ممارسة الجنس.

عندما تكون المعلمات من الإناث.. والطلاب من الذكور:

طالعتنا وسائل الإعلام البريطانية بخبر شد الانتباه، واستجاش المشاعر وأثار المخاوف على المجتمع الإسلامي الذي تُصوب عليه السهام من كل جانب، والخبر هو:

الحكم بالسجن المؤبد على شاب بريطاني عمره ١٥ عامًا، قام باغتصاب مدرِّسته التي تبلغ من العمر ٢٨ سنة، في الساعة الرابعة عصرًا بعد انتهاء الدراسة، بعد أن اعتدى عليها وضربها وعضها وقطع ملابسها، وهددها بالقتل داخل أحد الفصول بمدرسة «ويستمنستر» في لندن.

لتترك تلك الحادثة ضحيتين: مُدرِّسة ممتنعة عن التدريس تُعالَج نفسيًا وتعيش في رحلة عذاب نفسي لا تنتهي. وشابًا وراء القضبان يعيش في رحلة معاناة لا تنتهي.

أمريكا: نقلت الأخبار القاهرية بتاريخ ٤/ ٦/ ٢٠٠٤م عن الواشنطن بوست: أن الاعتداءات الجنسية على المجندات الأمريكيات زادت بنسبة ١٩٪ في الفترة ١٩٩٩-٢٠٠٢م، وزادت نسبة الاغتصاب بنسبة ٢٥٪.

بريطانيا: في دراسة ميدانية وجد أن ٨٠٪ من الشرطيات البريطانيات تعرضن للاعتداءات الجنسية من قبل زملائهن.

قرارات في محلها.. ولكنها متأخرة:

أمريكا:

أعلنت إدارة الرئيس الأمريكي (بوش) عن عزمها على تشجيع مبدأ عدم الاختلاط بين البنين والبنات في المدارس العامة والعودة لقانون كان يطبق قبل ٣٢ عامًا، وصدر بذلك قرار في الصحيفة الرسمية الأمريكية (السجل الأمريكي) بتاريخ ٨/ ٥/ ٢٠٠٢م.

وجاء في الصحيفة ما نصه: «وزير التربية ينوي اقتراح تعديلات للتنظيمات المطبقة حاليًا تهدف إلى توفير هامش مبادرة أوسع للمربين من أجل إقامة مدارس غير مختلطة، إن الهدف من هذا الإجراء هو توفير وسائل جديدة لمساعدة التلاميذ على التركيز في الدراسة وتحقيق نتائج أفضل».

وقد أيد هذا القرار الجمعية الوطنية الأمريكية بتشجيع التعليم العام غير المختلط.

أمريكا: ولاية فرجينيا:

ما زالت قضية تحجيم الاختلاط بين الجنسين في التعليم، أحد الموضوعات التي تطرح نفسها بإلحاح على الساحة الأمريكية، فقد قام «بيني ويلسون» حاكم ولاية كاليفورنيا بتخصيص ٥ ملايين دولار في ميزانية الولاية للعام ١٩٩٩م لإنشاء عشرين مدرسة غير مختلطة، وهناك ١٢ ولاية أخرى تقوم بالتجربة نفسها، وقد أيد هذه الخطوة

الاتحاد الأمريكي للنساء الجامعيات، معللًا ذلك أنه يؤدي إلى تحسين سلوك البنين وأدائهم التعليمي.

في بريطانيا: قررت بلدية لندن تشغيل باصات خاصة بالنساء فقط، ابتداء من السادسة مساءً، وحتى منتصف الليل لتقليل حوادث الاغتصاب والتحرشات الجنسية.

فرنسا: طالبت نساء باريس بتخصيص عربات للنساء فقط لحمايتهن من التحرشات الجنسية، ووصفت صحيفة «لوفيجارو» الاختلاط على المترو بأنه عذاب نفسي للنساء.

وفي كندا تقدمت نساء كنديات بالمطالبة بنفس الطلب.

اعـترافات.. وعودة للفطرة:

أمريكا: ذكرت إحدى الدراسات العلمية الأمريكية ما يلي:

- ٨٠٪ من الأمريكيات يعتقدن أن الحرية التي حصلت عليها المرأة الأمريكية خلال الثلاثين عامًا الماضية هي سبب الانحلال والعنف في الوقت الراهن.
- ٧٥٪ من الأمريكيات يشعرن بالقلق، لانهيار القيم والتفسخ العائلي.
- ٨٠٪ من الأمريكيات يجدن صعوبة بالغة في التوفيق بين مسئولياتهن تجاه العمل ومسئولياتهن تجاه الزوج والأولاد.
- ٨٧٪ يصرحن بأنه لو عادت عجلة التاريخ للوراء، لاعتبرن المطالبة بالمساواة مؤامرة اجتماعية ضد الولايات المتحدة الأمريكية، ولوقفن ضد اللاتي يرفعن شعاراتها.

بريطانيا: قال العالم الإنجليزي «سامو سمايلس» والذي يعتبر أحد أركان النهضة الإنجليزية: «إن النظام الذي يقضي بتشغيل المرأة في المعامل مهما تنشأ عنه من الثروة للبلاد، فإن نتيجته كانت هادمة لبناء الحياة المنزلية؛ لأنه هاجم هيكل المنزل، وقوَّض أركان الأسرة، ومزق الروابط الاجتماعية».

إن الغرب الذي تعدى حدود دياره ليحدث الآخرين عن حقوق المرأة واحترام المرأة وعدم التعدي على المرأة، ويردد على مسامعنا الجنة التي تعيشها المرأة الغربية والحقوق التي تتمتع بها.

تأتي هذه الإحصائيات والأرقام منه إليه تفضحه وتكشف عواره وزيف حديثه بما تعانيه المرأة الغربية من جريمة وعنف ومشكلات طاحنة تهدد إنسانيتها وكرامتها، ناهيك عن حريتها، وتنوع أساليب ظلمها وإهانتها ما بين ضرب وقتل وتمييز واتجار.

إن هذه الحقائق والإحصائيات والأرقام تؤكد أن المرأة في الغرب تعيش أتعس فترات حياتها المعنوية رغم البهرجة التي أحاطتها بها وسائل الإعلام والتي يعتقد البعض أنها نالت حريتها وأُعطيت حقوقها وحققت نجاحًا كبيرًا.

والمقصود من ذلك هو النجاح الذي حققه الرجل في دفعها لترك حصنها، والزج بها في مهاوي ممارسة العلاقة الشائنة معه دون عقد زواج يتوج مشاعرها ببناء أسرة فاضلة.

إنه لا شيء يمكن أن يدل على إهانة المرأة الغربية من أن تتحول إلى سلعة تباع وتشترى لتتخذ مكانًا لتفريغ الشحنات البهيمية، هذا بالضبط ما يتم في العالم الأول في (أوروبا وأمريكا) الذي شغلنا ليل نهار بالحديث عن حقوق المرأة.

لقد دفعوا المرأة للخروج من حصنها فأشقوها وظلموها ولم ينصفوها، شجعوها على مخالطة الرجال ومزاحمتهم في أعمالهم ومكاتبهم ومنتدياتهم وجامعاتهم ومعسكراتهم، فكانت النتيجة هي تلك الثمار المرة التي حدثتنا عنها الأرقام والإحصائيات من تحرشات جنسية وجرائم اغتصاب وتدهور في الأخلاق وتفشٍ للجريمة وانهيار أسري.

نعم لقد نجحوا في إبعاد المرأة عن بيتها وزوجها وأطفالها تحت شعار ولافتات مختلفة خادعة وماكرة، فكانت تلك الصيحات والصرخات التي تحذر من فشو الجريمة وغياب الأمن الاجتماعي وقلة عدد المواليد ومواجهة خطر الانقراض.

إن المرأة الغربية اليوم أعظم ضحايا المدنية الغربية ضررًا، فبعد مرور أكثر من قرن على تحريرها- كما يسمون ذلك- أصبحت اليوم مصدرًا للتجارة الرابحة باسم السياسة والكرنفالات والرقصات التي تدور كلها حول جسد المرأة العاري.

إن إهانتها تحدث اليوم لتصبح سلعة تقدم لنزلاء الفنادق وتعرض ضمن قائمة الخدمات لتتخذ مكانًا لتفريغ الشحنات البهيمية. فهل هذا هو التكريم يا دعاة التحرير.

نعم هذا هو حال المرأة الغربية بعد قرن من التحرير يكرمونها في الصباح ويهينونها في المساء، يقبلون يدها في المحافل ويصفعونها في البيوت ويسرقون عفتها في الشارع.

إنها الجاهلية الأولى تعود للبشرية اليوم بثوب جديد اسمه «تحرير المرأة»، «إزالة التمييز ضد المرأة»، «إدماج المرأة في التنمية»، «الحقوق السياسية للمرأة»، «رياضة المرأة». إنها لافتات متعددة تمثل حبال وخيوط الجاهلية التي تحاول عن طريقها جر المرأة وإبعادها عن عفافها وحيائها وحصنها ليسهل تسَّويقها وافتراسها.

ولكن رغم هذه الحبال والأقنعة التي اصطنعتها جاهلية هذا العصر، إلا أننا بدأنا نسمع صرخات استغاثة من هنا وهناك في أوروبا وأمريكا والصين واليابان، تنادي بالعودة إلى الفطرة، لتعلن لهم أن نداء الفطرة لن يموت.

فهذه أمريكا اليوم تفصل بين الطلاب والطالبات في كثير من الجامعات والمدارس في أكثر من اثنى عشر ولاية وتدعم التعليم غير المختلط وتصدر مرسومًا بذلك، ويرصد حاكم ولاية كاليفورنيا خمسة ملايين دولار من ميزانية الولاية لإنشاء عشرين مدرسة غير مختلطة، ومثلها مدارس في مقاطعة «برنت وود» في بريطانيا تفصل الطلاب عن الطالبات ويرصد الرئيس الأمريكي (بوش) ١٣٥ مليون دولار لتشجيع العفاف قبل الزواج.

وأما اليابان فهي اليوم تعدل دستورها من أجل تأسيس نظام تبقى بموجبه النساء في المنزل لمواجهة خطر الانقراض وقلة عدد المواليد، ومن أجل إنجاب النساء للمزيد من الأطفال، وللمحافظة على قيم العائلة- كما يسمونها- والحفاظ على الأسرة وحقوق الطفل ورعاية المسنين.

إن الذي تبنى مشروع التعديل في الدستور الياباني هو الحزب الديمقراطي الليبرالي الحاكم وقد شكل لجنة لذلك.

وأما بريطانيا فهذه نساؤها وفي مقدمتهن (ساره موريسون) العضوة السابقة في مجلس العموم البريطاني- ينادين ويصرخن بأعلى أصواتهن بأن ساعات البرلمان ساعات ضياع بالنسبة للمرأة، وأن هناك عمل أهم هو رعاية الزوج والأطفال.

بينما نسبة ٨٧٪ من الأمريكيات يصرخن بأنه لو عادت عجلة التاريخ إلى الوراء لاعتبرن المطالبة بالمساواة مؤامرة اجتماعية ضد الولايات المتحدة الأمريكية ولوقفن ضد اللاتي يرفعن شعاراتها.

وأما في فرنسا فنسبة ٩٠٪ في استفتاء أجرى على ٢,٥ مليون فتاة فرنسية ونشرته مجلة (ماري كير) يرغبن في العودة إلى البيت.

إنه نداء الفطرة بدأ يظهر من جديد.

فمهما ارتفعت الأصوات المنادية لإخراج المرأة من بيتها تحت مسميات وشعارات كاذبة ومزيفة.. فإن صوت فطرتها في حب بيتها والجلوس مع أطفالها فلذات كبدها سيبقى أعلى وأقوى كضوء الشمس لا يحجبه شيء ولا يطفؤه نافخ.

ومهما زعموا أن المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة يجب أن يصبح واقعًا قائمًا، فإن فطرة المرأة تخبرهم بأن للمرأة مهمة أعظم وأهم وأخطر مما يظنه أولئك الحمقى، هذه المهمة ترفع المرأة إلى قدر أعلى من القدر الذي تضعها فيه المساواة.

ومهما حاولوا الدفع بالمرأة للاختلاط بالرجال في الوظائف والجامعات والمدارس والمعسكرات والملاعب والإعلام مستغلين الحالة الاقتصادية والمعيشية المتردية لأمتنا وحاولوا إيهامها أن هذا أنفع لها، صاحت فيهم فطرتها أنها لا تحس بالراحة والاطمئنان والحرية إلا حين يكون لها عالمها الخاص الذي لا يشاركها فيه الرجل حين تعيش في وسط بنات جنسها في بيتها وفي مدرسة بنات ومستشفى نساء.

ومهما دوَّتْ صرخاتُهم الفارغة في عقول بعض النساء ونفوسهن وامتدت إلى أياديهم أيادٍ محلية لتشاركهم في تنفيذ المؤامرة ضد بنات المسلمين ونسائهم.. فإن التاريخ لا يرحم والحقائق لا تموت... والسعيد من اتعظ بغيره فهذه الأرقام الناطقة والحقائق الشاهدة التي أوردتها مراكز أبحاث غربية.. خير شاهد وواعظ[1].

فمن لم يسمع لنداء الدين... فليتعظ بالواقع ومعاناة الغير.

(١) لتوثيق ما سبق من بيانات انظر: المرأة الغربية، أرقام ناطقة وحقائق شاهدة، لعبد الملك حسين التاج، مع ملاحظة أن كثيرا من هذه البيانات قديمة، وأن الواقع الآن قد يكون أسوأ مما ذكر بكثير.

للعبرة:

تقول امرأة فرنسية عندما ذكرت أُمنيتها لطبيب معها في العمل لفت نظرها أن زوجته محجبة، وعرفت أنه مسلم، فسألته: كيف تقضي زوجتك يومها في البيت؟ فقال: عندما تستيقظ في الصباح يتم ترتيب ما يحتاجه الأولاد للمدارس، ثم تنام حتى التاسعة أو العاشرة، ثم تنهض لاستكمال ما يحتاجه البيت من ترتيب وتنظيف، وتعنى بشؤون البيت، فسألته: ومن ينفق عليها وهي لا تعمل؟ هذا السؤال عندهم طبيعي، ليس بغريب، من الذي ينفق عليها وهي لا تعمل؟ قال الطبيب: أنا، قالت: ومن يشتري لها حاجياتها؟ قال: أنا أشتري لها كل ما تريد، فسألته بدهشة: تشتري لزوجتك كل شيء؟ قال: نعم، قالت: حتى الذهب؟ قال: حتى الذهب، قالت: إن زوجتك إذًا ملكة.

وأقسم ذلك الطبيب بالله أن هذه المرأة الفرنسية عرضت عليه أن تطلق زوجها، وتنفصل عنه بشرط أن يتزوجها، وتترك مهنة الطب، وتجلس في بيتها زوجة ثانية لهذا الرجل المسلم.

وأخرى:

جاءت امرأة كافرة إلى طبيب مسلم في عيادة نفسية في الغرب وحالتها منهارة، جلست والدموع في عينيها، وهي في العشرينات من عمرها، تقول: مشكلتي الوحيدة أنني أعيش بقلق واضطراب.

لماذا؟ هل تعرفون لماذا؟

قالت: لا أدري متى سينفصل عني صديقي؟ إذًا: هي ليست متزوجة وعندها صديق، لكن المشكلة أنها لم تعد تعرف هل سيتخلى عنها صديقها أم سيكمل معها؟ ولا أستطيع مطالبته بالزواج مني لأنني أخشى من موقف يتخذه، نُصحت بإنجاب طفل منه!! لعل هذا الطفل يرغبه في الزواج وها أنت- تقول للطبيب المسلم- وها أنت ترى الطفل ومع هذا وذاك أبذل له الخدمات، وإنفاق المال، ولم أنجح بإقناعه في الزواج، وهذا سر مرضي، وسبب قهري، فليس لي زوج يساعدني، وليتني بقيت دون طفل؛ لأنني لا أريد أن يتعذب ويشقى كما تعذبت وشقيت.

وأخرى:

هنالك برنامج تلفزيوني يسمَّى (أنت لست الأب)، ويُعد هذا البرنامج من أنجح البرامج التلفزيونية التي تُعرض في الولايات المُتَّحدة الأمريكية. تقوم امرأة بدعوة رجال زنت معهم ليخضعوا لفحص الحمض الوراثي (DNA) لتعرف من هو والد طفلها أو طِفلتها ؟!!

ومن أغرب الحالات في البرنامج حالة امرأة اسمها (روزالياندا) والتي دعت أكثر من ١٨ رجلًا للبرنامج، وخضعوا جميعًا للتحليل حتَّى تتعرَّف على والد طِفلها (بيكاروا)؟ لكن نتيجة التحليل ظهرت سلبيّة ولم يكُن أيًّا منهم والد طفلها. حيث تسبَّب ذلك بانهيار الطفل (بيكاروا) ذو ال ١١ سنة ودخوله في موجة بُكاء.

البرنامج قدَّم أيضًا أزواجًا دعوا زوجاتهم للتأكُّد من نَسَبِ أطفالهم إليهم، وكانت النتيجة سلبيَّة أيضًا !! وبذلك ظهرت خيانة بعض الزوجات، فأبناؤهم في الحقيقة أبناء رجال آخرين زنت معهم زوجاتهم.

البرنامج يُعرض منذ العام ١٩٩١ ومُكوَّن من ١٩ موسم و ٣٥٠٠ حلقة، في كل حلقة يتم عرض ٣ حالات على الأقل، يعني ١٠،٥٠٠ حاله ! ويُعرض على قناة NBC الأمريكية.

هذا البرنامج يُظهِر مدى الإنحلال الأخلاقي وضياع الأنساب الذي يُعاني منه المجتمع الأمريكي خصوصًا، والغربي على العموم.

لأجل ذلك يُحاربون نظام الأُسرة في المُجتمعات الإسلاميَّة عمومًا والعربيَّة على الخصوص، وذلك عبر المنظمات النسويَّة المُتمرِّدة على الدين والقِيم، أو ما تُسمَّى بمنظمات حقوق المرأة، بدعوى أنَّ الإسلام ظلم المرأة.

هذا البرنامج يكشِف لنا مدى الاضطهاد والإهانة التي تُعاني منها المرأة الأمريكية وهي تبحث عن هويَّة والد طفلها.

وأخرى:

مطلقة بريطانية اسمها «ماينس جاكسون» عرضت ابنها الوحيد للبيع بمبلغ ألف جنيه، والمبلغ يشمل الطفل وألعابه، وقد قالت إنها ستبيع ابنها لأنها لا تستطيع الإنفاق عليه، وليس لديها دخل لإعاشته، فأين الذين يتهمون الإسلام كذبا وزورا أنه لم يعطها حقها، وهل تصل امرأة في الإسلام وتكافله الاجتماعي إلى حد بيع ابنها؟!!

وأخرى:

حين تفاقمت الجرائم الجنسية والاغتصاب والحمل العشوائي بالآلاف بين فتيات بعضهن دون الرابعة عشرة يتسافدون كما تتسافد البهائم، أصدرت شرطة «مانشستر» دعوة إلى النساء بأن يتحجبن ويخفين مفاتنهن لئلا يُثِرْنَ الشباب الصعاليك والمهووسين جنسيا، وإلا فإنهن سيتحملن ما يصادفنه من المضايقات الجنسية والاغتصابات المنتشرة.

وفي بدايات عام ١٩٩٠م تم لقاء مع رئيسة وزراء بريطانيا التي أطلق عليها «المرأة الحديدية» بينت فيه أنه تضاعف عدد الرجال والنساء المرتبطين بعلاقات غير شرعية ثلاث مرات في الفترة من ١٩٧٩م حتى ١٩٨٧م، والمحصلة ٤٠٠ر٠٠٠ طفل غير شرعي، وقالت إن المرأة هي الخاسرة وهي تتحمل العبء الثقيل لهذا الانفلات[١].

ومن العجيب جدا أن تتلهف المرأة التي أعزها الله بالإسلام ونظامه الرحيم إلى دخول تلك الحياة التعيسة للمرأة في الغرب، وصدق من قال: «العاقل من اتعظ بغيره»، ولكن الأحمق يريد أن يكون هو العظة.

(١) انظر: أساليب العلمانية في تغريب المرأة المسلمة، للدكتور بشر بن فهد البشر (ص٧٣).

تسليع المرأة

من ثمار النسوية المرة: تَسْليع المرأة أو تَشْيِيء المرأة ويعرف أحيانا بالتشييء الجنسي للمرأة (بالإنجليزية: The objectification of women): وهو رؤية ومعاملة النساء كشيْءٍ عبر استخدام جسد المرأة في الترويج والتسويق للمنتجات وزيادة الأرباح، واستخدام المرأة كأداة عرض جنسية في الإعلانات التي تسعى إلى تكوينِ صورةٍ ذهنيةٍ للمنتجِ ملتصقةً بصورِ الإغراء، ووسائل الإعلام والأفلام الإباحية، ومهن مثل رقص التعري والدعارة، وتقييم المرأة في الأحداث العامة بناء على المظهر الجسدي والجاذبية الجنسية كما يحدث في مسابقات ملكات الجمال، يُعَدُّ تَشْيِيئًا جنسيًا.

استغلال المرأة في وسائل الإعلام والإعلانات:

إن تشييء المرأة المستخدمة في المنتجات الإعلانية لا علاقة له بالشيء الذي يتم بيعه، فاستخدام المرأة أو تمثيلها في الإعلانات إنما هو لزيادة جاذبية المنتج على نحو يضر أو لا يضر بمصلحتها بشكل خاص أو عام. وتتضمن هذه العملية تقديم المرأة كسلعة جنسية، ووضع معايير محددة للجمال التي يُتوقع أن تعكسها «شعر أشقر ناعم جذاب، شكل محدد، لون بشرة معين، بنية جسمانية معينة»، لتطرح الشركات في المقابل منتجات للتنحيف والتسمين، وتبييض البشرة وترطيبها، تجني من خلالها أرباحًا.

إن تشييء المرأة المستخدمة في المنتجات الإعلانية لا علاقة لها بالشيء الذي يتم بيعه. فمثلا قد تجد النماذج الترويجية الأمريكية في البيكيني تعلن عن ماركة سيارة، واستخدام النماذج النسائية لجذب العملاء الذكور إلى علامة تجارية للدراجات. واستغلال جسد المرأة بشكل غير أخلاقي في الترويج لمشروبات كحولية أو منتج للسجائر.

في إعلان تلفزيوني لمنتج (فيرجينيا سليمس) للسجائر تظهر امرأة نحيلة بملابس

السباحة تُدخن السيجارة؛ إن استخدام جسد امرأة في مشهد مثير للترويج للسجائر يندرج في خانة تسليع جسد المرأة.

وفي مجال العمل:

مثلًا: أحد المطاعم يفرض على النادلات زيًّا رسميًّا كاشفًا لجلب الزبائن، ومطعمٌ في ولاية تكساس الأمريكية يعيِّن فتيات يلبسن البكيني لغسيل السيارات لتشجيع زبائن المطعم لغسيل سياراتهم.

لماذا توجد على لافتات الإعلانات والمجلات صور لنساء شبه عاريات، فمثلًا الجزء العلوي من الجسد يرخص للنسوة إبداء ما أردن منه في أماكن الشغل دون اعتراض أو إحراج، بينما الصحفي أو مقدم الأخبار سيتلقى توبيخًا من مديره إن ارتدى قميصًا فُتِحَتْ بعض أزراره يكشف الصدر!!!.

إن النساء اللواتي ينشُرْن صورًا مثيرة لأنفسهن بارتداء ملابس كاشفة للمفاتن والانخراط في سلوكيات بذيئة، هن في الحقيقة يمارسن ما يسمى بالتشييء الجنسي الأنثوي الذاتي. أي أنهن يعرضن أنفسهن كسلعة جنسية.

إن السَّعي وراء الشهرةِ من أسباب التشييء الذاتي وإقدام بعض النساءِ على التَّعري، ويُضافُ إلى ذلكَ عامل فترةِ المراهقةِ وجَهل الفتاةِ بفلسفةِ الحياةِ وقلةِ اطِّلاعها على القضايا الفكريةِ والثقافية، وسطحية مُستواها مِن النّواحي العلميةِ الأخرى، مع امتيازِها بدرجةٍ كبيرةٍ من الفضولِ العلمَيِّ وحُبِّ التجريب، فتستخدم نفسها لإرضاء «النظرة الذكورية».

يتساءل المتخصص النفسي «جوردان بيترسون»: لماذا يجب على النساء ارتداء المكياج أو الكعب العالي في مكان العمل، ولماذا يسمح مثلًا لمقدمات الأخبار بارتداء التنانير القصيرة للعمل بينما يمنع لبس الشورت على الرجال...؟! ويشير إلى أن ذلك معيار مزدوج لمن يعترض على التحرش الجنسي في حين يشجع النساء على تشييء أنفسهن في بيئة العمل.

«روتيني اليومي» هي مقاطع فيديو تقوم من خلالها سيدات وفتيات بنقل تفاصيل

من حياتهن اليومية إلى موقع «يوتيوب» بطريقة تعزز تسليع جسد المرأة عبر تمرير محتوى تافه وغير مفيد يرتكز غالبا على مبدأ الإغراء، حيث تلجأ صاحبات الفيديوهات إلى الإثارة من خلال تصوير مناطق حساسة من أجسادهن، بهدف استقطاب أكبر عدد من المشاهَدات. إن ظاهرة «روتيني اليومي» تسويق وتسليع للذات وتساهم في تكريس صورة نمطية عن النساء مرتبطة بالإيحاءات الجنسية.

وقد أشارت بعض الدراسات إلى أن التعاطي مع المرأة على أنها صورة جنسية فقط يؤثر على صحتها النفسية وعلى نظامها الغذائي كذلك مما يدفعها إلى قلة الثقة بالنفس واضطرابات غذائية والخجل من شكل جسمها، يرى علماء النفس أن التشييء الجنسي للمرأة يمكن أن يؤدي إلى آثار نفسية سلبية منها اضطرابات الأكل والاكتئاب والعجز الجنسي، ويؤثر بالسلب على صورتها الذاتية لاعتقادها أن المجتمع لا يرى –ولن يرى أبدًا– ذكائها وكفاءتها.

يتهم بعض النقاد وسائل الإعلام والإعلان بتشجيعها التشييء الجنسي للمرأة، واستخدامها كأداة لعرض السلع والخدمات. وتُتَهم سوق السينما والتليفزيون عادة بتطبيع قضية التشييء الجنسي.

من تشييء المرأة وامتهانها: مسابقات ملكات الجمال: ملكات الجمال هل هن جميلات حقًا؟!!

تصرخ غير مصدقة.. وهي تتلقى التهاني من كل جهة.. ثم «تتماسك» وتتقدم بخطوات مختالة، في فستانها الضيق العاري.. وقد حملت اسم وطنها (مع رقمها) في ورقة معلقة على صدرها.. سترت بعض ما لم يستره فستانها.. ثم تلتفت إلى الجمهور لتقدم لهم ابتسامة.. وتقف بزهو و«شموخ» لترتدي تاج ملكية العالم.. ودموعها تنهمر من شدة الفرحة بالانتصار والانجاز!

بينما الآلاف يصفقون لها بحماس ويهتفون.. والملايين يتابعونها عبر الشاشات الصغيرة والكبيرة في الشوارع..لقد سادت العالم.. وحملت تاجًا مرصعًا بمئات

الجواهر النفيسة.. ونالت جوائز بمئات الآلاف من الدولارات.. حصلت على كل ذلك.. بجمالها فقط!!

وفي مكان آخر في هذا العالم.. هناك آلاف الفتيات اللاتي يفُقْنها جمالًا وخلقًا وأدبًا وعلمًا.. ويستطعن أن ينلن ألف تاج وتاج.. إلا أنهن يأبين أن يعرضن ما لديهن .. في سوق نخاسة القرن العشرين.. لأنهن أغلى وأثمن من أن يدخلن في هكذا مزاد رخيص..!

إن المرأة التي كرمها الله تعالى بالإسلام، ورفع الظلم عنها، ها هم يعيدونها من أجل الكسب المادي إلى أقفاص الجواري.. حيث يتم عرضها كالبضاعة أو مع البضاعة.

هذا الهوس العالمي بجمال المرأة تجاوز حدود المعقول.. وبدأ يتعداه إلى حدود غير طبيعية.. إذ أصبح البحث عن الجمال هاجس المرأة الأول والأخير حتى إنها أصبحت تقيم بجمالها ولا شئ غيره كما يحدث في مسابقات الجمال العالمية. وأصبح الأمر منتشرًا لدرجة مريعة.. لدرجة أثرت في نفسية كثير من النساء والفتيات، فأصيب بعضهن بعقد النقص، والبعض بهوس تغيير المظهر ما بين فترة وأخرى، بينما البعض عانى من أمراض نفسية وعضوية بسبب ذلك البحث عن الجمال.. بمفهوم الغرب..

ملكة جمال العالم أو الكون حدثٌ عالميٌّ تنقله كل وكالات الأنباء وجميع القنوات الفضائية.. لماذا كل هذا الاهتمام بجمال المرأة.. ولماذا أصبح الغرب أنفسهم يعارضون هذه الاحتفالات ويعتبرونها رمزًا للعنصرية وإهانة المرأة..

ما هي حفلات ملكات الجمال؟

في وقتنا الحالي انتشر هوس كبير بحفلات ملكات الجمال، والذي انتقل من المجتمعات الغربية إلى مجتمعاتنا حتى غدا لكل مناسبة ولكل موسم ملكة جمال فتلك ملكة جمال العارضات، وتلك ملكة جمال السمراوات أو الشقراوات، وتلك ملكة جمال المراهقات أو الأطفال، والأخرى ملكة جمال الربيع وتلك ملكة جمال الريف، حتى أصبح الأمر مثل سوق الجواري بل هو أذل بكثير، فقد كان للجواري احترام،

ولبيعهن وشرائهن قوانين، وقد كانت الجارية تباع بسعر غال لكونها حافظة للقرآن أو فصيحة أو شاعرة أو متدينة.

وعدّد المؤرخين أكثر من ٤٠ خليفة عباسي وأموي كانت أمهاتهم من الجواري، وهذا تكريم لمنزلة الجواري، أما هذا السوق الجديد فلا سعر فيه إلا لسلعة الجمال، وأما ما ورائه فلا قيمة له.

بداية مخزية!

و لو بحثنا في تاريخ هذه المسابقة لوجدنا مؤسسها هو مالك أحد مؤسسات اللهو الكبرى في بريطانيا وهو اليهودي إريك مو رلي وقد قام بإنشاء أول مسابقة لأجمل الجميلات في عام ١٩٥١ للترويج لنشاطات شركته المتخصصة في اللهو المحرم وبيع الأجساد!! ومنذ ذلك الحين توسعت المسابقة وتطورت، وبدأت تبتعد طبعًا عن الاعتراف بهدفها الحقيقي الأول. حتى وصلت شعبيتها لاستقطاب أكثر من ملياري مشاهد عبر شاشات التلفزيون. ففي بريطانيا وحدها قدر عدد المشاهدين بـ ١٨مليون مشاهد، قبل ثلاثين سنة.

كيف يختارون الملكة؟

هناك مسابقتين عالميتين للجمال وهي: ملكة جمال العالم، وملكة جمال الكون.

تترشح لكل مسابقة مشاركات تمثل كل واحدة منهن دولتها ويتم إقامة عرض أولي للمتسابقات بلباس البحر لكي تتأكد اللجنة أن مواصفات الجسم صحيحة تمامًا وأن المتسابقة لا تخفي ولو عيبًا بسيطًا في جسمها. (أمانة في عرض السلعة!!!) كما أن ذلك ضروري لكي تتأكد اللجنة من مدى جرأة المتقدمة وثقتها بنفسها!

ثم يتم إقامة عرض آخر بلباس السهرة، بعده يتم العرض النهائي وفيه يتم سؤال المتسابقة من قبل اللجنة عن بعض الأمور. ثم يتم فرز أفضل عشرة متسابقات ويجبن عن بعض الأسئلة ويقمن باستعراض ما لديهن من فنون – كالرقص أو الغناء أو العزف، ثم يتم تصفية العدد إلى ثلاثة يتم اختيار الملكة منهن والوصيفة الأولى والثانية.

مظاهرات ضد المسابقة:

لنعرف نوعية أهداف الشركة المسؤولة عن هذه المسابقة يجب أن نذكر أن نفس هذه الشركة مسؤولة عن مسابقة عالمية أخرى بعنوان (هيا نرقص) لا هدف فيها إلا للرقص. وبالطبع فإن هذه الشركة تجني أرباحًا مادية هائلة بالمشاركة مع الشركات التي تساعدها في رعاية المسابقة مثل شركات المكياج والأزياء والقنوات الفضائية وغيرها. ومن الغريب أن معظم تلك الشركات الراعية يهودية!

لكن هناك أهدافًا أثارت غضب البعض في الغرب وانطلقت المظاهرات المعارضة بسببها مثل الترويج لعمليات التجميل وتشجيع الاهتمام بالجمال والمظاهر الخارجية، كما أن فيها إشاعة لبعض المفاهيم التي تظهر عبر آراء المتسابقات (مثل العلاقات الغير شرعية أو الشذوذ وغير ذلك).

ومن أهم أسباب غضب الجماهير وقيام المظاهرات حول تلك المسابقات هو التركيز على مبدأ مقاييس محددة للأجساد ومعاملة المرأة كجسد فقط، كما حصل في المسابقة التي أقيمت في قبرص والتي اعتمد فيها المنظمون على أوصاف ومقاييس أفروديت آلهة الجمال لدى الإغريق - تعالى الله عما يشركون- وأخذوا يقارنون أجسام المتباريات بتماثيل أفروديت في قبرص!!

بالإضافة إلى العنصرية الواضحة أحيانًا في الاختيار، فمثلًا يتم اختيار المتسابقة أحيانًا لأنها أجابت إجابة نصرانية، كما حصل مع ملكة جمال العالم الهندية التي توجت بسبب إجابتها عن أفضل شخصية بأنها الراهبة تيريزا (وهي مُنَصِّرة قضت حياتها في تنصير فقراء الهنود)، أو يتم استبعاد متسابقة بسبب ضعف لغتها الإنجليزية كم حصل مع كثيرات، كما لم تفز فتاة سوداء من قبل بتاج العالم!

وقد رفع مئات المتظاهرين في بريطانيا لافتاتهم وهم يهتفون ضد هذه المسابقة التي اعتبروها سوقًا للجنس والإغراء وتحطيم القيم الأخلاقية والأسرية. كما احتشد المئات أمام مقر المسابقة في الهند وقبرص وكادوا يتسببون في إلغاءها. وتقوم العديد من جمعيات حقوق المرأة والقيم الأسرية، بدعم تلك المظاهرات بل وتعطي المتظاهرين كافة التسهيلات للوصول إلى مقر الحفل، فتتكفل بشراء التذاكر لهم للوصول إلى المكان.

وكانت مسابقة ملكة جمال أمريكا التي أقيمت عام ١٩٦٩ مسرحًا لواحدة من أولى مظاهرات الاحتجاج في إطار الموجة النسوية الثانية وأكثرها تأثيرًا.

واقترحت فرقة لموسيقى (الراب) من مدينة نيويورك أن تقدم المظاهرة عرضًا مسرحيًا مضادًا أمام القاعة التي أجريت فيها المسابقة، تعبيرًا عن أن المرأة يحكم عليها الرجل في هذه المسابقة كما يحكم على الماشية، فجاءوا ببقرة وألبسوها تاج ملكة جمال أمريكا، ووضعوا ما أسموه (بسلة مهملات الحرية) وألقوا فيها بمجموعة من الأشياء التي ترمز إلى القمع مثل المشدات والرموش المصطنعة وحمالات الصدر.

غرائب المسابقات:

١٩ عملية.. من أجل التاج:

من الأشياء التي أثارت غضب المتظاهرين ضد مسابقة الجمال في قبرص أن إحدى المشاركات وهي ملكة جمال البرازيل قامت بإجراء ١٩ عملية تجميل فقط من أجل الفوز بمطابقة المقاييس.

يخلعن أضلاعهن!

من العمليات الخطرة التي تقوم بها بعض الطامحات للقب أن يقمن بإزالة الزوج السفلي من أضلاع الصدر في عملية جراحية خطرة حتى يضيق الخصر أكثر وتصبح أكثر مطابقة للمقاييس. ورغم أن ذلك يعرضهن لمتاعب صحية جمة فيما بعد.. إلا أن ذلك يهون لديهن في سبيل المال والشهرة.

الحمد لله على نعمة الإسلام:

قد حث الإسلام على الفضيلة؛ وحفظ للمرأة مكانتها ورفع شأنها وأكرمها ففرض الحجاب إعزازا لها وصونا لها ولم يجعلها سلعة تباع وتشتري. وقد أجمع الفقهاء على عدم جواز كشف العورات والبعد عن كل ما يثير الشهوات وعن كل ما يشجع على إشاعة الفاحشة.

يقول فضيلة الدكتور نصر فريد واصل- مفتى الديار المصرية السابق-: «إن مسابقات ملكات الجمال التي تنتهك فيها الحرمات وتظهر عورات الفتيات ويتم تشجيعهن على عدم الالتزام بالحياء وبالأخلاق الإسلامية القويمة: حرام.. حرام.. وغير جائز شرعًا بأى

حال. لأن هذا الأمر لا يمكن أبدا أن يقره الإسلام ولا تقره أخلاق الفطرة لأن الحلال بين والحرام بين وهذا الأمر حرام بيّن وواضح وهو أمر معلوم من الدين بالضرورة. وعلى من يشاركون في هذه المسابقات المشبوهة أن يدركوا أن كل ما يؤدى إلى الحرام حرام وكل ما يؤدى إلى الحلال حلال وهذه قاعدة شرعية عامة.

وفي تعليق سابق لشيخ الأزهر السابق الشيخ جاد الحق رحمه الله قال: «يا هول هذا الخبر وما حواه من استعراض لأجساد فتياتنا من سن ١٥-٢٥ سنة؛ هل هذا عودة إلى النخاسة والرقيق الأبيض، أوقفوا هذه المهازل إننا ندعو جميع المسئولين بالتدخل لوقف مثل هذه المهرجانات الفاسدة المشبوهة والله يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم. فواجب على أولي الأمر تجنيب بلاد المسلمين أسباب سخط الله تبارك وتعالى؛ والبعد عن كل ما يودي بشبابها وفتياتها إلى الهاوية والعياذ بالله».

إن لجنة المرأة في الأمم المتحدة شكَّلتها امرأة إسكندنافية كانت تؤمن بالزواج المفتوح ورَفْض الأسرة، وكانت تَعتبِر الزواجَ قيدًا، وأن الحرية الشخصية لا بد أن تكون مُطْلقة.

وإن المواثيق والاتفاقيات الدولية التي تخص المرأة والأسرة والسكان تصاغ الآن في وكالات ولجان تسيطر عليها فئات ثلاث: (الأنثوية المتطـرفة) و(أعداء الإنجـاب والسكان) و(الشاذون والشاذات جنسيًا)

البروفيسورة «كاثرين بالم فورث»[١].

(١) موقع الأمم المتحدة http: / /www.un.org /ar /documents /index.shtml
وانظر: كاثرين بالم فورث: ندوة حول اتفاقية السيداو، ٤ يناير ٢٠٠٠م، على هامش مؤتمر المرأة والعولمة الذي عقد بالخرطوم، حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر (دراسة إسلامية نقدية)، د.مثنى أمين الكردستاني (ص: ٢٩٢).

الفصل السادس

دور الأمم المتحدة في هدم المجتمعات الإنسانية[١]

لقد علم الغرب أن فرض العولمة لن يؤتي أكله إلا بانسلاخ الأمم من دينها وقيمها الأصيلة، وبذوبان الشعوب في وحل العولمة؛ فعمد إلى إيجاد مؤسسات ومنظمات تقوم بإدارة أيديولوجية العولمة؛ فأُنشئت الأمم المتحدة والمنظمات التابعة لها لتهيمن على ثقافة الأمم والشعوب.

تأسست الأمم المتحدة عام ١٩٤٥م لكي ترعى الأمن والسلم العالميين، لكنها منذ ذلك التأسيس بُنِيَتْ بناءً ديكتاتوريًّا يهيمن عليها ويتحكم في قراراتها الأقوياءُ، الذين شكلوا الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن، وملكوا حق النقض (الفيتو)، فأصبحت الأمم المتحدة منبرًا لتقاسم الهيمنة والنفوذ العالمي، وأداة لفرض الوصاية والتسلط على حقوق الشعوب والدول.

لكن ها هنا نوع آخر من أنواع الهيمنة والوصاية- غير الهيمنة السياسية والاقتصادية- يمارسه الغرب على شعوب العالم مستخدمًا أدوات الأمم المتحدة نفسها، وهو «الهيمنة الثقافية والاجتماعية»!

إن هيمنة الغرب الثقافية والاجتماعية على العالم بدأت من خلال المواثيق والمعاهدات الدولية مثل الميثاق العالمي لحقوق الإنسان، والميثاق الدولي المتعلق

(١) أعد الدكتور فؤاد بن عبد الكريم بن عبد العزيز العبد الكريم الأستاذ المساعد في كلية الملك فيصل الجوية رسالة الدكتوراه «قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية، دراسة نقدية في ضوء الإسلام»، استقصى فيها المؤتمرات التي عقدت وأثير فيها قضايا المرأة من منطلق مناقض للإسلام، والرسالة مليئة بالحقائق والأرقام والأقوال التي تشير إلى ما يخطط له الغرب لإخراج المرأة المسلمة من بيتها وجعْلِها سلعةً مُبتَذَلةً كما في الغرب. وقد قام الدكتور فؤاد باختصار الرسالة في مُؤَلَّف من إصدار مجلة البيان بعنوان: (العدوان على المرأة في المؤتمرات الدولية).

بالحقوق المدنية والسياسية والثقافية والاجتماعية، ووثيقة بكين، ووثيقة السكان، واتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (سيداو)، ونحوها من المواثيق.

والهدف الرئيس لهذه المواثيق والمعاهدات: تغيير أنماط القيم والأنظمة والتشريعات المحلية في جميع دول العالم، والتعامل مع الخصوصيات الدينية والاجتماعية باستخفاف شديد، وبناء قيم وأنظمة وتشريعات بديلة، تفرض على الشعوب والدول فرضًا، حيث تم تقديم تلك القيم والتشريعات باعتبارها قيمًا وتشريعات مطلقة قطعية لا يجوز المساس بها أو الاعتراض عليها. وهي في الوقت نفسه تشريعات غير قابلة للتجزئة، ودور الدول هو الالتزام الكامل بها، والتكيف التدريجي معها، تحت رقابة ومتابعة ومحاسبة من لجان خاصة في الأمم المتحدة!

إن تلك المواثيق والمعاهدات الدولية تعبير عن الصراع الفكري والتناقض الثقافي والاجتماعي الذي نشأ وتطور في الغرب، فمع بواكير عصر الثورة الصناعية في فرنسا تمرد الغرب على الدين وسلطة الكنيسة، وأسقط فكرة الألوهية والقداسة، ومزق كل القيود والقيم والأعراف الاجتماعية، التي تقيد حرية الإنسان، وتحولت القيم والأعراف إلى أفكار نسبية هلامية قابلة للتحول والتغير بتغير الزمان والمكان!

ومع تصاعد غرور القوة والاستعلاء التجريبي والصناعي، تسارعت حركة التمرد الفكري والقيمي في الغرب، وأصبح المقدس الوحيد- برغم تعدد المدارس الفكرية والفلسفية- هو ألوهية الإنسان، الذي تحكمه العقلية المادية الصرفة، وتبنت الحركات النسوية خصوصًا مبدأي المساواة التامة، والحرية المطلقة؛ لتعيد صياغة مفهوم الهوية البيولوجية للإنسان (الجندر)، والتخلي عن مصطلحي الرجل والمرأة باعتبارهما من المصطلحات التمييزية التي تتناقض مع مبدأ المساواة، ومن ثمَّ تغيير قيم ووظائف الفرد والأسرة والمجتمع، وأُطلق العنان لكل أنواع التمرد والتفلت الاجتماعي.

ولهذا رأينا الرئيس الأمريكي باراك أوباما مثلًا يحتفي بقرار المحكمة العليا في الولايات المتحدة الأمريكية التي أباحت حق الزواج للشواذ في جميع الولايات الأمريكية، معتبرًا هذا القرار: «انتصارًا لأمريكا.. انتصارًا للحب»! وسارع الأمين العام

للأمم المتحدة «بان كي مون» إلى تأييد القرار! وما أشبه هذا الاستعلاء بقول الله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [النمل: ٥٤].

هذه الاحتفالية بالشذوذ والدفاع عنها تؤكد أن الشذوذ في الوجدان الغربي ليس مجرد ظاهرة عابرة أو هوس جنسي عارض، بل هو في الحقيقة تعبير عن مقدار الشذوذ الفكري المتراكم عبر السنين، واستجابة تلقائية للنزعتين البراجماتية والدارونية اللتين أسهمتا في صياغة العقل الجمعي للمجتمع الغربي، ولهذا نستطيع أن نقول للرئيس الأمريكي إن انتصاركم هذا هو في الحقيقة «انتصار للشذوذ، انتصار للبهيمية»، وهو- بإذن الله- إيذانٌ بأفول الغرب!

في ظل هذا السياق الفكري تشكلت القيم الغربية، ثم فُرضت على العالم أجمع بكل حمولتها وأبعادها الفلسفية والاجتماعية، بواسطة اتفاقات ومواثيق المنظمات الدولية كالأمم المتحدة، باعتبارها تطورًا طبيعيًّا للسمو الحضاري للإنسان، وباعتبارها قيمًا إنسانية مشتركة.

لم تدرس لجان الأمم المتحدة الأنساق الاجتماعية في الحضارات والدول المختلفة حول العالم، ثم قدمت أنموذجها الأمثل بناء على هذه الدراسة، وإنما انحازت ابتداءً إلى النموذج الغربي دون أدنى موضوعية، وجعلته هو الفكر المرجعي الوحيد الذي يجب أن يكون مرتكز الانطلاق لصياغة القيم والتشريعات الإنسانية، فالفكر الغربي لم يعُد غربيًّا في أجندة الأمم المتحدة، بل يجب أن يكون فكرًا عالميًّا يهيمن على جميع الحضارات الأخرى، ويفرض سطوته على جميع الشعوب، ويتجاوز سيادة الدول، وهو بهذا أداة للقضاء على كل الهويّات وهدم لكل الحضارات، وها هنا تكمن خطورة مواثيق ومعاهدات الأمم المتحدة! حيث عقدت المؤتمرات العالمية والندوات التي تقوم على إصدار الصكوك والمواثيق حول عدد من القضايا الاجتماعية، وكان من جملة تلك المؤتمرات:

- المؤتمر العالمي الأول للسكان، المنعقد في (بوخارست رومانيا)، عام (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م).

- المؤتمر العالمي للمرأة في كوبنهاغن عام (١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠).
- المؤتمر الدولي المعني بالسكان، المنعقد في المكسيك عام (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م).
- مؤتمر (نيروبي) عام ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م بعنوان (استراتيجيات التطلع إلى الأمام من أجل تقدم المرأة).
- مؤتمر الأمم الدولي عن السكان والتنمية، المنعقد في القاهرة عام (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).
- مؤتمر المرأة في بكين الذي عُقد عام (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م).
- المؤتمر الدولي للسكان والتنمية، المنعقد في الولايات المتحدة عام (١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م).

وبالتأمل في تلك المؤتمرات والنظر فيها، نجد أن هناك جهودًا كبيرة وبأطُر غربية بحتة للهيمنة على تلك الشعوب، اقتصاديًا وفكريًا وثقافيًا وسلوكيًا، فغاية المراد جعلها أداة تتحكم فيها القوى العالمية لسلب خيراتها وإعاقتها عن التطور والتقدم، فهي ترى فيها تهديدًا لأمنها القومي؛ فزيادة عدد السكان في الدول النامية وما يقابله من تناقص ملحوظ في الدول الغربية، يجعل القوى الرأسمالية تحكم سيطرتها باستعمار خفي لتلك الدول النامية تجلّى ببرامج وخطى ناعمة.

أحدث هذه الوثائق وثيقة للأمم المتحدة بعنوان: «تحويل عالمنا: أجندة ٢٠٣٠ للتنمية المستدامة» التي نوقشت في نيويورك في ٢/ ٨/ ٢٠١٥م واجتمع رؤساء الدول في الفترة من ٢٥-٢٧ سبتمبر ٢٠١٥م لإقرارها.

هذه الوثيقة أنموذج صارخ في فرض قيم وثقافة الغرب على العالم، فلم تناقش باعتبارها رؤية استرشادية قابلة للحوار والنقاش الحضاري من دول العالم، بل قدمت بهدف إعادة بناء وتشكيل الواقع العالمي، ونصَّت الديباجة على أنهم: «مصممون على اتخاذ الخطوات الجريئة المفضية إلى التحول التي تلزم بصورة ملحة للانتقال بالعالم

نحو مسار قوامه الاستدامة والقدرة على الصمود»، ثم تتعهد الديباجة بترسيخ تبعية جميع الدول فهم: «مقبلون على هذه المرحلة الجماعية بألا يُخلّف الركب أحدًا وراءه!».

ثم تتجلى النزعة الاستعلائية في المقدمة الخامسة التي نصت على أن الوثيقة: «تحظى بقبول جميع البلدان وتسري على الجميع»، وفي صلب الوثيقة المادة (٥٢) تظهر المبالغة عند قولهم: «قد تفاعل مع هذه الخطة ملايين الناس الذين سيجعلون منها خطة لهم، فهي خطة الناس، وضعت على أيدي الناس، لصالح الناس، وهذا في اعتقادنا ما سيكفل لها النجاح»!!!

ومع أنها تزعم أنها راعت اختلاف الواقع المعاش في كل بلد، وتزعم أنه «قد تفاعل مع هذه الخطة ملايين الناس الذين سيجعلون منها خطة لهم، فهي خطة الناس، وضعت على أيدي الناس، لصالح الناس»، إلا أنها تلح بكل وضوح على أنها خطة «متكاملة غير قابلة للتجزئة».

عالجت الوثيقة الأبعاد الثلاثة للتنمية المستدامة: البعد الاقتصادي والبعد الاجتماعي والبعد البيئي، وقدمت رؤى وإجراءات بعضها مفيد في معالجة مشكلات الفقر والجوع والصحة والتعليم والبيئة، لكنها في الوقت نفسه رسخت الرؤية الغربية التي وردت في الاتفاقات والمعاهدات السابقة بخصوص الحقوق والحريات الجنسية، وما يسمى بالصحة الجنسية والإنجابية، وحقوق الشواذ، وتغيير مفاهيم الهوية البيولوجية (الجندر)، ومفهوم الأسرة وأنماطها المتعددة. وكأنه لا سبيل لتحقيق التنمية ومعالجة مشكلات الفقر والجوع إلا بتحويل العالم إلى المستنقع الاجتماعي الذي تلوَّث به الغرب!

إنَّ الأمم المتحدة بانحيازها الأعمى لمرجعية الفكر الغربي تجر العالم كله نحو الهاوية، وعلى عقلاء العالم أن يستنقذوا البشرية من الانهيار القِيَمي والانحراف الأخلاقي الذي تتردى نحوه. إن عقدة التفوق الصناعي والاستعلاء العسكري التي شكلت العقل الغربي ليست بالضرورة دليلًا على تفوقه الإنساني والقيمي، وإذا كان الغرب يملك قيمًا إيجابية في بعض الميادين ينبغي الاعتراف بها من دول وشعوب العالم فإنه في الوقت نفسه يملك قيمًا فاسدة ومميتة تأكله من داخله، وعليه أن يعالج أمراضه

التي تفتك به، ويقلع عن تصديرها لبقية دول العالم. ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: ٢٢].

إن الأمم المتحدة عازمة على المضي قدمًا في تنفيذ مخططاتها، ومن المعلوم أن الولايات المتحدة الأمريكية تستخدم الشرعية الدولية الزائفة عبر استغلال الأمم المتحدة، وأجهزتها السياسية والمالية والثقافية: كالبنك الدولي، ومنظمة اليونسكو، ومنظمة حقوق الإنسان، وغيرها، وكلها تخضع للتوجيه الأمريكي الواضح أو المستتر، ومن الاتفاقيات الدولية التي ترعاها الولايات المتحد الاتفاقيات الخاصة-حسب زعمها- اتفاقيات السكان والتنمية واتفاقيات حماية حقوق الإنسان، وإزالة آثار كافة أشكال التمييز ضد المرأة، وهي في كل مرة تعمل على إلزام الدول الإسلامية بالتوقيع عليها، مع قيام عملائها في العالم الإسلامي بحملة إعلامية لتضليل الرأي العام الإسلامي، وإيهام المرأة المسلمة أنّ الظلم كله واقع عليها، وأن هذه الاتفاقيات الدولية سترفع عنها الجور والظلم، وأنّ الأمم المتحدة ستحررها من سطوة مجتمعها، مع أنّها في حقيقة الأمر تريد هلاكها، وتفكيك الأسرة المسلمة، وتدمير مجتمعها، ويظهر ذلك عند مراجعة كافة وثائق مؤتمرات الأمم المتحدة المتعلقة بالسكان والتنمية، وحقوق الإنسان، والمرأة ونحوها.

إن من يراجع تلك الاتفاقيات يجدها كلها تركِّز على الفرد وتدعي أنه هو الأساس، ومصالحه ورغباته هي المعيار، لا الدين ولا الأمة، ولا العائلة، ولا التقاليد، ولا العرف، ومن حق الفرد التخلص من القيود التي تفرض من جانب تلك الجهات، كما تتحدث عن ممارسة الجنس دون أن تفترض وجود زواج، وعن ممارسة الجنس بين المراهقين دون أن تستهجنه، والمهم في نظرها ألا تؤدي هذه الممارسة الآثمة إلى الوقوع في الأمراض الجنسية، والواجب توعية المراهقين وتقديم النصائح المتعلقة بممارسة الجنس ومنع الحمل، وتوفير منتهى السرية لهم في ممارساتهم الجنسية المحرمة، واحترام حقهم في الاحتفاظ بنشاطهم الجنسي سرًا عن الجميع.

ولا تُدين وثائق الأمم المتحدة الإجهاض حتى ولو لم يكن ثمة خطر على صحة الأم، المهم أن يكون الإجهاض آمنًا لا يهدد حياة الأم، إنّ الإجهاض الذي تدعو إليه

وثائق منظمة الأمم المتحدة من خلال مؤتمراتها ووثائقها له صلته وثيقة بالإباحية للجنس، المسقطة للقيود والالتزامات، دونما شرع أو قواعد آمرة ضابطة.

واستهجنت الأمومة المبكرة دون أن تميِّز بين ما إذا كانت هذه الأمومة قد حدثت في نطاق الزواج الشرعي أم خارجه، لأنَّها في نظرها تزيد من معدلات النمو في العالم الإسلامي، زاعمة أنها تقيد المرأة من العمل والمساهمة في الإنتاج.

كما تدعو الأمم المتحدة للمساواة التامة بين المرأة والرجل دونما ضوابط شرعية أو أخلاقية أو قيود، فحثت المرأة على إلغاء الفوارق الطبيعية بينها وبين الرجل، ومن ذلك: اشتراك الرجل في الأعمال المنزلية ورعاية الأطفال أسوة بالنساء، دون النظر إلى اختلاف الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الرجال والنساء.

إنّ قارئ بعض الوثائق الصادرة عن الأمم المتحدة، يلاحظ أنه ورد بها مكررًا مئات المرات، عبارات مثل الخدمات الصحية التناسلية والجنسية، النشاط الجنسي للأفراد، اعتبار ممارسة الجنس والإنجاب حرية شخصية، وليست مسؤولية جماعية... إلخ، هذا الذي يفوح خبثًا، وكأن هذه الوثائق تُعنى بصورة أساسية بأمور الجنس، والتناسل، وليس بالسكان والتنمية، كما تزعم، فنحن نعلم أن كيد الكفار لنا سيستمر لإبعادنا عن ديننا وارتدادنا عنه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩].

إن الاتفاقيات الصادرة عن الأمم المتحدة تستهدف إبطال الشرائع الدينية، وإحلال محلها التشريعات الوضعية التي تنص عليها هذه الاتفاقيات، وفي مقدمة هذه التشريعات الشريعة الإسلامية، التي وضعت التشريعات وفق ما يتناسب وفطرة الذكر والأنثى، وكلنا يعرف اختلاف الذكر والأنثى في التركيب الفسيولوجي والبيولوجي لاختلافهما في المهام والوظائف فهما يخضعان لقانون الزوجية الذي تخضع له جميع الكائنات في هذا الكون.

والله الذي خلقنا هو أعلم بنا من كل البشر الذين وضعوا هذه الأنظمة والقوانين، والتي وضعوها ليس لخير البشرية، وإنما لغايات وأهداف خبيثة خطيرة يسعون لتحقيقها

لزيادة الهيمنة والسيطرة، إن الله تعالى الذي خلقنا من صفاته العدل، ونحن الذين أسأنا تطبيق تشريعاته ومن ثمّ وقع ظلم على المرأة من جراء ذلك، ولذا فعلينا أن نراجع أنفسنا ونصحح أخطاءنا ونطبِّق شرع الله تعالى، لتكون كلمة الله هي العليا. وكلنا يقين بأن كيد الكافرين سيرتد عليهم وبالًا وحسرة قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦].

عولمة المرأة:

عولمة المرأة، أي جعلها كائنًا عالميًا يمكن وصفه بأنه كائن فوق الحكومات أو كائن عابر للقارات، ولجعلها كائنًا عالميًا كان لا بد من عقد المؤتمرات الدولية وتوقيع المعاهدات والاتفاقيات العالمية التي تلزم الحكومات بحقوق هذا الكائن، وتمثل توصيات المؤتمرات الدولية والمعاهدات والاتفاقيات العالمية المرجعية العالمية الجديدة التي يمكن وصفها بأنها (أيديولوجية نسوية) لها قوة الأيديولوجيات السياسية التي عرفها القرن الماضي ثم انهارت وخبت وماتت.

وكما كان يحدث بالنسبة للأيديولوجيات السياسية والفكرية فإن الأيديولوجية النسوية الجديدة يراد لها أن يكون معتنقوها في كل العالم وفي كل الدول والشعوب وفي كل الأعمال؛ فإنها الوسيلة الجديدة لغزو العالم وشعوبه، وهي الدين الجديد الذي يُراد للعالم أن يتوحد خلفه ويدين به.

بَيْدَ أن الخطر في هذه الأيديولوجية والدين الجديد يكمن في أن الذي يُبشر بها ويدعو إليها هو النظام العالمي الجديد الذي حقق ما اعتبره انتصارًا نهائيًا وعالميًا للفكر الغربي العلماني، ويريد أن يفرض هذا الدين والأيديولوجية بالقوة على العالم كله بحيث تكون هناك قوة عالمية واحدة ومرجعية كونية واحدة وإنسان عالمي واحد، وتنهار كل الحدود والقيود والحصون أمام هذه القوة العالمية الجديدة والمنفردة بحيث تصبح إرادتها ورغباتها ومصالحها مُسلَّمًا بها ومُرحَّبًا بقدومها بلا أي عوائق من الدين أو اللغة أو اللون أو الجنس أو القومية أو الثقافة.

أي أن المرجعية الكونية الجديدة هي بديل لكل ما عرفته الأمم والأجناس البشرية من ثقافات وتاريخ وصراعات وأفكار؛ بحيث يغدو كل هذا ذكرى بلا قيمة ولا معنى، وتصبح القيمة والمعنى في المرجعية الكونية البديلة والجديدة التي يتحوَّل البشر جميعًا فيها عبيدًا للإله الذي قررها، وهو النظام العالمي الجديد.

كما أن خطر هذه الأيديولوجية البديلة يتمثل أيضًا في اقتحام مناطق كان يُنظر إليها باعتبارها خاصة أو شخصية وينظم أوضاعها بشكل أساسٍ الدينُ والتقاليدُ والأعراف المحلية والثقافات الخاصة، أي أن الاقتحام والهدم لهذه الأيديولوجية ينال مناطق متصلة بالهوية والثقافة والوجود، وهي محور الكيان الإنساني والوجود البشري. ويقف وراء هذه الأيديولوجية فكر شيطاني يريد أن يجعل من الأخلاق فوضى ومن الفاحشة شيوعًا وذيوعًا.

وتستمد النسوية الجديدة جذورها الفكرية من الماركسية الحديثة (حيث تعتبر أن خطأ الماركسية القديمة هو اللجوء إلى الأساليب الاقتصادية لبناء مجتمع لا طبقي؛ بينما اللجوء إلى الأساليب الاجتماعية هو السبيل الوحيد لمجتمع خالٍ من الطبقات والميول الطبقية، وتمثل (الأسرة) والأمومة في نظر (الماركسية الحديثة) التي تستمد النسوية أفكارها منها تمثل السبب، وراء نظام طبقي جنسي يقهر المرأة لا يرجع إلا لدورها في الحمل والأمومة.

وإذا كانت السنن الكونية الطبيعية عندهم هي التي اقتضت هذا الاختلاف البيولوجي فلا بد من الثورة على هذه السنن الطبيعية والتخلص منها بحيث تصبح الفروق البيولوجية بين الرجل والمرأة فروقًا اجتماعية متصلة بالأدوار التي يؤديها كلٌّ من الرجل والمرأة وليست متصلة بالخواص البيولوجية لكل منهما؛ ومن ثَمَّ فإذا قام الرجل بوظيفة المرأة وقامت المرأة بوظيفة الرجل فإنه لن يكون هناك ذكر وأنثى وإنما سيكون هناك نوع (جندر) وهذا النوع هو الذي سيحدد طبيعة دوره في الحياة بحيث يجوز للأنثى أن تمارس دور الذكر والعكس، وبحيث لا تكون هناك أسرة بالمعنى التقليدي ولا أبناء ولا رجل ولا امرأة، وإنما أسر جديدة شاذة وأبناءٌ نتاج للتلقيح الصناعي؛ فأي فكر شيطاني ذلك الذي تتبناه (النسوية الجديدة)؟ ! وأي قوة تجعل من الأمم المتحدة وأمريكا والغرب

تتبنى هذا الفكر الشيطاني لفرضه على العالم؟!! إنها تعبير عن إرادة علمانية إلحادية لتحويل الوجود البشري وجودًا بلا قيمة ولا معنى تنتفي معه العناية من استخلاف الله للإنسان في الأرض.

وفي الواقع فإن هذا الفكر الإجرامي ليس خطرًا على المجتمعات الإسلامية فحسب ولكنه خطر على الحضارة الإنسانية ذاتها؛ لكن المجتمعات الإسلامية تأتي في القلب من معتقد هذا المخطط الإجرامي البديل والجديد.

أدوات المرجعية الجديدة:

الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي تم إرساؤه عام ١٩٤٨ م يمثل البذرة الأولى لهذه المرجعية الجديدة التي طرحت موضوع الأسرة والمرأة قضية عالمية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، لكن ضجيج القضايا السياسية والاقتصادية على دول العالم الثالث في هذا الوقت غطى على الجانب الاجتماعي والثقافي المتصل بالأسرة والمرأة والأحوال الشخصية؛ فمنذ عام ١٩٥٠ م حاولت الأمم المتحدة عقد الدورة الأولى لمؤتمراتها الدولية حول المرأة والأسرة بعنوان: (تنظيم الأسرة) لكن الحكومة المصرية في العهد الملكي قاومته بقوة، وأخفق المؤتمر الذي كان يترأسه ماركسيٌّ صهيوني.

ثم عاودت الأمم المتحدة مرة ثانية تطَلُّعها في بناء المرجعية النسوية الجديدة، فعقدت مؤتمرًا في المكسيك عام ١٩٧٥ م ودعت فيه إلى حرية الإجهاض للمرأة والحرية الجنسية للمراهقين والأطفال وتنظيم الأسرة لضبط عدد السكان في العالم الثالث، وأخفق هذا المؤتمر أيضًا، ثم عقد مؤتمر في (نيروبي) عام ١٩٨٥م بعنوان (استراتيجيات التطلع إلى الأمام من أجل تقدم المرأة)، ثم كان مؤتمر القاهرة للسكان والتنمية الذي عقد في سبتمبر ١٩٩٤م، وكان مؤتمر المرأة في بكين الذي عُقد عام ١٩٩٥م تحت عنوان (المساواة والتنمية والسلم) وهو المؤتمر الذي ختمت به الأمم المتحدة القرن الماضي، وانتهت إلى الشكل النهائي للمرجعية الجديدة والبديلة التي يراد فرضها على العالم والتي تهدف بكلمة واحدة إلى (عولمة المرأة).

وعولمة المرأة هو الجانب الاجتماعي والثقافي في (العولمة) الذي تسعى الأمم المتحدة وأمريكا وأوروبا إلى فرضه على بقية العالم خاصة العالم الثالث.

والتوصيات والوثائق التي توقع عليها الدول والحكومات الأعضاء في الأمم المتحدة تعتبر مُلزِمة لها، كما أن الأمم المتحدة تقوم بكل هيئاتها ومؤسساتها بتنفيذ ما جاء في توصيات هذه المؤتمرات الدولية ووثائقها بما في ذلك المراقبة والمتابعة لمدى التزام الدول والحكومات بها. كما أن المنظمات غير الحكومية الممثلة في الأمم المتحدة تمثل قوة ضغط في دولها لمراقبة التزام هذه الدول بقرارات الأمم المتحدة وتوصياتها ومتابعة ذلك، وهي في هذا تشبه (جواسيس للأمم المتحدة) في دولها.

ولا تكتفي الأمم المتحدة بذلك وإنما تعقد مؤتمرات مع الأطراف الحكومية والمنظمات غير الحكومية كل سنة أو سنتين للتأكد من الالتزام الحكومي بالمرجعية الكونية البديلة والخضوع للنظام العالمي الجديد؛ فهناك مؤتمر سنوي يطلق عليه مؤتمر السكان + ١ أو + ٢ أو + ٣ وهكذا، أي أن هناك آلية دولية لها طابع الفرض والإلزام والمتابعة تتدخل في الشؤون الداخلية للدول لتطلب منها الالتزام بما وقعت عليه؛ وهذه الآلية يمكن أن تمارس الإرهاب بفرض العقوبات الدولية على الدول التي ترى الأمم المتحدة أنها غير ملتزمة؛ كما أن هذه الآلية تمارس الإغراء بمنح معونات أو قروض أو ما شابه إذا التزمت بمقررات الشرعية الجديدة.

ومن ثَمَّ فإن ما يجري في بعض الدول العربية بشأن تغيير قوانين الأحوال الشخصية أو العقوبات هو جزء من الالتزام بالأجندة الدولية التي وافقت هذه الدول عليها في المؤتمرات الدولية وليس تعبيرًا عن حاجة داخلية لشعوب هذه الدول.

فحق المرأة في فسخ عقد الزواج، وحقها في السفر هي وأولادها بلا قيود، وحقها في المواطنة الذي يستخدم ستارًا لمساواتها مع الرجل في الإرث والطلاق وعدم الخضوع لسلطة أي رفض القوامة وإقامة علاقات ود وصداقة خارج نطاق البيت والعائلة، كل هذه القضايا كانت مطروحة باعتبارها جزءًا من أجندة دولية للتسليم بالدخول في طاعة النظام العالمي الجديد والإقرار بالالتزام بالدين النسوي البديل.

وثيقة بكين.. مفردات المرجعية الجديدة:

وبالعودة إلى وثيقة بكين التي تمثل منتهى الفكر النسوي الجديد نجد مخططًا واضحًا لتدمير الأسرة والمرأة، وتدمير الحضارة البشرية ذاتها، ويبدو لنا أن الحضارة الغربية تريد أن تدمر الحضارات الأخرى وعلى رأسها الحضارة الإسلامية بعد أن شارفت الحضارة الغربية على الهلاك والتدمير والفوضى بسبب خضوعها للأفكار النسوية والشذوذ الجنسي والأخلاقي.

ومن المؤكد أن الجانب الثقافي والاجتماعي الذي يراد فرضه على الحضارات الأخرى والإسلامية على رأسها هو جزءٌ مما أطلق عليه (صموئيل هنتنجتون): (صراع الحضارات) هذه الوثيقة وهي في حقيقتها تمثل مخططًا تحاول فرض مصطلح (النوع Gender) بدلًا من كلمة Sex والتي تشير إلى الذكر والأنثى أما النوع فمعناه رفض حقيقة أن الوضع البيولوجي هو المصير لكل فرد، ورفض حقيقة أن اختلاف الذكر والأنثى هو من صنع الله ﷻ وإنما الاختلاف ناتج عن التنشئة الاجتماعية والأسرية والبيئة التي يتحكم فيها الرجل.

وتتضمن هذه النزعة فرض فكرة حق الإنسان في تغيير هويته الجنسية وأدواره المترتبة عليها، ومن ثَمَّ الاعتراف رسميًا بالشواذ والمخنَّثين والمطالبة بإدراج حقوقهم الانحرافية ضمن حقوق الإنسان ومنها حقهم في الزواج وتكوين أسر والحصول على أطفال بالتبني أو تأجير البطون.

وتطالب الوثيقة بحق المرأة والفتاة في التمتع بحرية جنسية آمنة مع من تشاء وفي أي سن تشاء وليس بالضرورة في إطار الزواج الشرعي؛ فالمهم هو تقديم المشورة والنصيحة لتكون هذه العلاقات (الآثمة) مأمونة العواقب سواء من ناحية الإنجاب أو من ناحية الإصابة بمرض الإيدز.

وتطالب (وثيقة بكين) الحكومات بإعطاء الأولوية؛ لتعزيز تمتع المرأة والرجل بالكامل وعلى قدم المساواة بجميع حقوق الإنسان والحريات بدون أي نوع من التميز وحماية ذلك، ويدخل ضمن هذه الحقوق والحرياتِ: الحرياتُ الجنسية بتنويعاتها

المختلفة والتحكم في الحمل والإجهاض وكل ما يخالف الشرائع السماوية، وتطالب الوثيقة الحكومات بالاهتمام بتلبية الحاجات التثقيفية والخدمية للمراهقين ليتمكنوا من معالجة الجانب الجنسي في حياتهم معالجة إيجابية ومسؤولة، وتطالب بحق المراهقات الحوامل في مواصلة التعليم دون إدانة لهذا الحمل السِّفَاح.

ولا تتحدث (وثيقة بكين) عن الزواج من حيث إنه رباط شرعي يجمع الرجل والمرأة في إطار اجتماعي هو الأسرة؛ وإنما ترى أن الزواج المبكر يعوق المرأة، ومن ثَمَّ فهي تطالب برفع سن الزواج وتحريم الزواج المبكر. ولا ترد كلمة (الوالدين) إلا مصحوبة بعبارة (أو كل من تقع عليه مسؤولية الأطفال مسؤولية قانونية) في إشارة إلى مختلف أنواع الأسر المثلية، ولا تستخدم الوثيقة عبارة الزوج وإنما الشريك أو الزميل.

وتخاطب وثيقة بكين المرأة الفرد وليست المرأة التي هي نواة الأسرة، ولذا فالمرأة العاملة هي المرأة المعتبرة؛ أمَّا المرأة العاملة داخل البيت ربة الأسرة فيُنظر إليها باعتبارها متخلفة وخارج السياق الدولي الجديد؛ لأنها لا تمارس عملًا بمقابل، ولأنها ربطت نفسها بالزوج والأولاد والأسرة، ولذا فعبارة: (الأمومة) وردت حوالي ست مرات؛ بينما كلمة: (جندر) جاءت ستين مرة، وجاءت كلمة (جنس) في مواضع كثيرة.

إن وثيقة بكين التي أصبحت (مقررات بكين) ووقعت عليها ١٨٠ دولة هي أساس المرجعية الكونية البديلة والتي أشارت بوضوح إلى أن الدين يقف عائقًا أمام تحقيق هذه المقررات، ولذا ناشدت المقرراتُ المؤسساتِ الدينيةَ لكي تساعد على تحويل مقررات مؤتمر بكين إلى واقع أي أن تصبح المؤسسات الدينية أحد أدوات المرجعية الكونية الجديدة التي يتبناها النظام العالمي ويسعى لفرضها على العالم. وهنا لا بد من تأمُّل دور بعض المؤسسات الدينية الإسلامية في الموافقة على تمرير المطالب التي تفرضها الأجندة الدولية مثل حق الزوجة في السفر بدون إذن الزوج وكذا الأولاد القُصَّر بما في ذلك البنات.

والمثير أن تستخدم الوثيقة كلمة (المساواة) للتعبير عن إزالة الاختلافات بين الرجل والمرأة، وتستخدم (التنمية) للتعبير عن الحرية الجنسية والانفلات الأخلاقي، وتستخدم كلمة (السلم) لمطالبة الحكومات بخفض نفقاتها العسكرية

وتحويل الإنفاق إلى خطط التخريب والتدمير للأيديولوجية النسوية الجديدة؛ حيث تلزم مقررات بكين الحكومات المحلية بتنفيذ الأهداف الاستراتيجية للنظام العالمي الجديد فيما يتصل بإقرار الأيديولوجية النسوية الجديدة، وذلك بمساعدة البنك الدولي وصندوق النقد الدولي.

هذه هي المفردات الجديدة، والمقررات التي يسعى النظام العالمي الجديد لفرضها أيديولوجية كونية على العالم. وبالطبع فإنه يستهدف من وراء ذلك ضرب مَواطِن القوة في الحضارات المختلفة معه.

وبالنسبة للحضارة الإسلامية فلا يزال الدين الإسلامي يمثل مرجعية للناس ونظامًا لحياتهم خاصة في مسائل الأسرة والأحوال الشخصية وفي مسائل الفكر والثقافة والاعتقاد وهو ما يزعج الأمم المتحدة والغرب؛ والعالم الإسلامي بإمكاناته وثرواته وأهله يهدد النظام العالمي الجديد بفقدان سيطرته عليه ما بقي الإسلام حاكمًا للجوانب الاجتماعية والثقافية وللهوية، ولذا لا بد من تسديد الضرب إلى الصميم للقضاء على الهوية الإسلامية وعلى النظم الاجتماعية التي أثبتت أنها القلعة التي حمت العالم الإسلامي من السقوط والانهيار، ولذا فإن الصراع مع الغرب انتقل من السياسي والاقتصادي إلى الديني والثقافي والاجتماعي المتصل بالهوية والوجود؛ وهو ما يتطلب وعيًا جديدًا وأدوات جديدة؛ كما يتطلب يقظة ومقاومة.

إن الإنسان: الرجل، والمرأة، والأطفال، والأسرة هم المقصودون بالهجمة العالمية الجديدة وهم المقصودون بالمرجعية الكونية البديلة للنظام العالمي الجديد؛ وعلى عالمنا الإسلامي أن يستيقظ وينتبه؛ فإن وجودنا مرتبط بمدى ارتباطنا بكلمة: (مسلمين) اسمًا وفعلًا؛ وإلاَّ فالاستبدال كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨].

إن العالم الغربي في أوروبا يواجه حالة من العقم؛ حيث أدى الانحلال الأخلاقي والشذوذ إلى عدم تعويض الأجيال العجوز بأجيال جديدة من المواليد كما أن مؤسسة الأسرة تواجه الانقراض هناك؛ حيث ترتفع نسب الطلاق والامتناع عن الزواج، كما ترتفع نسبة الأولاد غير الشرعيين، وترتفع نسب الإلحاد، والمثير أن ذلك كله يتناسب

تناسبًا طرديًا في حالة الدول ذات الوضع الرفاهي الأعلى، وفي أمريكا حيث يتمرد المهاجرون من آسيا والشرق الأوسط ودول أمريكا اللاتينية على برامج تنظيم الأسرة وهو ما يحافظ على إبطاء شيخوخة المجتمع الأمريكي.

وبالنظر إلى الأرقام التي تنفقها أمريكا على الانحلال الأخلاقي نصاب بالدهشة؛ فهي تقدم ما مجموعه ٦٠٠ مليار دولار في عام ٢٠٢٠م لتبني الأطفال غير الشرعيين، وتقديمُ المساعدات العائلية والطبية سوف ترتفع إلى تريليون دولار عام ٢٠٣٠م، والدمار الذي أصاب الغرب يريد أن يشاركه فيه العالم كله خاصة المسلمين كالزانية التي تود أن لو صار الجميع مثلها.

مؤتمرون أم متآمرون؟!!

إن هيمنة الحضارة المعاصرة ذات البعد الغربي فكريًا وثقافيًا وسلوكيًا، قد أدت إلى قيام محاولات عديدة للسعي إلى تسويق قيم الحضارة المعاصرة من خلال ترويج فكرة العالمية- خاصة في جانبها الاجتماعي والسلوكي-، وقد قامت هيئة الأمم المتحدة بأنشطة في هذا المجال؛ وذلك بعقد الندوات والمؤتمرات العالمية واستصدار الصكوك والوثائق حيال العديد من القضايا الاجتماعية، مثل قضايا التنمية الاجتماعية، والسكان، والمرأة. تعقد الأمم المتحدة العديد من المؤتمرات الإقليمية والعالمية من أجل مناقشة قضايا المرأة والتي تهتم بها بشكل واسع، وعلى وجه الخصوص قضايا المرأة المسلمة والتي تختصرها الأمم المتحدة في مجموعة من القضايا التي تعكس وجهة النظر الغربية في أحوال المرأة المسلمة بغض النظر عن الرأي الحقيقي للمرأة المسلمة.

فقضية المرأة هي قضية الأمس واليوم وغدًا وسوف تستمر هذه القضية لأن أعدائنا عرفوا من أين تؤكل الكتف ومن أين يمكنهم اختراق الجدار القويم للأسرة الإسلامية ومن عام ١٩٧٩م بدأت المؤتمرات وبدأ التركيز على المرأة المسلمة والعربية المظلومة (اتفاقيةُ القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة) «السيداو».

إن مخطط الأمم المتحدة الذي يتناول أوضاع المرأة في البلاد العربية والإسلامية، مخطط تجزيئي، يُجزّئ القضية الواحدة، ويعالجها بمعزل عن الوضع الاجتماعي العام،

فليس هناك فصل بين أفراد الأسرة في ديننا وتلك هي الصورة السليمة التي تكوِّن أطفالًا سليمي السلوك والتصرّف، فالله تعالى أعطى للمرأة حقها كاملًا.

إن هناك مؤامرة في تجزئة الموضوعات وإلهاء الناس بقضايا تافهة أو جزئية أو هامشية، لتمرير فكر معيّن، ولنصبح كلنا في يد من يتحكّم في العالم لأنه لو كان هناك صراع داخل الأسرة، وبين الأجيال، فإن الفوضى تعمّ المجتمع.

مخاطر عولمة المرأة

عولمة المرأة والمفهوم الجديد للأسرة:

تكونت الأسرة في جميع المجتمعات الإنسانية على مدار التاريخ البشري من نتاج زواج شرعي بين رجل وامرأة، ركنه الأساسي هو قبول الطرفين والإشهار أو التوثيق في النظم الاجتماعية الحديثة، لكن في ضوء الأيدلوجية الجديدة فإن الأسرة تقوم على أساس مجموعة مكونه من الأشخاص يعيشون تحت سقف واحد، حتى في ظل انعدام المرأة والأولاد ورابطة الدم، ويرتكزون على مصالح اقتصادية واجتماعية وثقافية معينة، وليس بالضرورة أن تكون الأسرة تشتمل على رجل أو امرأة، وقد تتكون من رجال دون نساء، أو نساء دون رجال.

تعميم هذه القيم الأسرية والاجتماعية تحت مظلة العولمة يضر كثيرًا بالقيم الإنسانية النجيبة، وتوجه ضربات مؤلمة للتجمعات البشرية، فتعطيل الأسرة وسحب وظائفها مثل وظيفة التناسل والتزاوج الشرعي ما بين الرجل والمرأة، وتحويل هذه الوظيفة التناسلية إلى مجاميع شاذة من الرجال والنساء لا ينجبون أطفالًا وتعميم ما أصطلح تسميته بالزواج المثلي، يعتبر خطرًا على المجتمع البشري، إذا ما استفحلت هذه الظاهرة والتي بدأت تتفشى في المجتمعات الغربية. والطامة الكبرى أن بعض البلدان الغربية بدأت تشرع للزواج المثلي بطرق قانونية، لا يجد فيها الأفراد حرجًا في ظل حماية المؤسسات والقوانين.

إن مؤتمرات الأمم المتحدة تسعى إلى تحطيم الكيان الأسري وفرض أنماطٍ للحياة الغربية على المجتمعات، والتي ثبت فشلُها في مجتمعاتهم التي أذابت معالم البيت والأسرة وحرمة الحياة الزوجية، وانتشر الشذوذ والأمراض الخطيرة وزادت معدلات الجريمة والانتحار، وتلك هي تداعيات نظم اجتماعية فاشلة لا تحترم إنسانية الإنسان أو تعزز من قيم الخير التي فُطر عليها.

أما عن خطورة اتفاقية السيداو فمن المخالفات الصريحة للشريعة الإسلامية والتي تحفَّظت عليها العديد من الدول الإسلامية في بعض بنودها، خاصةً المادة الثانية والسادسة عشرة من الاتفاقية، والتي تستهدف قوانين الأحوال الشخصية والعمل على تغيير الدساتير وسَنِّ التشريعات، واتخاذ الإجراءات اللازمة لتحقيق هذه البنود، ثم يعاقَب دوليًّا من يخالف أي فقرة من فقرات هذه الاتفاقية ولا يعمل بها.

بالإضافة إلى تجسيد مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة (المساواة المتماثلة)- الذي تسعى لتحقيقه الاتفاقية- يعني حصول المرأة على نفس حقوق الرجل وأخطرها على الإطلاق، القضاء على قوامة الرجل في الأسرة، وحق الزوجة كالزوج في اتخاذ أصدقاء وأخلاَّء كما هو معمول به في الغرب، وتقييد الزواج بزوجة واحدة، والسفر بدون إذن الزوج، وحرية المرأة في جسدها وهو حق تسعى لتحقيقه ينطوي على كثير من القيم الغربية البعيدة على الإسلام، وغير ذلك من المخالفات الصريحة للشريعة الإسلامية.

إن الولايات المتحدة الأمريكية تخطط منذ مؤتمر مكسيكو ١٩٧٥ للسكان مرورا ببكين ١٩٩٥ إلى مؤتمر نيويورك ٢٠٠٠ لتدمير الأسرة الإسلامية بمكوناتها الأساسية (الزوج والزوجة والأولاد)، ومؤتمرات المرأة والطفولة العالمية تهدف إلى تدمير الأسرة العربية والإسلامية القائمة على علاقات مستمدة من التشريع الإسلامي، وإن هذه المؤتمرات يقوم خلف ستارها الشواذ جنسيا لإخراج المرأة والرجل عن فطرتهم الطبيعية وتحويلهم إلى «فطرة بعيدة عن الإسلام تصل بهم إلى الحيوانية».

أثر المؤتمرات والاتفاقيات الدولية على تفكيك الأسرة:

لقد ظهرت هيئة الأمم المتحدة بوجهها الجديد المستبد؛ حيث تعقد المؤتمرات الدولية من أجل تقنين وتشجيع كل ما هو فاسد ومرفوض، توجِّهها وتدعمها الصهيونية العالمية، ولا يتصوَّرَنَّ عاقل أن مثل تلك التوجهات يمكن أن تُصلِح الشباب، أو تجعلَه أداةَ بناءٍ في مجتمعاته، أو أن تَحُلَّ مشكلات المرأة، بل إنها إفساد للمرأة على وجه الخصوص، وسعي لتغيير وظيفتها الطبيعية.

إن قوانين الحرية المزعومة للمجتمع إنما تعود بالإنسان إلى عهد الرقيق، كما أن تلك

التوجهات تدمر العلائق الأسرية، وتفسد ما بين الأبوين وأبنائهم، حين تَحرِم الوالدين من أي حق في رعاية أبنائهم أو توجيههم أخلاقيًا؛ فتتفكك الأسر، ويتشرد الأبناء.

وها هنا بعض أجندة وتوصيات بعض تلك المؤتمرات والاتفاقيات؛ فمن ذلك:

أولًا: اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (سيداو):

حيث نادت بالمساواة، أو ما يعبَّر عنه بـ(الجندر)، وبناءً على هذه المصطلحات تمَّت الدعوة إلى:

- إباحة الزواج من الجنس المخالف.
- إضعاف أهم عنصر في استمرار الأسرة؛ ألا وهو التناسل.
- إباحة الشذوذ.
- إسقاط القِوامة والولاية.
- تمييع قضية الأمومة ومشروعية القرار في البيت.
- تأديب الابن.
- المهر، فمن العجيب أنهم يجعلون اختصاص الرجل بالنفقة على مولياته تمييزًا! ويدعون لمنع المرأة من حق النفقة الذي أوجبه الإسلام على أوليائها الذكور، أو من مخصصات الدولة المالية.

ثانيًا: ومن توصيات تلك المؤتمرات الدولية (تمكين المرأة):

وهي منزلة فوق المساواة؛ حيث تكون المرأة حاكمةً على الرجل، ومتمكنة من الحكم السياسي، ويدخل في ذلك الوصول إلى أعلى درجات السلطة السياسية، وهذا لا يخفى ما فيه من مصادمة للفطرة والاختلافات البيولوجية.

ثالثًا: اتفاقية (عالم جدير بالأطفال)، وترك الحبل على الغارب، والحرية المزعومة، ذات الخلفية النسوية المتطرفة: ففي هذه الاتفاقية جرى التأكيد على ما يسمى بالحقوق الإنجابية، والسلوك الجنسي الآمن، وقواعد الإنجاب، فيتعاملون مع الإنسان كفرد

وليس كحلقة في سلسلة، وفي هذا فتحٌ لباب الشذوذ والإباحية، وإلغاءٌ لحدود الله في المسائل ذات الحدود.

كما أن هذه الاتفاقيات والمؤتمرات تتعامل مع الأفراد كموادّ استثمار اقتصادي، وليس كمهمة إنسانية؛ فليس هناك مراعاة لحاجة الإنسان إلى الحب والحنان والرعاية.

وقد استطاعت تلك المؤتمرات والاتفاقيات الدخول إلى المجتمعات من بوابة مغرية، كبيرة؛ ألا وهي ما يعبِّرون عنه «بالعنف الأسري»؛ فكل ممارسة تخالف مصطلح الحرية، يعتبرونها عنفًا أسريًا.

ويُدخِلُون في مصطلح «العنف الأسري»- عندهم- ما يلي:

- بقاء الفتاة عذراء حتى الزواج.
- منع وصول الخدمات الصحية والإنجابية للمراهقين.
- منع المرأة أوالفتاة من أن يكون لها شريك؛ «أي: عشيق أو صديق».
- اتخاذ عقوبات ضد الشواذ، ومَنْعُهم من الاندماج في المجتمع.
- تزويج القاصرات.
- عمل الفتاة لدى أهلها.
- كون ميراث المرأة على النصف من ميراث الرجل.
- الطلاق المفرد من جهة الزوج.

وقد أوصت تلك الاتفاقيات بإيجاد ما يسمى بالخط الساخن؛ من أجل أن يشكو الابن أباه، وتشكو البنتُ أمَّها. إن هذه الاتفاقيات تعكِّر صفو المفاهيم الدينية؛ بحيث تبدو وكأنها هي الظالمة في أصلها؛ فمبدأ المساواة- مثلًا- أتى باعتباره «عدلًا» بينما «العدل» ليس في المساواة بالضرورة، وهذا يؤدي إلى خلق فجوة و جفوة بين المسلمين وبين دينهم.

والمؤرِّق لكل مسلم أن تفعيل هذه البنود يمرَّر بطرق مختلفة؛ سواء على مستوى

الحكومات أم الأفراد، كما يمرَّر ويروج لكثير من هذه المفاهيم المخالفة للإسلام عن طريق وسائل الإعلام؛ وينتج عنه تشرُّب مجتمَعِي لهذه المهاترات ثم تُتَّخَذ قيمًا وثقافة.

كما تروِّج هذه الاتفاقيات والمؤتمرات لحتمية الصراع بين الرجل والمرأة، وتدعو إلى الاعتراف بالأشكال المتعددة للأسرة (ذكر مع ذكر، أنثى مع أنثى، أسرة ذات عائل وحيد)؛ وكل ذلك عن طريق الأمم المتحدة، والهدف الهيمنة على العالم من خلال التدخلات؛ ولذا من الضروري رَفْضُ الوصاية على الشعوب والحكومات.

إن نظام الأسرة في الإسلام يتسق مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها: من رغبة في تكوين علاقة سويَّة من خلال زواج شرعي بين «ذكر وأنثى»، وما ينتج عن ذلك من عمليات الحمل والإنجاب، وتحمُّل كلٍّ من الزوجين مسؤولياته في حدود ما أقرَّه الشرع المطهر، وما يتناسب وإمكانات كلٍ منهما.

والإسلام ينظر للأسرة على أنها الوحدة الأساسية للمجتمع، وكلما كانت الأسرة قوية متماسكة، كلما زاد تأثيرها الإيجابي على المجتمع والعكس صحيح، لقد أدرك مفكرو الغرب أهمية الأسرة في بناء المجتمع وتقدُّمه.

إن ارتفاع نسبة الأشخاص المتعايشين بلا زواج شرعي أدى إلى معاناة البشرية من جراء انتشار الأمراض الفتاكة؛ لذلك فإن بعض المتخصصين أطلقوا صيحات التحذير من العلاقات الجنسية المؤقتة، وقالوا: «علاقة جنسية واحدة تكفي»، وهو ما يعني بمفهومنا الإسلامي: الزواج الشرعي.

إن بعض الدعوات التي تنادي بها تلك المؤتمرات وتوصياتها تؤدي إلى نشر الإباحية والانحلال، والقضاء التام على القيم والأخلاق، ومن ثَمَّ تفكيك الأسرة، والأسرة هي الحصن الأخير في وجه الدمار؛ فإذا سقط هذا الحصن، ضاعت الأمة وفَنِيَتْ.

عولمة المرأة والجسدُ المُعَوْلَم:

لقد حولت العولمة جسد المرأة إلى وحدة اقتصادية تعمل على تعظيم الربح وجلب المزيد من الفائدة، نازعة بذلك القداسة عن جسد المرأة، من خلال تحييد المضمون الأخلاقي لوظيفة المرأة، فهناك وظائف كانت مشينة وهامشية أصبحت مقبولة، بل

مرغوبة، ومن ثم أصبحت المرأة تُعرف في كثير من الأحيان والمجالات من خلال حدود الجسد وما يوفره من امتيازات. وأصبحت المرأة (جسدها) إلى سلعة مربحة وجذابة في السوق، وفي ظلها تزدهر أسواق الدعارة والمخدرات وتنتشر روائح الفساد في كل الأرجاء، ومن المؤسف أن يتم التعامل مع المرأة بطريقة مهينة وكديكور إعلامي وتجاري للإثارة وشحن الشهوات.

شيوع ثقافة الجسد والجنس والشذوذ الجنسي والأخلاقي عبر القنوات المشفرة والقنوات الفضائية الأخرى والإنترنت والهاتف النقال ووسائل الاتصال الأخرى، يتماهى مع خطوات العولمة لهدم الأسرة وتفكيكها إذ إنها تسير في نفس الإطار والاتجاه.

آليات فرض العولمة النسوية:

لم تكن هناك استجابة كبيرة داخل المجتمعات لهذه الأطروحات فسعت الحركات النسوية لفرضها بالقوة على المجتمعات من خلال عدد من الآليات أبرزها:

أولا : أجهزة الأمم المتحدة المعنية بالمرأة:

هناك العديد من الأجهزة والهيئات التابعة للأمم المتحدة التي تهتم بأمر المرأة، عن طريق المؤتمرات والفعاليات الاجتماعية والسياسية بالمنظمة الدولية، وتوقيع المعاهدات والاتفاقيات العالمية، التي تلزم الحكومات بالتنفيذ، وتمثل توصيات المؤتمرات الدولية والمعاهدات والاتفاقيات العالمية «المرجعية العالمية الجديدة»، وتسيطر الأنثويات الراديكاليات على اللجان المسؤولة عن صياغة ومتابعة تطبيق الوثائق والمعاهدات الدولية في العالم.

وكما تقول الأستاذة الأمريكية «كاثرين فورت»: «إن المواثيق والاتفاقات الدولية التي تخص المرأة والأسرة والسكان.. تصاغ الآن في وكالات ولجان تُسيطر عليها فئات ثلاثة: «الأنثوية المتطرفة» و (أعداء الإنجاب والسكان) و(الشاذون والشاذات جنسيًا).. وإن لجنة المرأة في الأمم المتحدة شكلتها امرأة إسكندنافية كانت تؤمن بالزواج المفتوح، ورفض الأسرة، وكانت تعتبر الزواج قيدًا، وأن الحرية الشخصية لابد أن تكون مطلقة».

ولقد انعكس هذا المفهوم «للحرية» في المواثيق التي صدرت عن هذه اللجنة، فالتوقيع على اتفاقية السيداو (CEDAW) يجعل معارضة الشذوذ الجنسي- حتى ولو برسم كاريكاتيري- عملًا يعرض صاحبها للمساءلة القانونية، لكون هذه المعارضة مُعارضة لحقوق الإنسان!

ثانيًا : المنظمات الأهلية:

ولم يقف زحف هذا الشذوذ الفكري عند مجرد أجهزة الأمم المتحدة، وإنما ذهبت العولمة إلى استغلال المنظمات الأهلية الدولية التي تقوم بدعم وتمويل مئات المنظمات المحلية والأهلية في المجتمعات، والتي تعرف اختصارًا ب(NGOs) وتعني المنظمات غير الحكومية، واستغلال عمليات التمويل التي تقدم في مقابل نشر هذه الأيديولوجيات الضغط على الحكومات لتتحول إلى برامج وتشريعات داخل المجتمعات.

فعلى سبيل المثال لا الحصر تدفع مؤسسة (يو.إس.إيد) مبالغ طائلة لصالح مشروع يستهدف إقناع النساء الأردنيات والفلسطينيات بتحديد النسل، وقد اكتشفت السلطات الصحية في الأردن أن الأدوية المستخدمة في هذه الحملة تسبب السرطان وتؤدي للعقم الكامل.

ويساهم في خطورة هذا الأمر اتجاه الأمم المتحدة للتعامل مع المنظمات الأهلية مباشرة، بل وجعلها عينًا رقيبة على دولها، خصوصًا فيما يتعلق بشئون المرأة.

ثالثًا: الإعلام:

صار الإعلام أداة طَيِّعَةً في يد الأنثويات اللاتي طالبن بتطهير التلفاز من كل أنماط النوعية القديمة والصور المعهودة حتى ينمو الأطفال معتادين على الصور الجديدة غير المقيدة بإطار جنسي معين. وهناك ست شركات عملاقة فقط تهيمن على وسائل الإعلام العالمي وبالذات القنوات الفضائية التلفزيونية وذلك حسب الترتيب التالي:

١- مجموعة تايم ورنر (time warner): أكبر شركة إعلامية في العالم، تفوق مبيعاتها ٢٥ مليار دولار في السنة، وتملك بعض القنوات التلفزيونية المؤثرة أشهرها CNN التي بلغ من قوة تأثيرها في صياغة الرأي العام العالمي في الثقافة والسياسة إلى

حد جعل الأمين العام السابق للأمم المتحدة بطرس غالي يعدها العضو رقم ١٦ في مجلس الأمن.

٢- مجموعة برتلزمان (Bertels man): أكبر مجموعة إعلامية في أوروبا تفوق مبيعاتها السنوية ١٥ مليار دولار، وتمتلك عدة قنوات تلفزيونية في ألمانيا وفرنسا وبريطانيا إضافة إلى ٤٥ دار نشر وأكثر من ١٠٠ مجلة.

٣- مجموعة فيا كم (Viacom): مجموعة أمريكية قوية دخلها السنوي يبلغ ١٣ مليار دولار، وتمتلك ١٣ محطة تلفزيونية أمريكة ومنها: شو تايم التي تعتمد الانحلال والتعري جزءًا رئيسيًّا من سياستها.

٤- مجموعة دزني (Disny): دخلها يفوق ٢٤ مليار دولار، وهي أكبر منتج لمواد الأطفال في العالم وتملك شبكة ABC التلفزيونية إضافة إلى مجموعة من القنوات الفضائية.

٥- مجموعة نيوز كوربريشن (News Corporation): تعد اليوم أكبر لاعب دولي في مجال الإعلام حول العالم، وتملك شركة فوكس للإنتاج السينمائي والبث التلفزيوني، وشبكتي ستار وسكاي إضافة إلى ٢٢ محطة تلفزيونية و١٣٢ صحيفة و٢٥ مجلة، وتزداد خطورة بثها في انتهاجها سياسة بث البرامج بلغات البلدان المختلفة.

٦- مجموعة (T.C.T): مجموعة متخصصة بالبث التلفزيوني عبر الكابل المدفوع بالاشتراكات، وتملك قمرين صناعيين للبث حول العالم.

فإذا أضيف إلى طوفان البث الإعلامي الفضائي، ثورة الاتصالات الحديثة المتمثلة في شبكة الإنترنت، وما تبثه القوى المسيطرة عليها من قيم ثقافية ومفاهيم وانحرافات سلوكية بطريقة مبهرة ملحة مستمرة؛ فإن الثقافة النسوية تتحول إلى نوعٍ من الفرض الواضح لثقافة واحدة، وليس مجرد النشر الاختياري لها، فالأمر أشبه ما يكون بغسيل الدماغ الذي ذكره (براون) أثناء حديثه عن دور الدعاية حيث قال: «إنها استخدام رموز معينة استخدامًا مدروسًا ومنظمًا بدرجات متفاوتة يعتمد فيه بالدرجة الأولى

على الإيحاء، وما يتصل به من وسائل نفسية، ويقصد منه تغيير الآراء والأفكار والقيم والتحكم فيها، ثم في النتيجة تغيير الأفعال الظاهرة بحسب خطط مرسومة مسبقًا».

رابعًا: الضغوطات السياسية:

أصبحت قضايا المرأة أحد المعايير التي في ضوئها تتحدد علاقات الدول الغربية خاصة الولايات المتحدة الأمريكية بغيرها، كما أنها أصبحت أحد الحجج التي تروِّجها هذه الدول للتدخل في شؤون غيرها، فإلى جانب قضايا الأقليات أصبحت قضايا المرأة بالمفهوم النسوي تحتل مركزا متقدما في صياغة علاقات الدول الغربية ببقية الدول دون مراعاة لخصوصيات ثقافية أو اجتماعية أو تاريخية.

تبرر الدول الكبرى موقفها من قضايا المرأة بأنها جزء لا يتجزأ من قضايا حقوق الإنسان، وبالتالي فإنها تعطي لنفسها الحجة لتدخلات خطيرة وواسعة في سيادة غيرها من الدول، وإزاء هذه التهديدات شرعت العديد من الدول في سَنِّ تشريعات وبرامج تتوافق مع ما تطرحه الأيدولوجية النسوية من مفاهيم.

كيفية
مواجهة مؤتمرات السكان والتنمية

لقد ورد في إحدى وثائق الأمم المتحدة المطالبة بفرض سياسة تحديد النسل في ١٣ دولة من دول العالم الثالث، ٩٠ في المائة من هذه الدول إسلامية!

واعتبر كيسنجر أن النظر الذي يعتبر التنمية الاقتصادية حلًا للمشكلة السكانية، نظر يهدد الأمن القومي الأمريكي!

وورد في نشرة للأمم المتحدة، الصادرة في العام ١٩٨٩م تحت عنوان: «سكان العالم في بداية القرن»؛ تقرير عن موقع أوروبا المنحصر في الخريطة السكانية للعالم، جاء فيه صراحة أن أوروبا تذوب الآن كالجليد تحت الشمس، حيث قال التقرير: إن سكان القارة كانوا يمثلون نسبة ١٥,٦ في المائة من سكان العالم عام ١٩٥٠م، وتراجعت هذه النسبة عام ١٩٨٥م إلى ١٠,٢ في المائة فقط من سكان العالم، وهذه النسبة ستصل عام ٢٠٢٥م إلى ٦,٤ في المائة لا غير، وأن النقص السكاني تقابله زيادة سكانية في إفريقيا، لا سيما البلاد الإسلامية منها، مثل: الجزائر، والمغرب، والسودان، ومصر، وكذا الحال في فلسطين؛ إذ بلغ معدل الخصوبة في غزة ٩,٧ في المائة، وهذه تعتبر أعلى نسبة خصوبة في العالم. وبهذا ندرك مدى تخوف وذعر قادة اليهود عند استقراء الآفاق المستقبلية القادمة، فالقوة البشرية لا يستهان بها في ميزان القوى العالمية.

فإذا نظرنا لهذه الزيادة السكانية في الدول الإسلامية، والتي تشكل فئة الشباب النسبة العظمى منها؛ علمنا الهدف الجوهري لمؤتمر السكان والتنمية، وهو الحد من تلك الزيادة بتحديد النسل وتقويض عرى الزواج ونشر الإباحية على مصراعيها بسلطة القانون.

ويظهر ذلك جليًا في أطروحات القائمين على تلك المؤتمرات، فنجد التركيز على

بعض البنود التي هي لبّ تلك المؤتمرات ومنتهى مرادها، وما عداها ما هو إلا لذَرٍّ الرماد في العيون، وهذا ما ورثه سفراء القوم في الدول العربية.

فهذا الموقع الرسمي للمؤتمر الإقليمي العربي حول السكان والتنمية يبيّن أهداف المؤتمر بما يلي: «لقد أقر المؤتمر بأن الصحة والحقوق الإنجابية، وكذلك المساواة بين الجنسين وتمكين المرأة؛ يمثلون حجر الزاوية في برامج السكان والتنمية، وخطوة أساسية نحو القضاء على الفقر وتحقيق الاستقرار في النمو السكاني. وقد أجريت مراجعات متعاقبة لبرنامج وخطة عمل المؤتمر في الأعوام ١٩٩٩ و٢٠٠٤ و٢٠٠٩، وذلك بهدف تقييم التقدم المحرز والإسراع نحو التنفيذ الكامل. لقد جدد إعلان ريو +٢٠، الصادر في يونيو ٢٠١٢، الالتزام بالأهداف التي اعتمدها برنامج وخطة عمل المؤتمر الدولي للسكان والتنمية. وكذلك تأكيد الالتزام بالمساواة بين الجنسين وحماية حقوق الرجال والنساء والشباب في اتخاذ القرارات المتعلقة بحياتهم الجنسية وصحتهم الإنجابية بحرية ومسؤولية، وأن تلتزم النظم الصحية بتوافر المعلومات الضرورية والخدمات الصحية، بما في ذلك توفير الطرق الحديثة المأمونة والفعالة والميسورة والمقبولة لتنظيم الأسرة. ويعد الاستثمار في مجال الصحة الجنسية والإنجابية واحترام الحقوق الإنجابية، شرطًا مسبقًا لتمكين النساء والمراهقين والشباب، ويتيح لهم فرصة الحصول على المعلومات والخدمات الشاملة في مجال الصحة الجنسية والإنجابية، في إطار حقوق الإنسان والمساواة بين الجنسين، وتفهّم الأبعاد والآثار الكاملة لديناميكيات السكان».

وقد صرح أحمد الهنداوي، المبعوث الخاص للأمين العام للأمم المتحدة الأسبق، كي مون، لشؤون الشباب في العالم العربي؛ بأنه تم تأسيس تحالف شباب الدول العربية للسكان والتنمية خلال اجتماع أكثر من ٧٠ شخصية شبابية من جميع الدول العربية بالقاهرة في نوفمبر ٢٠١٢. وتابع بقوله «فيما يتعلق بالصحة الجنسية والإنجابية، طالب تحالف الشباب العربي بالالتزام بتأمين وصول الشباب لمجموعة شاملة من خدمات الصحة الجنسية والإنجابية عالية الجودة، صديقة للشباب، مراعية للخصوصية والسرية، ومصممة خصيصًا لاحتياجاتهم، والخالية من كافة أشكال الوصم والتمييز،

وتوفير منهج تعليمي شامل عن الصحة الجنسية والإنجابية في المدارس وخارجها على حد سواء، والالتزام بالقضاء على ختان الإناث وتجريمه، وتجريم جميع أشكال العنف الجنسي والاتجار بالبشر، وزيادة التمويل والموارد الموجهة نحو الأبحاث العلمية المتعلقة بالصحة والحقوق الجنسية والإنجابية على المستوى الوطني والإقليمي. وطالب تحالف الشباب العربي للتنمية والسكان الدولَ العربية بإشراك المجتمعات، متضمنة الفئات المهمشة على المستوى الشعبي، لحشد الدعم واكتساب مزيد من الزخم لقضايا المساواة بين الجنسين، وإدماج المساواة بين الجنسين وقضايا العنف المبني على النوع الاجتماعي في برامج التعليم للشباب في المدارس وخارج المدارس».

ومما يدل دلالة صريحة على تطويق العمل على بنود دون أخرى، ما جاء في وثيقة مؤتمر السكان والتنمية بالقاهرة، حيث احتوت الوثيقة على ١٢١ صفحة متضمنة ١٦ فصلًا، استحوذ الجنس والحقوق التناسلية الإباحية وتعليم الجنس للمراهقين والإجهاض على ١٠٠ صفحة، أما ال ٢٠ صفحة المتبقية فهي لقضية التنمية!

وكانت غاية هذه المؤتمرات هي المرأة التي أوْلَوْها عنايةً كبيرة لمدى علمهم بمكانة المرأة المسلمة ودَوْرها العظيم المنوط بها في تربية النشء وإعداد جيل متسلح بقيمه وثوابته الدينية ليكون قوة بشرية هائلة رائدة في التقدم والتطور.

فقام المؤتمر ببنوده وتوصياته على تحدي الأديان والثقافات في فرض هيمنة نمط معين لحياة المرأة، والذي بدوره يقوض نظام الأسرة المسلمة لتعيش حالة من الضياع الفكري والخواء الروحي، ومن أجل هذا ابتُدع مؤتمر السكان والتنمية.

ولقد أدرك الغرب أن التغيير الصريح لنظام الأسرة المسلمة ما هو إلا إيذان بالرفض القاطع، فعمد إلى خلق مصطلحات ذات دلالة مبهمة فضفاضة تحوي الكثير من الخداع والتضليل لتسويق البنود بذكاء وخبث لتنطلي على الكثير من الدول النامية.

لكن الأمة الإسلامية على قدر كبير من الوعي والمسؤولية، وقد تصدت لتلك المؤتمرات الدخيلة التي حملت في طياتها العبث بثوابت الأمة، في محاولة لانتزاع القيم والمبادئ الدينية، وإن انطلت بعض الاتفاقيات والوثائق على من لم يهتدِ سبيلًا، إلا أن السواد الأعظم سيدرك مدى خبثها ونفاقها، وسيركل كل ما ترنو إليه بكلتا قدميه، وهذا

سيتأتَّى عند المواجهة الفعلية لمخططات مؤتمرات السكان والتنمية، وبخطى مدروسة وبفاعلية في المجتمع.

وللمواجهة عدة مسارات وبرامج، منها:

- دور العلماء وطلبة العلم في إيضاح وإصدار الفتاوى للحكم الشرعي المفصل لكل بند مما له عظيم الأثر في بيان الحق وردع الباطل. ولا بد من أن تسبق الفتاوى هذه المؤتمرات بكشف زيغها والتحذير من الانسياق خلفها، ومن ثم تعقبها فتاوى تأصيلية تفصيلية لما ورد فيها من بنود تهدف إلى تكريس وفرض العولمة البغيضة في بلاد المسلمين.

- إنشاء مراكز تتكوّن من عدة لجان تخصّصية في الجانب الشرعي والنفسي والاجتماعي، وكذا الصحي؛ لرصد وقراءة نتاج تلك المؤتمرات قراءة نقدية للمد التغريبي لدول المنطقة من مؤتمرات وملتقيات وإعلام رسمي وغير رسمي.

وتكوين فريق ميداني تشارك فيه كوكبة من المستشارين يقومون بعمل برامج ميدانية تثقيفية وتوعوية من خلال (مؤتمرات، ملتقيات، محاضرات، دورات، وورش عمل).

- استنطاق الكتّاب والمثقفين والمتخصصين في الجانب الشرعي والنفسي والصحي لعقد المحاضرات والندوات وإصدار المؤلفات وكتابة المقالات ونشرها على أوسع نطاق.

- استقطاب منظمات ومفكرين غربيين مناهضين للعولمة والفكر التغريبي ومن اكتوى بسياط هذا الفكر المنحل والتحرر المزعوم، واستضافتهم في مؤتمرات ولقاءات إقليمية، وتسليط الضوء على أقوالهم.

- المشاركة في هذه المؤتمرات ومزاحمتها بطرح البديل الإسلامي وبيان مدى إكرام الإسلام للمرأة ومقارنتها بالمرأة الغربية التي تَئِنُّ تحت وطأة الإباحية المطلقة.

- إعداد دورات تثقيفية للخطباء والدعاة والمعلمين والمربين عن ماهية تلك المؤتمرات وخططها الاستراتيجية التغريبية، وتفعيل آليات لمواجهة هذا الخطر المُحْدِق بالمجتمع المسلم لبناء جيلٍ واعٍ، وتوعية الجماهير بمقاصد تلك المؤتمرات.

- تأسيس تحالف للشباب المسلم ينطلق من برامج التواصل الاجتماعي ويكون له

دور توعوي فعّال في التحذير من هذه المؤتمرات التغريبية بين الأوساط الشبابية، وأيضًا يُكرِّس أهدافه على غرس المفاهيم والقيم الدينية والاعتزاز بها بأُطُر تقنية حديثة.

- تأسيس مناهج تعليمية متخصصة في نظام الأسرة المسلمة تمتاز بالشمولية والتنوع الموضوعي مستمدة من الكتاب والسنة تدرج ضمن مناهج التعليم العام.

- إقامة مناشط متنوعة وبشكل دوري في الجامعات والملتقيات الكبرى والمدارس ودور التحفيظ، لتوعية النشء بما يُحاكُ حوله، فهو المستهدف في تلك القضايا، وتعزيز دوره في صد تلك الهجمات الشرسة.

- كشف ستر المؤتمرات الإقليمية العربية حول السكان والتنمية والحركات النسوية والمنظمات المشبوهة في دول العالم الإسلامي، ومقارعتهم بالحجج والأدلة، والتشهير بهم في الإعلام الحر.

- إصدار منشورات تتضمن محتوى تفصيليًا لبيان وشرح المصطلحات الأممية الواردة في بنود الاتفاقيات والمؤتمرات، وتوضيح مقاصدها الحقيقية وأهدافها التي لا تتفق مطلقًا مع ثوابت الدين، وإبراز الآثار المترتبة عليها.

- الأسرة الحاضن الأول للطفل، ومنها يستقي القيم والمبادئ، فدور الأبوين لا يقل أهمية عن الأدوار الأخرى، وتقع على عاتقيهما مسؤولية التربية والتوجيه.

وهذه المواجهة لن تؤتي أكلها ما لم تتكاتف الجهود وتنخرط في مسارين أساسيين، هما: العمل المؤسسي والعمل الفردي، ولكل منهما دوره المنوط به. والرجل والمرأة على حد سواء في وجوب صدّ هذه الهجمات التغريبية التي لم تعد خافية على أحد من أجل تعزيز وتفعيل قيمنا ومبادئنا، والدعوة للتمسُّك بالإسلام.

مفهوم العنف ضد المرأة وجذوره التاريخية

العنف خلاف الرفق، ولم يتفق الباحثون على تعريف محدد للعنف؛ لتعدد دلالات المفهوم واختلاف المنطلقات التي تناولت موضوع العنف.

وبالنسبة لهيئة الأمم المتحدة فقد عرّفته في الإعلان العالمي لمناهضة العنف ضد المرأة (١٩٩٣م) بأنه: «أي فعل عنيف تدفع إليه عصبية الجنس، ويترتب عليه أو يرجح أن يترتب عليه أذى، أو معاناة للمرأة، سواء من الناحية الجسمانية، أو الجنسية، أو النفسية، بما في ذلك التهديد بأفعال من هذا القبيل، أو القسر، أو الحرمان التعسفي من الحرية، سواء حدث ذلك في الحياة العامة أو الخاصة».

وكما هو واضح فالتعريف واسع فضفاض يستوعب كثيرًا مما يعد من صميم الواجبات الدينية، والأعراف الاجتماعية التي يتبناها المجتمع برجاله ونسائه.

نشأة مفهوم العنف ضد المرأة وتطوره:

جذور المفهوم:

يرتبط مفهوم العنف ضد المرأة في المواثيق الدولية بالحركة النسوية التي تهدف إلى مساواة المرأة بالرجل مساواة مطلقة، وتحرير المرأة تحريرًا كاملًا، بحيث يصبح وجودها قائمًا بذاته، غير مرتبط بمن حولها.

نشأة المفهوم في المواثيق الدولية:

المرحلة الأولى: مرحلة ما قبل ظهور مفهوم «العنف ضد المرأة» ضمن قائمة حقوق الإنسان:

يعدّ ميثاق الأمم المتحدة الذي اعتمد في ١٩٤٥ أول معاهدة دولية تشير إلى المساواة بين الجنسين في الحقوق، ثم أكد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي صدر سنة ١٩٤٨ مبدأ المساواة بين البشر جميعًا، ومع انعقاد المؤتمر العالمي الأول للمرأة في

المكسيك عام ١٩٧٥، ومع ارتباط مؤسسات الأمم المتحدة بالمنظمات النسوية؛ ازداد الاهتمام الدولي بالعنف ضد المرأة. وقد ركزت البدايات الأولى لمعالجة العنف ضد المرأة على العنف في الأسرة، وأشارت خطة العمل التي اعتمدها مؤتمر المكسيك إلى ضرورة وضع برامج تعليمية واستحداث طرق تحل مشكلة النزاع في الأسرة.

في عام ١٩٧٩م صدرت اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، وتضمنت الكثير من مسائل العنف ضد المرأة، دون أن تصرح بمصطلح «العنف ضد المرأة».

المرحلة الثانية: بداية ظهور «مفهوم العنف ضد المرأة»:

في المؤتمر العالمي الثاني للمرأة المنعقد في «كوبنهاجن» عام ١٩٨٠، اعتمد قرار بشأن العنف في الأسرة، ودعا هذا المؤتمر إلى وضع برامج للقضاء على العنف ضد النساء والأطفال وحماية المرأة من الاعتداء البدني والعقلي. وتعد الوثيقة الصادرة من المؤتمر أول وثيقة رسمية للأمم المتحدة تتناول العنف ضد المرأة.

وفي المؤتمر العالمي الثالث الخاص بالمرأة في نيروبي ١٩٨٥، أشير إلى كثير من مظاهر العنف، مثل: الاعتداء في المنزل، البغاء القسري، الإساءة للنساء المعتقلات... وغيرها. واعتبرت الأمم المتحدة أن العنف ضد المرأة يشكل عائقًا أمام تحقيق أهداف المؤتمر، وطالب المؤتمر باتخاذ إجراءات وقائية وتدابير قانونية للحد من العنف ضد المرأة.

وفي عام ١٩٨٩ أصدرت اللجنة المعنية بالقضاء على العنف ضد المرأة في دورتها الثامنة، توصية بعنوان «العنف ضد المرأة»، وأوصت اللجنة الدول الأطراف بأن تتضمن تقاريرها المقدمة للجنة معلومات حول العنف ضد المرأة ما يلي:

١- التشريعات بشأن حماية المرأة من كافة أشكال العنف.

٢- الخدمات المقدمة للنساء ضحايا العنف.

٣- ذكر بيانات إحصائية عن أشكال العنف الممارس ضد النساء.

وفي عام ١٩٩٠ تناول المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع للأمم المتحدة مفهوم العنف ضد المرأة في التوصيات الصادرة عن استعراض وتقييم استراتيجيات نيروبي التطلعية، والتي أكد فيها انتشار ظاهرة العنف ووجوب اتخاذ التدابير لإنهائها.

وفي العام نفسه عقدت الأمم المتحدة المؤتمر الثامن لمنع الجريمة، وأكد هذا المؤتمر أن العنف ضد المرأة يعد نتيجة لاختلال توازن السلطة بين المرأة والرجل.

المرحلة الثالثة: الربط بين مفهوم «العنف ضد المرأة» ومصطلح التمييز وفلسفة حقوق الإنسان:

في عام ١٩٩١ أوصت لجنة مركز المرأة المجلس الاقتصادي والاجتماعي بأن يضع إطارًا لصك دولي بالتشاور مع لجنة القضاء على التمييز ضد المرأة يتناول بصراحة قضية العنف ضد المرأة، واعتمد المجلس القرار ٨/ ١٩٩١ الذي كان بعنوان «العنف ضد المرأة بجميع أشكاله». وحث القرار الدول على اعتماد تشريعات تحظر العنف ضد المرأة، واتخاذ كافة التدابير المناسبة لحماية المرأة من جميع أشكال العنف الجسدي والمعنوي.

وفي عام ١٩٩٢ أصدرت لجنة (السيداو) في دورتها الحادية عشرة توصية بعنوان: «العنف ضد المرأة» نصت في الفقرة السادسة منها على أن: «العنف ضد المرأة شكل من أشكال التمييز القائم على أساس الجنس».

وفي عام ١٩٩٣ عرض على لجنة «مركز المرأة» في دورتها السابعة والثلاثين مشروع «إعلان العنف ضد المرأة»، وقررت اللجنة استدعاء فريق لمواصلة صياغة الإعلان، ثم حث المجلس الاقتصادي والاجتماعي الجمعية العامة على اعتماد مشروع الإعلان في العام نفسه، وقد كان.

ففي ٢٠ ديسمبر ١٩٩٣ اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة الإعلان العالمي للقضاء على العنف ضد المرأة، ونص الإعلان على: «إن العنف ضد المرأة مظهر من مظاهر العلاقات والقوى غير المتكافئة بين الرجل والمرأة عبر التاريخ، التي أدت إلى

هيمنة الرجل على المرأة وممارسته التمييز ضدها والحيلولة دون النهوض بالمرأة نهوضًا كاملًا».

المرحلة الرابعة: دمج مفهوم العنف ضد المرأة ضمن حقوق الإنسان التي تنادي بها المجتمعات:

عام ١٩٩٣ غيّرت الأمم المتحدة سياستها التي كانت تقتصر على التعامل مع الحكومات، واستغلت المؤتمر العالمي لحقوق الإنسان المنعقد في فيينا لتتعامل مع شبكة عالمية من النشطاء المناهضين للعنف عُرفت باسم «الحملة العالمية من أجل الحقوق الإنسانية للمرأة»؛ للتأكيد على عالمية حقوق المرأة باعتبارها حقوق إنسان، والدعوة إلى القضاء على العنف ضد المرأة.

المرحلة الخامسة: تطور مفهوم «العنف ضد المرأة» وتجاوز الأديان:

بعد أن أصبح مفهوم العنف ضد المرأة من مسائل حقوق الإنسان، قررت لجنة حقوق الإنسان عام ١٩٩٤ مقررًا خاصًا بشأن العنف ضد المرأة وأسبابه وعواقبه، ثم رُبط القضاء على العنف بالالتزام بتطبيق (السيداو)! وأدرج في جل القضايا التي تعنى بها الأمم المتحدة!

وجاء في التقرير الصادر عن المؤتمر الدولي للسكان والتنمية الذي عقد في القاهرة سنة ١٩٩٤: «ينبغي لجميع البلدان أن تبذل مزيدًا من الجهود لإصدار وتنفيذ وإنفاذ القوانين الوطنية والاتفاقيات الدولية التي تكون طرفًا فيها، مثل: اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة التي تحمي المرأة من ضروب التمييز الاقتصادي والمضايقات الجنسية، والتنفيذ الكامل للإعلان المتعلق بالقضاء على العنف ضد المرأة».

وفي عام ١٩٩٥ انعقد «المؤتمر العالمي الرابع الخاص بالمرأة» في بكين، وتضمن منهاج العمل الصادر عنه دعوة للدول «بإدانة العنف ضد المرأة، والامتناع عن التذرع بأي عرف، أو تقليد، أو اعتبار ديني؛ تجنبًا للوفاء بالتزامها للقضاء عليه».

وفي عام ١٩٩٧ اعتمدت الجمعية العامة الاستراتيجيات النموذجية والتدابير

العملية للقضاء على العنف في مجال الجريمة والعدالة الاجتماعية، وبدأت بإصدار أول قرار من سلسلة القرارات التي تتناول أشكال العنف ومظاهره، فأصدرت قرارًا «بشأن الممارسات التقليدية والعرفية التي تؤثر على صحة النساء»، وتكرر إصدار قرارات حول هذا الشكل في الأعوام: ١٩٩٨، ١٩٩٩، و٢٠٠١.

وفي عام ١٩٩٨ صدر نظام روما الأساسي للمحكمة الدولية، وعَدَّ العنفَ القائم على الجنس جريمة بمقتضى القانون الجنائي الدولي.

وفي عام ١٩٩٩ أعلنت الأمم المتحدة أن يوم ٢٥ نوفمبر هو اليوم الدولي للقضاء على العنف ضد المرأة.

وفي عام ٢٠٠٠ أكدت الوثيقة الصادرة عن الدورة الاستثنائية لمنهاج عمل بكين التي كانت بعنوان: «المرأة عام ٢٠٠٠: المساواة بين الجنسين، والتنمية، والسلام في القرن الحادي والعشرين»؛ على الأهداف الاستراتيجية المتعلقة بالعنف ضد المرأة، ودعت «إلى إضفاء الجنائية على العنف ضد المرأة بحيث يقع مرتكبه تحت طائلة العقاب بالقانون». ودعت الوثيقة إلى اتخاذ التدابير لمعالجة العنف ضد المرأة.

وفي عام ٢٠٠٠ عقد مؤتمر: «قمة الأمم المتحدة للألفية»، ودمجت في هذا المؤتمر قضايا مساواة وتمكين المرأة في عديد من الأهداف الإنمائية، لا سيما في الهدف الثالث الذي نص على «تعزيز المساواة بين الجنسين وتمكين المرأة». وجاء في الفصل الخامس من الإعلان في موضوع حقوق الإنسان والديمقراطية والحكم الرشيد: «مكافحة جميع أشكال العنف ضد المرأة وتنفيذ اتفاقية القضاء على أشكال التمييز ضد المرأة».

وفي نفس العام أصدر مجلس الأمن القرار رقم (١٣٢٥) بشأن المرأة والسلام والأمن، ويُعَدُّ هذا القرار معلمًا بارزًا للتصدي للعنف ضد المرأة. ومنذ ذاك العام ومجلس الأمن يُولِي مسألةَ العنف ضد المرأة في النزاع المسلح أهميتها، وقد ذكر ذلك في الفقرة (١٠) من القرار.

وفي العام ذاته أصدرت الجمعية العامة بداية القرارات المتعلقة بعنوان: «القضاء على الجرائم المرتكبة بحق النساء والفتيات باسم الشرف»، وتكرر إصدار هذا العنوان

في العامين ٢٠٠٢ و٢٠٠٤، ثم قرارات بعنوان: «الاتجار بالنساء والفتيات»، وتكرر إصدار هذا العنوان في الأعوام: ٢٠٠٢، ٢٠٠٤، ٢٠٠٦، ٢٠٠٨.

وفي عام ٢٠٠١ أصدرت الجمعية العامة مجموعة قرارات بعنوان: «القضاء على العنف ضد العاملات والمهاجرات»، وتكرر إصدار هذا العنوان في الأعوام: ٢٠٠٣، ٢٠٠٥، ٢٠٠٧، ٢٠٠٩.

وفي عام ٢٠٠٣م اتخذت الجمعية العامة قرارًا بشأن «القضاء على العنف العائلي»، وأصدرت قرارًا آخر يأمر بإجراء دراسة على جميع أشكال العنف ضد المرأة.

وفي عام ٢٠٠٥ وعند استعراض إعلان ومنهاج عمل بكين في الدورة التاسعة والأربعين، لوحظ أن هناك تقدمًا كبيرًا في مكافحة العنف ضد المرأة، وأصبح من المسلَّم به أن العنف ضد المرأة يعد شكلًا من أشكال التمييز الذي يستند إلى نوع الجنس، وأن الدول سنت قوانين لمكافحة العنف ضد المرأة.

جاء في الفقرة (١١٦) من بكين + ١٠: «وندين بشدة جميع انتهاكات حقوق الإنسان للنساء والفتيات في حالات الصراع المسلح، وممارسة ضروب الاستغلال، والعنف والاعتداء الجنسي ضدهن، ونلتزم بوضع وتنفيذ استراتيجيات للإبلاغ عن العنف القائم على نوع الجنس ومنعه والمعاقبة عليه».

وفي عام ٢٠٠٦ أصدر الأمين العام دراسة بشأن جميع أشكال العنف ضد المرأة، وأصدرت الجمعية العامة بعدها سلسلة من القرارات بعنوان: «تكثيف الجهود للقضاء على العنف ضد المرأة» في الأعوام: ٢٠٠٦، ٢٠٠٧، ٢٠٠٨، ٢٠٠٩.

وفي عام ٢٠٠٧ أصدرت الجمعية العامة قرارًا بشأن «القضاء على الاغتصاب وغيره من أشكال العنف الجنسي».

وفي ٢٥ فبراير ٢٠٠٨ أطلق الأمين العام حملته العالمية (اتحدوا لإنهاء العنف ضد المرأة)، على أن تستمر إلى عام ٢٠١٥.

وفي عامي ٢٠٠٨ و٢٠٠٩ أصدر مجلس الأمن القرارات: ١٨٢٠ (٢٠٠٨)، ١٨٨٨ (٢٠٠٩)، ١٨٨٩ (٢٠٠٩)، والتي تدعو لوضع حد للعنف الجنسي في النزاعات المسلحة.

وفي ٢٣ مارس من عام ٢٠٠٩ عقد اجتماع لفريق الخبراء الحكومي الدولي في «بانكوك» لاستعراض وتحديث الاستراتيجيات النموذجية والتدابير العملية للقضاء على العنف ضد المرأة في مجال منع الجريمة والعدالة الجنائية، وجاءت هذه التدابير في ٢٢ مادة حاثة الدول على «استعراض قوانينها الجنائية والمدنية وتقييمها وتحديثها؛ لضمان تجريم وحظر جميع أشكال العنف ضد المرأة»!

وفي ١٥ مارس ٢٠١٣ طرحت الأمم المتحدة إعلان إلغاء ومنع كافة أشكال العنف ضد النساء والفتيات، والذي وجد معارضة شديدة في إجازته حتى سحب منه اعتبار أن القيود على الحرية الجنسية وحرية ممارسة السحاق شكل من أشكال العنف ضد المرأة، لكنه أكد وجوب مكافحة كل أشكال التمييز بين الجنسين باعتبارها شكلًا من أشكال العنف ضد المرأة، دون التذرع بالأديان والعادات! وقد وصفته الأمم المتحدة بأنه إعلان تاريخي لوقف العنف ضد النساء.

مما سبق يُلاحَظ أن مفهوم العنف حتى بداية التسعينيات في القرن الميلادي الماضي لم يكن يتجاوز التعدي البدني والعقلي على المرأة، كما أنه لم يكن قضية مستقلة تفرد لها المؤتمرات. وفي عام ١٩٩٣ جُعِلَ قضيةً مستقلة ناتجة عن التمييز بين الجنسين. ثم جاء مؤتمر القاهرة ومن بعده بكين وحُشِيَ مفهوم العنف في مقرراتهما بكثير من الممارسات، مثل: التركيز على عفة الفتيات، والتثقيف الجنسي للمراهقين، والتمييز على أساس التوجه الجنسي (السواء أو الشذوذ)، والختان، والمهر وغيرها، وبعدها تكرر حشر العنف ضد المرأة في كل قضية أممية! والخطير تركيز الأمم المتحدة في هذه المرحلة على التأكيد على ضرورة تجاوز الأديان، وتحويل القضية لمطلب مجتمعي تتبناه منظمات المجتمع المدني وتسهم في الضغط على الحكومات لترضخ وتوقع على ما يصدر من مواثيق دولية دون تحفظات.

وبهذا يتحول العنف ضد المرأة من قضية تتفق البشرية على تجريمها، إلى وسيلة من وسائل التغيير الثقافي للمجتمعات، وفرض الرؤى النَّسَوِيَّة المتفلتة من قيم الأديان والأخلاق على سائر الشعوب.

وقفات شرعية
مع مفهوم العنف ضد المرأة في الاتفاقيات الدولية

ما فتئ العالم منذ إعلان حقوق الإنسان في ديسمبر ١٩٤٨ يشهد تحولات جذرية في قضية المرأة. وما زالت هيئة الأمم المتحدة بكافة أذرعها، خاصة لجنة مركز المرأة، تصدر وثائق، وتعقد مؤتمرات، وتُنظّم أيامًا عالمية، وتخرج باتفاقيات في مجال المرأة وحقوقها، والانتهاكات ضدها، بعناوين ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب، في ضغط على دول غُلّت أيديها إلى أعناقها.

في ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م، أقرت مفوضية وضع المرأة في دورتها السابعة والخمسين وثيقة للقضاء على العنف ضد المرأة خالفت في كثير من بنودها الفطر السوية، والروح الإنسانية، والشريعة الإسلامية، وتحدَّتْ سيادة الدول وأعرافها، معارضة بذلك ما نص عليه ميثاق الأمم المتحدة: «ليس في هذا الميثاق ما يسوغ (للأمم المتحدة) أن تتدخل في الشؤون التي تكون من صميم السلطان الداخلي لدولة ما».

وقفات مع مفهوم القضاء على العنف ضد المرأة والصغيرات:

يمكن قراءة المفهوم من خلال ثلاثة محاور:

المحور الأول: مرجعية وثيقة القضاء على العنف:

أشارت مفوضية وضع المرأة في مسودة الدورة السابعة والخمسين التي خرجت بوثيقة القضاء على العنف ضد المرأة والصغيرات ومنعه؛ إلى أن مرجعية النقاش ستكون إعلان القضاء على العنف ضد المرأة، واتفاقية سيداو، وإعلان ومنهاج عمل بكين، والقرارات والتوصيات ذات الصلة الصادرة عن هيئات الأمم المتحدة، دون الإشارة إلى تحفظات الدول عليها. كما نص النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية على أن: «الاتفاقيات الدولية هي المصدر الأول والرئيس للقاعدة القانونية الدولية»، وهذا يعني تجاوز الأديان والأنظمة الداخلية للدول.

والمشكلة الأساسية هي أن الاتفاقيات الدولية ما هي إلا ثمرة جهود الحركات النسوية التي أفرزها واقع المرأة في أوروبا في العصور الوسطى وعصر النهضة؛ فقد كان امتهان النساء واحتقارهن باسم الدين المحرف، ولعنهن وتحميلهن وزر الخطيئة الأولى، ووصفهن بأنهن ما خلقن إلا لخدمة الرجال، بل وإباحة الاتجار فيهن؛ سببًا في تمرد الحركات النسوية على تلك الأديان، ودعوتها لتحرر النساء الكامل من كل سلطان.

لكن إذا افترضنا أن مثل هذه الاتفاقيات يمكن أن تحل مشكلة النساء في تلك البيئات، فلِمَ تعمم على مجتمعات سلمت من تلك الآفات، بل كفل دينها للمرأة ما لم تكفله هذه الاتفاقيات؟!

المحور الثاني: مصطلحات الوثيقة:

لا بد عند قراءة وثائق الأمم المتحدة أن ندرك جغرافية المصطلح، إذ يرتبط كل مصطلح بالبلد الذي أنتج فيه، والظروف التي أفرزته.

مفهوم العنف ضد النساء والفتيات في إعلان القضاء على العنف ضد المرأة (١٩٩٣) مثلًا، هو: «أي عمل من أعمال العنف القائم على نوع الجنس الذي يترتب عليه، أو يرجح أن يترتب عليه؛ أذى بدني أو جنسي أو نفسي أو معاناة للمرأة (أو الفتيات)، بما في ذلك التهديد بأفعال من هذا القبيل أو القسر أو الحرمان التعسفي من الحرية، سواء حدث ذلك في الحياة العامة أو الخاصة». ويلاحظ أن المفهوم فضفاض جدًا يمكن أن يستوعب ما يعد عنفًا فعلًا، وما لا يعد عنفًا حقيقة لكن يمكن إثبات حدوثه، وما لا يمكن إثباته مما تزعم المرأة أنه السبب في معاناتها وتأذيها النفسي!

ومفهوم التمييز الذي يعد العنف نتيجة من نتائجه كما جاء في إعلان العنف المذكور؛ هو: «أي تفرقة، أو استبعاد، أو تقييد يتم على أساس الجنس، ويكون من آثاره أو أغراضه النيل من الاعتراف للمرأة، على أساس تساوي الرجل والمرأة، بحقوق الإنسان والحريات الأساسية في الميادين السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والمدنية، أو في أي ميدان آخر، أو إبطال الاعتراف للمرأة بهذه الحقوق، أو تمتعها بها

وممارستها لها بغض النظر عن حالتها الزواجية». المفهوم كذلك مطاط جدًا يمكن أن يحشر فيه كل شيء كما تفعل لجنة سيداو في توصياتها وقراراتها.

المحور الثالث: الروح الدينية:

الوثائق الأممية تستند جميعها على مبدأ الحرية المطلقة، ولهذا فإنها ترفض الدين بكافة أنواعه؛ لمصادرته الحرية المطلقة وفق منظور الرؤية النسوية الراديكالية. ويمكن بيان أبرز المخالفات الشرعية في مسودة الوثيقة، وهي:

أولًا: المساواة المطلقة بين الذكر والأنثى انطلاقًا من مفهوم الجندر، ومما يدخل في هذا البند ما يلي:

١- الاعتراف بالشذوذ الجنسي كحق معتبر للفرد، والشاذ: «الذي يمارس انحرافات أو صور نشاط تناسلي ليس في اتفاق مع الثقافة أو الأعراف العامة لمجتمعه أو دولته»، ويدخل في مصطلح الشذوذ: اللواط، والسحاق، والممارسة الجنسية الثنائية، والمتحولون من جنس لجنس.

وهذا البند تحديدًا مخالف للفطرة السوية، والشرائع السماوية، حتى مع تحريف الديانتين النصرانية واليهودية، وإن اعترفت بعض الدول به لكنه أمر مستهجن عقلًا حتى مع الاعتراف القانوني. ومما يُستدل به على أنه خلاف الفطرة أن ذكران البهائم لا تأتي أجناسها، ولا تستغني إناثها بإناثها.

٢- إلغاء قوامة الرجل على المرأة وولايته عليها، فقد نصت الوثيقة على: «المطالبة بالمساواة في القوة/ السلطة، وصنع القرار، وتعزيز تقاسم العمل المأجور، والعمل غير المأجور»، ومقتضى ذلك المطالبة باقتسام العمل خارج المنزل وداخله بما في ذلك رعاية الأطفال. وفي هذا مصادمة للشرع في إيجاب النفقة على الزوج، فعلى الزوج أن يبذل المهر والنفقة ويحسن العشرة، ويحميها. وعلى هذا فالقوامة في صالح المرأة كشأن كل تشريع رباني، ونقض هذا التشريع الرباني يفضي إلى تبعات تجتر المرأة ويلاتها في جميع البقاع التي حررت المرأة من هذا السمو.

كذلك يشمل هذا البند إلغاء الولاية المعتبرة شرعًا في الزواج، وبناء عليه فتزوج

المرأة نفسها مخالفة بذلك الشريعة. لكن ذلك لا يلغي حقها في القبول والرد، مع شرط رشد الولي وتكليفه. ومن مصالح الولاية أن المرأة تبقى حين تتزوج برضى الولي في إحساس بالأمن في حال تغيُّر الزوج وتنكُّره لها.

٣- المطالبة بالمساواة في الأحوال الشخصية، مثل: التعدد، والطلاق، والعدّة، والزواج، وهذا البند يرفع كافة التشريعات السماوية، وما تقتضيه الفطرة، خاصة في أمر التعدد، وعليه فللمرأة أن تعدد الأزواج! أو يمنع الرجل من التعدد كما تمنع المرأة! وفي هذا نقض للشريعة عروة عروة، إذ جاء الشرع ليضع للرجل مجالًا للتعدد لأسباب، منها: أن المرأة يعرض لها الحيض والحمل والنفاس مما يُفوّت على الرجل حق الاستمتاع، كما أن الرجل لا يُدخل على المرأة ولدًا من غيره، بعكسها، ما يعني ضياع الأنساب، إضافة إلى اختصاص الرجل بالطلاق كونه أملك لعقد النكاح من أن يهتكه خصام عارض أو عاطفة لا تقدر الأمور حق قدرها.

كذلك التساوي يقتضي زواج المسلمة من الكتابي، وهذا يلزم منه تهويد أو تنصير الأبناء بمقتضى تبعية دينهم لأبيهم، وتقويض دعائم الإسلام من خلال تأثر المرأة بدين زوجها.

٤- المطالبة بالمساواة في الأدوار الفطرية؛ كأدوار الإنجاب، والأمومة، والحضانة، واعتبارها أدوارًا نمطية لا تختص بجنس. وقد ضخ هذا المفهوم في الوثائق الأممية، وطولب بمساواة الأب مع الأم في إجازة الأمومة، وألا تختص المرأة بالدور الإنجابي، بل توفر تسهيلات الأرحام المستأجرة، وبنوك الحيوانات المنوية، والاعتراف بكافة أشكال الأسرة، وبهذا ينقلب الدور الفطري القائم على الوضع البيولوجي لكل جنس، قال تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، فاختصاص النساء بالحمل والرضاع يقابله اختصاص الرجل بالسعي والنفقة، وهذا يأتي في سياق الفطرة.

٥- إزالة كافة الفوارق في الميراث، مع العلم أن التفاوت في مسائل الميراث تحكمه قوة القرابة وقربها، والبعد المالي في تحمل الرجل أعباء النفقة والمهر، وتحمّل دية غير

العمد مما لا تُسأل عنه المرأة، مع إعطائها حقوقها وافرة، فأكثر أهل الفروض نساء! وفي ثلاثين حالة ترث المرأة أكثر من الرجل.

ثانيًا: المطالبة بالحرية الجنسية وتشريع الزنا؛ بتوفير برامج الصحة الإنجابية والجنسية، ووسائل الحماية من الحمل غير المرغوب فيه. وهذا البند فضلًا عن مخالفته الفطرية والشرعية يُعدّ مجالًا خصبًا للأمراض الفتاكة، كذلك يدعو هذا البند إلى حرية الإجهاض وقتل الأجنة، وفيه من هدر حق النفس ما لا يخفى!

ثالثًا: تجريم تزويج الفتاة دون سن الثامنة عشرة واعتباره نوعًا من أنواع الاتجار بالمرأة، مقابل اعتبار علاقاتها الجنسية بلا عقد زواج حرية شخصية!!!! مع الإقرار بحق المرأة في المتاجرة بجسدها «الدعارة».

رابعًا: اعتبار العنف كل عمل لا تتفق فيه الإرادة بين الطرفين مبنيًا على الجندر، مما يُلحق ضررًا جسديًا أو جنسيًا أو معاناة نفسية، وهذا المفهوم المطاطي يجعل حصره أمرًا بالغ الصعوبة، فيدخل في هذا المفهوم كل مظاهر الضرر، ومنها: اعتبار إتيان الزوج أهله دون رضاهم مثل اغتصاب الرجل الأجنبي! مع مخالفته للشرع.

كل ما سبق غيض من فيض، وإفراز من جرح يثعب قيحًا تزينه هيئة الأمم المتحدة باستعمال مصطلح: «الضحايا Victims»، و«الناجيات Survivors» من العنف؛ لتثبيت فكرة أن «العنف ضد المرأة» - وفقًا لتعريف الإعلان - «جريمة» تستحق العقاب على المستوى الدولي!

العنف المسكوت عنه!!

تدعو الاتفاقيات والمؤتمرات الإقليمية والدولية التابعة للأمم المتحدة، لنبذ ومحاربة أنواع من العنف ضد المرأة، وفق رؤية فلسفية غربية، دون اعتبار للخصوصيات الدينية والأخلاقية والتنوع الثقافي والحضاري لشعوب العالم. ولأجل هذا جيَّشت جماعات متنوعة المهام من كافة دول العالم، ورصدت الميزانيات، ومارست ضد الدول ضغطًا سياسيًا واقتصاديًا أرغمها في نهاية المطاف على الالتزام الكلي أو الجزئي المرحلي بما أمْلَتْه عليها.

إن من المعروف علميًا أن لكل مجتمع ثقافته الخاصة به التي تنطلق منها عاداته وتقاليده وأعرافه ومعتقداته، ومن غير المعقول ولا المقبول أن تأتي أي منظمة- وإن خلعت على نفسها مسمى دولية- لتلغي ثقافات الشعوب وتضغط بعنف لإحلال نموذج أحادي من الثقافة تعمّمه على الجميع، فالكيان الثقافي المستقل هو إحدى صور الخصائص العلمية المميزة للبناء المجتمعي الإنساني.

في هذه الاتفاقيات أُبرزت جوانب معينة من حقوق المرأة، وسُكتِ أو حُورِبَ كثير من حقوقها الحقيقية التي يُثْبِتُها الدين القويم، والعقل، والفطر السليمة.

ما هو العنف المسكوت عنه؟

هو الإيذاء الذي يُمارَس على المرأة أو الفتاة بأنواعه المختلفة، ولا ذِكْرَ له في اتفاقيات الأمم المتحدة بكونه عنفًا على المرأة، بل قد يمارَس بصورة نظامية حقوقية.

ما أنواع العنف المسكوت عنه؟

إن أنواع العنف المسكوت عنه أكثر من أن تحصر، لكنما أهم الأنواع وأبرزها:

١- العنف الديني والثقافي:

وأقصد به التضيق على الحرية الاعتقادية والفكرية للإجبار على الانسلاخ من

الثقافة والحضارة المتوارثة حتى غدا ذلك خطرًا على الهويات الحضارية، كالحضارة الإسلامية، والهندية، والصينية... وغيرها.

من أمثلة التعدي على الخصوصيات الحضارية التي دعا لاحترامها ميثاق الأمم المتحدة: مادة مُنَمَّقة تشير إلى أهمية احترام العقيدة والفكر مكونة من سبعة أسطر ختمت بما نَقَضها كلها بقولهم: «بيد أن من المُسَلَّم أن أي شكل من أشكال التطرف سيؤثر سلبًا على المرأة ويؤدي إلى العنف والتمييز»!!

لكن من ذا الذي يضع عند القائمين على إعلان بكين حدود التطرف؟ أم أن كل ما يعارض أحكامهم وقوانينهم تطرف يقود للعنف والتمييز؟

٢- العنف الجسدي:

هو الضرر الذي يمارس على جسد المرأة ويؤدي إلى إرهاقها جراء تكليفها بأعمال تتعارض مع فطرتها وطبيعة جسدها.. من أوضح أمثلته:

الدعوة للقضاء على الأدوار النمطية، ويقصد به اختصاص كل من الرجل والمرأة بأعمال معينة تناسب خلقتهما وطبيعتهما النفسية، وينتج عن هذا تكليف المرأة بالأعمال التي لا تناسب قدراتها الجسدية، وذلك من حيث: طبيعة العمل، ومكان العمل، وطبيعة المواصلات، وأوقات العمل.. وأولاء يسوغون هذا النوع من العنف على المرأة بقولهم: «الفروق بين منجزات وأنشطة الرجال والنساء هي نتيجة لأدوار للجنسين مبنية على اعتبارات اجتماعية وليس على فروق بيولوجية ثابتة»! والله تعالى يقول: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦].

وفي المقابل، يُدرِجون عمل الفتاة دون الثامنة عشرة في منزل أهلها ضمن أسوأ أشكال عمالة الأطفال! رغم مناسبته لطبيعة الفتاة وطاقتها واحتياجاتها؛ لأنه يربيها على تَبَنِّي أدوار نمطية معينة!

٣- العنف الجنسي:

وهو إلحاق الضرر بالمرأة بأفعال وسلوكيات ذات إيحاءات جنسية محرمة شرعًا، أو منعها من الحصول على حقوقها الجنسية التي كفلتها لها الشريعة بالزواج.. مثال

ذلك: محاربة الأمم المتحدة بمنظماتها ولجانها الزواج المبكر، وتحديد سن أدنى للزواج، بصرف النظر عن رغبة الفتاة فيه، أو حاجتها إليه، أو رضاها عن الزوج. ودَسّ الأنف في أدق تفاصيل حياة الناس، بحجة رفع الظلم عنهم رغمًا عنهم، إفك مبين لم تسبق إليه هذه المنظمة.

٤- العنف النفسي:

والمقصود به إلحاق الضرر بالمرأة من خلال سلوكيات، أو سن قوانين، أو إلغاء أخرى تؤدي إلى إيذائها نفسيًا وزعزعة الاطمئنان الذي تحتاج إليه في تحقيق الاستقرار النفسي.. ومن أمثلته:

- سن الاختلاط بالرجال في العمل والتعليم، فقد أثبتت النتائج المتكررة المتطابقة للدراسات الطبية والنفسية، أن الاختلاط في التعليم بين البنين والبنات عائق عن التحصيل العلمي؛ لعدم اعتبار الخصائص والفروق الفردية بين البنات والبنين في التعليم والتدريب. ومع هذا تنص «سيداو» على ضرورة توفير التعليم المختلط!

كذلك يشهد الواقع بأن الاختلاط في مواقع الدراسة والعمل أحد أهم أسباب التحرش الجنسي والاغتصاب، وما يلحق بهما من تبعات نفسية وصحية.

- إلغاء خصوصية الولاية والقوامة بولي المرأة ومساواتها بالرجل في الحقوق والفرص والوصول إلى الموارد، وإقحامها قسرًا في شراك التنافس مع الرجل بدعوى المساواة يرهقها بدنيًا ونفسيًا، ويحطم إمكاناتها وقدراتها في المجالات الخاصة بها والتي تبرز تفوقها فيها.

- تصوير علاقتها بالرجل على أنها علاقة صراع وعداء تاريخي، والسعي لفرض نظم اجتماعية وقيمية ضاغطة تدفعها للتمرد على الأب والزوج والابن، وذلك من خلال اعتبار مؤسسة الزوجية صيغة تطبيع لاضطهاد المرأة.

- حرمانها من الأمومة الكاملة، وذلك من خلال تحقير دورها العاطفي والتربوي تجاه أبنائها، وحرمانها من الاستمتاع بغريزة الأمومة، والتعدي على حقوقها في الأمومة والإنجاب بفرض تحديد النسل واضطرارها للخروج للعمل.

٥- العنف المالي:

ومنه الدعوة لمنعها من حق النفقة الذي أوجبه الإسلام على أوليائها الذكور، أو من مخصصات الدولة المالية. ومن الأمثلة العجيبة أنهم يجعلون اختصاص الرجل بالنفقة على مولياته تمييزًا! والتمييز عندهم يفضي بالضرورة للعنف! ثم ينادون برفع العنف عنها بتخَلِّيها عن حقها الذي فرضته لها الشريعة من مال وَلِيِّها، أو بيت مال المسلمين، وخروجها للضرب في الأرض كما يفعل الرجال سواء بسواء كي تنفق على نفسها! كذلك مطالبتهم بإلغاء المهر لأنه تمييز! فأي ظلم للمرأة أظهر؟ وبأي عقل يفكر هؤلاء؟

٦- العنف الصحي:

وهو إلحاق الضرر بصحة المرأة من خلال سَنِّ القوانين ودعم الممارسات المحرمة شرعًا.. من أمثلته:

- الدعوة لتوفير الإجهاض الآمن، فليس ثمة إجهاض آمن في الواقع، فهم وإن سموه آمنًا فهذا منكر من القول وزور، إذ له انعكاسات قوية ومؤثرة على الصحة الجسدية والنفسية المستدامة؛ كالإصابة بسرطان الثدي، والاكتئاب الذي قد يقود للانتحار.

- الدعوة لنشر ثقافة الجنس الآمن، كذلك ليس هناك زنا آمن، والواقع يشهد بتفشي الأمراض الجنسية والنفسية في الدول التي يشيع فيها الزنا رغم تطورها وعنايتها بالجوانب الصحية، ومع ذلك جاء في تقرير شعبة الارتقاء بالمرأة التابعة للأمم المتحدة: «من حق الفتاة تحديد متى وكيف تصبح ناشطة جنسيًا»، وفي هذا دعوة للزنا والشذوذ معًا. في مقابل هذا يجرم الزواج والإنجاب المبكر!

وفي ذات التقرير جاء: «يعد التركيز الشديد على عذرية الفتاة وخصوبتها كبتًا جنسيًا، ويعدّ شكلًا من أشكال التمييز ضد الطفلة الأنثى»!

- تجويز ودعم المثلية في الزيجات، وعدّ محاربة الشذوذ عنفًا مبنيًا على الجندر! رغم المشكلات الصحية والنفسية التي تترتب على مثل هذا السلوك المرذول.

- سكوتهم عن إباحة الخمور التي تعد السبب الأول في حالات العنف الأسري، وحوادث الطرقات، وحالات الاغتصاب، والقتل العمد!

ما تبعات السكوت؟

- جعل الحاكمية لاتفاقيات الأمم المتحدة:

بدلًا من أن تكون للشرع الحاكمية والسيادة في مسائل المرأة، وتحديد الجائز من المحرم، والعنف من غيره؛ تحول الأمر ليكون ألعوبة تحت تصرف الأمم المتحدة، وأضحت الدول الإسلامية تنافس غيرها في التوقيع والانضواء تحت ركاب المنفذين لها، ضاربين بشرع الله تعالى عرض الحائط.

- انتهاك السيادة:

أصبح مصطلح العنف وسيلة للتدخل السافر في شؤون الدول وقوانينها، حتى بلغ الأمر في ذلك لسن إجراء ضمن البروتوكول الملحق ب «سيداو» يمنح المرأة الحق في الشكوى إلى لجنة القضاء على التمييز ضد المرأة حول انتهاكات أحكام اتفاقية «سيداو» من قبل حكومتها، وآخر يمكِّن اللجنة من توجيه الأسئلة حول الانتهاكات الخطرة أو المستمرة لحقوق المرأة الإنسانية في الدول.

ما دور المسلمين تجاه العنف المسكوت عنه؟

ومما سبق تظهر ضرورة التصدي له، ووقاية مجتمعات المسلمين منه، ومن الأساليب المتاحة:

- المساهمة في رفع الظلم عن المرأة عن طريق العلاقات العائلية لقطع الطريق أمام من يتخذون نصرة النساء سبيلًا لتبديل دين الله.
- استنهاض النخب الأكاديمية والدعوية لا سيما أصحاب الأقلام المميزة على الشبكات الاجتماعية، لتسليط الضوء على أنواع العنف المسكوت عنه.
- إقامة محاضن علمية للشابات من أجل توعيتهن بحقوقهن وواجباتهن وأشكال العنف الذي يمارس ضدهن.
- تبني هيئات كبار العلماء والجمعيات والهيئات الإسلامية الحكومية وغير الحكومية، تعريفًا محددًا لمصطلح العنف ضد المرأة موافقًا للدين الإسلامي وثقافات البلدان الإسلامية، ووضع معايير ثابتة واضحة للحكم على حالات العنف ضد المرأة ومقاضاتها.

ظاهرة تأنيث الفقر

يعد مصطلح (تأنيث الفقر) من المصطلحات الحديثة؛ فهو مصطلح دخيل على المجتمع والثقافة الإسلامية، ولم نسمع به إلا عندما أراد بعض الناس أن يقلِّد الغرب في كل شيء حتى في فقرهم. فظاهرة تأنيث الفقر ظهرت أصلًا في الولايات المتحدة الأمريكية عندما يقيم رجل وامرأة علاقة (غير شرعية) فينجبان دون زواج طفلًا أو أكثر، ويعيشان مع بعضهما فترة من الزمن، ثم بعد ذلك تصيب علاقتهما حالة من الملل والفتور، فيترك الرجل الأسرة التي كوَّنها دون ميثاق غليظ ويحمل متاعه ويذهب كما يريد وإلى حيث يريد. يذهب ليحقق ذاته خارج نطاق العلاقة تاركًا الأم والأطفال دون رعاية أو عناية أو مصدر للحياة؛ فتزيد متاعب المرأة على جميع الأصعدة (النفسية والاجتماعية والاقتصادية) فيؤدي هذا إلى تأنيث الجهد النفسي والإرهاق البدني؛ عندما تتحمل المرأة وحدَها المسؤولية، ومن ثَمَّ تتفجر ظاهرة تأنيث الفقر.

تعريف ظاهرة (تأنيث الفقر):

عرَّفته دراسة لمنظمة العمل الدولية بأنه: «زيادة نسبة الفقر بين النساء عن مثيلتها بين الرجال، وأن حِدَّة فقر النساء أكبر مما هي بين الرجال». وجاء أيضًا تعريفه في تقرير التنمية البشرية الصادر عن الأمم المتحدة لعام ١٩٩٧م بأنه: «فُرَص أقل، وعدم تكافؤ في فرص التعليم والعمالة وملكية الأصول (للمرأة)، ويعني: إتاحة فُرَص أقل للمرأة، كما أن من شأن الفقر أن يعمق الفجوات بين الجنسين».

وتظهر حقيقة الوضع حين تؤكد التقارير الدولية- وخاصة تلك المتعلقة بأحوال التنمية والفقر والنساء- على أن حوالي ثُلُثَي فقراء العالم من النساء. وقد أكدت بعض الدراسات أن النساء يبلغن ٧٠ ٪ من فقراء العالم الذين قُدِّر عددهم في عام ١٩٩٧م بحوالي (١,٣) مليار فقير. حتى إن قمة الألفية التي انعقدت في نيويورك في سبتمبر

٢٠٠٠م أعلنت التزامها «بتحرير المرأة من الفقر الذي تعاني منه أكثر من مليار نسمة». كما أن هناك بعض الدراسات التي أكدت ارتفاعًا بلغ ٥٠ ٪ في أعداد النساء الريفيات اللاتي يعشن في فقر شديد خلال العقدين الأخيرين. كما وصلت نسبتهن إلى حوالي ٦٥ ٪ من عدد الفقراء في البلدان العربية.

أسباب نشوء هذه الظاهرة:

يدَّعي منظِّرو النَّسَوِيَّة ومبتدعوها ودعاة تغريب المرأة الذين استوردوا هذا المصطلح (تأنيث الفقر) أن للفقر عند النساء أسبابًا، من أهمها:

١- التاريخ العريض من الاضطهاد والتهميش للمرأة بزعمهم، بسبب التقسيم الاجتماعي والأنثوي.

٢- تحكُّم الرجل بمقاليد الاقتصاد وتسيُّده على المرأة (من وجهة نظرهم).

٣- اقتصار دور المرأة على الجانب المنزلي والإنجابي واهتمامُها بشؤون الأسرة.

٤- حرمان المرأة من التعليم.

٥- حرمانها من تملُّك الأراضي والموارد المالية والعقارات.

٦- حرمانها من حقها في الميراث.

٧- اعتقادهم أن هناك علاقةً بين زيادة عدد أفراد الأسرة المعالَة من قِبَل المرأة وبين الفقر.

٨- ادعاؤهم أن هناك علاقةً وثيقة بين الزواج المبكر وبين الفقر.

بالطبع كل هذه النقاط محلُّ نظر؛ فهم- مثلًا- يؤكدون على أن يكون للمرأة وَضْعُها الاقتصادي، فإذا ما خرجت المرأة إلى الأسواق فأنَّى لها تربية أولادها تربية صحيحة؛ فلن تجد وقتًا كافيًا لتربيتهم وتعليمهم كيف يتعاملون مع الحياة، ومن ثَمَّ ستتركهم للأُمِّ البديلة، وهذا بالفعل ما تعاني منه الأمهات العاملات، وكذلك يعاني منه الأبناء، كما يعاني الأبناء من مشاكل نفسية نتيجة الوحدةِ وعدمِ الاهتمام، وقد ينحرفون لعدم وجود الرقيب، وحتى في مأكلهم ومشربهم تجدهم يعتمدون بشكل قد يكون دائمًا على

الوجبات الجاهزة والسريعة؛ وهو ما يؤثر على صحتهم وحيويتهم وذكائهم وقدرتهم على الدراسة والتحصيل، وهذا مُشاهَد عند الغرب بشدة؛ فالأم تعمل طوال النهار والأطفال ليس أمامهم إلا متابعة التلفاز وطلب تلك الوجبات.

إن هذا لا يعني تحريم عمل المرأة بإطلاق، لكن أن يكون ذلك في ظل الضوابط الشرعية، وقد كفاها الله هذا العناء فجعلت الشريعةُ الإسلاميةُ النفقةَ من واجبات الرجال بالدرجة الأُولَى؛ نظرًا لطبيعة فطرتهم التي تجعلهم الأقدر على الكسب، ونظرًا لأهميَّة وظيفة المرأة الاجتماعية المتعلقة بالأمومة، التي تعيقها عن الكسب.

وكذلك التأكيد على حرية المرأة في الإنجاب من عدمه؛ فقد أوضح الإسلام أن الأمومة من أخص خصائص المرأة الفطريَّة، وينبغي تعزيز هذه الفطرة وتنميتها وتوجيهها. وعندما تتعارض أي وظيفة اجتماعية مع هذه الوظيفة تقدِّم الشريعة الإسلامية وظيفةَ الأمومة؛ لأنها أشرف من أيَّة وظيفة أخرى؛ كيف لا وهي تتعامل مع الإنسان الطفل الذي هو رجل الغد؟ فالله الذي خلق الإنسان هو أدرى بما يصلحه ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ٤١].

وبالنظر والتدبر في حال المرأة- سواء في الغرب أو في العالم الإسلامي- ووقوعها تحت ظاهرة (تأنيث الفقر) نجد أن لها أسبابًا يتجاهلها بعضهم، ويحاولون أن يغضُّوا الطَّرْف عنها، وهي الأسباب الحقيقية في معاناة المرأة المعاصرة، منها:

١- البعد عن الدين القويم، والانحراف عن شرع الله، وخاصة فيما يتعلق بأحكام المرأة. وكلُّ الأسباب بعده متفرعة منه.

٢- دعوة المرأة لطلب المساواة مع الرجل في كل شيء، والتمرد على سلطته، وتلقينها المفاهيم التغريبية التي تحوِّلها نِدًّا للرجل وكأنهما عَدُوَّان لدودان.

٣- استغلال المرأة وتحوُّلها إلى سلعة رخيصة تُبَاع وتُشتَرى.

٤- استغلال ضعف المرأة وسذاجتِها، وتحويلُها إلى بوقٍ للتغريبيين.

٥- الإلقاء في رُوع المرأة أن سبب مشاكلها هو الرجل؛ لذا ينبغي أن تستقلَّ عنه.

٦- دعوتها للتمرد على كل القيم والمبادئ والأعراف والتقاليد الشرعية التي تحمي المرأة وتصونها.

٧- ظهور طبقة من النفعيين والمهووسين بالغرب من الليبراليين والعَلمانيين الذين يدعون إلى اتباع الغرب حَذوَ القُذَّة بالقُذَّة، حتى في استيراد مشاكلهم واستنباتها في بيئتنا الإسلامية.

٨- الدعوات إلى الانحلال، والشذوذ، وتكوين الأُسَر البديلة، والتمرد على الشكل الطبيعي للأسرة، والإنجاب من غير زواج، وإباحة الإجهاض، وغيرها؛ وهو ما يورِّط المرأة في الإنجاب بغير الطرق المشروعة وتحمُّلها وحدَها كلفة ذلك الأمر، فتنشأ ظاهرة (تأنيث الفقر).

٩- يمكننا أن نُجْمِل ما سبق بتدمير الأسرة التقليدية وتفكيك روابطها؛ وهو ما أثَّر كثيرًا على الطَّرَف الأضعف؛ وهو المرأة.

منهج الإسلام في علاج هذه الظاهرة:

١- إعطاء المرأة حقوقها: لقد أعطى الإسلامُ المرأة حقوقها؛ سواء المادية: كالإرث، وحرية التصرف بأموالها، إلى جانب إعفائها من النفقة؛ حتى ولو كانت غنية- أو حقوقها المعنوية. قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٨٢٢] وقد اعتبر الإسلام المرأة كالرجل: كائنًا ذا روح إنسانية كاملة، وذا إرادة واختيار.

كما منح الإسلام المرأة حقها في التعليم، واختيار الزوج وضرورة أَخْذ إذنها في ذلك، والحث على معاملتها بالحسنى؛ فنحن نجد أن من علامات الزوج الصالح أنه إن أحب المرأة أكرمها، وإن كرهها لم يظلمها.

٢- وضع الإسلام الأسس التي تكفل للمرأة الحقوق، وسنَّ القوانين التي تصون كرامة المرأة وتمنع استغلالها جسديًا أو عقليًا.

٣- تكليف الرجل بتحمُّل المسؤولية، والقيام بشؤون الأسرة، والإنفاقِ على الزوجة ومن يعول، ومعاملتِهم بالحسنى، وأن يطعمهم الحلال؛ وهذا جزء من قِوامته. قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ

أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء: ٤٣]؛ فمن قِوامته بذلُه المال من صداقٍ ونفقةٍ وغير ذلك من المسؤوليات المادية.

وبصفة عامة يُعتبَر الفقر مشكلة عالمية عامة لم تستثنِ الرجال أو النساء أو الشيوخ أو الأطفال، بل إن الفقر مشكلة مجتمعات بأَسرِها. وإن وجود حالات الفقر في المجتمعات بين الرجال والنساء على السواء معروفة منذ الوجود الإنساني على الأرض؛ ولذلك شَرَع الإسلام كلَّ صور التكافل الاجتماعي، وعالج هذه الظاهرة، بل وضع من الأسباب ما هو كفيل باجتثاث الفقر من جذوره.

كيف عالج الإسلام الفقر في المجتمعات الإسلامية؟

١- فرض الإسلام الزكاة وحث عليها ورغَّب فيها. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٢].

٢- حث على الصدقات: فعن أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ**»، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «**فَيَعْمَلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ**» (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ).

٣- جعل معظم الكفَّارات مالية لتُردَّ في الفقراء: فمثلًا كفارة اليمين بيَّنها الله تعالى بقوله: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٩٨].

٤- وحث على كفالة اليتيم: قال تعالى ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ﴾ [البقرة: ٢٢٠]. عَنْ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**وَأَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا**» وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ).

٥- رغَّب الإسلام المسلمَ في إطعام الطعام وأن مأواه الجنة يدخلها بسلام: فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ**» (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ).

وهكذا فقد حثَّ الإسلام على البذل والإنفاق، وأعلم البشرية أن المال مالُ الله لا يعطيه الغني للفقير تفضُّلًا، ولا يشعر الفقير بالذلة في أخْذه. لكن على الرغم من وضوح المنهج الإسلامي في علاج مشكلة الفقر، إلا أن الأمم المعاصرة بما فيها الإسلامية، وكذلك المؤسسات الدولية، لا تزال تتخبط خَبْطَ عشواء، عاجزة عن فهم حقيقته، حتى تفاقمت مشكلة الفقر عالميًا، وارتفع عدد فقراء العالم إلى أكثر من مليار مواطن، معظمهم في الدول النامية والمتخلفة، دون وجود بارقة أَمَل في تحسين أحوالهم. فمن ابتغى العزة في غير دين الله أذلَّه الله.

على أننا لا ينبغي علينا أبدًا أن نتكلم عن هذه المشكلة متجاهلين أن حالة الفقر من قضاء الله تعالى وقَدَره على عباده ليبتليهم: أيشكرون أم يكفرون؟ ويجب أن يعلم الجميع أن: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤]، وأن يرضى الإنسان بما قسمه الله له؛ ليكون أغنى الناس: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٢٣]. إلا أنه بسبب بُعْدِ الناس عن الدين، وانغماسِهم في الترف وتَرْك بعضهم للزكاة والصدقات، وجدنا هذه الأرقام المفزعة من الفقراء؛ ولذلك فالمشكلة تكمن في عدم التزام الناس بدينهم.

لقد حارب الإسلام كل مظاهر الظلم والعدوان والأعراف والعادات والتقاليد التي ظلمت الإنسان، والمرأة على وجه الخصوص، وعلى مرِّ الأزمان، وفي الوقت نفسه قرر أن هناك فروقًا فطرية بين الرجال والنساء لا بد من احترامها، وأن هذه الفروق لا تعني تفوُّق أحد النوعين على الآخر؛ ولكنها فروق تكميلية ذات خصوصية يحتاجها كلٌّ منهما، وبذلك تتكامل أدوار الرجال والنساء.

لكن إذا تمنَّى أيٌّ منهما ما اختص الله به الآخر، فهذا دليل على وجود خلل في البنية النفسية والفكرية، ومن ثَمَّ فهو وضع غير صحي ولا طبيعي، يقود الإنسان إلى الضياع والمشاكل التي كفانا الله إياها، ومنها ظاهرة (تأنيث الفقر).

مسوغات
الأمم المتحدة في تحديد النسل

خلق الله الإنسان واستعمره في الأرض ليكون خليفة فيها، وفي سبيل تحقيق هذه المهمة أحيط بالرعاية الربانية، وسخر الله سبحانه وتعالى له ما على الأرض من خيرات، وأرشده إلى السير على هدى التشريع المحقق لمصالحه وغاياته في العاجل والآجل، دفعًا لمفاسد السير بالهوى ومهالك الضرب على غير هدى.

وجعل للنسل بالذات صلة وثيقة بالحفاظ على الجنس البشري وبقاء نوعه بالتناسل والتكاثر، وهو أمر لا مناص منه لاستمرار النوع البشري وبقاء الإنسان وذريته، وقيامه بالوظيفة المنوطة به، فلا ينقطع له نوع أو ينقطع التكليف إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. ولتحقيق هذه الغاية شرع الله ﷻ الزواج وحث عليه.

وفي هذه الأسطر مسوغات الأمم المتحدة لتحديد النسل، التي تدعو إليها في وثائقها الدولية، وركزت على وثيقة وتقرير مؤتمر «السكان والتنمية» (القاهرة، ٣-٥ سبتمبر ١٩٩٤م)، التي انبثقت منها الدعاوى لتحديد النسل بشكل أوضح وأوسع مما طرح في المؤتمرات السابقة.

وإذا تحدثنا عن الهدف الأساسي لهذا المؤتمر بعد استقراء الواقع الغربي وبنيته الثقافية وجدنا أنه يستهدف الدول العربية والإسلامية في مسألة تحديد النسل، فالشعوب الغربية لم تَرْقَ أعدادُها السكانية للمستوى الذي يستدعي التقليل!

وقد ورد في نشرة للأمم المتحدة التي صدرت في العام ١٩٨٩م تحت عنوان «سكان العالم في بداية القرن» تقرير عن موقع أوربا في الخريطة السكانية للعالم، جاء فيه صراحة أن أوربا تذوب الآن كالجليد تحت الشمس، حيث بيَّن التقرير أن سكان القارة كانوا يمثلون نسبة ١٥,٦ في المائة من سكان العالم عام ١٩٥٠م، وتراجعت هذه النسبة عام ١٩٨٥م إلى ١٠,٢ في المائة فقط، وهذه النسبة ستصل عام ٢٠٢٥م

إلى ٦,٤ في المائة لا غير، وأن النقص السكاني تقابله زيادة سكانية في إفريقيا، لاسيما البلاد الإسلامية.

١- الانفجار السكاني:

إن الدارس لنشوء فكرة تحديد النسل ومنعه، وتطورها إلى يومنا هذا؛ يدرك أنها فكرة غربية تعود إلى الراهب الإنجليزي توماس روبرت مالتوس سنة ١٧٩٨م، حيث زعم أن الناس يتكاثرون بسرعة، وأن الزيادة السكانية أكثر بكثير من زيادة الموارد المعيشية.

واستنتج من زعمه هذا أن العالم مهدد بالجوع والموت إذا استمرت الزيادة السكانية مطردة ومستمرة، وقال إنه لا بد من وقف هذا الخطر الذي يتهدد حياة الناس وأمنهم الغذائي، وأن الذي يوقف ما يتهدد الناس من جوع وموت نتيجة نقص الموارد المعيشية هو إنقاص السكان. لكن التاريخ كذّب مالتوس وزعمه فزادت عوامل الإنتاج ولم تحدث المجاعات في بلاده بل زادت الموارد الغذائية ولم تنقص في بريطانيا وفي اليابان وفي سويسرا.

إن هذه النظرية لا تتفق مع العلم، إذ أقل ما يقال عنها أنها بنيت على إحصائيات رياضية افتراضية معزولة تمامًا عن رؤية التاريخ الطبيعي، والعوامل الغائبة، وصنع الله تعالى في الكون.

إن أصحاب نظرية الانفجار السكاني يُهملون حقيقة أساسية في النمو الاقتصادي هي زيادة الإنتاجية التي تنجم عن قدرة الإنسان على الإبداع. يقول «آدم سميث» الذي يُسمَّى في الغرب أبا الاقتصاد: «إن النمو السكاني سبب من أسباب التقدم الاقتصادي حيث إنه يزيد السوق اتساعًا، بالإضافة إلى أن زيادة السكان تخلق مجالًا لزيادة تقسيم العمل».

ومن حقنا هنا أن نستشهد بالتطور الاقتصادي الهائل الذي حققته دول آسيوية في الفترة من ١٩٧٠-١٩٩٠م برغم النكسة التي حصلت لها بعد ذلك نتيجة سوء الإدارة وعوامل أخرى ليس من بينها كثرة النسل.

ففي غضون ثلاثة عقود فقط كما جاء في كتاب «آسيا الصاعدة» لمؤلفه البريطاني «جيم روفر»: حذت أربع دول آسيوية هي كوريا الجنوبية، وتايوان، وهونج كونج،

وسنغافورة، حذو اليابان، فخرجت سريعًا من دائرة الفقر، وبدأت بمضاعفة اقتصادها مرة كل ثماني سنوات، بين عامي ١٩٦٠ و١٩٨٥، ثم ما لبثت أربع دول أخرى هي ماليزيا وتايلاند والصين وإندونسيا أن لحقت بالركب، وحققت نسبة نمو بين ٨- ٢١٪.

وإحدى النتائج الأساسية لهذه القفزات الهائلة - كما يقول «جيم روفر» - في هذه الدول التسع هي أنه بين عامي ١٩٧٠ و١٩٩٠ هبط عدد الفقراء من ٤٠٠ مليون إلى ١٨٠ مليونًا، برغم أن عدد السكان ازداد بنحو ٤٢٠ مليونًا في الحقبة نفسها، وهذا يعني أن الإنجازات الاقتصادية أنقذت ٦٥٠ مليون نسمة من براثن الفقر.

إن هذا يعني أن نمو الموارد لا يأتي بحسب زعم «مالتوس» وأتباعه بمتوالية حسابية، ولا حتى بمتوالية هندسية، ولكنه يعني أن خزائن الله لا تنفد، وهو وحده الذي يملك مفاتيحها يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفقًا لمتوالية إيمانية مرتبطة بالعمل.

عدم اتفاق النظرية مع الدين:

تتضمن النظرية تكذيبًا صريحًا للقرآن في قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢، ٢٣]، وفي قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [النور: ٣٨]. والقرآن الكريم يضعنا أمام ظاهرة الربط في نسق قرآني واحد بين صفات الجلال الإلهي وحركة الفلك والخلق والإحياء والإماتة والرزق: ﴿تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [آل عمران: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [هود: ٦]. إنه لا يكون الإنسان مؤمنًا مسلمًا إلا إذا اعتقد اعتقادًا جازمًا بصدق القرآن في أن كل دابة في الأرض من إنسان أو حيوان أو غيرهما على الله وحده رزقها بوصفه مالك الملك العليم الخبير القدير الغني الكريم. إن ضمان الرزق هو جزء من العناية الإلهية الشاملة للإنسان، وهي عناية أوضحها القرآن أيما إيضاح.

وعلى أساس من هذا الضمان والعناية كانت دعوته ﷺ أمته إلى التكاثر حيث قال:

«تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ» (رَوَاهُ أَبُو دَاوُودَ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ). وفي رواية: «تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ، إِنِّي مُكَاثِرٌ الْأَنْبِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَصَحَّحَهُ مُحَقِّقُو الْمُسْنَدِ).

٢- الفقر:

من أهم قضايا وثيقة مؤتمر السكان التي عرضت في التقرير الربط بين زيادة السكان وبين الفقر واستحالة التنمية، وأن الحد من النمو السكاني هو الطريق الأمثل للتنمية وتحقيق الرفاه الاجتماعي، والقضاء على الفقر.

هل يفسر الجوع بزيادة عدد السكان؟

الواقع أن غذاء العالم يكفي لإطعام جميع البشر، ومع ذلك فإن هناك ٨٤٠ مليون جائع في العالم! ٨٠٠ مليون منهم بالدول النامية، و١١ مليونًا في الدول الصناعية! والخسائر الزراعية للعالم الثالث تبلغ ٤,٣ مليار دولار كل عام، وهذا المبلغ يكفي لإنقاذ حياة ٣٣٠ مليون جائع! ومن المفارقات العجيبة أن العالم ينتج بالفعل غذاء يكفي لإطعام جميع البشر. كما أن لديه القدرة على تحسين المنتجات الغذائية وزيادة فرص الحصول عليها.

وفي القسم الأكبر من البلدان التي تعاني أكثر من غيرها من قساوة الجوع، فإن الإنتاج الغذائي قد تدنى إلى ما دون الثلث... وإذا كان وضع هذه البلدان المرغمة على الاعتماد على الخارج في تغذية شعوبها، سواء عن طريق استيراد المواد الغذائية أو استجدائها، يمكن تفسيره بسبب الجفاف والحروب الداخلية، إلا أن القسم الأعظم منها كان بسبب إهمال الزراعة ولاسيما زراعة المواد الغذائية؛ ذلك أن قانون تقسيم البنك الدولي يفرض عليها زراعة حاجة اقتصاد الدول المسيطرة.

لكن هل صحيحٌ أن أكثر البلدان كثافة سكانية هي كذلك أكثر البلدان جوعًا؟

لا تبيِّن الدراسات في كل أنحاء العالم مثل هذا النسق، فبعض الدول شديدة الكثافة السكانية لكل فدان لكن سكانها ينالون تغذية مناسبة، ففرنسا لديها العدد نفسه من السكان لكل فدان مزروع مثل ما لدى الهند. والصين حيث تم استئصال الجوع خلال ما يزيد عن خمس وعشرين سنة، وهي لديها ضعف ما لدى الهند من سكان لكل فدان

مزروع. ومن ناحية أخرى، فإن البلاد التي بها عدد قليل نسبيًا من السكان لكل فدان مزروع هي عادةً البلاد التي يكون فيها معظم الناس سيئي التغذية ففي إفريقيا، جنوب الصحراء الإفريقية، وهي إحدى أسوأ مناطق المجاعات في العالم، يوجد نحو فدانين ونصف من الأراضي المزروعة لكل إنسان.

العلاقة بين زيادة السكان والتطور الاقتصادي:

من الملاحَظ أن الزيادة السريعة في السكان لم تشكل عائقًا للتطورات الاقتصادية المتواصلة في العالم الغربي، ولا في بلدان العالم الثالث أيضًا. ففي العالم الغربي، ازداد عدد السكان بمعدل أربعة أضعاف عما كان عليه في القرن الثامن عشر. وقد ترافقت هذه الزيادة بمضاعفة الدخل بمعدل خمسة إلى ستة أضعاف عما كان عليه. وفي اليابان مثلًا، فإن كثافة السكان هي المصدر الرئيس، بل والوحيد تقريبًا لثروة البلد. فمما لا شك فيه أن خصوبة الأرض وعطاءها منوطان بالدرجة الأولى بالجهود التي تبذلها الشعوب لاستغلال خيراتها، واستنباط المعارف والعلوم الذاتية التي تتماشى مع طبيعة هذه الأرض وترد بالتالي على تكييفها مع عدد السكان وزيادته.

كيف يمكننا قياس هذه الإمكانيات التي لم تستغل؟

إحدى الطرق هي ملاحظة الفروق بين الإنتاج الحالي والإنتاج الممكن، وطبقًا للجنة الرئاسية بالولايات في أواخر الستينات، ولدراسات علماء جامعة ولاية أيوا، مؤخرًا، لا يزرع الآن سوى نحو ٤٤ في المائة من الأراضي الصالحة للزراعة في العالم. وفي كل من إفريقيا وأمريكا اللاتينية لا يزرع سوى أقل من ٢٥ بالمائة من الأراضي التي يمكن زراعتها. ويمكن لمحاصيل الحبوب في الدول النامية أن تفوق الضعف قبل أن تصل إلى متوسط المحصول في الدول الصناعية. وليس هناك من سبب يحول دون أن يفوق إنتاج الفدان في معظم البلدان النامية الإنتاج في الدول الصناعية. وفي عديد من البلدان النامية يمكن للأرض التي تقدم الآن محصولًا واحدًا في السنة أن تقدم محصولين أو حتى أكثر.

والعقبات أمام تحرير هذه الطاقة الإنتاجية ليست في معظم الحالات فيزيائية بل اجتماعية، فحيثما كان هناك سيطرة غير عادلة على الموارد الإنتاجية فإن تطورها يعاق.

العلاقة الحقيقية بين الجوع وفقدان العدالة الاجتماعية:

الجوع إذن لا يمكن تفسيره إلا بفقدان العدالة الاجتماعية، والأمثلة على ذلك كثيرة منها أن ٢,٥٪ من المالكين للأراضي الزراعية ممن يستغلون ما يزيد على المائة هكتار يسيطرون على ما يزيد على ثلاثة أرباع الأراضي الصالحة للزراعة في العالم، ٠,٢٣٪ منهم فقط يختصون وحدهم بالنصف. وإذا ما علمنا أن هذه الإحصائيات كانت قد أجرتها المنظمة العالمية للأغذية FAO عام ١٩٦٠، وعلمنا بأن تركيز الملكية في أيدي عدد قليل من المالكين قد استفحل منذ ذلك الحين، علمنا ضآلة النسبة التي تتحكم في لقمة الشعوب في العالم الثالث في الوقت الحاضر.

جاء في كتاب «الإنتاج الغذائي في الوطن الإسلامي» للدكتور أحمد عبد السلام أن الأرض الصالحة للزراعة في العالم الإسلامي هي ٢٢٠٠ مليون هكتار ولكن ما يزرع منها ٢٤٢ مليون هكتار منها ٤٠ مليون هكتار تعتمد على الري، باختصار إن الأرض المزروعة في العالم الإسلامي لا تزيد عن ١١٪ من الأراضي الصالحة للزراعة.

وفي العالم الإسلامي مجموعة من أكبر أنهار العالم، من أشهرها النيل والفرات ودجلة والجانجيز ببنغلادش وجيحون وسيحون، والمياه الفائضة لا يستفاد منها في بعض هذه الأنهار بل تفيض فتقتل عشرات الألوف من الناس وتدمر بيوتهم وتقتل مواشيهم وتغرق الأراضي الزراعية وتتلف المزروعات.

إن الحلم في تحقيق عالم متحرر من الاسترقاق والاستعباد، عالم ينبذ الاستغلال من أجل أن يتسلق مكانة سامقة في عالم «العولمة» والمعرفة والتقدم- هو حلم يراود كل إنسان فقير ومهمش، وكل إنسان لديه همة عالية، ولكن الملاحظ بحسب تعبير الرئيس الجنوب إفريقي مبيكي: «العالم اليوم أصبح جزيرة أغنياء تحيط بها بحار من الفقراء».

إن الفقر والتخلف في حقيقة الأمر: هما الوجهة الأخرى لصور التمايز الاجتماعي واللامساواة وانعدام العَدالة بين دُول الشمال ودول الجنوب، ثم إن الربط بينها أمر غير مقبول؛ إذ نجد في الدول المتقدمة أرقامًا مهولة عن تفشي الفقر، بل هذه تظل تهمة لإلصاق وتكريس التخلف بالعالم الإسلامي.

كما أن الجوع والفقر ليس مرضًا عربيًا بل عالميًا، سببه سادة العالم الجدد، عن طريق البنك الدولي وصندوق النقد الدولي والحروب المفتعلة والأنماط الحياتية الاستهلاكية. ولا تخلو منهما حتى الدول الرأسمالية وكذلك الحال أيضًا في بعض دول أوربا خاصة الشرقية منها، ولكن الجوع والفقر صارا من أبرز سمات دول الجنوب وخاصة في إفريقيا، فمناظر الجياع في إفريقيا صارت تغطي شاشات التلفزة في العالم، وكذلك حال فقراء الهند وسيرلانكا وإندونيسيا والفلبين وغيرها.

نتساءل: هل هذه المجاعات والأزمات الغذائية التي تجتاح العالم، وخاصة البلدان الفقيرة في إفريقيا وآسيا تأتي على حين غرة؟ إن الإفقار المنظم والسياسات التجويعية التي يتبعها الآن صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، ومنظمة التجارة الدولية هي إستراتيجية ممنهجة ومدروسة جيدًا، وليست وليدة الساعة، فقد درج المستعمر الغربي على استخدام سلاح المجاعة والتجويع منذ القرن التاسع عشر لغايات اقتصادية وسياسية مفضوحة، **وذلك:**

أولًا: خوفًا من أن يؤثر تزايد عدد السكان في العالم على الموارد الطبيعية التي تحتاجها الدول الغربية في صناعاتها ورفاهيتها.

وثانيًا: لإحكام السيطرة على العالم وشعوبه لتمكينهم من نشر سياسات النظام العالمي الجديد المزعوم.

لقد كان الأمريكيون يحذرون من ارتفاع عدد سكان المعمورة منذ زمن بعيد، وقد قال وزير الدفاع الأمريكي السابق- والرئيس السابق للبنك الدولي في عهد كنيدي وجونسون- «روبرت مكنمارا» وهو أيضًا من أكبر مؤسسي النظام العالمي الجديد في خطاب له أمام نادي روما عام ١٩٧٩م: «إن الارتفاع الصاروخي لعدد سكان العالم يشكل أكبر عائق أمام التطور الاقتصادي والاجتماعي في العالم، لهذا ينبغي علينا الآن وليس غدًا أن نمنع وصول عدد سكان الكون إلى عشرة مليارات نسمة»، كما قال: «إن الاكتظاظ السكاني العالمي هو أسوأ من نشوب حرب نووية عالمية».

ويرى الوزير أن هناك طريقتين لتحقيق ذلك:

«إما بتخفيض معدل الولادات في أصقاع العالم، وهو ما تم تطبيقه الآن في كل أنحاء العالم بواسطة منظمة السكان والتنمية ومنظمة اليونيسيف التابعة لمنظمة الأمم المتحدة، وإما برفع معدل الوفيات للصغار والكبار والمسنين.

والطريقة الأخيرة يمكن أن تتحقق بعدة أساليب، ففي هذا العصر النووي يمكن للحروب أن تؤدي الغرض بسرعة فائقة وناجعة للغاية. وهناك طبعًا المجاعة والأمراض، وهما سلاحان ما زالا موجودين حتى الآن».

الرد على من قال إن زيادة النسل تؤدي إلى الفقر من ناحية شرعية:

مزاعم تحديد النسل خشية الفقر وعدم القدرة على الإنفاق: يزعم هؤلاء القائلون بتحديد النسل أن كثيرًا من الناس حالتهم المادية والمعيشية لا تكفي للإنفاق عليهم وعلى من يعولون من زوجات وقريبات وغيرهن، وأن مجيء الأولاد يحتاج إلى مال للإنفاق مما يرهقهم ويجعلهم يقصرون في العناية والتربية لهؤلاء الأبناء الجدد؛ فالحالة هذه تستوجب تحديد النسل وإيقافه!

ويرد على هذا فيقال: إن الله تبارك وتعالى قدر أرزاق الناس وهم في بطون أمهاتهم، وخلق الأرض وقدر فيها كل ما يحتاج إليه الإنسان من لدن آدم عليه السلام إلى أن تقوم الساعة، قال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾ [فصلت: ١٠]، ومعنى هذه الآية أن الله تعالى قدر أرازق أهلها ومعاشهم فخلق فيها أنهارها وأشجارها ودوابها.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، فالآية توضح أن الله هو المتكفل بأرزاق العباد وحاجاتهم، وأكد الجملة بالضمير المنفصل لقطع أوهام الخلق في أمور الرزق، وليقوي اعتمادهم على الله. وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٦٠]، كم من دابة ضعيفة لا

تقدر على كسب رزقها ولكن الله يرزقها على ضعفها كما يرزقكم، وقد تكفل برزق جميع المخلوقات فلا تخافوا الفقر فالرازق هو الله.

يحلو لكثير من الناس التعنت والمغالطة والقول بتحديد النسل خشية الإملاق والفقر، وينكرون أن الضمان الإلهي لرزق الأولاد والآباء، وهو ما جاء واضحًا في قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: ٣١]. إن شاء جعل الوالد هو السبب في رزق الولد فلا حرج، وإن شاء جعل الولد هو السبب في رزق الوالد فلا حرج أيضًا: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٣٠]. وهذا تنبيه حتى لا يطغى الوالد على حق البنوة ظنًا منه بأنه المتكفل برزقها، ولا يطغى الولد على حق الأبوة ظنًا منه بأنه المتكفل برزقها.

لهذا اقتضت حكمة الله تعالى، وتجلت عظمته، بالقول الفصل في هذا الشأن فقال وقوله الحق: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢، ٢٣].

وفي قوله سبحانه: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ إشارة لطيفة دقيقة، فقد عبر المولى ﷻ بقوله: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾ مع أن بادي الرأي يقتضي أن يكون التعبير بالقول: «وفي الأرض رزقكم»، حيث إنه سبحانه سخر لنا الأرض وذلَّلها لنا، وأمرَنا بالضرب في دروبها، والسعي في متاهاتها طلبًا للرزق، وسعيًا في ربوعها للبحث عنه، وفي العدول عن التعبير بـ: «وفي الأرض رزقكم» إلى التعبير بقوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾ دلالة قوية كما أشار إليها أهل الصفوة المختارة من المفسرين، على أنه سبحانه لو قال: «وفي الأرض رزقكم» لأفاد تمكُّن البخيل الحريص من الانتقام به من صاحبه، ولهذا جاء قوله تعالى في سورة أخرى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٠]، فكان سر التعبير الإلهي بقوله: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾ هو إشعار الخلق بأن الله وحده هو الرازق وليس هناك رازق سواه.

٣- الحالة الاقتصادية:

الجوع مع نقص السكان وزيادة المواد الغذائية:

إن الأموال الطائلة تغدق بكل سهولة ويسر على برامج الحكومات لإبادة النسل في بلدان آسيا، بينما لا يُعار أي اهتمام أو مال للدراسات والأبحاث التي تهدف إلى توزيع عادل ومتساوٍ لموارد الحياة بين الشعوب وتأمين الاستقلال الغذائي لتلك البلدان، أليس فيها ما يدعونا للتساؤل والشك- على الأقل- في حقيقة ما تهدف إليه البلدان الغنية من تلك الإجراءات.

لنَدَعْ للكاتبة الفرنسية «سوزان جورج» الجواب على هذه التساؤلات بعبارتها القصيرة التالية الواردة في كتابها «كيف يموت النصف الآخر من المعمورة من الجوع»: «إن من أوْلَى أهداف الغرب تخفيض عدد السكان في بلدان العالم الثالث بشتى الوسائل: الحروب الداخلية والخارجية، التجويع، التهجير، التعقيم.. إلخ إنهم سيغلبون علينا يومًا ما بكثرة عددهم كما يقولون».

وهكذا فإن العلاقة بين زيادة السكان ونقص المواد الغذائية لا تفسر أسباب الجوع؛ فقد يزداد إنتاج المواد المذكورة وينخفض عدد السكان، ويزداد في الوقت نفسه عدد الجائعين، وما ذلك إلا لأن القسم الأكبر من الشعوب محروم من العمل والقدرة على شراء تلك المواد. فاستيراد أدوات الإنتاج من الغرب، والبذور، والأسمدة والمبيدات إلخ جعل كلفة الإنتاج الزراعي في بلدان العالم الثالث تفوق كلفتها في البلدان الغربية بأضعاف مضاعفة مع الفرق الشاسع في الدخول، مما يحرم الشعوب منها.

ويبدو هذا الوضع جليًا في الهند والبرازيل فقد سجلت البرازيل في الفترة الواقعة بين عامي ١٩٦٥ و١٩٧٥م زيادة في السكان لا تتجاوز ٢,٩٪، بينما ازداد الدخل الزراعي والصناعي بمعدل وسطي قدره ٦,٣٪ ومع ذلك فإن عدد البرازيليين الذين يموتون من الجوع قد ازداد في الوقت نفسه بشكل مخيف.

أما الصين فقد قدمت المثل الأكثر وضوحًا على خطأ هذه العلاقة، فقد فتك الجوع بالشعب الصيني عندما كان عدده لا يتجاوز ٥٠٠ مليون نسمة، بينما استطاع الفرد في

عهد الزعيم «ماو» أن يحصل على ما يفوق ٢٥٠٠ وحدة حرارية في اليوم في الوقت الذي وصل فيه عدد السكان إلى ما يزيد على المليار نسمة.

وفي اليابان، حيث لا تكاد مساحتها تبلغ نصف مساحة باكستان، مع أن ٨٣٪ من مجموع مساحة اليابان لا يمكن استغلالها لما يمتد عليها من سلسلة جبال النار، فليست المساحة الصالحة للاستغلال فيها إلا ٨٪ تقريبًا من مجموع مساحة باكستان، ومع ذلك فقد حافظت اليابان على عدد سكانها الذين يزيدون على عدد سكان باكستان زيادة كبيرة، وارتفعت بنهضتها الاقتصادية إلى حيث تمكنت منتجاتها من السيطرة على كثير من أسواق أمريكا وأوربا، دون أن يعوقها عن ذلك تكاثف سكانها وضيق رقعتها بل كان عكس ذلك هو الصحيح.

فقدان العلاقة بين النمو السكاني واستفحال البطالة:

إن من المتفق عليه عند علماء الاقتصاد أن عوامل الإنتاج ثلاثة: الأرض والإنسان ورأس المال، وأن الإنسان هو أهم هذه العوامل الثلاثة، إذ هو الذي يبدع في العاملين الآخرين. إلا أن هناك اعتقادًا سائدًا أن الزيادة في معدل السكان في بلدان العالم الثالث هي السبب الرئيس في استفحال معدل البطالة في تلك البلدان. وهذا الرأي هو الذي يتبناه البنك الدولي، والمكتب الدولي للعمل. وهو لا يفترق عن الآراء السابقة في منافاته للحقيقة.

فمن الناحية النظرية، إن زيادة عدد السكان تزيد عدد المستهلكين الذين لا بد منهم لتغذية النظرية الاستهلاكية ولإنعاش الإنتاج، فالقسم الأكبر من الإنتاج في كل من الولايات المتحدة الأمريكية واليابان يمتصه المستهلكون في الداخل، وذلك بحسب برامج دقيقة جدًا من المطابقة بين الدخول المحلية وأسعار المنتجات.

ومن الناحية التاريخية، فإن الزيادة الهائلة في عدد السكان في الدول الغربية خلال القرنين السابقين لم تتمخض عن أية ظاهرة من مظاهر البطالة، وعلى العكس فقد تجلت البطالة في هذه البلدان بأعنف مظاهرها في القرن العشرين حين أخذت معدلات النمو السكاني فيها بالانحدار وما زال هذان المؤشران يسيران بالاتجاه ذاته إلى يومنا هذا، إن

الاقتصاديين المدركين الفاهمين الذين لا يقلدون ولا ينحرفون يقررون أن النسل في ذاته ثروة، وأن أعلى مصادر الثروة هو القوى البشرية.

لماذا هذه الدعاوى والسعي الحثيث لتحديد النسل؟

يقول «فرانك نوتشتين» الذي عمل مديرًا لمركز البحوث السكانية في جامعة «برنستون»، ثم رئيسًا للجنة الإسكان في الأمم المتحدة إنه يجب «إعداد برامج للحد من النمو السكاني في نصف الكرة الجنوبي، وإلا فإن التقدم الاقتصادي في هذه الأصقاع سيؤدي إلى قيام عالم في المستقبل تتحول فيه الدول المسيطرة حاليًا إلى أقلية يتضاءل وزنها باطراد، ويقل بالتالي باطراد نصيبها من ثروة العالم، وتقل قدرتها على التحكم فيه. إن تحديدنا لسياستنا القومية نحو المناطق المتخلفة يجب أن يتحقق في ضوء هذه الحقيقة».

وعلينا جميعًا أن نعي ما قاله الأستاذ «نورمان بريل» مؤلف كتاب «بزوغ العقل»: «إن أية جماعة تمارس تحديد النسل ستقضي على نفسها، ويحل محلها أولئك الذين يحتفظون بغريزة التناسل غير المقيد».

إن الناظر لكل هذه الدعاوى والحملات والمؤتمرات والوثائق التي تفرض تطبيقاتها بقوة على المجتمعات، يراوده السؤال المُلِحُّ الذي يطرح نفسه بقوة: ما هي الغاية البعيدة لدى صانع القرار الغربي كي يضع قضية تنظيم الأسرة أو ما يطلق عليه السياسات السكانية كأحد المحاور المركزية في المؤتمرات الدولية، وما الذي يدفعه لهذا التمويل السخي لمشروعات تحديد النسل حيث من السذاجة تصور أن هذه مساعدات إنسانية لتنمية المجتمعات التي تأخرت حضاريًا بسبب الاحتلال العسكري والاقتصادي وأن ضمير العالم الحر يحاول تعويض مثل هذه المجتمعات ومثل هذا الكلام الذي يردده البعض دون استحياء.

إن الحقيقة الواضحة أن الغرب لديه مشكلة حادة تهدد مستقبله الوجودي وأن السياسات السكانية الجديدة هي إحدى الأدوات التي قد تساهم في حل مشكلته أو

تأخير وقوعها، فبينما كان عدد سكان أوربا بالنسبة لعدد سكان العالم نحو ١٥٪ في خمسينات القرن المنصرم فإن نسبتهم الحالية لا تتجاوز ١٠٪، والأمر قابل للتصاعد.

فمن المتوقع أن يبدأ عدد سكان أوربا في التناقص بدءًا من العام ٢٠٢٠ حيث عجزت كل السياسات التي تدعو لزيادة عدد السكان الأوربيين لأسباب متعددة يأتي على رأسها الفردية التي هي نواة الفكر الليبرالي، وحيث المنافسة والمسابقة المحمومة في كل مجالات الحياة وتحطيم فكرة الأسرة والعائلة وحيث بلغ الفكر النَّسَوِيّ مداه المتطرف ولم يعد الرجل يعنيه أن ينفق على زوجته وأطفال ولم تعد المرأة قادرة على مثل هذه التضحية- أن تنجب أطفالًا!- حتى لا تتأخر في سلمها الوظيفي وطموحاتها الشخصية.

كما أن الرؤية الغربية الإستراتيجية البعيدة تدرك الخطر الحضاري المحدق بهم إذا استمر تناقص معدلات السكان بهذه الطريقة حيث أصبحت الشريحة العمرية الأقل من ١٥ عامًا هي الأقل على المستوى العالمي بينما أصبحت الشريحة العمرية الأكبر من ٦٥ عامًا هي الأكثر على المستوى العالمي ومن ثم شاع وصف القارة الأوربية بالقارة العجوز.

إزاء ذلك فلا بد من أن الفراغ السكاني في أوربا سيملأ حتما بواسطة طوابير النازحين من شمال إفريقيا والشرق الأوسط وآسيا وشبه القارة الهندية، أو كما يقول الأستاذ فهمي هويدي نقلا عن جان كلود شيزنيز مدير المركز القومي للدراسات السكانية في باريس الذي قال بصراحة: «إن أوربا مهددة بالأسلمة أو الأفرقة، من جراء زحف جيوش المسلمين والأفارقة إليها».

هذه الخلفية تفسر الضغوط الفكرية التي تمارسها الدول الغربية مستخدمةً في ذلك الأمم المتحدة لمحاولة وقف نمو العالم الثالث بكل وسيلة، ليس قلقًا على عافيته، ولا سعيًا إلى تنميته، وإنما دفاعًا عن نفسه ودرءًا للمخاطر التي يتخوف منها الغربيون إذا ما استمر نمو سكان العالم الثالث وتراجع سكان العالم الصناعي والمتقدم.

تحديد النسل، وسائل ووقائع

يعد منع الحمل مفتاح تحديد النسل، حيث تتدفق طرق كثيرة جدًا لمنعه، بعضها طبي، والآخر سلوكي، والثالث اجتماعي، والبون بين هذه الطرق يختلف باختلاف كيفيتها، وفعاليتها، وكذلك كونها اختيارية أم قسرية، وفيما يلي أبرز تلك الطرق، وأهم المبادئ التي تستند إليها.

مبادئ طرق منع الحمل:

- **منع التلقيح:** وهو منع لقاء النطفة الموجودة ضمن السائل المنوي مع البويضة التي يطلقها المبيض أثناء الدورة الطمثية.
- **منع الإباضة:** وهو منع المبيض من إطلاق البويضة.
- **منع التعشيش:** وهو منع تعشيش البويضة الملقحة في الرحم.

وهناك عدة طرق لمنع الحمل، تختلف باختلاف مكوناتها، وفعاليتها، وكذلك كيفية استعمالها، ومنها:

الطرق الهرمونية: وتعمل عن طريق منع الإباضة والإخصاب، وهي متوفرة بعدة أشكال مختلفة منها: حبوب منع الحمل الفموية، وحقن البروجستون، ومستحضرات البروجيسترون تحت الجلد، والغرسات التي تزرع تحت الجلد، ولصقة منع الحمل، والحلقات المهبلية.

الوسائل الحاجزة: تشمل الواقيات الذكرية، والواقيات الأنثوية، وقلنسوة عنق الرحم، والعازل المهبلي، والإسفنجات المانعة للحمل التي تحتوي على مبيد للنطاف.

الوسائل الرحمية: اللوالب الرحمية.

الطرق الجراحية: تتمثل في التعقيم للجنسين.

الوسائل السلوكية: تتضمن تنظيم التوقيت، أو طريقة الاتصال الجنسي، وتشمل: وسائل الوعي بالخصوبة، والإرضاع، والعزل، والامتناع عن الاتصال الجنسي.

ما سبق من الوسائل يكون قبل الحمل، أو أثناءه، كما أنها اختيارية، عدا التعقيم، إذ يتضمن وسائل مختلفة، وقد يتسم بصفة الإجبار؛ لذا سنفرده بمزيد من التفصيل.

حريٌّ بالذكر أن المنظمات والوكالات الدولية التابعة للأمم المتحدة، تروج لوسائل منع الحمل الآنفة الذكر، وغيرها، لاسيما الواقيات، بل وتوزعها مجانًا، إذ تعد الحصول عليها حقًا من حقوق الإنسان الأصيلة!

فعلى سبيل المثال: يلتزم الاتحاد الدولي لتنظيم الأسرة IPPF بتشجيع خدمات منع الحمل، وتوفيرها للجميع، واعتبار استخدامها حجر الزاوية في الصحة الجنسية والإنجابية الجيدة.

وتشكل أنشطة منظمة الصحة العالمية فيما يتعلق بالوسائل الاحتياطية لمنع الحمل جزءًا من عملها الخاص، بتوفير الخدمات في مجال تنظيم الأسرة، وخصوصًا لأضعف المجموعات السكانية.

وهناك برنامج خاص في مجال الإنجاب البشري، مشترك بين برنامج الأمم المتحدة الإنمائي UNDP، وصندوق الأمم المتحدة للسكان UNFPA، ومنظمة الصحة العالمية WHO، والبنك الدولي، يهدف لتوفير أكبر مجموعة ممكنة من وسائل تنظيم الأسرة «المأمونة والفعالة»، وكذلك البحوث السريرية بشأن الوسائل، أو الاستعمالات الجديدة.

تُستخدم برامج تنظيم الأسرة للتأكيد على الحرية في إقامة العلاقات الجنسية المحرمة، والتخلص من ثمرة هذه العلاقات، ومن ذلك: إدراج هذه البرامج في المناهج الدراسية للجنسين، وكذلك الإشارة إلى حق الأفراد (أي الزناة والزواني) في تحديد عدد أطفالهم، وتأكيد الفترات الفاصلة بينهم.

والقول بأن استخدام «أساليب تنظيم الأسرة»- ومنه تأخير الحمل- يُسهم في اتقاء وفيات صغيرات السن قول مردود، حيث إن مشاكل الإنجاب في سن مبكرة، أقل من

مشاكل الإنجاب في سن متأخرة. ولا يخفى ما لوسائل منع الحمل من أضرار ناتجة عن استعمالها، سواء من الناحية الصحية، والاجتماعية، بل والنفسية.

كما أن هذه الوسائل قد تكون بمثابة الدافع لبعض الأزواج إلى استفراغ شهوتهم عن طريق الزنا، وذلك في حالة استخدام المرأة أسلوب الامتناع عن ممارسة الجنس مع الزوج Abstinence خشية الحمل، وهذا عين ما جاء في تقرير منشور للاتحاد الأمريكي لتنظيم الأسرة: «الامتناع عن ممارسة الجنس لتحديد النسل بين النساء المتزوجات، أدى إلى ركون رجال متزوجين إلى ممارسة البغاء، وهذا بدوره أدى إلى فشو أوبئة من الأمراض المنقولة عن طريق الاتصال الجنسي، مع مطلع القرن العشرين».

كما أن منع الحمل بوسائله المختلفة يُعَدُّ من أكبر أسباب انقراض الأمة وتلاشيها، وهذه حقيقة قررها عقلاء الغرب أنفسهم، وحذروا حكوماتهم من النتائج الوخيمة لهذا السلوك، حتى أشاروا إلى أن الغرب سائر إلى الموت والانقراض لا محالة. يقول نورمان بريل في كتابه «بزوغ العقل البشري»: «إن أية جماعة تمارس تحديد النسل ستقضي على نفسها، ويحل محلها أولئك الذين يحتفظون بغريزة التناسل غير المقيد».

آليات قسرية:

أهم آليتين طبيتين لتحديد النسل قد تتمان بطريقة قسرية، أو مضلِلة، أو استغلالًا لعوز الإنسان وحاجته، بحيث لا يملك المتضرر من أمره شيئًا، والذي قد لا يعلم عن فقدانه لنسله للأبد، إلا بعد فوات الأوان، ناهيك عن المضاعفات الصحية الأخرى!

التطعيم:

التطعيم وسيلة طبية لتحديد النسل تتم بواسطة لقاح مخصص. لكن السؤال الذي يشغل الكثيرين ما هو اللقاح؟ وهل هو حقًا آمن؟ وهل هناك لقاحات صُنعت لأهداف أخرى غير الرعاية الصحية؟

اللقاح عمومًا هو تحضير بيولوجي يحسِّن مناعة الجسم ضد مرض معين، وعندما يكون هناك فيروس أو بكتيريا يحقن الجسم باللقاح ليقتل أو يضعف هذا الفيروس حتى لا يسبب العدوى، وأيضًا يهيئ الجهاز المناعي لمكافحة العدوى في المستقبل.

لكن ماذا لو كان التطعيم لأجل تحقيق أهداف أخرى غير محاربة المرض؟

في المؤتمر العالمي الرابع المعني بالمرأة للمنظمات غير الحكومية في سبتمبر ١٩٩٥م في هوايرو- الصين- تكلمت بيفرلي ويبل المديرة التنفيذية لمركز صحة المرأة النسوي FWHC عن لقاح جديد مضاد للخصوبة، وهذا اللقاح هو واحد من أحدث الوسائل لتحديد النسل التي يجري اختبارها في الهند، وجمهورية الدومينيكان، والبرازيل، وتشيلي، وأستراليا والسويد ودول أخرى.

اللقاح المضاد للخصوبة هو مثال جيد للتحكم الخاطئ في العدد السكاني باستخدام وسائل منع الحمل. تم تصميم هذا اللقاح كوسيلة لمنع الحمل بحيث يمكن إدارته بسهولة وإعطاؤه لأكبر عدد من النساء باستخدام أقل الموارد.

ما هو اللقاح المضاد للخصوبة؟

طريقة جديدة لتحديد النسل ولكن خلافًا للقاحات الأخرى التي تعد الجسم لصد الجراثيم الضارة يعمل هذا اللقاح ضد المواد الفيسيولوجية الطبيعية في الجسم.

يعمل هذا اللقاح عن طريق تطعيم المرأة الحامل ضد هرمون الحمل، الذي تنتجه البويضة المخصبة بعد الحمل. اللقاح يحتوي على جزيء بحيث يتصل بالهرمون الناقل للديفتيريا أو الكزاز. عندما يحدث الحمل ويبدأ بإنتاج الهرمون المذكور سابقًا، هذا الجزيء يثير ردة فعل الجهاز المناعي، تمامًا كما يحدث ضد الديفتيريا أو الكزاز، فيكون الجسم مخدوعًا في مهاجمة الهرمون والبويضة المخصبة.

الحمل ليس مرضًا حتى يُصنع لقاح ضده، ولابد أن نقلق بشأن العواقب على المدى البعيد بتغيير النظام المناعي للجسم، والذي يؤدي لرد فعل الهرمون البشري الطبيعي. تشمل الآثار المترتبة على هذا النوع من اللقاح اضطرابات المناعة الذاتية، والحالة الخطيرة التي يكون فيها الجسم غير قادر على الاستجابة للمناعة الطبيعية لأمراض لا يُعرف لها علاج.

من الذي يمول هذا البحث؟

يتم تمويل بحث وسائل منع الحمل المناعية من البنك الدولي وصندوق الأمم

المتحدة للسكان، والوكالة الأمريكية للتنمية، ومؤسسة روكفلر، والحكومتين الأمريكية والكندية ومؤسسة بيل وملينداغيتس وغيرها. وتشمل الفرق البحثية منظمة الصحة العالمية، والمعهد الوطني لعلم المناعة (الهند)، ومجلس السكان (الولايات المتحدة الأمريكية)، وبرنامج بحوث وسائل منع الحمل والتنمية (الولايات المتحدة الأمريكية)، والمعهد الوطني للصحة وتنمية الطفل (الولايات المتحدة الأمريكية).

وثمة حادثة في كينيا تجلي الأمر بوضوح حيث وقع ٢٧ من أساقفة كينيا بيانًا في مؤتمر كينيا للأساقفة اتهموا فيه أن منظمة الصحة العالمية واليونيسيف بحقن المرأة الكينية بلقاح الكزاز، الذي يحتوي على الهرمون المسبب للإجهاض مما يجعلهن عقيمات. وذكروا في بيانهم أنهم لا يُعارضون اللقاحات لكن هناك العديد من التناقضات مع برنامج التطعيم هذا، وأظهرت نتائج الاختبارات أن اللقاح يحتوي على هرمون «اتش سي جي»، الذي لا يوجد عادة في لقاحات الكزاز.

البرامج المذكورة في بيانهم وقعت قبل ذلك في عدة دول؛ في المكسيك عام ١٩٩٣ والفلبين عام ١٩٩٤، وهناك أعطي النساء خمس دفعات من تطعيم الكزاز وكان فيه هرمون «اتش سي جي» وهو يجعل المرأة عقيمة بعد فترة من الزمن، وذلك دون أن تعرف.

الأطباء والأساقفة في كينيا تحدثوا بصوت عال ضد هذا التطعيم، وكانت الكنيسة الكاثوليكية هي من اكتشفت هذا الهرمون في اللقاح، فقد حصلت على عدة قوارير من اللقاح وأرسلتها إلى أربعة مختبرات خاصة ليس لها علاقة بالحكومة خارج وداخل كينيا وقالوا في بيان لهم: «نريد أن نعلن أن كل الاختبارات أظهرت أن اللقاح المستخدم في كينيا في مارس وأكتوبر ٢٠١٤م بالفعل مرتبطة بهرمون «بيتا-اتش سي جي».

وفي مقال لمجلة لوس أنجلوس بعنوان «سياسة الولايات المتحدة الحقيقية في العالم الثالث: التعقيم، تجاهل التمكين.. الهدف هو الحفاظ على المواطنين من التكاثر»، ذكر الكاتب أن وكالة الولايات المتحدة للتنمية الدولية كشفت تقريرًا داخليًا بأن الهدف الأساسي للحكومة الأمريكية هو الحفاظ على المواطنين من التكاثر.

ويبدو أن الولايات المتحدة تريد الوصول إلى موارد العالم الثالث، وهي قلقة من عواقب النمو السكاني والذي قد ينتج عنه عدم استقرار داخلي في الدول، مع المجاعة وأعمال الشغب بسبب الغذاء وبالتالي انهيار النظام الاجتماعي.

مؤسسة بيل وملينداً غيتس:

اتضح أن مؤسسة بيل وملينداً غيتس تقوم بتمويل توزيع لقاح الكزاز في إفريقيا عن طريق اليونيسيف، التي تقدم لكينيا اللقاح الذي يحتوي على هرمون «اتش سي جي» الذي يسبب العقم.

في الحدث السنوي «تيدكس» في أمريكا ألقى بيل غيتس كلمته حيث قال في حديثه: «العالم اليوم لديه ٦،٨ مليار نسمة. ويتجه للوصول إلى حوالي تسعة مليارات. الآن إذا قمنا بعمل عظيم حقًا في اللقاحات الجديدة، والرعاية الصحية وخدمات الصحة الإنجابية، نستطيع أن نخفض الرقم ربما ١٠ أو ١٥٪».

التعقيم:

يعرف التعقيم بأنه طريقة دائمة لتحديد النسل، وتسمى طريقة تعقيم النساء بسد الأنابيب، فيما تسمى طريقة تعقيم الرجال بقطع القناة الدافقة.

طرق التعقيم:

تعقيم المرأة:

يعتمد تعقيم المرأة على إقفال الأنابيب، أي غلق قناة فالوب. وهذه الطريقة تمنع البويضات من الانتقال من أسفل قناة فالوب إلى الرحم، وتمنع الحيوان المنوي من الوصول للبويضة.

تعقيم الرجل:

يعتمد تعقيم الرجل على منع الحيوان المنوي من الاتصال بالبويضة لتفادي الحمل. وتتم هذه العملية بقطع القناة الناقلة، وبذلك يقطع الطريق الذي يؤدي إلى خروج الحيوانات المنوية.

ويعتبر التعقيم من أكثر وسائل منع الحمل شيوعًا في العالم، حيث تراوح نسبته بين ٢٩ و٣٨٪ في الدول النامية، و١١٪ في الدول الغنية.

ومنذ عام ١٩٧٠م والتعقيم يتم في أمريكا، ودول أمريكا الوسطى، وأمريكا الجنوبية، وإندونيسيا، وبنجلاديش، والهند، والصين، وتايلاند التي تقام فيها مهرجانات التعقيم في عيد العمال عندهم، حيث يصطف الشباب لإجراء عملية التعقيم، بل إن نسبة التعقيم تصل إلى ٥٠٪ من دول العالم الفقير، وبحلول عام ١٩٨٠م كان قد تم تعقيم ما يزيد عن مائة مليون شخص في كافة أنحاء المعمورة!

التعقيم خيار متاح- طبيًا- لمن يرغب فيه كوسيلة لعدم الإنجاب مطلقًا، وهو ما تقره الوكالات الدولية، وتشدد على توفره، وإتاحته للراغبين، للحد من الخصوبة.

ففي وثيقة مشتركة بين عدة وكالات دولية (مفوضية حقوق الإنسان، الأمم المتحدة للمرأة، برنامج الأمم المتحدة للإيدز، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، اليونيسيف، منظمة الصحة العالمية) أكدت الوثيقة أن التعقيم كوسيلة من وسائل منع الحمل والتنظيم الأسري ينبغي أن يكون متاحًا وميسرًا ومقبولًا، وذا جودة، وخاليًا من التمييز، والإكراه، والعنف.

ولكن؛ ماذا عن التعقيم بغير إعلام المعقَّم، أو التعقيم القسري؟

التعقيم القسري: هو عملية إزالة (عن طريق الجراحة)، أو تعطيل الجهاز التناسلي للفرد، دون موافقته الكاملة والمستنيرة بعواقب هذا الفعل.

وسنستعرض فيما يلي عددًا من الدول التي مارست التعقيم القسري، أو مورس فيها من قِبل دول أخرى.

في الولايات المتحدة:

صدر تقرير حديث من مركز الدراسات الفحصية عن الممارسات التعقيمية للنساء في سجن كاليفورنيا لمدة أربع سنوات من ٢٠٠٦ إلى ٢٠١٠، فطبقًا لما أدلت به الخبيرة شنذا كورام هناك - على الأقل - ١٤٨ سيدة في معهد كاليفورنيا للنساء في كورونا

وسجن فالي للسيدات في شاوشيلا قد تعرضن للربط الإنبوبي وعمليات جراحية من أجل تعقيم دائم حيث يتم غلق قناتي فالوب.

مع أن مثل هذه الممارسات غير شرعية، إلا أن بعض السجينات أُكرهن على خوضها، حيث إن الأطباء فشلوا في شرح عواقب مثل تلك العمليات، وبرغم هذا، فإنه من المقبول أن تستخدم أموال الدولة من أجل هذه العملية في كاليفورنيا، فهي تحتاج إلى عناية طبية مشددة من قبل لجنة مراجعة، وهذا الذي لم يحدث خلال تلك السنوات الأربع!

إن التجاهل الصارخ لحق المرأة في الإنجاب، في سبيل الوصول إلى تنظيم النسل للمجتمع، هو شيء متأصل في تاريخ المرأة في الولايات المتحدة، بالأخص مع اللاتي يقبعن تحت خط الفقر.

وهناك مقالة مميزة في هذا موضوع، نشرت في ٢٠١١، وجاء فيها:

«لقد كانت النساء ذوات البشرة الملونة- غير البيض- في الولايات المتحدة ضحايا للتعقيم القسري عبر تاريخ أمريكا، حتى إن بعضهن كان يتم تعقيمهن بلا علمهن بعد العمليات القيصرية!

وهناك أخريات كان يتم تهديدهن بقطع المساعدات، أو عدم الخضوع للرعاية الطبية، إن لم يقمن بإجراء تلك العمليات!

الأدهى أن تعقيم النساء كان بلا أي هدف إلا من أجل التعلم في المشافي التعليمية! ومن أجل التخفيف من تلك الكارثة المنتشرة في الشمال حينها، والتي كانت تلقب بعمليات إزالة الزائدة لسكان المسيسبي «Mississip appendectomy»، ونستعرض هنا بعض الأمثلة للتعقيم القسري في الولايات المتحدة:

- اقتراحات من أجل التعقيم القسري لأولئك «غير المرغوب فيهم»:

كان العالم البيولوجي والفيزيائي الشهير Gordon Linccecum ينادي بتعقيم المعاقين ذهنيًا؛ إذ إنهم «غير مرغوب فيهم»!

وبين عامي ١٨٩٧- ١٩٠٩ كانت الكثير من الولايات الأمريكية قد وافقت على التعقيم القسري: ميتشغان، إنديانا، بنسلفانيا، واشنطن، كاليفورنيا، كل تلك الولايات وافقت، أو حاولت الموافقة على تطبيق التعقيم القسري للمعاقين ذهنيًا!

- في عام ١٩٧٠ إدارة نيكسون تقدم الدعم المالي للتعقيم:

من خلال زيادة الإعانة الطبية للفقراء، ومرورًا بالخدمات الطبية المقدمة؛ من أجل تنظيم الأسرة، فإن إدارة نيكسون قد قدمت عروضًا من أجل تعقيم الأمريكان الملونين، والذين يكونون من الطبقة الدنيا من المجتمع. وقد أشارت بعض التقارير إلى أن الأطباء الذين يشرفون على تلك العمليات لا يتبعون البروتوكولات المعروفة في هذا المجال، مع الأخذ في الاعتبار أن عملية التعقيم نفسها تعتبر قسرية!

- بين عامي ١٩٧٣-١٩٧٦ تم تعقيم ٣٤٠٦ من نسوة سكان أمريكا الأصليين دون إذنهن:

اعترفت حكومة الولايات المتحدة مؤخرًا بأنه تم إجبار الآلاف من نسوة السكان الأصليين على التعقيم، وكانت أعمار بعض تلك السيدات أقل من ٢١ سنة!

وقد وجد دكتور بنكرتون يورى أن ٢٥٪ من نساء سكان أمريكا الأصليين قد تم تعقيمهن بدون موافقتهن! وبالإجمال فإنه بين عامي ١٩٧٠ و١٩٧٦ تم تعقيم ما بين ٢٥-٥٠٪ من نساء الهنود الحمر.

- بين عامي ١٩٠٩-١٩٧٩ تم إجراء ٢٠ ألف عملية تعقيم في كاليفورنيا: فخلال ٧٠ سنة استهلكت كاليفورنيا ثلث الدعم المالي للتعقيم في أمريكا. تلك العمليات تستهدف بالأساس السود، واللاتينيين.

وقد استمرت كاليفورنيا في إقامة برامج القرن العشرين للتعقيم، إذ تقول الدكتورة الكساندرا سترن في مقالة لها: إن الأفارقة والمكسيكيين قد تلقوا كميات غير متناسبة من عمليات التعقيم؛ ولضمان استمرار تلك العمليات فإنه يتم التركيز على العبء الاجتماعي للسكان، أو تستخدم كوسيلة ابتزاز، من أجل استمرار تلقي المساعدات، في الأعوام من ١٩٥٠ إلى ١٩٦٠».

تاريخيًا، تعرضت المرأة في الولايات المتحدة وخارجها إلى جهود منسقة للتحكم بخصوبتها، بما في ذلك التعقيم التعسفي.

في بورتوريكو:

أشارت الولايات المتحدة بعد أن تولت حكم بورتريكو عام ١٨٩٨ إلى قلقها من أن الزيادة السكانية في الجزيرة، قد تؤدي إلى كوارث اقتصادية واجتماعية. وقد بذلت جهدًا كبيرًا للتحكم في عدد السكان.

وقد أُجري فحص لجميع الأمهات من سكان بورتيكو، ووُجد أن حوالي ثلث هؤلاء الأمهات، واللاتي تتراوح أعمارهن بين ٢٠-٤٩ قد تم تعقيمهن!

ولوضع هذا الرقم في السياق، فإنه في عام ١٩٦٠ كانت المرأة في سن الإنجاب في بورتريكو على الأرجح معقمة، بنسبة أكبر بعشر مرات من النساء في الولايات المتحدة. هذه النتائج المروعة تشير إلى أن الانحياز المنهجي أثر على ممارسة التعقيم، ليس فقط في بورتريكو بل حتى في الولايات المتحدة.

وفي دراسة عام ١٩٦٨ تبين أن أكثر من ثلث النساء في بورتوريكو لم يَكُنَّ على علم بأن التعقيم بواسطة (tubal ligation) يعتبر شكلًا من أشكال منع الحمل الدائم. بل إن طريقة التعبير غير المباشرة «ربط الأنابيب» جعلت المرأة تعتقد بأن العملية سهلة، تحتمل الوجهين.

يحدث هذا على أرض البلد الأول للديمقراطية، الداعي للمساواة وحقوق الإنسان، والجاهز للتدخل عسكريًا في أي بلدٍ في العالم «تُنتهك» فيه الديمقراطية، ولا تُراعى فيه حقوق الإنسان! (!!!)

في الهند:

في مقال نشر مؤخرًا في ٢٥ يوليو ٢٠١٣م، في أسبوع المهنة الأول في بلومبرج، تبينت صورة قاتمة عن ممارسات التخطيط العائلي في الهند، عن طريق إجبار المرأة على التعقيم، إذ اضطرت ٣٣ امرأة في قرية سنهولا- أغلبهن فقيرات- للتعقيم، حيث تلقت

كل امرأة ١٠ دولارات أو يزيد قليلًا من استحقاقات الرعاية الاجتماعية من المسؤولين المحليين.

وخز المساعد الطبي في العيادة إصبع كل امرأة لاختبار فقر الدم باستخدام الإبرة نفسها. بعد ذلك قص الجراح وربط قناتي فالوب لكل امرأة، باستخدام مشرط صدئ على طاولة عمليات مؤقتة (مرتفعة عن الأرض مصنوعة من الطوب ومغطاة بورق ملطخ بالدماء) في عملية استغرقت ثلاث دقائق. ثم غُسِل المشرط بالماء الدافئ، وتم إعادة استخدامه لمريضة أخرى. ووُضِعت النساء بعد ذلك جنبًا إلى جنب على الأرض في غرفة منفصلة «عن غرفة العمليات» للإنعاش، ومعهن الممرضات، حيث يتجولن ويقدمن المسكنات. وعندما بدأ المخدر بالخروج، استبدله الجراح بمخدر أضعف. ولكن نظرًا لأن هؤلاء النسوة غير واعيات تمامًا أثناء هذا الإجراء، فإن هذه الممارسة الطبية تعتبر خطرة.

فإذا كان التعقيم لأجل صحة المرأة، كيف نفسر تعقيم امرأة- أُجري لها اختبار الدم بإبرة شاركتها وتُشاركها فيها عشرات النسوة-، وبمشرط صدئ غير معقم، على طاولة قذرة، وفي ثلاث دقائق؟!

وقد أدت جراحات التعقيم التي تمولها الحكومة في الهند لمقتل ١٣ امرأة، وتركت ٥٢ أخرى في حالة حرجة، بسبب الجهود المبذولة «لإبطاء النمو السكاني في البلاد»!

ومن المثير للاهتمام، أن مؤسسة بيل وملينداغيتس BMGF أطلقت مبادرة لتنظيم الأسرة سمتها: «تنظيم الأسرة ٢٠٢٠»، بشراكة عالمية مع الجهات المانحة المستثمرة (القطاع الخاص)، وذلك لتوسيع فرص الحصول على خدمات تنظيم الأسرة الطوعي!

وفي مقال افتتاحي، أوضح بيل غيتس أن مؤسسته استثمرت أكثر من مليار دولار في برامج لمحاربة الأمراض والفقر في الهند. كما امتدح غيتس حكومة بريطانيا «لتاريخها الطويل وسخائها الاستثنائي، وسجلها الحافل في إحداث تأثير ملموس على أشد

الناس فقرًا في العالم»، حيث تبرعت المملكة المتحدة للهند بملايين الجنيهات لتمويل مخيمات التعقيم. (!!!) وترسل الولايات المتحدة والبنك الدولي أيضًا مساعدات مالية، من خلال برامج المساعدات الخارجية.

وتسعى الحكومة الهندية للحد من النمو السكاني، عن طريق تعقيم أكثر من مليون امرأة سنويًا، وعلى مدى العقدين الماضيين، تحول التركيز إلى تعقيم النساء، وأصبحت عمليات تعقيمهن الدعامة الأساسية لبرنامج تنظيم الأسرة، وهو ما يمثل تقريبًا ٩٦٪ من جميع عمليات التعقيم، وفي عام ٢٠١٢ تم تعقيم ٤,٦ مليون امرأة.

في الصين:

بدأت الصين منذ عام ١٩٧٣، في تطبيق سياسة تحديد النسل، حيث كان التعداد السكاني بها في نهاية ذلك العام قد وصل إلى نحو ٩٠٠ مليون نسمة، وترتبط سياسة تحديد النسل في الصين بعدة أسس يجب الالتزام بها:

١- تأخير سن الزواج.

٢- تأخير حدوث الحمل، وتباعد المدة بين الحمل.

٣- طفل لكل أسرة.

وفي ظروف خاصة، يمكن السماح للأسرة في المناطق الريفية بإنجاب طفل ثانٍ، بعد سنوات قليلة من إنجاب الطفل الأول، وهذا بالنسبة للهان العرق الأكبر داخل الصين. وتنص المادة (٤٩) من دستور الصين الصادر عام ١٩٨٢، والمادتان (٢)، و(١٢) من قانون الزواج الصادر عام ١٩٨٠ على وجوب تطبيق قواعد تحديد النسل، والتزام الزوج والزوجة بذلك، كما تمنع المادة (٥) من قانون الزواج توقيع عقود الزواج قبل بلوغ الرجل ٢٢ عامًا والمرأة ٢٠ عامًا؛ ويتم الزواج بالتوقيع الشخصي للرجل والمرأة الراغبين في الزواج لدى الموظف المسؤول في مكتب تسجيل الزواج، ويصبح الزواج ساريًا باستلامهما وثيقة الزواج، وذلك بحسب نص المادة (٨) من قانون الزواج في الصين.

وبالنسبة للأقليات القومية داخل الصين، وهم يمثلون نحو ٩٪ من سكان الصين، ويعيشون في مناطق شاسعة تزيد على نصف مساحة الصين، وتتمتع بموارد طبيعية بالغة

الثراء، فمسألة الزيادة السكانية لا تمثل مشكلة، بل قد تكون مطلوبة لتعمير الأرض واستغلال الموارد، كما أنها نوع من المقاومة للقهر وطمس الهوية؛ لكن السلطة المركزية في الصين قررت عام ١٩٨٢ وجوب إدراج الأقليات القومية في عملية تحديد النسل.

وفي أكتوبر ١٩٨٥ قررت لجنة الحزب الشيوعي بتركستان الشرقية تطبيق تحديد النسل على التركستانيين، والسماح للأسرة في المدن بإنجاب طفلين، وفي الريف ثلاثة أطفال.

في البيرو:

في عهد الرئيس البرتو فوجيموري وُضِع برنامجٌ للتعقيم القسري ضد السكان الأصليين، باسم: «خطة الصحة العامة» في ٢٨ يوليو ١٩٩٥. وتم تمويل هذا البرنامج من الوكالة الأمريكية للتنمية USAID ب ٣٦ مليون دولار، ومؤسسة نبيون، وفي وقت لاحق من قبل صندوق الأمم المتحدة للسكان.

في فبراير ١٩٩٦، هنأ فوجيموري نفسه على نجاحه في السيطرة على النمو السكاني، كما هنأته منظمة الصحة العالمية!

وفي سبتمبر من عام ٢٠٠١، أطلق وزير الصحة لويس سولاري لجنة خاصة، مكلفة بالتحقيق في وجود تجاوزات في برنامج الرئيس فوجيموري. وفي يوليو ٢٠٠٢، كشف التقرير النهائي أنه ما بين ١٩٩٥ و٢٠٠٠، تم تعقيم ٣٣١٦٠٠ من النساء، وقطع القناة الدافقة ل٢٥٥٩٠ رجلًا!

كان الهدف من الخطة تقليل عدد المواليد في المناطق الفقيرة في البيرو، وكانت موجهة أساسًا للسكان الأصليين، الذين يعيشون في المناطق المحرومة.

ونلاحظ كيف أن الوكالات العالمية التي تزعم الاهتمام بالصحة، وتقديم المعونة، وتنادي بحرية الإنسان واستقلاله، تشارك في تجاوز إدارة الناس، بتمويلها لبرامج التعقيم القسري، بل وتقديم التهاني للمجرمين!

ولكن، ألا ينبغي أن نلقي باللوم على أنفسنا، لتعامينا عن الحقيقة التي كاد يبصرها الأعمى، وهي أن الإنسان المبجل في أدبيات الغرب- وعلى رأسه الأمم المتحدة- هو الإنسان الأبيض؟!

«تنظيم الأسرة»
عندما يكون غطاءً للانحلال الأخلاقي!

القارئ لوثيقة (السيداو) سيكتشف أنها وثيقة متماسكة مترابطة، فجميع المواد تعمل معًا بتناغم ووحدة موضوعية وليست عناصر مفككة، فلا ينبغي النظر إلى مادة بمعزل عن باقي المواد، فعندما تناقش المادة ١٢ من الاتفاقية قضية تنظيم الأسرة والخدمات المتعلقة والمرتبطة بالصحة الجنسية والإنجابية، لا يمكن فهم هذه المادة بعيدًا عن المادة ١٠ التي نصت في فقرتها (و) «على إمكانية الحصول على معلومات تربوية محددة، تساعد على كفالة صحة الأسر ورفاهها، بما في ذلك المعلومات والإرشادات التي تتناول تنظيم الأسرة».

استهداف المراهقات:

فإذا كان الطلاب المراهقون يدرسون المعلومات والإرشادات المتعلقة بتنظيم الأسرة، فإن توفير هذه الوسائل بشكل عملي في الواقع أمر مرتبط به، فلا مجال للشك أن هذه الفئة تحديدًا من المراهقين غير المتزوجين مستهدفة من واضعي الوثيقة، وهو ما أوضحته منظمة الصحة العالمية، حيث ذكرت أن من فوائد تنظيم الأسرة: خفض معدلات حمل المراهقات، حيث «يفوق احتمال إنجاب المراهقات الحوامل لأطفال لم يكملوا فترة النمو داخل الرحم أو أطفال ناقصي الوزن عند الميلاد احتمال إنجاب غيرهن لأولئك الأطفال. وتفوق معدلات وفاة أطفال المراهقات عند الميلاد معدلات وفاة الأطفال الآخرين. ويضطر كثير من المراهقات اللائي يحملن إلى التخلي عن الدراسة، ممّا يؤدي إلى عواقب طويلة الأجل تتحمّلها تلك الفتيات شخصيًا وتتحمّلها أسرهن ومجتمعاتهن المحلية»[١].

فإذا كان زواج المراهقات محظورًا وفقًا لهذه الوثيقة ووثائق أخرى، فإن حمل

(١) موقع منظمة الصحة العالمية، تنظيم الأسرة، فوائد تنظيم الأسرة.

المراهقات المقصود هنا لن يكون إلا سفاحًا، وبالتالي فلا بد من وسيلة مأمونة لتجنب هذا الحمل!!

إن منظمة الصحة العالمية تصرح بحق الناشطين الجنسيين- بمن فيهم المراهقون- في الوصول السهل لخدمات تنظيم الأسرة، حيث تنص على: «من الأهمية بمكان إتاحة خدمات تنظيم الأسرة على نطاق واسع؛ حتى يتسنى وصول أي شخص ناشط جنسيًا- بمن فيهم المراهقون- إليها بسهولة، من خلال القابلات وغيرهن من العاملين الصحيين المدربين. ويتم تدريب القابلات على توفير- حيثما يؤذن لهن- وسائل منع الحمل المتاحة محليًا والمقبولة ثقافيًا. ويقوم كذلك غيرهم من العاملين الصحيين المدربين- على سبيل المثال العاملين في مجال الصحة المجتمعية- بتقديم المشورة وبعض وسائل تنظيم الأسرة، على سبيل المثال حبوب منع الحمل والواقي الذكري. أما بالنسبة لطرق مثل التعقيم، فينبغي إحالة النساء والرجال إلى الطبيب»، وهناك نصوص أخرى تشير فيها إلى التحدي الذي يواجه غير المتزوجين في الحصول على مثل هذه الوسائل.

ملكية الجسد والتحكم في الخصوبة:

كما تعمل المادة ١٢ من (السيداو) جنبًا إلى جنب مع باقي المواد التي تدفع المرأة للعمل المأجور خارج المنزل، فالعمل يوفر للمرأة الاستقلال الاقتصادي عن الأسرة، ويشعرها بعدم الحاجة للزواج، ومنع الحمل يؤكد هذه الاستقلالية، وهذا التفسير ليس تعسفًا بل هو معروف ومنشور وإن أنكرته النسويات في بلادنا، ومن ذلك (اجتماع الخبراء الذي عقد في بتسوانا عام ١٩٩٢م للترتيب لعقد مؤتمر السكان العالمي، الذي عقد بالقاهرة عام ١٩٩٤م، وأوصى ضمن توصياته بأن حصول المرأة على مورد رزق مستقل خارج الأسرة يوفر لها التحرر الاقتصادي، وأن اشتراك النساء في القوى العاملة هو العامل الأساسي في تقليل الخصوبة، وأن العمل يشجع المرأة على الشعور بعدم الحاجة للزواج، ولوحظ في الدول الصناعية أنه كلما كثر عدد النساء العاملات قلّ معدل الخصوبة؛ بسبب قيمة وقت الأم وأهدافها الشخصية وطموحاتها.

أما عن المادة ١٢ من السيداو فإنها تنص على:

«١- تتخذ الدول الأطراف جميع التدابير المناسبة للقضاء على التمييز ضد المرأة، في ميدان الرعاية الصحية؛ من أجل أن تضمن لها، على أساس المساواة بين الرجل والمرأة، الحصول على خدمات الرعاية الصحية، بما في ذلك الخدمات المتعلقة بتنظيم الأسرة.

٢- بالرغم من أحكام الفقرة ١ من هذه المادة، تكفل الدول الأطراف للمرأة خدمات مناسبة فيما يتعلق بالحمل والولادة وفترة ما بعد الولادة، موفرة لها خدمات مجانية عند الاقتضاء، وكذلك تغذية كافية أثناء الحمل والرضاعة».

فما هو التمييز الذي يمكن أن يقع على المرأة في مجال الرعاية الصحية؟ هل هناك علاج لأمراض القلب ذكوري فقط ولا يمكن تقديمه للإناث مثلا؟ أم أنه يوجد ثقافة على ظهر الأرض تمنع النساء من التداوي؟ المقصود من هذه المادة هو ما تم توضيحه في المادة نفسها بالخدمات الخاصة بتنظيم الأسرة؟

جاء في تفسير لجنة المرأة بالأمم المتحدة لهذه المادة ما يلي: «تعتبر قدرة المرأة على التحكم في خصوبتها أمرًا أساسيًا لتمتعها بكامل مجموعة حقوق الإنسان، ويتعين بذلك على الدول الأطراف أن توفر لها المعلومات والتوعية بأساليب تنظيم الأسرة المناسبة، والمعتمدة طبيًا، وتكون القوانين المتصلة بتقييد حصول المرأة أو استخدامها لها -على سبيل المثال: اشتراط الحصول على إذن سابق من الزوج أو القريب كشرط أساسي لتقديم الخدمات- منافية لهذه المادة، ويجب بالتالي تعديلها، وعلى الدول الأطراف أن تتأكد أن العاملين في مجال الطب- وكذلك المجتمع- على علم بأن مثل هذا الإذن غير مطلوب، وبأن مثل هذه الممارسة منافية لحقوق المرأة».

قدرة المرأة في التحكم في خصوبتها هي فرع من تحكم المرأة في جسدها، وهي أحد مبادئ الفلسفة الكامنة وراء هذه الوثيقة، فإذا كانت المراهِقة لا تُمنع من النشاط الجنسي، وتيسر لها المعلومات والأدوات اللازمة لمنع الحمل، فإنه من البديهي ألا يسن قانون يشترط إذن زوجًا أو قريبًا لاستخدام هذه الأدوات، حتى المرأة المتزوجة

زواجًا شرعيًا يقرر لها هذا الحق بأن تتخذ وحدها ودون اتفاق مع زوجها الحق في منع الحمل أو إجهاضه، كما سيأتي في مواد لاحقه.

واقع الدول العربية:

لم تتحفظ أي من الدول العربية على المادة ١٢ المتعلقة بتنظيم الأسرة، وسعت في تطبيقها بجهد كبير، مدعومة من المنظمات الدولية التي أخذت على عاتقها التكلفة الاقتصادية لوسائل منع الحمل، على أن يقوم الشريك المحلي بنشر ثقافة تنظيم الأسرة.

وهذه بعض نسب انتشار وسائل منع الحمل في بلادنا العربية للشريحة العمرية من ١٥ - ٤٩ سنة، كما ذكرها البنك الدولي: المغرب ٦٧ ٪، تونس ٦٣ ٪، الأردن ٦١ ٪، مصر ٥٩ ٪، الجزائر ٥٧ ٪، فلسطين ٥٧ ٪، العراق ٥٣٪، قطر ٣٨ ٪، اليمن ٣٤ ٪، عمان ٣٠ ٪، جزر القمر ١٩ ٪، السودان ١٢ ٪.

فلو أخذنا دولة كبيرة مثل مصر، سنجد أن نشاط تنظيم الأسرة يأخذ زخمًا كبيرًا، وعلى الرغم من انتشار تعبيرات إعلامية مطاطة مثل أنها دعوة لتنظيم النسل وليس لتحديد النسل، إلا أن التصريحات تكشف حقيقة المطلوب، حيث أكد الدكتور عاطف الشيتاني-رئيس قطاع السكان وتنظيم الأسرة بوزارة الصحة- أن محافظة الإسكندرية وصلت للمعدل المطلوب، فى خفض معدلات الخصوبة، لدى السيدات ب ٢,٢ طفل لكل سيدة.

وأضاف الدكتور الشيتاني، خلال مؤتمر إطلاق الحملة الإعلامية لبرنامج السكان وتنظيم الأسرة، أن الاستراتيجية القومية للسكان تستهدف خفض الخصوبة لدى السيدات ل ٢,٤ طفل لكل سيدة، مشيرًا إلى ضرورة التنسيق مع جميع الهيئات للحد من المواليد.

الحد من المواليد للوصول لمعدل ٢,٤.. هذا ما يصرح به رئيس قطاع تنظيم الأسرة بوزارة الصحة المصرية، هذه الخدمات التي تقدم في ٥٥٠٠ وحدة طب أسرة واهتمام خاص بالمناطق الريفية، حيث أن هناك جيشًا مكونًا من ١٤ ألف رائدة ريفية تطرق

الأبواب للتوعية بتنظيم الأسرة، بالإضافة إلى ٦ آلاف مرشدة صحية تابعة لمنظمات المجتمع المدني يقمن بالدور ذاته، ومن المعلوم أن العاملين في قطاع تنظيم الأسرة هم أكثر العاملين الصحيين حصولًا على مكافآت وحوافز تشجيعية، حتى بات يحسدهم باقي القطاعات.

أما في المغرب، والتي هي أعلى دولة عربية في معدل استخدام وسائل تنظيم الأسرة، فهناك جدل مجتمعي واسع للتقارب مع ما تدعو إليه الوثيقة، حيث هناك جرأة في طرح الأفكار، يكفي في هذا الصدد أن نعرض لأفكار الدكتور عبد الصمد الديالمي- أستاذ علم الاجتماع- التي يعرضها في الصحف والمؤتمرات ولطلابه في كلية الآداب، ومنها دعوته للعلماء السماح بإباحة الجنس، بدعوى توافر وسائل منع الحمل، التي تضمن ما اصطلح عليه الديالمي ب (الأمن السلالي)، وكذلك يدعو للسماح بالإجهاض؛ بدعوى حرية المرأة في التصرف في جسدها.

هذا الجدل الفكري، وهذه الأطروحات الشاذة، المرتبطة بفكرة شيوع وسائل منع الحمل، ومن ثم إطلاق حرية العلاقات الجنسية دون زواج، وعلى الرغم من ذلك فإن المجتمع المغربي يئن تحت ضغط انتشار ظاهرة الأمهات العازبات؛ لتسجل أرقامًا غير مسبوقة، حيث توضح الأرقام المتوافرة أنه يتم تسجيل نحو ٣٠ ألف حالة سنويًا، غالبيتهن من الشابات اللواتي لم يسبق لهن الزواج، واللاتي تقل أعمارهن عن ٢٦ سنة. بل إن ٣٢ ٪ منهن ما بين ال ١٥ وال ٢٠ سنة؛ مما يعني أن ثقافة (السيداو) وجدت متنفسًا نسبيًا في البيئة المغربية، وإن لم تنجح جميع تقنياتها كآلية منع الحمل في التقليل من الآثار المجتمعية لها.

كيف تقود
الأمم المتحدة المجتمعات إلى الانحلال؟

تعد خلخلة المجتمعات وتفكيك منظومة القيم الخلقية إحدى أهم ركائز المشروع النسوي، الذي يَستخدم حرب المصطلحات لمنح الشرعية لمنظومة القيم الفوضوية التي يطرحها، تلك القيم الفوضوية التي تحاول هدم الضمير الإنساني الفطري، ومحاربة الضمير الديني، وإشاعة الفاحشة، ونشر الانحلال الخلقي، من خلال حزمة من المؤتمرات والوثائق التي تجد طريقها للواقع عن طريق وسائل الإعلام والدراما وبرامج «التوك شو»، وتغيير القوانين الوطنية أو حتى بعض مواد الدستور للوصول لهذه الأهداف.

استَخدمت الكثير من النسويات العربيات سياسة وفلسفة التقية عندما بدأن في نشر فكرهن المنحرف، ونظرة على قنوات التليفزيون العربية الرسمية سنجد أن الحديث كان منصبًا على تعليم الفتيات وتخليصهن من الأمية، وعن معاناة المرأة المعيلة، أو حتى عن ضرورة تنظيم الأسرة عن طريق المباعدة بين الولادات حتى تستطيع المرأة الحفاظ على صحتها، ولو رصدنا مثل هذه البدايات سنجد أن الكثير منها كان يهتم بوضع لافتة دينية إسلامية لها: فطلب العلم فريضة، والرعاية الصحية واجبة سيسأل الله عنها الإنسان، وهكذا.

«القاهرة للسكان».. يدعو للانحلال:

وسنجد في البدايات أن النسويات العربيات يتّهمن من يحارب المؤتمرات الأممية النسوية بالجهل، وأن ثمة مغرضين يعملون على خلق حالة من التشويه والتنفير لمثل هذه الوثائق والمؤتمرات، وأن الحديث عن إباحة الزنا والشذوذ وحرية الإجهاض ما هو إلا ضرب من خيال هؤلاء المضللين!

وذلك للتغطية على حقيقة هذه المؤتمرات، فمثلًا في عام ١٩٩٤ عُقد مؤتمر السكان

والتنمية في القاهرة. وقد أثار «إعلان القاهرة» جدلًا واسعًا على المستوى الإسلامي، وعلى المستوى الدولي؛ لما يحويه من مصطلحات وتوصيات تخالف الإسلام والقيم الإنسانية والأخلاقية، مثل: كلمة الصحة الإنجابية، و«الاختيارات الإنجابية»، ومعناه حرية الإجهاض كخيار إنجابي تتمتع به المرأة دون عوائق. ومصطلح «الحقوق الجنسية» و«كلمة المتحدين والمتعايشين» ومعناها حرية الشخص في الممارسة الجنسية مع شخص من نفس الجنس. «اللواط» أو «السحاق» بمعنى أن الوثيقة أرادت إقرار حقوق «اللوطيين والسحاقيات» واعتبارهم أشخاصًا طبيعيين يمارسون حريتهم الجنسية.

وانكشاف الحقيقة أجبر عمرو موسى- وزير الخارجية المصرية وقتئذ- أن يعلق على هذا المؤتمر بقوله: «اتضح لنا أن المسألة ليست صياغة فقرات عن الجنس والزواج، بل كان هناك نوع من الفكر تؤمن به مجموعة من الدول! مقابل فكر آخر لدول أخرى، يعني كان هناك حوار وصدام وتنافس فكر ديني وحضاري، وكل مجموعة تحاول أن تسيطر وتفرض رأيها، خاصة في مثل هذا المؤتمر»[1].

«مؤتمر بكين».. يفرض الفاحشة:

وفي العام التالي ١٩٩٥ تم عقد أخطر المؤتمرات الأممية النسوية على الإطلاق وهو مؤتمر بكّين حيث سقطت جميع أوراق التوت، وتجلى بشكل لا يقبل التشكيك حقيقة إستراتيجية الفكر النسوي لنشر الفاحشة والانحلال، وفرض ذلك على كافة المجتمعات؛ لخلق مجتمع بشري جديد لا يعرف معنى الفضيلة أو العفاف، حيث «يجب أن تزيل البلدان العوائق القانونية، والتنظيمية، والاجتماعية، التي تعترض سبيل توفير المعلومات، والرعاية الصحية، والجنسية، والتناسلية للمراهقين، كما يجب أن تضمن أن لا تحد مواقف مقدمي الرعاية الصحية من حصول المراهقين على الخدمات والمعلومات التي يحتاجونها، وفي إنجاز ذلك لا بد للخدمات المقدمة إلى المراهقين أن تضمن حقوقهم في الخصوصية، والسرية، والموافقة الواعية والاحترام».

إذ يبدأ نشر الانحلال بين المراهقين في سن البلوغ، حيث تكون الهرمونات الجنسية

(١) جريدة الخليج ٢٤/ ٩/ ١٩٩٤.

في أشد حالاتها، وتكون القدرة على الضبط والتحكم أقل من الناضجين، وهنا يتم التشديد على الدول حتى تمنح المعلومات وتقدم التسهيلات، ويتم الانتباه لأدق التفاصيل كأن يقوم مقدم الخدمة الصحية بأي موقف يشعر المراهق بالذنب؛ ولأنهم يخططون بطرق شيطانية فهم يعلمون أنه رغم اندفاع المراهقين إلا أنهم قد يتملكهم الخجل من الإقدام على الفواحش، وهي لا يمكن إلا أن تكون فواحش بعد الرفع القسري لسن الزواج، لذلك تؤكد الفقرة على ضرورة السرية واحترام الخصوصية.

وتطالب ب «تصميم برامج محددة موجهة للمراهقين والرجال من جميع الأعمار؛ تهدف إلى توفير معلومات كاملة ودقيقة عن السلوك الجنسي والإنجابي المأمون والمسؤول، بما في ذلك الاستخدام الطوعي لوسائل الوقاية الذكرية المناسبة والفعالة؛ بغية الوقاية من فيروس نقص المناعة البشرية/ الإيدز».

وتطالب بـ «إزالة الحواجز القانونية والتنظيمية والاجتماعية، التي تعترض التعليم في مجال الصحة الجنسية والإنجابية في إطار برامج التعليم الرسمي».

فالمراهقون الذكور تتاح لهم الوسائل التي تجعلهم يُقدِمون على الفاحشة وهم في مأمن من انتقال الأمراض الجنسية، أما المراهقات والنساء- وفي سياق تشجيعهن على الحرية الجنسية- فقد تم الربط وبمهارة بين الظروف القاسية التي قد تعاني منها بعضهن وبين الحرية الجنسية «فشيوع الفقر والتبعية الاقتصادية بين النساء، وما يصادفنه من عنف، والمواقف السلبية من النساء والبنات والتمييز العنصري وغيره من أشكال التمييز، ومحدودية ما يتمتع به كثير من النساء من سلطان على حياتهن الجنسية والإنجابية، والافتقار إلى التأثير في عملية صنع القرار، هي من الحقائق الاجتماعية التي تترك أثرًا معاكسًا على صحة المرأة. فافتقار النساء والبنات إلى الغذاء، وكونه يُوزع بصورة غير عادلة في الأسرة المعيشية، وعدم كفاية إمكانية وصولهن إلى المياه المأمونة ومرافق الصرف الصحي وإمدادات الوقود(!!!)، ولا سيما في المناطق الريفية والحضرية الفقيرة، وقصور أوضاع الإسكان، تلقي جميعها بأعباء زائدة على كاهل النساء وأسرهن، وتترك تأثيرًا سلبيًا على صحتهن. وسلامة الصحة أمر لازم لتمتع المرأة

بحياة منتجة ومرضية، كما أن حق جميع النساء في السيطرة على جميع جوانب صحتهن، وعلى الأخص خصوبتهن(!!!)، هو أمر أساسي في تمكينهن».

وهذا النص بالغ الصراحة في أن سيطرة النساء على حياتهن الجنسية هو أمر أساسي للتمكين الاقتصادي والمعيشي.

ورغم غرابة الربط بين عدم وجود مرافق صرف صحي وإمدادات الوقود وقلة الغذاء وبين الحل المطروح، ألا وهو السيطرة على الحياة الجنسية والإنجابية، إلا أنه يؤكد على أن نشر الفاحشة والانحلال هو هدف محوري في المشروع النسوي، وأن جميع الأهداف التي تبدو مضيئة وفي صالح النساء يتم التعامل معها كأهداف وظيفية لخدمة الهدف المركزي المحوري وهو نشر الانحلال، وتغيير النمط الخلقي للمجتمعات.

وكما كان للذكور المراهقين أولوية في توجيه الخطاب الانحلالي التحريضي، فإن المراهقات الإناث لهن أيضًا الأولوية لسهولة التأثير عليهن، خلافًا للناضجات «والتمييز ضد البنات، الذي كثيرًا ما ينشأ عن تفضيل الأبناء الذكور، في الحصول على التغذية وخدمات الرعاية الصحية يُعرض للخطر صحتهن وسلامتهن في الحاضر وفي المستقبل. كما أن الأوضاع التي تجبر الفتيات على الزواج والحمل والولادة في وقت مبكر، وتعرضهن للممارسات الضارة مثل عمليات ختان الإناث، تشكل مخاطر صحية جسيمة. وتحتاج المراهقات مع بلوغهن إلى الحصول على الخدمات الصحية والتغذوية اللازمة، وإن كن لا يحصلن عليها في الغالب الأعم. وحصول المراهقات على المشورة والمعلومات والخدمات فيما يتعلق بالصحة الجنسية والإنجابية لا يزال قاصرًا أو معدومًا تمامًا، وكثيرًا ما لا يؤخذ في الاعتبار حق الشابات في الخصوصية والسرية والاحترام والموافقة المستنيرة». (!!!)

وتكرار المظالم التي تقع على الفتيات والتي تدفعهن للرثاء على أنفسهن هي مقدمة عاطفية لتمرير الهدف الأساسي، وهو الصحة الجنسية والإنجابية للمراهقات، سواء عن طريق وسائل منع الحمل أو عن طريق الإجهاض الآمن، وإمدادهن بالمعلومات اللازمة والمشورة والخدمات التي تحقق ذلك «والمراهقات أكثر تعرضًا، بيولوجيًا واجتماعيًا ونفسيًا، من الأولاد المراهقين للإيذاء الجنسي والعنف والبغاء، ولعواقب العلاقات

الجنسية غير المحمية والسابقة لأوانها. والاتجاه إلى التجارب الجنسية المبكرة، مع انعدام المعلومات والخدمات، يزيد من خطر الحمل غير المرغوب فيه والمبكر للغاية، ومن خطر الإصابة بفيروس نقص المناعة البشرية وغيره من الأمراض التي تنتقل عن طريق الاتصال الجنسي، وكذلك خطر عمليات الإجهاض غير المأمون. ولا يزال الحمل المبكر يعوق إحداث تحسينات في الوضع التعليمي والاقتصادي والاجتماعي للمرأة في جميع أنحاء العالم. وبصورة عامة، فإن الزواج المبكر والأمومة المبكرة للشابات يمكن أن يحدا بدرجة كبيرة من فرص التعليم والعمل». (!!!)

بينما يحد الزواج المبكر من فرص التعليم والعمل فإن البديل ليس العفة التي لا يرد لها ذكر ولا مرة واحدة في منهاج عمل بكين، وإنما فقط ينبغي حماية المراهقة من الإيذاء الجنسي، ومن العلاقات الجنسية غير المحمية، ومن خطورة الإجهاض غير المأمون!

«وتشمل حقوق الإنسان للمرأة حقها في أن تتحكم وأن تبت بحرية ومسؤولية في المسائل المتصلة بحياتها الجنسية، بما في ذلك صحتها الجنسية والإنجابية، (!!!) وذلك دون إكراه أو تمييز أو عنف. وعلاقات المساواة بين الرجال والنساء في مسألتي العلاقات الجنسية والإنجاب، بما في ذلك الاحترام الكامل للسلامة المادية للفرد، تتطلب الاحترام المتبادل والقبول وتقاسم المسؤولية عن نتائج السلوك الجنسي». (!!!)

وفي المجتمع النسوي البديل تواجه النساء ثمار العلاقات غير الشرعية وحدها، في واحدة من أسوأ ما تعانيه المرأة الغربية رغم كل الدعم المقدم لها، لذلك يسعى المشروع النسوي للبحث عن وسائل جديدة لإقناع الرجال بتقاسم المسئولية الناتجة عن السلوك الجنسي غير الشرعي، وهو الأمر الذي لا يلاقي نجاحًا حتى الآن، ومن ثم توسعت النساء في منع الحمل؛ حتى لا تتحمل وحدها مسئولية هذا السلوك الغريزي غير المنضبط، وهو ما يتماشى مع فلسفة الفردية التي هي روح الفكر النسوي، بينما تعاني الجماعة في الغرب من شيخوخة المجتمع بعد تناقص عدد المواليد لدرجة الخطر.

وعلى الرغم من ذلك هناك إصرار بالغ على الضغط على دولنا لإباحة الإجهاض والنظر في استعراض القوانين التي تنصّ على اتخاذ إجراءات عقابية ضد المرأة التي تجري إجهاضًا غير قانوني، وتمت الدعوة بإلحاح للبحث عن بديل للإجهاض عن

طريق «تشجيع الرجل على تحمل نصيبه بالتساوي في رعاية الأطفال والعمل داخل البيت، وتقديم حصته من الدعم المالي لأسرته، حتى وإن كان لا يعيش معها».

إنها محاولات لترقيع تناقضات الفكر النسوي، فبينما تطالب وثيقة إلغاء كافة أشكال التمييز ضد المرأة (السيداو) ومنهاج بكين بضرورة التساوي في نوعية التعليم وطبيعة العمل، ومن ثم أصبحت مشكلة رعاية الأطفال مشكلة ملحّة بحاجة إلى حل، فكان الحل في نظرهم أن يتحمل الرجل نصيبه بالتساوي في رعاية الأطفال والعمل داخل البيت، ولكنهم لم يبتكروا حلًا حتى الآن لرعاية الأجنة وما تعانيه النساء أثناء الحمل، وأيضًا لرعاية الرضع، واللاتي أجبرهن العلم الحديث للدعوة للعودة للرضاعة الطبيعية مرة أخرى!

«الإباحية الجنسية»
واحدة من كوارث «التنمية المستدامة»

في قمة للأمم المتحدة في شهر سبتمبر ٢٠١٥، اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة جدول أعمال التنمية لعام ٢٠٣٠ المعنون ب»تحويل عالمنا: خطة التنمية المستدامة لعام ٢٠٣٠». وتتضمن الخطة ١٧ هدفًا، يتفرع عنها ١٦٩ مقصدًا.

وعلى الرغم من أن الوثيقة تصف نفسها بأنها «ميثاق للناس والأرض في القرن الحادي والعشرين»، إلا أن دراستها بطريقة منهجية متأنية تكشف لنا أن بها العديد من الألغام التي تكفي لتدمير الأسرة، وما يتبع ذلك من انهيار للمجتمعات بل وللمجتمع البشري بأسره.

ومن هذه الألغام الموجودة بالوثيقة، وإن تسربل بدثارات جوفاء، وشعارات براقة؛ بُغية ترويجه، وتيسير تمريره، وبخاصة من قبل الدول المحافظة، وهو: «مصطلح الصحة الجنسية والإنجابية».

ذلك المصطلح الذي شنت النسويات هجومًا واسعًا في السابق؛ بسبب إسقاطه من أهداف الألفية، فتقول إحداهن: «مما يثير الجدل أن التزام أهداف التنمية الدولية بتوفير الصحة الإنجابية للجميع قد أُسقط من أهداف الألفية التنموية نتيجة لمعارضة المحافظين لبرنامج القاهرة للسكان، وما تبقى هو بعض مؤشرات الصحة الجنسية والإنجابية، من بينها نسبة الوفيات بين الأمهات، ونسبة وفيات الأطفال دون الخامسة من العمر، والأهداف الخاصة بالوقاية من مرض نقص المناعة المكتسبة».

ولكنهم نجحوا في إدماجه- كاملًا- في وثيقة التنمية المستدامة، حيث ورد مصطلح الصحة الجنسية والإنجابية بالوثيقة في أكثر من بند، منها: «... وسنعمل على ضمان حصول الجميع على خدمات الرعاية الصحية الجنسية والإنجابية»، «ضمان حصول الجميع على خدمات رعاية الصحة الجنسية والإنجابية، بما في ذلك خدمات ومعلومات

تنظيم الأسرة والتوعية الخاصة به، وإدماج الصحة الإنجابية في الاستراتيجيات والبرامج الوطنية بحلول عام ٢٠٣٠».

والأشد خطورة أن هذه الخدمات لن تُترك لسيادة الدول أن تتعامل معها وفق قوانينها الوطنية أو نظامها الاجتماعي، وإنما نصت الوثيقة «أن يكون وفقًا لبرنامج مؤتمر السكان ومنهاج عمل بكين «ضمان حصول الجميع على خدمات الصحة الجنسية والإنجابية وعلى الحقوق الإنجابية على النحو المتفق عليه، وفقًا لبرنامج عمل المؤتمر الدولي للسكان والتنمية، ومنهاج عمل «بكين»، والوثائق الختامية لمؤتمرات استعراضهما».

الصحة الجنسية والإنجابية:

الفارق بين الصحة الجنسية والصحة الإنجابية هو فارقٌ دقيق، فالصحة الجنسية تشير إلى ما يتعلق بسلامة الجهاز التناسلي والممارسات الجنسية فقط، أما الإنجابية فيزيد على ذلك ما يتعلق بالإنجاب.

ولكي نفهم دلالة المصطلح، يتوجب فهمه بلغة المنشأ الذي صُكَّ فيه، فها هي «مارج بيرير» والتي تتولى تحرير مجلة «شئون الصحة الإنجابية Reproductive Health Matters» التي تصدر في بريطانيا، توضح مدلول المصطلح في افتتاحية العدد رقم ٦ شهر نوفمبر ١٩٩٨، حين ذهبت في نهاية مقالها إلى أن: «معنى الصحة الجنسية يشير إلى كل أنواع الممارسات الجنسية، حسب تعريف منظمة الصحة العالمية، ووثيقة مؤتمر السكان والتنمية ١٩٩٤، على أن تكون الأعضاء التناسلية وما يرتبط بها من أجزاء الجسد الأخرى سليمة ومعافاة».

والبند المشار إليه هو البند ٩٤/ج من وثيقة مؤتمر السكان والتنمية بأنها: «حالة سلامة كاملة بدنيًا وعقليًا واجتماعيًا في الأمور المتعلقة بالجهاز التناسلي ووظائفه وعملياته»، وهذا يعني أن الصحة الجنسية هي:

١- تمتع المخاطب بهذا البند بغض النظر عن حالته الزوجية [١] بكامل المعافاة في كل ما يخص جهازه التناسلي، ووظائفه، وعملياته.

(١) زواج شرعي، أو خارج إطار الزواج.

٢- تمتع المخاطب بهذا البند أيًّا كان توجهه الجنسي[١]، بكامل المعافاة في كل ما يخص جهازه التناسلي، ووظائفه، وعملياته.

٣- وبهذا يصير الختان أيًّا كانت صورته فرعوني أو سني، للذكور[٢] أو الإناث من الممارسات الضارة، والتي ينبغي وقفها بل وتجريمها.

٤- ضرورة توفير التثقيف الجنسي؛ كي يتعلم الأطفال والمراهقون كيفية السلامة من الأمراض الجنسية.

٥- حق المرأة في إشباع غريزتها بالصورة التي تقررها هي، لا التي تضبطها لها أية معايير أخرى إلا معيار السلامة.

٦- حق المرأة في الامتناع عن زوجها، فإذا وطأها بغير كامل رضاها، يعتبر هذا جريمة[٣]، يعاقب عليها القانون، وتسمى بالاغتصاب الزوجي[٤].

وتم تعريف «الصحة الإنجابية» في البند (٩٥) من وثيقة بكين بأنها تعني: «الاعتراف بالحق الأساسي لجميع الأفراد، والأزواج couples في أن يقرروا بحرية ومسئولية عدد أطفالهم، وفترة التباعد فيما بينهم، وتوقيت إنجابهم، وأن تكون لديهم المعلومات والوسائل لذلك، وبالحق في بلوغ أعلى مستوى ممكن من الصحة الإنجابية والجنسية.

وهذا يعني تمتع المخاطب بهذا البند بـ:

١- أزواج كانوا أو أفراد لهم كامل الحرية في اتخاذ قرار الإنجاب من عدمه،

(١) طبيعيًا كان أو شاذا.

(٢) عرض فيلم يحذر من ختان الذكور كواحد من فعاليات المؤتمر الدولي السادس لجمعية تضامن المرأة العربية الذي تبنته وزارة الثقافة المصرية، وعقدت جلساته في قاعة مكتبة القاهرة الكبري بمشاركة وفود من ٩١ دولة، من مخاطر طبية ونفسية على الذكور جراء ختانهم وهم أطفال، إضافة إلى الانعكاسات السلبية التي تصيب الأمهات باعتبار أن ختان أولادهم مظهر من مظاهر العنف الشديد. [محمد صلاح، ختان الذكور معركة جديدة ... لنوال سعداوي، جريدة الحياة، ٧/ ١/ ٢٠٠٢م، ٢٣/ ١٠/ ١٤٢٢هـ، (العدد: ١٤١٧٣)، ص١].

(٣) طالبت وثيقة (بكين+٥) بضرورة التعامل جنائيًا مع ما أسمته بالاغتصاب الزوجي، ومعاقبة الزوج عليه كما في (البند ٦٩d – بكين+٥): «وضع التشريعات و/ أو تعزيز الآليات المناسبة لمعالجة المسائل الجنائية المتعلقة بجميع أشكال العنف العائلي بما في ذلك الاغتصاب في إطار الزواج .. وكفالة سرعة تقديم هذه القضايا للعدالة».

(٤) الاغتصاب الزوجي Marital Rape: «طلب الشريك (الزوج وغيره) للقاء الجنسي دون رغبة الشريكة يُعَدُّ اغتصابا زوجيا، وهو جزء من العنف المنزلي»، موسوعة الزواج، marriage.about.com glossary.

والمقصود بأزواج Partners & couples أي اثنين يعيشان معًا بغض النظر عن نوع الارتباط، والأفراد أي فرد يعيش بمفرده ويتمتع بحياته الجنسية كيفما يشاء.

٢- حرية المرأة والمراهقة في اتخاذ قرار الإنجاب دون أن تُقتل دفاعًا عن الشرف، أو أن توصم بمخالفة شرع، أو أعراف اجتماعية، أو حتى قانونية.

٣- حرية المرأة المتزوجة في أن تقرر تعقيم نفسها دون الرجوع إلى زوجها[١]، فلها الحق في أن تتحكم وتبت بحرية في المسائل المتصلة بحياتها الإنجابية.

٤- حق الجميع بمن فيهم الأطفال والمراهقين في الوصول إلى المعلومات حول الجانب الجنسي والإنجابي.

٥- الحق في أن تكون وسائل منع الحمل متاحة للجميع، وبأسعار زهيدة ليتمكنوا من تأجيل الإنجاب.

أسباب ترويج المصطلح:

يسعى الغرب- بمؤسساته الرسمية وغير الرسمية- سعيًا محمومًا في اتجاهين متناقضيين:

- فهو يدفع بالأموال الطائلة لأقطاره في سبيل تكثير النسل.
- وعلى الجانب الآخر ينفق المليارات في مشروعات تحديد النسل، وإنشاء مستشفيات التعقيم، وإنتاج حبوب منع الحمل لدول العالم الثالث، ويوجه المليارات من أجل ذلك.

فى حين أن هذه المليارات لو أنفقت في مجال النمو الاقتصادي لأثمرت نتائج إيجابية

(١) جاء في تفسير المادة (١٢) في البند (أ) الخاصة بالصحة في «اتفاقية القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة» ما يلي: «تكون للقوانين المتصلة بتقييد حصول المرأة على خدمات تنظيم الأسرة أو استخدامها لها على سبيل المثال اشتراط الحصول على إذن سابق من الزوج كشرط أساسي لتقديم الخدمات أو المعلومات منافية لهذه المادة ويجب بالتالي تعديلها. وعلى الدول الأطراف أن تتأكد أن العاملين في مجال الطب وكذلك المجتمع على علم بأن مثل هذا الإذن غير مطلوب وبأن مثل هذه الممارسة منافية لحقوق المرأة».

في مجال التنمية؛ فلماذا إذن يُصِرُّ الغرب على تحديد نسل العالم الثالث، وتزييف وعي شعوبه بأن التنمية تمر عبر التحكم في الديمغرافيا؟!

إن هذا يعني أن القضايا السكانية تمثل بالنسبة للغرب مجالًا استراتيجيًّا حيويًّا للتدافع الدولي خلال القرن الواحد والعشرين، وقد أوردت مؤسسات غربية- وأبرزها الكنيسة الكاثوليكية- كثيرًا من الإحصاءات والتقارير تدق ناقوس الخطر في أن نسبة المواليد في الدول الغربية في هبوط مستمر، وقد بلغت لدى بعضها درجة الصفر. وهذا الانحسار السكاني سيؤدي إلى ركود اقتصادي واجتماعي خطير.

هذا في الوقت الذي يزيد فيه العالم الثالث، وفي القلب منه العالم الإسلامي زيادة هائلة، قال «ترومان ستو لتنبرغ» المفوض السابق لشئون اللاجئين في الأمم المتحدة لصحيفة «كريستيان سيانس مونيتور سنة ١٩٩٠م»: «إن هذه الزيادة المضطردة في سكان العالم الثالث، والدول الإفريقية خاصة تهدد أمن الدول الأوروبية بشكل مباشر».

وسائل الغرب للحد من النمو السكاني:

لن يصل الغرب لمبتغاه والتبشير بما يريد إلا بتشويه الثقافات الأخرى كعملية لابد منها، فالتخلية تسبق التحلية، ولاسيما إن كانت هذه الثقافات تحوي قِيَمًا تؤدي إلى زيادة النسل؛ كالنظر إلى الزواج على أنه عبادة، وأن من مقاصده حفظ النسل، وتكاثر الذريات واستمرار الحياة، وأيضًا المسئولية في الأسرة التي تحمّل الرجل عبء الإنفاق، ورعاية الأسرة من كل النواحي، بما يجعل المرأة تتفرغ للإنجاب، فضلًا عن الاستقرار الأسري الذي يُهيئ للمرأة المناخ لإنجاب مزيد من الأطفال، ومن وسائل الغرب في الحد من النمو السكاني:

١- ضرب المنظومة العقدية بالتشكيك في الإسلام، وتشويه تعاليمه، وبخاصة الطعن في تعدد الزوجات؛ لأنه سبيل لتكثير النسل.

٢- ضرب المنظومة الأخلاقية، وإيهام المراهقين بأن تلبية الغريزة شأنه شأن تلبية الحاجة للطعام والشراب: وأن يؤمن الجميع بما تؤمن به الثقافة الغربية من أن الجنس

كالطعام، والشراب، والهواء، لا يمكن حرمان الجسد منه، وينبغي توفير وسائل منع الحمل بما يحقق للشباب- تحديدًا- مغنمًا من المتعة بدون مغرم من النسل والذرية.

وأنه على المجتمعات بدلًا من تقييد ممارسة الجنس بمجموعة من الأطر التشريعية والدينية، أن تعترف بحق الجميع في هذه الممارسات وتسمح بها علانية، بل ويجب على الحكومات «استعراض وإصدار قوانين ولوائح تتعلق بالحد الأدنى لسن ممارسة الجنس minimum legal age of consent، والحد الأدنى لسن إتمام الزواج، ورفع الحد الأدنى لسن الزواج حيثما تقتضي الضرورة، وتهيئة التأييد الاجتماعي لإنفاذ تلك القوانين.

٣- رفع سن الزواج بما يقلل من فترة الخصوبة: كما جاء في الدراسة التي أجراها المجلس القومي للسكان بمصر: «أن كل ارتفاع في سن الزواج بمقدار سنة يؤدي في المتوسط إلى خفض عدد الأطفال في الأسرة بنحو ٢١ طفل، وتؤكد الدراسات المختلفة تأثر الخصوبة بشكل مباشر بالسن عند الزواج الأول؛ حيث أن الزواج المبكر يعطي احتمالية أعلى لعدد مرات الحمل والولادة.

٤- إشغال النساء بالتعليم: كإطلاق برامج ومشروعات تعني بتعليم الفتيات؛ لأن هذا من شأنه تأخير الإنجاب من جهة، وذلك حتى تنهي تعليمها، ويُقلل من عدد مرات الإنجاب من جهة أخرى لتغير نظرتها للإنجاب.

ولسنا ضد تعليم المرأة، بل إن الإسلام جعل طلب العلم فريضة، ولكن على ألا يعطل التعليم رسالة المرأة الأساسية بل يصاحبها ويعزز المهام التي كلفها الله بها.

٥- إلهاء النساء بالعمل: الحد من عدد الأولاد من خلال تشجيع النساء على العمل مدفوع الأجر خارج المنزل، فالمرأة التي تزاول عملًا تحتاج إلى الراحة، «وفي دراسة أجريت على ٢٦٠ أسرة عاملة أظهرت أن ٦٧,٣١٪ أطفالهن من ١-٣، و٤٦,٨٪ أطفالهن من ٤-٦، و١,٩٢٪ أطفالهن من سبعة فما فوق.

٦- الترويج لوسائل منع الحمل وجعلها في متناول الجميع مجانًا أو بأسعار رمزية.

٧- الفصل بين المتعة والإنجاب: بالدفع في اتجاه ما يخالف الفطرة كوسائل لإشباع

الغريزة؛ كالعادة السرية، والشذوذ الجنسي، فكلاهما يحقق المتعة الجسدية والانحلال، دون أن يكون هنالك خطر من الإنجاب كما في العلاقات السوية، ويتم إدماجه ضمن منظومة التثقيف الجنسي للأطفال والمراهقين كنوع من أنواع الجنس الآمن.

تداعيات التطبيع مع المصطلح:

١- الترويج للمصطلح يعني بدايةً تثقيف الجميع- وبخاصة المراهقين- بالمعلومات الجنسية: وتعرف الأمم المتحدة الثقافة الجنسية بأنها: «توفير معلومات كاملة ودقيقة عن السلوك الجنسي الإيجابي المأمون والمسئول[١]، بما في ذلك الاستخدام الطوعي لوسائل الوقاية المناسبة والفعالة.

وحتى لا نُتهم بالتخلف وعدم مسايرة ركب الحداثة، فإن هذا التثقيف والموجه بالأساس للأطفال والمراهقين على النحو الذي تريده المنظمة الدولية، قد وُوجِه بمعارضة شديدة حتى من الغربيين أنفسهم، وبدا هذا واضحًا حين أعلنت اليونسكو -وهي الوكالة الدولية المعنية بتطوير التعليم والثقافة في العالم- مؤخرًا عن مشروع توزيع دليل تعليمي على وزارات التربية والتعليم، والمدارس، والمعلمين في العالم؛ بغية إرشاد المعلمين إلى ما يجب تدريسه لصغار السن من مواضيع تتعلق بالجنس، وأجسادهم، والعلاقات، والأمراض المنقولة جنسيًا. فشنت جماعات- أغلبها في الولايات المتحدة- هجومًا على مسودة الدليل التي صدرت؛ لأنها توصي بفتح حوار بشأن المثلية الجنسية، وتصف العفة بأنها: «أحد الخيارات المتاحة أمام صغار السن» لدرء المرض، والحمل غير المرغوب فيه، وتقترح المسودة التحاور مع أطفال تبلغ أعمارهم خمس سنوات حول العادة السرية، وانتقد «كولين ميسون» من معهد بحوث السكان- وهي مؤسسة مناهضة للإجهاض تتخذ من ولاية فيرجينيا الأمريكية مقرًا لها- المشروع قائلًا: «إذا مررت بموقف كهذا أبدًا حيث يتعين تدريس الجنس للأطفال قبل سن البلوغ، فإن هذه ليست الطريقة المناسبة للقيام بذلك».

٢- التوسع في تقديم خدمات منع الحمل والإجهاض للجميع، وبخاصة المراهقين:

(١) الجنس الآمن: هو استخدام كافة الوسائل أثناء الممارسة الجنسية لمنع الحمل ومنع الإصابة بالأمراض الجنسية، وأما الجنس المسئول فهو الاستخدام الطوعي لهذه الوسائل بالاتفاق مع الآخر.

فالتثقيف الجنسي وحده لا يكفي، وإنما يصاحبه تقديم وسائل منع الحمل، وإجهاضه إذا لزم الأمر وفشلت الوسائل، وكأن المجتمع الدولي يعطي الضوء الأخضر للمراهقين «أقبلوا على إشباع فضولكم إثر ما تلقيتم من التعليم، وها هي الوسائل التي تقي الحمل أو الأمراض الجنسية، ولا تخشوا شيئًا، فنحن نعلم حجم مصروف اليد معكم؛ لذا سنوفرها لكم بأسعار زهيدة، أو مجانية إذا اقتضى الأمر».

٣- التخلية بين المراهقين ومقدمي خدمات الصحة الجنسية والإنجابية: وإعطاء مقدمي خدمات الرعاية الصحية الجنسية الحق في التدخل في الأسرة، وعزل الأبناء عن الآباء؛ لاتخاذ قرارات تتعلق بالجنس للمراهقين بمعزل عن الأسرة، وإسقاط توجيهها للأبناء.

وفي وثيقة بكين: «يجب أن تزيل البلدان العوائق القانونية، والتنظيمية، والاجتماعية، التي تعترض سبيل توفير المعلومات، والرعاية الصحية، والجنسية، والتناسلية للمراهقين، كما يجب أن تضمن أن لا تحد مواقف مقدمي الرعاية الصحية من حصول المراهقين على الخدمات والمعلومات التي يحتاجونها، وفي إنجاز ذلك لابد للخدمات المقدمة إلى المراهقين أن تضمن حقوقهم في الخصوصية، والسرية، والموافقة الواعية والاحترام».

٤- أخطار صحية واجتماعية على فئة المراهقين على وجه الخصوص:

فتح هذا المجال أمام المراهقين يجعل طاقاتهم واهتمامهم ينصرف نحو إشباع رغبات مسعورة، كلما لُبِّيَت ازدادت تأجُّجًا، كمن يشرب من ماء مالح؛ لأنها رغبات متفلّتة من كل القيود والمسئوليات، فضلًا عن الأخطار الصحية التي تصاحب هذه العلاقات الجنسية المتحررة كالأمراض المتنقلة جنسيًّا- مرض الزهري، السيلان، الكلاميديا، مرض فقدان المناعة المكتسبة «السيدا/ الإيدز»- وما ينتج عن هذه الأمراض من مضاعفات على خصوبة المرأة، كالعقم بسبب انسداد قناتي فالوب والحمل خارج الرحم.

هذا بالإضافة إلى احتمال حدوث حمل عند المراهقة، وما يمثله من خطورة على

مستقبلها في سن التعلّم لاسيما أنهن- في غالب الأحيان- يلجأن إلى إجهاض الحمل غير المرغوب فيه، وأخطار الإجهاض تصاحبه أخطار وعواقب وخيمة على صحة المرأة النفسية «الشعور بالذنب»، والعضوية «خطر انثقاب الرحم، التعفنات والنزيف الحاد وما تتركه من مخلفات كالعقم والحمل خارج الرحم والإسقاطات المتوالية»، مما قد يحرم المرأة من إمكانية الأمومة فيما بعد.

وفي الحالات التي يحتفظ بها بالحمل تعيش المراهقة «الأم خارج إطار الزواج» مآسٍ نفسية، واجتماعية، واقتصادية تجني على مستقبلها.

٥- ستكون الحقوق الإنجابية مدعاة إلى تغيير قوانين الأحوال الشخصية في البلدان الإسلامية: فهذه القوانين تعد انتهاكًا لحقوق المرأة الإنجابية من وجهة نظر الأنثويات، وتَعدِّيًا على الفضاء الخاص بالمرأة!!

إن كانت المجتمعات الغربية التي أباحت العلاقات الجنسية لكل الأفراد، وجعلتها حقًا من حقوق الإنسان، قد تعاملت مع واقع منحرف نتيجة لمقدمات منحرفة، فلِمَ يُطلب منا أن نتعامل مع هذه النتائج كأنها مُسَلَّمات بديهية لا تقبل النقاش، وإذا كانت هذه المجتمعات قد توصلت إلى تقديم خدمات الصحة الجنسية والإنجابية لأفرادها في محاولة للتعامل مع ما أفرزته تلك الثقافة من ظواهر خطيرة، كظاهرة حمل المراهقات، وظاهرة انتشار الإصابة بمرض الإيدز، فهل تعاني مجتمعاتنا الإسلامية من نفس الظاهرة، حتى يتم ترويج نفس المنظومة فيها؟

أم أن تلك المنظومة تخفي أهدافًا أخرى، من رغبة في شيوع الفاحشة، والفساد الخلقي والانحلال؛ مما يسبب الانهيار لمجتمعاتنا بأكملها، كنتيجة لانهيار المنظومة القيمية والأخلاقية، فتكون لقمة سائغة للمستعمر، الذي خطط ودبر ونفذ كل تلك المخططات للوصول إلى هذه النتيجة، مستغلًا خطاب قضايا المرأة، والبيئة، والتنمية.

«الجنس الآمن»
كما تراه الأيديولوجية النسوية

يحاول التيار النسوي تمرير عدد من المصطلحات والمفاهيم الملتبسة، التي لا يمكن إدراك مغزاها وفهم الأبعاد الفكرية لها إلا من خلال أدبياتهم، ومن أبرز هذه المصطلحات «الجنس الآمن safe sex».

ظهر هذا المصطلح في ثمانينات القرن العشرين كنتيجة لانتشار مرض الإيدز، حيث تم استخدامه في الكتابات المهنية في عام ١٩٨٤ في الولايات المتحدة الأمريكية، في مضمون ورقة عن التأثير النفسي الذي قد يسببه فيروس نقص المناعة البشرية/ الإيدز على الرجال مثليِّي الجنس.

ثم تلقفته الأدبيات النسوية، وتعني به حق المرأة في إشباع غريزتها بالصورة التي تقررها هي، لا التي تضبطها لها أية معايير أخرى (دين أو عادات أو تقاليد)، على أن تمارس الجنس بصورة توفر لها الحماية من الوقوع في براثن الأمراض الجنسية أو الحمل غير المرغوب فيه.

عناصر الجنس الآمن:

وحتى يتحقق هذا المفهوم لابد من توافر عنصرين هامين، تلزم بهما المؤتمرات والمقررات الدولية النسوية الدول والحكومات، وهما:

أولًا: تعليم الجنس:

ويقصد به تقديم جرعة تعليمية جنسية في المدارس ووسائل الإعلام والمؤسسات الثقافية، يتعلم من خلالها المراهقون شتى الطرائق الجنسية والإشكالات المصاحبة لها، يتم اختيار من خلالها إشباع الغريزة الجنسية داخل أو خارج نطاق الزوجية، دونما وقوع آثار جانبية غير مرغوب فيها، كالأمراض التناسلية أو الحمل غير المرغوب فيه، وهذا المعنى يتم طرحه في وسائل الإعلام العربية تحت مسمى «الثقافة الجنسية».

وهذا ما تنادي به المادة ١٠٨ من وثيقة بكين، حيث تطالب بإدراج تعليم الجنس

الآمن safe sex في المناهج التعليمية للمراهقين؛ ليتم ترسيخ الصورة المراد رسمها في وجدانهم ومخيلتهم، فتنص هذه المادة على ضرورة «تصميم برامج محددة موجهة للمراهقين والرجال من جميع الأعمار، تهدف إلى توفير معلومات كاملة ودقيقة عن السلوك الجنسي والإنجابي المأمون والمسؤول، بما في ذلك الاستخدام الطوعي لوسائل الوقاية الذكرية المناسبة والفعالة، بغية الوقاية من فيروس نقص المناعة البشرية/ الإيدز».

ولا يقتصر الأمر على مجرد الاستعراض النصي، بل تحدد المادة ٨٣ من ذات الوثيقة الإجراءات التي يتعين اتخاذها من جانب الحكومات والسلطات التعليمية وسواها من المؤسسات التعليمية والأكاديمية، وأهمها ما أوردته الفقرة (ك) والتي نصت على: «وعند الاقتضاء إزالة الحواجز القانونية والتنظيمية والاجتماعية، التي تعترض التعليم في مجال الصحة الجنسية والإنجابية في إطار برامج التعليم الرسمي بشأن مسائل الصحة النسائية».

ثانيًا: خدمات الصحة الإنجابية:

ويوضحها البند رقم ٩٤ من وثيقة بكين ١٩٩٥ بأنها: «مجموعة الوسائل والتقنيات والخدمات التي تسهم في الصحة الإنجابية والرفاه، عن طريق منع وحل المشاكل التي تكتنف الصحة الإنجابية. وهي تشمل أيضًا الصحة الجنسية التي يتمثل هدفها في تحسين الحياة والعلاقات الشخصية»، ويستلزم هذا البند بالطبع إيجاد الخدمات لتحقيق هذه الرعاية.

وتتمثل هذه الخدمات في موانع الحمل، والواقيات الذكرية والأنثوية، ويتطرق الأمر أحيانًا ليتم الإشارة إلى أن أفضل مراحل الجنس الآمن لا يتم تحققها إلا بالسحاق.

كيف نحمي مجتمعاتنا؟

لقد أراد الفكر الأنثوي من خلال هذه المصطلحات الملتبسة أن يضع إستراتيجية عامة، تسير عليها المجتمعات البشرية بوجه عام، والإسلامية بوجه خاص، مما يستدعي منا:

١- ضرورة توعية المجتمعات بالمصطلحات المطاطة، والتي تستهدف تغريب مجتمعاتنا، ونشر الإباحية الجنسية على نطاق واسع.

٢- التمسك بالهوية الثقافية؛ لمقاومة عملية التذويب الحضاري، والتصدي لمحاولات استهداف جذورنا، ومسخ مجتمعاتنا، حتى تصير بلا هوية أو دين أو ثقافة.

٣- الحفاظ على الحصن الأخير لنا، وهو حصن الأسرة، وذلك بإصلاحها من الداخل، حتى لا يتخذها الآخرون ذريعة لضرب قيمنا والتسلل إلى أبنائنا، وتقديم النموذج الغربي لهم كبديل لما أسموه ب «القيم البالية».

٤- التنبه للطابور الخامس في بلادنا من الجمعيات الأهلية، التي تتلقى تمويلًا مشبوهًا؛ لتنفيذ تلك الأجندة الغربية، مع إضفاء طابع المحلية عليها، كي يتم قبولها من البسطاء، ومن ثم يسهل خداعهم.

٥- إقامة المؤتمرات المناهضة لهذا الفكر المشبوه، وعمل الأبحاث والدراسات وورش العمل التي تتناول سبل مواجهة هذا الخطر «الأنثوي» في الداخل والخارج.

حقوق المرأة
والطفل بين الحقيقة والادعاء

بالأمس قيل: «كم من الجرائم تُرتَكَب باسمك أيتها الحرية!!» وذلك تعليقًا على هذا الكم الكبير من سفك الدماء والدمار الذي أحدثه الثوار الفرنسيون في حربهم ضد الكنيسة والملكية التي مهدت لقيام الجمهورية الفرنسية الحديثة، ورأى العالم مدى التناقض الصارخ بين شعارات الثوار (الحرية - المساواة - الإخاء) وبين ممارساتهم المشينة على أرض الواقع، والموجهة ضد خصومهم.

واليوم يمكن إطلاق العبارة نفسها على قضية حقوق الإنسان، والقول باطمئنان: «كم من المصائب ترتكب باسمك أيتها الحقوق المنسوبة للإنسان!!»؛ فوراء ذلك الشعار البراق يقوم الغرب بعملية غزو فكري منظم تم التخطيط له بعناية لضرب منجزات البشرية في المجال الأخلاقي والاجتماعي، ولمحو الثقافات المخالفة للثقافة الغربية بدعوى العولمة والقرية الكونية الواحدة، ويتخذ هذا الغزو من حقوق المرأة وحقوق الطفل ستارًا لفرض منظومة القيم الغربية الغازية.

وتتخذ المنظمات النسائية الغربية ذات التوجه العلماني من الأمم المتحدة غطاءً لها في سعيها لفرض منظومتها الإباحية على العالم، وكانت وراء ذلك الاهتمام المبالَغ فيه دوليًا بقضايا حقوق المرأة.

وتسعى المنظمات الغربية من خلال الأمم المتحدة إلى فرض منظومة القيم الغربية في مجالات الحياة المختلفة اجتماعية واقتصادية وثقافية، والخروج بوثيقة دولية مُلزِمة لكل دول العالم فيما يسمى بحقوق النساء ضاربةً عرض الحائط بخصوصيات الشعوب وعقائدها. وكانت اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (السيداو) هي خلاصة تلك الجهود.

وقامت (السيداو) بدمج حقوق المرأة في حقوق الإنسان مما جعلها بمثابة إعلان

عالمي بحقوق المرأة، ودعت الاتفاقية إلى المساواة التامة في الحقوق بين المرأة والرجل في جميع الميادين السياسية والاقتصادية والمدنية. وتعد الاتفاقية مُلزِمة قانونيًا للدول التي صادقت عليها، وتتعهد هذه الدول بإلغاء كل التشريعات والقوانين المحلية التي تعتبر تمييزًا ضد المرأة. وتم تشكيل لجان دولية باسم لجان (السيداو) مهمتها مراجعة ما تم إنجازه في كل دولة عضو في هذا المجال كل عدة أشهر، وعلى الرغم من أن الاتفاقية تنص على أن يتم تشكيل لجان (السيداو) بما يعكس التمثيل العادل لكل الثقافات والحضارات والعقائد إلا أن التشكيل على أرض الواقع لم يعكس ذلك بل كانت الأغلبية في عدد الأعضاء هي لممثلي الدول الغربية التي تسعى لفرض مفاهيمها ومنطلقاتها الخاصة بحقوق المرأة على باقي شعوب العالم.

حتمية الصراع:

وتستند اتفاقية (السيداو) على عدة مفاهيم ومنطلقات أساسية تشكل خلفيتها الفلسفية؛ وأول هذه المفاهيم اعتبار المرأة مخلوقًا متفردًا بذاته وليس كائنًا اجتماعيًا له دور من خلال الأسرة، وأن المساواة بين المرأة والرجل هي مساواة مطلقة؛ بمعنى التماثل فيما بينهما واستبعاد أي فروق فسيولوجية أو بيولوجية تميز كلًا منهما عن الآخر، وأن الوصول لتلك المساواة يتطلب صراعًا دائمًا ضد الرجال الذين يمثلون الخطاب الذكوري الأبوي، وإصرار الاتفاقية على تكريس قيم الفردية والتماثل التام بين المرأة والرجل والمساواة المطلقة في الحقوق والواجبات.

والصراع بين الرجال والنساء إنما يعني دفْعَ المرأة للتمرد على عقيدتها وثقافتها وخصوصيتها، وإشعال الفتنة داخل كل أسرة بما يؤدي لتفكيك تلك المؤسسة التي تشكل اللبنة الأساسية لتماسك المجتمعات وبقائها.

وتتضمن الاتفاقية بنودًا تحقق فرض الفلسفة الغربية من خلال ثلاث مواد هي المادة رقم (١) ورقم (٢)، ورقم (١٦)، فعلى سبيل المثال تقول المادة رقم (٢) بضرورة تجسيد مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة في دساتير الدول الوطنية أو تشريعاتها المناسبة الأخرى، كما تنص على اتخاذ التدابير المناسبة بما في ذلك التشريع لتعديل أو إلغاء القوانين والأنظمة والأعراف والممارسات القائمة التي تشكل تمييزًا ضد المرأة.

وأخطر هذه المواد هي المادة رقم (١٦) التي تنص على ضرورة اتخاذ الدول الأطراف جميع التدابير المناسبة للقضاء على التمييز ضد المرأة في كافة الأمور المتعلقة بالزواج والعلاقات الأسرية، وبوجه خاص تضمن على أساس تساوي الرجل والمرأة نفس الحق في عقد الزواج ونفس الحق في اختيار الزوج ونفس الحقوق والمسؤوليات أثناء الزواج وعند فسخه، وفيما يتعلق بالولاية والقوامة والوصاية على الأطفال وتبَنِّيهم!

وهذه المادة التي تعطي للرجل والمرأة الحق نفسه في عقد الزواج وفي أثنائه وعند فسخه- تتعارض مع قاعدة ولي الزوجة عند عقد الزواج، ومع المهر، وقوامة الرجل على المرأة داخل الأسرة، وتعدد الزوجات، ومنع زواج المسلمة من الرجل غير المسلم، وأحكام الطلاق والعدة، وعدة الوفاة، وحضانة الأولاد، والغريب أن الاتفاقية تحظر على الدول الموقعة عليها أن تتحفَّظ على تلك المادة! وحيث يتناقض ذلك مع كتاب الأمم المتحدة حول (التمييز ضد المرأة) الذي يعطي للدول حق التحفظ على بعض بنود الاتفاقية.

وإلى جانب أنها تعد تدخلًا سافرًا في سيادة الدولة على قوانينها ودساتيرها؛ فهي تفرض عليها تغيير دساتيرها وقوانينها التفصيلية بما يتفق مع المفاهيم التي تعرفها (السيداو) حتى ولو تعارضت مع القيم والعقائد والخصوصيات الثقافية للشعوب؛ باعتبار (السيداو) هي المرجعية القانونية لكل دساتير الدول وليس الدين أو الثقافة الوطنية.

التهديد باستخدام القوة:

وتفتح هذه المادة الباب على مصراعيه أمام احتمال اتخاذ الأمم المتحدة مستقبلًا إجراءات لاستخدام القوة أو فرض العقوبات على أي دولة تتضمن تشريعاتها أو قوانين محاكمها المحلية أي تمييز ضد المرأة وفقًا للمرجعية الدولية في هذا المجال، وهي اتفاقية (السيداو) التي تريد الأمم المتحدة أن تكون لها السلطة الأعلى على أي سلطة تشريعية محلية في أي دولة، وأنها (أي الاتفاقية) ناسخة للقوانين المحلية.

والاتفاقية في مجموعها تحارب الخطأ المزعوم بالوقوع في الخطأ نفسه؛ فهي في

سعيها للمساواة المطلقة بين الرجل والمرأة متناسية الفروق التي تميز كل منهما عن الآخر- لا ترى مانعًا من الوقوع في خطأ التمييز ضد الرجل؛ أي إعطاء المرأة حقوقًا أكثر مما يحصل عليه الرجل في المجال نفسه، وينسى مَن وضعوا بنود الاتفاقية أن المساواة بين الجنسين في الخصائص والأدوار الاجتماعية هو الظلم بعينه، وأن المطلوب هو العدل بين الطرفين.

ويأتي مفهوم الجندر (النوع الاجتماعي) ليشكل الأداة الرئيسية لهدم كل الثوابت العقائدية والأخلاقية التي تعتز بها شعوب العالم؛ فهذا المفهوم يمثل حجر الزاوية في اتفاقية (السيداو)؛ فقد ورد في المادة (٥) من الاتفاقية تحت عنوان (تغيير الأنماط الاجتماعية والثقافية لدور كل من الرجل والمرأة)، فالأمومة ليست صفة بيولوجية فسيولوجية لدى المرأة، ولكنها وفقًا لهذه المادة هي وظيفة اجتماعية يمكن أن يؤديها أي شخص حتى ولو كان هذا الشخص هو الرجل نفسه!!

ويفتح المفهوم الباب لكل من يريد تغيير نوعه من ذكر إلى أنثى أو العكس باعتبار ذلك حقًا من حقوق الإنسان، ويفتح الباب أيضًا لما تسميه الاتفاقية بالأنماط الجديدة للأسرة التي تتكون من رجلين أو امرأتين وليس المفهوم المتعارف عليه على مدى التاريخ البشري للأسرة الذي يتكون من رجل وامرأة يربط بينهما رباط الزوجية بهدف إنجاب الأطفال والمحافظة على النوع البشري.

وتنص المادة (١٠) من الاتفاقية صراحة على أن يكون التعليم مختلطًا بين الشباب والشابات، وضرورة القضاء على أي مفهوم عن دور الرجل ودور المرأة على جميع مستويات التعليم، وتغيير المناهج الدراسية لتحقيق ذلك، وهذه المادة تشكل خطرًا على الأجيال القادمة التي يراد أن تربى على إزالة أي حواجز أو فروق نفسية أو اجتماعية أو بيولوجية بين الرجل والمرأة لينتج لدينا أجيال من الرجال تتشبه بالنساء وتؤدي أدوارهن، وأجيال من النساء تتشبه بالرجال وتمارس أدوارهم!!

والمادة (١٢) تطالب بمساواة الرجل والمرأة في الاستحقاقات الأسرية التي يدخل فيها المساواة في الميراث رغم تعارض ذلك مع الشريعة الإسلامية التي ارتبط نظام توزيع الميراث فيها بطبيعة النظام الاجتماعي الإسلامي الذي يعفي المرأة تمامًا من أي

التزامات مالية تجاه نفسها وتجاه أسرتها، ويلقي بهذا العبء على زوجها أو أقاربها إذا لم تكن متزوجة.

عالم جدير بالأطفال:

وفي إطار المحاولات لإصدار وثيقة دولية ملزمة في مجال الأطفال والمراهقين نقلت المنظمات النسائية الغربية الإباحية نشاطها إلى هذا الميدان لتستكمل دورها المشبوه المتمثل في فرض منظومتها الثقافية على دول العالم في كل المجالات، وتحت عنوان: (عالم جدير بالأطفال) تم تضمين هذه المنظومة في عدد كبير من بنود مشروع الوثيقة المؤقت الخاص بالأطفال.

وكما فعلت تلك المنظمات في الوثيقة الخاصة بالمرأة من إهمال للواجبات والتركيز على الحقوق تكرر الموقف نفسه تجاه حقوق الأطفال؛ فهي تتوسع في تلك الحقوق وتهمل الواجبات المطلوبة من الأطفال والمراهقين تجاه الأسرة والمجتمع، كما أنها أهملت تمامًا الالتزامات المطلوبة من جانب الدول الغربية تجاه رفع الظلم الواقع على نساء العالم وكذلك الأطفال نتيجة الفقر والنزاعات المسلحة التي يقوم الغرب بدور بارز في تأجيجها وإثارتها تحقيقًا لمصالحه في مناطق العالم المختلفة خاصة إفريقيا.

وللأسف تم نقل كل السموم الواردة بوثيقة المرأة إلى الوثيقة المؤقتة الخاصة بالأطفال؛ فالبند (٥٨ج) والبند (٦٥) من تلك الوثيقة يدعوان لتمكين الطفل والبالغ ولكن ليس داخل سياق الأسرة الطبيعية وإنما من داخل سياقات أخرى مختلفة، وكأن المطلوب قطع صلة الطفل والبالغ من إطاره الأسري وعلاقته بوالديه، وأعطت الوثيقة للأطفال القادمين من علاقات غير شرعية بين الرجال والنساء حقوق الأطفال الشرعيين نفسها، وكأنه تشجيعٌ على الحمل السِّفاح.

وجسدت المادة (٣٦) من الوثيقة المؤقتة فكرة المساواة المطلقة مقررة التماثل بين الأولاد والبنات متجاهلة الفروق البيولوجية والنفسية والفسيولوجية بينهما، كما أنها تنحاز للبنات ضد الأولاد، ويتضح ذلك من المادتين (١٦، ٦٥) حيث تقول المادة (٦٥): «إن إمكانية الحصول على التعليم الأساسي يعد حقًا من حقوق الإنسان. ويساعد

على وضع أقدام الأطفال لا سيما الفتيات على طريق التمكين»، ومن بين ثنايا عشرات البنود لم يتم الإشارة إلى الدين بوصفه عاملًا فعالًا من عوامل تنمية الطفل إلا مرة واحدة في البند (٦٢).

وقامت الوثيقة بإدخال المراهقين ضمن مرحلة الطفولة رغم الاختلاف الكبير بين سمات وخصائص كل من الأطفال والمراهقين، وربطت بين قضايا النساء والأطفال، واستبعدت الرجال تمامًا رغم أنهم جميعًا يعانون نفس الظروف خاصة عند الحديث عن تحدي (الصراعات المسلحة).

وأغفلت الوثيقة المآسي التي يعاني منها الأطفال في العالم الثالث من جراء الحصار الاقتصادي الذي تفرضه الأمم المتحدة على بعض الدول، وهو الحصار الذي يتسبب في حصد أرواح المئات من الأطفال بسبب عدم توفر الغذاء والدواء، كما لم تُشِر الوثيقة إلى الالتزامات الواجبة على الدول الصناعية الكبرى تجاه دول الجنوب الفقيرة لرفع مستوى معيشة فئات المجتمع ومن بينهم الأطفال.

الالتزامات الغائبة:

وتحرِّم المادة (٤١) من الوثيقة المؤقتة كل مظاهر وأشكال العنف الموجه ضد الأطفال، وتطالب بوضع قوانين على صعيد المجتمع المحلي لتعزيز نظم الوقاية من العنف والحماية منه. والمتأمل في هذه المادة يجد أنها يمكن أن تستخدم في منع الوالدين من حق تأديب أطفالهم باعتبار أن ذلك التأديب يدخل في باب العنف الموجه لهؤلاء الأطفال تمهيدًا لإعطائهم حق طلب إنزال العقوبة بالوالدين أو توفير أسرة أخرى لهؤلاء الأطفال أسوة بما يجري حاليًا في المجتمعات الغربية.

وحين تتحدث المادة (٤٥) عن «ضرورة إيجاد حلول شاملة لمعالجة المشكلات التي تدفع الأطفال إلى العمل وإلى العيش في الشوارع، وتنفيذ برامج وسياسات مناسبة لحماية أطفال الشوارع وتأهيلهم ودمجهم في المجتمع مرة أخرى»، لم تلزم هذه المادة الدول الصناعية الكبرى بالتزامات مالية محددة لمساعدة ٢٥٠ مليون طفل على مستوى العالم يعانون من العيش في الشوارع والعمل في سن الطفولة.

فالدول الفقيرة التي تعاني من ظاهرة عمالة الأطفال وأطفال الشوارع لا تملك من الموارد ما يمكِّنها من تبني البرامج والسياسات التي تطالب بها تلك المادة من الوثيقة المقترحة مما يوجب على دول الشمال الغني القيام بمسؤوليتها تجاه دول الجنوب التي يتم استنزاف معظم ميزانياتها لسداد ديونها وفوائدها الباهظة المستحقة عليها لصالح دول الشمال.

وحين تطالب المادة (٤٦) ب «تحسين السياسات والبرامج الموضوعة لحماية الأطفال اللاجئين والمشردين داخليًا، ولرعايتهم ولتوفير الرخاء لهم» أهملت الحديث عن ضرورة الحفاظ على هوية هؤلاء الأطفال الثقافية والدينية، وما جرى من محاولات تنصير الأطفال اللاجئين من جانب مؤسسات التنصير الغربية لم يعد خافيًا على أحد، ولا تشير إليه الوثيقة باعتباره عدوانًا على حق هؤلاء الأطفال في الحفاظ على عقيدتهم وهويتهم.

وتشير المادة (٥٠) إلى «ضرورة اتخاذ إجراءات عاجلة لمنع انتقال فيروس نقص المناعة الإيدز من الأمهات إلى أطفالهن وفيما بين المراهقين»، وتتغافل عن الدعوة إلى الالتزام بقيم العفة، وعدم ممارسة العلاقات الجنسية خارج نطاق الزواج الشرعي؛ باعتبار ذلك الضمانة الأساسية لوقف الإصابة بالإيدز وانتشاره وانتقاله من الأمهات المصابات إلى أطفالهن، خاصة وقد ثبت أن إجراءات الوقاية التي تعتمد على الأساليب الطبية وحدها عجزت عن وقف انتشار المرض.

والوثيقة حين تتحدث عن دور المراهقين في الدعوة إلى السلام العالمي لم توضح كيف يتم ذلك تجاه الدول التي تقوم باحتلال أراضي الغير بالقوة كما هو الحال بالنسبة لـ «إسرائيل»؟! وكيف يكون هناك سلام بين الجاني والمجني عليه؟! وأغفلت الوثيقة تمامًا الإشارة إلى أن النضال من أجل تحرير الأراضي المحتلة هو حق مشروع للشعوب كما ينص على ذلك القانون الدولي.

وتعتبر الوثيقة المقترحة الزواج المبكر نوعًا من أنواع العنف ضد الفتيات، وضرورة منع هذا النوع من الزواج الذي يعتبره الإسلام أمرًا مرغوبًا فيه لتحصين الشباب ضد الانحراف. وفي الوقت الذي تعلن فيه المنظمات الغربية العلمانية الحرب على الزواج

المبكر فإنها تدعو إلى حق المراهقين في ممارسة الجنس وتعتبر ذلك حقًا أساسيًا من حقوقهم، وهي بذلك ترفض ممارسة الجنس في إطار الزواج الشرعي الذي يحفظ حقوق الفتاة، وتبيح هذه الممارسة ذاتها خارج النطاق الشرعي!!

ثم ماذا بعد ذلك؟

والسؤال الذي يفرض نفسه- أمام هذا الاجتياح المنظم لثقافات وخصوصيات شعوب العالم تحت ستار دعم وإقرار حقوق الإنسان- هو: ماذا بعد؟ وما هو دور البلاد الإسلامية حكومات وشعوبًا في وقف هذا الغزو والاجتياح؟ والإجابة تتطلب تحركًا فاعلًا من جانب الحكومات والمنظمات الأهلية غير الحكومية داخل بلدان العالم الإسلامي من أجل التواجد المثمر داخل تلك المؤتمرات الدولية التي تتم تحت مظلة الأمم المتحدة حتى لا يتم السماح بتحويل القيم الإباحية إلى بنود ثابتة في مواثيق المنظمة الدولية.

وفي المرحلة المقبلة تقع مسؤوليات إضافية على المؤسسات والمنظمات الإسلامية وفي مقدمتها منظمة المؤتمر الإسلامي، والمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة، ورابطة العالم الإسلامي، واللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل التابعة للمجلس الإسلامي العالمي.

وفي مقدمة هذه المسؤوليات إعداد شخصيات مؤهلة شرعيًا وعلميًا للمشاركة في هذه المؤتمرات لإجهاض كل محاولات تمرير البنود التي تدعو للإباحية وتتصادم مع الإسلام.

وتتطلب المواجهة مع تيار الغزو الثقافي الغربي تفعيل دور القنوات الفضائية المملوكة للعرب والمسلمين في توعية المشاهدين بأخطار منظومة القيم الغربية على مسيرة الإنسان المعاصر عامة وعلى المسلم خاصة، وكشف الدور المشبوه للمنظمات النَّسَوِيَّة الغربية التي تتستر خلف حقوق المرأة والطفل لفرض قيمها المنحرفة على شعوب العالم.

وتتطلب المواجهة أيضًا كشف الأوضاع المزرية التي تعاني منها المرأة في الغرب

التي تحولت إلى سلعة في الإعلانات التجارية، وجسد تجني من ورائه الشركات العملاقة الكثير من الأموال، وضحية للعنف المبالَغ فيه ضدها رغم ما يتشدق به الغرب من دعاوى حقوق الإنسان، فلم يعد مناسبًا أن تظل الشعوب المسلمة في موقف الدفاع عن عقيدتها وهويَّتها، وآن الوقت لأن تتحول إلى مرحلة الهجوم وفضح ممارسات الغرب ضد المرأة داخل الغرب ذاته.

حقوق الإنسان في المنظور الغربي

يظل ملف حقوق الإنسان في معظم دول العالم متقدًا بصورة مستمرة من قِبَل المنظمات والجماعات التي أناطت نفسها بمهمة الدفاع عن حقوق الإنسان. إلا أنه من اللافت للنظر أن ملف حقوق الإنسان في دول العالم الإسلامي يبقى دومًا الأكثر عرضة للانتقاد اللاذع من قِبَل هذه المنظمات والجماعات.

المنظمات العاملة في مجال حقوق الإنسان:

إن احترام حقوق الإنسان وصيانتها واجب على كل ذي ضمير؛ فدونها يصبح الإنسان غير آمن على نفسه. لكن يجب أن يتفق الجميع أولًا على ما هو المقصود بمفهوم حقوق الإنسان؟ ومن ثم العمل على حمايتها وصيانتها.

وقبل أن نبحث موضوع حقوق الإنسان بصورة وافية لا بد أولًا من التعرف على المنظمات العاملة في هذا المجال، وما تستند عليه في عملها.

على الرغم من وجود بعض المنظمات والجماعات العاملة في مجال حقوق الإنسان منطلقة من بلدان العالم الإسلامي أو تعمل برؤية إسلامية؛ إلا أننا نجد أن أثرها غير كبير ولا فاعل على المستوى الدولي، وتبقى المنظمات الغربية العاملة في هذا المجال الأكثر انتشارًا والأوفر تمويلًا.

وبينما تتعدد هذه المنظمات في الغرب إلا أن أكبر منظمتين هما: (منظمة العفو الدولية) ومقرها في لندن ولديها فروع في عدد من دول العالم، و(منظمة مراقبة حقوق الإنسان) الأمريكية المنشأ والمقر.

وتقوم هذه المنظمات بنشر البحوث التي تجريها على مستوى دولي، وتنجح في معظم الأحيان في استمالة الرأي العام في مختلف دول العالم إلى جانبها، وتقوم بتعبئة الرأي العام في كل دولة للضغط على حكوماتهم للإصغاء لما تراه هذه المنظمات انتهاكًا لحقوق الإنسان. وقد أشار استطلاع للرأي أجري مؤخرًا إلى أن عامة مواطني الدول

الغربية يثقون بالمنظمات غير الحكومية- ومن ضمنها منظمات حقوق الإنسان - أكثر مما يثقون بحكوماتهم.

الإعلان العالمي لحقوق الإنسان:

وعلى الرغم من ترديد منظمات حقوق الإنسان المستمر لاحترامها للعقائد والأديان المختلفة وأنها محايدة تمامًا دينيًا وسياسيًا، إلا أننا نجد أن المنظور الذي تتخذه هذه المنظمات الحقوقية هو علماني غربي بحت لا يضع أي اعتبار لأي عقيدة أو دين أو منظور آخر ولا يقبله. وتبني هذه المنظمات عملها على القوانين الدولية والإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

اعتمد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في العاشر من (كانون الأول) ديسمبر عام ١٩٤٨م في وقت كانت فيه معظم دول العالم مسلوبة الإرادة وترزح تحت وطأة الاستعمار الغربي. ونجد أن عدد الدول التي كانت تتمتع بعضوية الأمم المتحدة حينذاك هو فقط (٥٨) دولة من أصل (١٨٩) دولة التي تشكل عضوية الأمم المتحدة اليوم، كما أن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان أتى في وقت كانت فيه الدول الغربية التي عملت على صياغة هذا الإعلان وإعداده تقوم بأعمال وممارسات في مستعمراتها منافية تمامًا لمواد الإعلان نفسه.

وإن كانت معظم مواد الإعلان العالمي يقبلها العقل؛ إلا أن بعض مواد الإعلان أو تأويلها حسب ما تشتهيه المنظمات الحقوقية لا يتوافق مع العقيدة الإسلامية.

ومن أبرز هذه المواد: (المادة الثامنة عشرة) المثيرة للجدل في أوساط العالم الإسلامي، حيث إنها تقول: «لكل شخص حق في حرية الفكر والوجدان والدين، ويشمل هذا الحق حريته في تغيير دينه أو معتقده، وحريته في إظهار دينه أو معتقده بالتعبد وإقامة الشعائر والممارسة والتعليم، بمفرده أو مع جماعة، وأمام الملأ أو على حدة».

ومعنى نص هذه المادة واضح وهو أن أي شخص يمكنه تغيير دينه، وهو الأمر الذي يتعارض مع الدين الإسلامي، وإضافة إلى ذلك فإن جميع الجماعات التي

تؤمن بمعتقدات شاذة في العالم مثل عبدة الشيطان وغيرهم يمكنهم ممارسة أنشطتهم وعباداتهم الشاذة أمام الملأ دون أن يلاحَقوا قضائيًا.

والسبب في وجود مثل هذه المواد في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان هو كما أسلفنا أنه في أغلبه صنيع الدول الغربية التي كانت تهيمن على الأمم المتحدة حين صدور هذا الإعلان؛ ومن ثم فإن الإعلان يستند على المنظور الغربي في معظم مواده، وإن كانت معظم دول العالم اليوم قد وقعت على قبوله أساسًا لحماية حقوق الإنسان في مختلف أنحاء العالم، إلا أن غالبيتها لم تتح لها الفرصة للمشاركة في إعداده وصياغته، وهو ما يطرح التساؤل عن مدى مصداقيته وفاعليته!

الخلاف بين الإسلام والغرب على منظور حقوق الإنسان:

إن الإسلام دين طهارة وصفاء، وتدعو أحكامه إلى الطهر والعمل على تزكية النفس من كل الأحقاد والشرور، ويلزم الإسلام جميع المسلمين باحترام حقوق الإنسان في العيش الكريم والحرية والعمل على إرساء هذا المفهوم أينما ذهبوا.

وفي نفس الوقت نجد أن الغرب قنن تحت مسمى حقوق الإنسان، للعديد من الممارسات والمفاهيم الهادمة للأخلاق والمجتمع.

اتجه العالم الغربي في السنوات الماضية إلى ضمان الحق لمن أراد ممارسة الشذوذ الجنسي، بل وساوى بين الشواذ جنسيًا والمثليين وبين الأسرة الطبيعية المكونة من رجل وزوجة في الحقوق، وأعطى القانون هؤلاء المثليين الحق في تبني الأطفال. إن المؤلم في الأمر أن كل من يوجه أي انتقاد لهذه الجماعات الشاذة يعتبر معاديًا للمثلية (Homophobic) ويصبح عرضة للملاحقة القانونية.

وتكاثرت الجماعات ذات المعتقدات الشاذة المبنية على السحر والشعوذة وإباحية الجنس؛ والمدهش أن كل هذه الجماعات الشاذة تحظى بالقبول في الدول الغربية والدول المقلدة لها، ويسمح لهم بممارسة معتقداتهم بحرية تامة.

وبطبيعة الحال ينظر الغرب لمحاسبة مثل هذه الجماعات أو التعرض لها قانونيًا في دول أخرى على أنه انتهاك لحقوقهم. ويعتبر أفراد هذه الجماعات سجناء أي إذا ما

اعتقلوا أو تم سجنهم؛ كما أن رفض المجتمع المسلم لمثل هذه الممارسات ومحاربته لها يعتبر في نظر الغرب انتهاكًا للحريات الأساسية والقانون والمعاهدات الدولية.

الحدود والقصاص:

تنظر منظمات حقوق الإنسان الغربية إلى عقوبة الإعدام على أنها حرمان الإنسان من حقه في الحياة مستندة في ذلك إلى المادة الثالثة من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، كما تعتبر هذه المنظمات عقوبة الإعدام عنفًا مقننًا تمارسه الدولة المطبقة لهذه العقوبة ضد مواطنيها.

ولا تستثني هذه المنظمات أي تطبيق لعقوبة الإعدام حتى وإن كان المحكوم عليه قاتل معترف بجرمه.

وإن كانت المادة الثالثة من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان تنص على أن«لكل فرد حقًا في الحياة والحرية وفي الأمان على شخصه» فإن تأويل هذه المادة ليصبح لصالح القتلة يعني إنكار نصها على القتيل الذي سلبه القاتل حقه في الحياة والأمان على شخصه.

لم يرفض الإسلام العفو عمن ارتكب جريمة قتل، بل أوجد الدية والعفو من قِبَل أسرة القتيل، إلا أنه كذلك حفظ حق الضحية بالقانون فأمر بالقصاص من القاتل.

إن إنكار مثل هذا الحق بالنسبة للضحية يكون موالاة للقتلة وإهدارًا لدم الضحايا.

ويعتبر العالم الغربي ومنظماته الحدود الإسلامية من جَلْد، وقطع ليد السارق نوعًا من التعذيب المهين والحط من كرامة الإنسان.

ويستند الغرب في ذلك إلى المادة الخامسة عشرة من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان التي تنص على أنه «لا يجوز إخضاع أحد للتعذيب ولا للمعاملة أو العقوبة القاسية أو اللا إنسانية أو الحاطة للكرامة».

وعلى الرغم من كل هذه الانتقادات للأحكام والحدود الإسلامية لا ترى المنظمات الحقوقية الغربية نفسها منتقدة للشرع الإسلامي وإن كانت تردد في كل محفل احترامها للأديان والعقائد، إلا أنها من جهة أخرى توجه أبلغ الإهانات بصورة غير مباشرة.

كما أن النقطة الهامة هي مدى حياد هذه المنظمات دينيًا وسياسيًا كما تردد؛ حيث إن العمل المكثف الذي تقوم به هذه المنظمات والذي ينتقد باستمرار أوضاع حقوق الإنسان في العالم الإسلامي؛ بينما تنتقد الدول الغربية بحياء، يشكك كل ذي عقل بمصداقيتها. كما أن تقارير هذه المنظمات الدورية تكاد تخلو من الانتقادات للدول الغربية على الرغم من تفشي العنصرية والمعاملة السيئة للأقليات الموجودة في هذه الدول.

حقوق المرأة:

إن قضية حقوق المرأة تظل واحدة من أكثر القضايا أهمية في العالم أجمع.

وعلى الرغم من قلة عمل المنظمات الحقوقية الغربية في شأن حقوق المرأة، إلا أننا نجد أن المرأة فيما يسمى بدول العالم الثالث والمرأة المسلمة دائمًا توصف على أنها مهضومة الحقوق وتعاني من تمييز منظم ومستمر من قِبَل مجتمعاتها، وتصور على أنها ضحية التقاليد التي يمارسها ضدها مجتمعها الذي تعيش فيه.

وإضافة إلى ذلك ينظر للمرأة المسلمة على أنها تلك التي تعيش في عصور سحيقة وتلزم بارتداء لباس معين (ويقصد بذلك الحجاب الشرعي)، وغير مسموح لها بالتحرك ومغادرة منزلها.

إن تصوير أوضاع المرأة المسلمة على هذا النحو لا يمكن أن يمر على إنسان مسلم أو غير مسلم إذا عاش في إحدى الدول الإسلامية؛ حيث إن الاحترام الذي تلاقيه المرأة، مسلمة كانت أو غير مسلمة، في العالم الإسلامي لا يتوفر لأي امرأة أخرى في العالم أجمع.

ونجد أن الإسلام كفل للمرأة حقوقًا غير موجودة في أي عقيدة أو ديانة أو أي قانون وضعي.

ومن الغباء أن يعتقد أي شخص أن احتشام المرأة انتهاك لحقها. إن المرأة المسلمة مطلوب منها أكبر دور في المجتمع المسلم ألا وهو بناء أسرتها وتأسيسها على التقوى ومخافة الله، وهي تتمتع بالعديد من الميزات التي لا تجدها نظيراتها في

العالم. ومن بين هذه الميزات ضمان الحماية لها من قِبَل أفراد أسرتها ومجتمعها، وتجد المرأة في المجتمع المسلم في رفقة الرجل من محارمها عزة لا تجدها النساء الأخريات غير المسلمات.

أما إذا كان القصد بحريات المرأة التي تدعو لها المنظمات الحقوقية والغرب هو ما ابتليت به المرأة في المجتمع المادي من إباحية واستهتار بالقيم، فسنجد أن المرأة المسلمة قبل رفض مجتمعها رافضة لهذه الحريات المزيفة.

إن الانحلال والانهيار الأخلاقي الذي تشهده المجتمعات المادية والغربية أصبح واضحًا للعين المجردة، وقد نشأ في السنوات الأخيرة كثير من الأطفال الذين لا يعرفون آباءهم بسبب اختلاط الأنساب وتفشي الفاحشة في أوساط المجتمعات الغربية والمادية.

كما أن نسبة العنف المنزلي والجريمة ضد المرأة في تزايد مستمر، وأصبحت حالات الانتحار في الغرب مصدر قلق للمجتمعات هناك، ونجد أن نسب حالات الانتحار تزداد كلما ازدادت نسبة الإباحية والانحلال الأخلاقي.

أصبحت المرأة في المجتمع الغربي والمادي سلعة تباع وتشترى، وقد نشطت مؤخرًا العصابات المنظمة التي تقوم بجلب النساء من دول مختلفة في العالم، ولا سيما دول أوروبا الشرقية، وإجبارهن على ممارسة الدعارة وغيرها من الفواحش، ونادرًا ما نسمع أي انتقاد يوجه من قِبَل المنظمات الحقوقية الغربية لمثل هذا النوع من الاستعباد أو للدول التي يقع في أراضيها مثل هذا الانتهاك الصريح لحقوق النساء والإنسانية.

المادتان (٢٩) و(٣٠) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان:

على الرغم من وجود عدد من المواد المتضاربة مع القيم والمبادئ الإسلامية في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والتي تعرضنا لها في موقع سابق في هذا الموضوع، إلا أنه من الهام جدًا التعرض للمادتين (٢٩) و(٣٠) من الإعلان.

تقول الفقرة الأولى من المادة (٢٩) من الإعلان: «على كل فرد واجبات إزاء الجماعة التي فيها وحدها يمكن أن تنمو شخصيته النمو الحر الكامل».

كما أن الفقرة الثانية من نفس المادة تقول: «لا يخضع أي فرد في ممارسة حقوقه

وحرياته إلا للقيود التي يقررها القانون مستهدفًا منها، حصرًا، ضمان الاعتراف الواجب بحقوق وحريات الآخرين واحترامها، والوفاء بالعادل من مقتضيات الفضيلة والنظام العام، ورفاه الجميع في مجتمع ديمقراطي».

ونص هذه المادة يعني أن كل شخص يتوجب عليه احترام حقوق الآخرين وحرياتهم، والالتزام بالفضيلة والنظام العام. إلا أن الدول التي تحارب أي نوع من الممارسات غير الأخلاقية والمنافية للفضيلة والقيم بالنسبة لمجتمعاتها تصبح مدانة بانتهاك حقوق الإنسان بالمنظور الغربي.

إن هذه المادة تمنح الحق للدول في سن القوانين على حسب حاجة مجتمعاتها، ولا بد للآخرين من احترام خيار كل مجتمع أو دولة حتى إذا اختلفت نظرة تلك المجتمعات والدول للقيم عن المجتمعات والدول الأخرى في العالم.

وبناء على ذلك فإن على العالم أن يحترم خيار المجتمعات والدول الإسلامية في حفاظها على الفضيلة وطهارة المجتمع باختيارها المنهج والشرع الإسلامي قانونًا لها يحكم حياتها.

من ناحية أخرى تنص المادة (٣٠) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على أنه «ليس في هذا الإعلان أي نص يجوز تأويله على نحو يفيد انطواءه على تخويل أية دولة أو جماعة، أو أي فرد، أي حق في القيام بأي نشاط أو بأي فعل يهدف إلى هدم أي من الحقوق والحريات المنصوص عليها فيه».

إذن مطلوب من المنظمات الحقوقية عدم تأويل نصوص الإعلان لاستخدامها ضد الدول والمجتمعات الإسلامية التي تعتبرها هذه المنظمات مخالفة للقوانين الدولية ومنتهكة لحقوق الإنسان لا لشيء إلا لأنها انتهجت نهجًا إسلاميًا.

واجب المسلمين:

على المسلمين أن يَعُوا خطورة الادعاءات التي تثار حول مسألة حقوق الإنسان، وإن كان الجميع يتفقون على أن الإنسان لا بد أن تُصانَ كرامتُه وحقوقه في الحياة والعيش

الكريم؛ فإنه يتوجب علينا التمييز بين حقوق الإنسان والدعوة إلى الانحلال والتفسخ الأخلاقي في المجتمع.

إن القوانين تسن في كل دولة حسب حاجة المجتمعات الموجودة بها لما يضمن استقرارهم وأمنهم، ويعلم المسلمون جيدًا أنه لا يوجد أي قانون وضعي في العالم أجمع يسلم من الثغرات والأخطاء، وأكبر دليل على ذلك هو التعديلات المستمرة التي تطرأ على القوانين الوضعية.

ويجد المسلمون في الاحتكام إلى كتاب الله ﷻ السبيل الوحيد لضمان قوانين عادلة وشاملة لمجتمعاتهم تضمن حق المسلم وغير المسلم.

كما يجب على المسلمين تفحُّص الخطاب المغلف الذي توجهه الجماعات الحقوقية في الغرب، والتي من ناحية تصر على ضرورة احترام الأديان والمذاهب وكفالة حرية الممارسة لها، وإن كانت تنفي عن نفسها أي انتماء ديني، ومن ناحية أخرى تنتقد أحكامًا وحدودًا في صميم العقيدة الإسلامية.

فالعالم الإسلامي يرى أن حقوق الإنسان تصان عندما يُحتَرم الإنسانُ وأسرتُه ومجتمعُه ودينُه وعقيدتُه بالإضافة إلى توفير كل السبل للحياة الكريمة والآمنة له، وليس بفرض القوانين الناشئة المدمرة للأخلاق والفضائل والمجتمع.

ولا بد من الانتباه إلى أن قضية حقوق الإنسان أصبحت ضرورية في الغرب تُستَخدم لإخضاع الدول سياسيًا إلى جانب الغرب، ويلي إدانة الدول بانتهاكات حقوق الإنسان فرض حصارات اقتصادية وعسكرية وسياسية وعلمية، وتستمد الشرعية لذلك بقرارات تصدر عن المؤسسات والهيئات الدولية.

ويبقى من المهم أيضًا أن يجمع المسلمون كلمتهم للعمل بشكل علمي مدروس من أجل تعبئة الرأي العام الإسلامي والرأي العام الدولي الذي يحتكم إلى العقل للضغط من أجل ضمان أن القوانين الدولية الموجودة حاليًا وتلك التي تسن من جيل إلى آخر، لا تتضارب مع الأحكام والشريعة الإسلامية، كما أنه لا بد من ضمان حق الدول الإسلامية في التحفظ على كل ما هو منافٍ للشرع الإسلامي إذا ما أجيزت هذه القوانين بغالبية

الدول الأعضاء في المنظمات الدولية، وأن يكون هذا التحفظ ضمانًا بعدم إلزام الدول الإسلامية بتطبيق المواد والقوانين المخالفة للشرع الإسلامي.

كما أنه لا بد أن يعمل المسلمون من أجل ضمان أن لا تكون قضية حقوق الإنسان سببًا في التدخل في شؤون بلادهم، وما يتبع ذلك من فرض لشتى أنواع الحصارات والعقوبات.

ويجب أن يعمل المسلمون على تكوين منظمات إسلامية لحقوق الإنسان تعمل بأسلوب علمي تقوم برصد ما يقع من انتهاكات لحقوق الإنسان في العالم من منظور إسلامي بالإضافة إلى مساندة الأقليات المسلمة التي تعاني من انتهاكات لحقوقها في أي بقعة من بقاع الأرض، وبذل الجهود لكي تحتل هذه المنظمات الإسلامية مكانة في مواقع صناعة القرار الدولي كما هو الحال الآن بالنسبة للمنظمات الغربية.

عجائب وغرائب

• أليس غريبًا أن تخصص موازنات مالية كبيرة لمكافحة الختان في السودان ومصر وغيرهما من الدول الإسلامية، في الوقت الذي تفتقد كثير من النساء حقوق العلاج والدواء من أبسط الأمراض، فضلًا عن الأمراض الوبائية التي تفتك بالنساء والأطفال خصوصًا؟!!!

• أليس غريبًا أن تجتهد بعض المنظمات النسوية الغربية والعالمية في الترويج لوسائل منع الحمل في الوقت الذي تتغافل فيه عن دراسة أسباب انتشار الأمراض الجنسية الفتاكة في بلادهم والتي عبثت بالنساء والمراهقات منهن خصوصًا؟!

• والأغرب من ذلك أن تقرّ هيئة الأمم المتحدة- في مؤتمراتها ومواثيقها الدولية- الزنا والإجهاض، بل والشذوذ الجنسي، وتعدّ ذلك من الحريات التي يجب المطالبة بها والدفاع عنها، في الوقت الذي يحاربون فيه الزواج المبكر!!

«دور المرأة في صميم أي ثقافة، فإلى جانب سرقة نفط العرب فإن الحرب في الشرق الأوسط إنما هي لتجريد العرب من دينهم وثقافتهم واستبدال البرقع بالبكيني»!!

«لست خبيرًا في شئون النساء المسلمات وأحب الجمال النسائي كثيرًا مما لا يدعوني للدفاع عن البرقع هنا، لكني أدافع عن بعض من القيم التي يمثلها البرقع لي. بالنسبة لي البرقع (التستر) يمثل تكريس المرأة نفسها لزوجها وعائلتها، هم فقط يرونها وذلك تأكيدٌ لخصوصيتها.

«تركيز المرأة المسلمة مُنْصَبٌّ على بيتها، العش حيث يولد أطفالها وتتم تربيتهم، هي الصانعة المحلية، هي الجذر الذي يُبقي على الحياة الروح للعائلة، تربي وتدرب أطفالها، تمد يد العون لزوجها وتكون ملجأً له».

«على النقيض، ملكة الجمال الأمريكية وهي ترتدي البكيني فهي تختال عارية تقريبًا أمام الملايين على شاشات التلفزة... وهي مِلْكٌ للعامة... تسوِّق جسمها إلى المُزايِد الأعلى سعرًا....هي تبيع نفسها بالمزاد العلني كل يوم».

«في أمريكا المقياس الثقافي لقيمة المرأة هو جاذبيتها، وبهذه المعايير تنخفض قيمتها بسرعة...هي تشغل نفسها وتهلك أعصابها للظهور».

«كمراهقة قدوتها هي «بريتني سبيرز» المطربة التي تشبه العرايا، من شخصية «بريتني» تتعلم أنها ستكون محبوبة فقط إذا مارست الجنس».

«العشرات من الذكور يعرفونها قبل زوجها...تفقد براءتها التي هي جزء من جاذبيتها.. تصبح جامدة وماكرة..غير قادرة على الحب».

«النسوية خدعة من خدع النظام العالمي الجديد، خدعة قاسية أغوت النساء الأمريكيات وخربت الحضارة الغربية». «لقد دمرت الملايين وتمثل تهديدًا كبيرًا للمسلمين».

الدكتور هنري ماكوو Henry Makow Ph.D [1]

(١) مؤلف وباحث متخصص في الشئون النسوية والحركات التحررية. وعنوان مقاله: «ماذا يعني البرقع بالنسبة لي، البيكيني مقابل البرقع» What the Burka Means to Me، Bikini Vs. Burka
https: //www.henrymakow.com /180902.html. January 12، 2019.

«إن المجتمع العربي (المسلم) كامل وسليم، ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده التي تقيد الفتاة والشباب في حدود المعقول، إن القيود التي يفرضها مجتمعكم على الفتاة، هذه القيود صالحة ونافعة، لهذا أنصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم، امنعوا الاختلاط، وقيدوا حرية الفتاة، بل ارجعوا إلى عصر الحجاب، فهذا خير لكم من إباحية وانطلاق ومجون أوروبا وأميركا، امنعوا الاختلاط، فقد عانينا منه في أميركا الكثير».

الصحفية الأمريكية «هيلسيان ستانسبري»[١]

«إنّهنّ لن يكُنَّ راضيات إلّا عندما يكون الرجال نساءً مثل الأخريات وعندما يستأصلن فكرة الذكورة نفسها».

إليزابيث ليفي[٢]

«إن الأنوثة التي تعرض نفسها عرضًا يفجر الشهوة، وتعلن عن خصوبتها وحاجتها للجنس، فإنها على سبيل المثال تجذب انتباه الرجال عن طريق العرض المثير للجسد، أو رسم إشارات ذات إيحاءات جنسية، أرى أنّ في كل هذا جلبًا للمشاكل، لا، أنا لم أقل إنها كانت تطلب هذا، بل ما قلته هو أنّها كانت تعرض نفسها، وبالطبع ستكون محل نظر واهتمام، تصير الأنوثة عدائية ومتوحشة عندما تصرخ من قهر الرجال، وتعاقبهم بسبب استجابتهم لعرض المفاتن المثيرة للشهوة».

هيذر إي. هيينج[٣]

(١) انظر: جريدة الجمهورية، السبت ٩ يونيو ١٩٦٢، نقلاً عن «فقه السُّنة» للسيد سابق (٢/ ٢١٧).

(٢) إليزابيث ليفي: صحفيّة وكاتبة فرنسية، ولدت سنة ١٩٦٤، درست العلوم السياسية، وكتبت في عدّة صحف فرنسية مثل Le Figaro و Le Point. وأنشأت صحيفة Causeur، وشغلت رئيسة التحرير، ثم مديرة التحرير لها.

(٣) هيذر إي. هيينج: أستاذة جامعية سابقة في كلية إيفرجرين ستايت، حصلت على الدكتوراة في علم الأحياء من جامعة ميتشيغان، ومؤلفة كتاب النقيض Antipode، بحث ودراسة عن الحياة والثقافة في مدغشقر.

* «الحركة النسوية قامت بفعل أسوأ الأضرار، فلا يوجد علاقة في المجتمع أساسية، وفي الوقت نفسه حساسة كعلاقة الرجل والمرأة، فعليها تعتمد الأسرة التي هي شريان الحياة في المجتمع، فلا أحد يضع نصب عينية فائدة المجتمع ويسعى لتفريق الرجل والمرأة، وفي الوقت نفسه فإن كذبة أن الرجل قد استغل المرأة أصبح المعتقد الرسمي».

* «لقد قامت الحركة النسوية بلا كلل، بنشر فكرة أن الخصائص المتوارثة للذكر والأنثى، هي مجرد قوالب نمطية بشرية، هذا افتراء شرير على جميع أجناس البشر الطبيعيين الذين يشكلون ٩٥٪ من السكان. هذا يجر للحديث عن الكراهية، ومع هذا فإنها تدرّس لأطفال المراحل الابتدائية، ويتم ترديدها في وسائل الإعلام ووضع مِثْليَّات (شاذات جنسيًّا) كالإعلامية «روسي أو دونيل» Rosie O´Donnell كقدوة».

* «لقد تم تدبير كل هذا لتشويش الأفكار، وصنع حالة من الفوضى في صفوف الناس الطبيعية، وكنتيجة لذلك أصيب الملايين من الرجال بالعجز الجنسي، وتم فصلهم من علاقاتهم الأسرية والعالم والمستقبل، وتم خداع المرأة الأمريكية لاستثمار نفسها في مهن متدنية وزائلة، بدلا من محبة زوجها وأطفالها الأبدي، وعليه فقد أصبح كثير من النساء لا يصلحن أن يكنّ زوجات أو أمهات».

* «الحركة النسوية هي عملية احتيال بشعة، تم نشرها في المجتمع، من قبل النخبة الحاكمة له، وقد صُمِّمت لإضعاف النسيج الاجتماعي والثقافي الأمريكي؛ من أجل تقديم نظام عالمي فاشي جديد. إن دعاة الحركة النسوية هم من مدّعي الورع الدجالين، الذين أصبحوا أغنياء وأصحاب نفوذ من ادعاءاتهم هذه.

وهذا يشمل طبقة من الكذابين والمتسلّقين للأخلاق، الذين يعملون للنخبة في مختلف المجالات الحكومية والتعليمية والإعلام. إنه من الواجب أن يتم كشف هؤلاء الدّجالين وأن يتم تهميشهم». **د. هنري ماكوو**[1]

(١) عنوان المقال الأصلي:
Gloria Steinem – How The CIA Used Feminism To Destabilize Society. By Henry Makow، Ph.D.
https: / /rense.com /general21 /hw.htm. March 18، 2002 يمكن الاطلاع عليه على هذا الرابط:

الفصل السابع
ضد إفساد النسوية[١]

عارض المسلمون النسوية لتعارضها مع ثوابت دينهم، وعارضها غيرهم من الناس لأنها تتعارض مع قيمهم التقليدية أو معتقداتهم الدينية، فالرجال والنساء مختلفون اختلافًا جوهريًا، وبالتالي يجب الحفاظ على أدوارهم التقليدية المختلفة في المجتمع.

بل إن بعض الكاتبات تعارض بعض أشكال الحركة النسوية على الرغم من التعريف عن أنفسهن بكونهن نسويات، مثل «كاميل باغيلا» و«كريستينا هوف سومرز» و«جان بيثك إلشتين»، و«إليزابيث فوكس» و«ليزا لوسيل أوينز» و«دافني باتاي»، وقلن إن الحركة النسوية غالبًا ما تشجع على الكراهية ورفع مصالح النساء فوق الرجال، وينتقدون المواقف النسوية الراديكالية باعتبارها ضارة لكل من الرجال والنساء.

تجادل «دافني باتاي» و«نوريتا كويرتغي» بأن مصطلح «مناهضة النسوية» يستخدم لإسكات النقاش الأكاديمي حول النسوية. وتجادل «ليزا لوسيل أوينز» بأن بعض الحقوق الممنوحة حصريًا للنساء هي أبوية لأنها تعفي المرأة من ممارسة جانب حاسم من وكالتها الأخلاقية.

«نساء ضد النسوية» (بالإنجليزية: Women Against Feminism) هو هاشتاج نُشر على تويتر وموقع تمبلر للتدوين المصغر وباقي وسائل التواصل الاجتماعي ولا سيما على الفيسبوك واليوتيوب وغيرها من منصات الإنترنت التشاركية.

اشتهرت الحملة من خلال نشر صور نساء بتقنية السيلفي رافعين لافتات يدوية مكتوب فيها عبارات تُفيد بأنهن لا يوافقن النسوية خاصة بمعناها المعاصر وأنهن ضدها. يُشار إلى أن غالبية الهاشتاجات كانت تبدأ بعبارة لا تحتاج للنسوية ل، ثم يليها السبب

(١) كثير من مراجع هذا الكتاب تجده لنساء مسلمات غيورات على دينهن، وكذلك بعضه لعاقلات من غير المسلمات.

الذي يدحض هذه الحركة ويُبَرْهن على أن تلك الفئة من النساء لا ترغب في الانضمام لهن وتعتبرهن مخربات للمجتمع لا غير.

بدأت حملة نساء ضد النسوية على تمبلر في يوليو ٢٠١٣، وذلك ردًّا على على حملة «من الذي يحتاج للنسوية». ووفقا لجريدة «دايلي دوت» فإن الحملة عادت للظهور مجددا في يوليو وأغسطس ٢٠١٤، حيث جلبت اهتمام العالم بفضل كتابات أبرز كتاب الأعمدة والمدونين في هذا الموضوع.

في مقال رأي في موقع «نيويورك أوبزيرفر»؛ كتبت «نينا بيرلي» بأن بعض الوظائف التي لم تشغلها النساء والتي تُنادي حركة النسوية باقتحامها هي غير موجودة فعليا؛ بل هي مجرد دُمَى جورب أنشأها الرجال الناشطين في مجال الحقوق لإيهام باقي النساء لا غير. وقد دافعت «نينا» عن حملة نساء ضد نسوية من خلال عبارتين، أولاهما قالت فيها: «أنا لا أحتاج النسوية لأن الضعيف فقط هو من يفكر فيها» أما الثانية فعبرت قائلة:»، لأن إلقاء اللوم على الرجال أمر سخيف».

أما «كاثي يوغ» فقد كتبت في موقع «تايم» مؤكِّدةً على أن بعض النساء ضد النسوية مشيرةً إلى أنها تعتقد أن النسوية الغربية الحديثة أصبحت تدعو للانقسام وأحيانا بغض وكره الرجل.

وفي افتتاحية لـ«ذا جلوب The Globe» و«ميل Mail»، دعمت «مارجريت وينتي Margaret Wente» نساء ضد النسويّة قائلةً أنها تؤمن أن النسويّة الحديثة أصبحت مُعتقدًا يقدم نظرة مشوّهة للواقع بناء على كراهية الرجال وثقافة الضحية.

ضد النسوية
موقف من داخل الثقافة الغربية

دعت «إيفا» المرأة إلى العودة إلى البيت، والتفرغ لأطفالها، والاهتمام بأسرتها. كان كتابها مزيجًا من الانطباعات الشخصية والبحث القائم على أرقام وإحصاءات، خلاصته أن معدلات الزيادة السكانية تتناقص، وأن الأسر تتفكك، وأن هذا أمر لا يمكن التقليل من أهميته.

أفكار «إيفا هيرمان» لم تكن وليدة هذا الكتاب فقط، فقد كتبت مقالًا قبل ذلك بسنوات عنوانه: «التحرر- هل هو مغالطة؟» ناقشت فيها أسباب انخفاض معدل المواليد في ألمانيا، ورأت أن سبب هذا هو المفاهيم التي طرحتها الحركة النسوية؛ لأنها تدعو إلى أفكار ليست من طبيعة النساء، فالمكان الطبيعي للنساء هو البيت داخل الأسرة بمفهومها التقليدي.

رأت هيرمان في هذه المقالة أن الحركة النسوية تحاول أن تجعل النساء مثل الرجال، في حين تعتقد أن كثيرًا من الأعمال لا تناسب إلا الرجال. لكن النساء في اقتحامهنّ الدؤوب لكل مجالات العمل الذكوري تخاطر بأن تحمل في ذاتها صفات ذكورية، وتبتعد من طبيعتها الأولى، وهذا سيؤدي إلى انخفاض المواليد.

لم تكن «إيفا هيرمان» هي الصوت الوحيد من داخل الثقافة الغربية الذي خاطر بإعلان هذا الموقف المضاد. أصوات كثيرة رأت في جموح الحركة النسوية واندفاعها خطرًا يخلخل الأسس الاجتماعية التي قامت عليها المجتمعات الغربية، ويهدد بانقراضها. لقد غفلت الحركة النسوية في توحشها واتساع مجال تأثيرها عن مراجعة نفسها لتتبين إلى أن يصل بها كل ما قدمته من أفكار. إن ما بدا ملاكًا في أوائله تحول إلى شيطان في اللحظة الراهنة.

«جوليا كريستيفا»، الفيلسوفة والناقدة البلغارية الأصل، كانت صوتًا نسويًّا قويًّا،

وجزءًا فاعلًا في الحركة النسوية الفرنسية التي توصف بأنها أهم الحركات النسوية في العالم بجانب النسوية الأمريكية، وقد أفرزت أهم الأصوات في الحركة النسوية، لعل سيمون دي بوفوار هي التعبير الأبرز عن قوة النسوية الفرنسية. لكن كريستيفا بدأت مبكرًا في مراجعة مسلّماتها النسوية، فانسحبت وكتبت أفكارها الخاصة.

طرحت كريستيفا مفهوم «الأمومة maternity»، لم تواجه به البطريركية التي تفهمت أسباب وجودها، وقبلت جزئيًّا بعض تجلياتها، بل واجهت الأفكار النسوية. إن قراءة مجمل الموقف الجديد لكريستيفا يخلص إلى أنها ترى أن الأمومة هي واجب المرأة، وهي تعتقد أن الرجال يخلقون عالم القوة والتمثيل representation، في حين تخلق المرأة الأطفال. الأمومة لديها مثال للخبرة التي تستدعي تساؤلًا عن الذات الموحدة، وتصبح الأمومة هي الذات في حالة تكون، وتطرح سؤالًا عن الحد بين الذات والآخر؛ لأن الجسد الأمومي يحتوي على آخر. مع الأمومة من المستحيل التمييز بين الذات والموضوع من دون الدخول في تقسيمات اعتباطية. وهي تحلل الأمومة كي تقدم رؤيتها التي ترى أن هذا التمييز بين الذات والموضوع، وكل التحديدات للذوات الموحدة، كلها أمور اعتباطية.

إن المفهوم الآخر الذي دخلت معه كريستيفا في نقاش هو مفهوم «الاختلاف»، وهو مصطلح متجذر في أدبيات الحركات النسوية على تنوعها، يقصدن به في أبسط تعريف له «الاختلاف عن الرجل»، لكنه في الحقيقة مفهوم معقد يستدعي معه مفهومين أساسيين: «الجنوسة» و«الهوية».

لقد كان مفهوم «الاختلاف» ملتبسًا عند النسويات، فعلى حين رتبن على الاختلافات البيولوجية بين الرجل والمرأة نتائج يتصل أغلبها بالجنس، فإنهن لم يسلمن بأن لهذا الاختلاف البيولوجي آثارًا تتصل بتقسيم العمل بينهما. أما كريستيفا فقد سلمت بذلك، وأفردت مساحة كبيرة في كتاباتها النسائية لموضوع تقسيم العمل بين الرجل والمرأة، وأفردت مساحة لأهمية الإنجاب في حياة المرأة، وما يترتب على ذلك من آثار بعيدة المدى في طبيعة الوظائف التي يمكن أن تقوم بها، والحفاظ على الأسرة التي تنجب في إطارها، والبيت الذي ترعى فيه الطفل داخله.

رأت كريستيفا أن اضطهاد المرأة يرجع جزئيًّا إلى اختزال الثقافة الغربية للنساء في موضوع الإنجاب، بينما يجب أن نعيد النظر في طبيعة العلاقة بين الأمرين، يجب أن نعيد الاعتبار للأمومة، وأن نعيد النظر في العلاقة بين الأم والطفل.

ركزت كريستيفا على مفهوم الاختلاف من الزاوية التي تطرحها الحركات النسوية، لقد رأت أنهم يتحدثون عن الاختلاف بمفهومه الواسع، أي اختلاف النساء عن الرجال من دون مراعاة للفروق الفردية داخل كل نوع، بينما ترى هي أنه «من الصعب الحديث باسم كل النساء»؛ لأن الحديث باسم المجموع يعني إنكار الفروق الفردية، ودمج الأفراد في المجموعات هو سلوك القطيع.

نبع موقفها هذا من رؤيتها بأن النسوية هي حركة النساء البيض الغربيات من الطبقة الوسطى، ومن الصعب تعميم أطروحتها لتشمل كل النساء داخل هذه الثقافة من دون اعتبار للفروق الفردية، أو حتى الفروق الجماعية بين الطبقات. وإذا كانت هذه رؤية كريستيفا، فالأولى أن نقول معها كما قال «أرنولد توينبي» قبلها: إن بعض الأفكار قد تُكوِّن ملائكة في مجتمعاتها، لكنها تتحول إلى شياطين إذا انتقلت لمجتمعات أخرى.

ما سبق لم يكن كل الموقف الذي أخذته كريستيفا من النسوية، لقد كانت لها آراء أخرى حول الموقف من المرأة، والكيفية التي يجري بها تأطير المرأة في سياق الثقافة الغربية، لكن مجمل موقفها لخصته في عبارة «السخرية من النسوية هي الحل».

وترى «جوليا كريستيفا» أن خطورة الحركة النسوية تكمن في أنها خلطت حقًّا كثيرًا بباطل أكثر، فأن تعيش المرأة بكرامة، وأن يكفّ الرجل عن اعتبارها نوعًا أدنى، وما يترتب على ذلك؛ فيتصرف في أمورها الشخصية فيما لا يحق له أن يفعل. كل هذه الأمور من حقوقها الإنسانية التي يحق لها أن تناضل من أجلها[1].

لكن الحركة النسوية تجاوزت في مطالبها في ردة فعلها حول ما تسميه الاضطهاد الذكوري. وكان البحث العميق في الهوية الجنسية في أدبيات الحركة النسوية ثمرة جموحها في مطالبها.

(١) يجب أن نضع في اعتبارنا أن نظرتها للأمور الشخصية والحقوق الإنسانية مختلفة عما شرعه الله تعالى للمسلمين.

وقد أثمر هذا البحث اعتراف كثير من المجتمعات الغربية بالحقوق الطبيعية الجنسية لكل فرد، الذي قاد بطريق شديد التعقيد إلى إقرار زواج المثليين في أغلب الدول الأوربية، وفي أكثر الولايات الأميركية.

وعلى الرغم من ذلك فإن إيفا هيرمان وجوليا كريستيفا ليستا الأصوات الوحيدة المناهضة للحركة النسوية؛ توجد المستشارة الألمانية السابقة «أنجيلا ميركل» في أثناء التصويت على قانون السماح بزواج المثليين صرحت بأنها لا ترى الزواج إلا بين رجل وامرأة.

نظرات في كتاب
«خطايا تحرير المرأة» لـ «كاري إل. لوكاس»[1]

لو كانت مؤلفة هذا الكتاب عربية، لانهالت عليها الاتهامات من كل حدب وصوب، ولوصفها الكثيرون بالرجعية والتخلف والظلامية والانغلاق، وربما بالتطرف والإرهاب، لكنها كاتبة غربية، ولدت وتربت وعاشت في الولايات المتحدة الأميركية، بلد الحريات وزعيمة الحضارة الغربية الحديثة، وعانت- بوصفها امرأة- من الكثير مما أسمته «خطايا» تحرير المرأة، وبالتالي فإن عنوان هذا الكتاب ومحتواه، سوف يصدم الكثير من العلمانيين والمتغربين ممن يحملون أسماء العرب والمسلمين، الذين يرون في النموذج الغربي المعاصر قمة التقدم والتطور الإنساني، حتى وإن وصل بعض أهل الغرب إلى عكس تلك النتيجة، فيما يتعلق بالفطرة الإنسانية.

والمؤلفة هي الناشطة الأميركية «كاري ل. لوكاس»، في العقد الرابع من العمر، وتشغل منصب مدير السياسات، ونائبة رئيس منتدى المرأة المستقلة بالولايات المتحدة.

معلومات مزيفة:

الكتاب يتناول «المعلومات المزيفة، والكثير من الأوهام، التي يتم تسويقها بين النساء، ويخترق آفاقًا محظورة عن البحوث والدراسات، التي لم يتم مناقشتها أو الإشارة إليها في المجال الأكاديمي، الخاضع لمفردات الكياسة السياسية».

وبداية تقول المؤلفة إن الحركة النسوية في أمريكا احتكرت لفترة طويلة، تحديد ما يجوز الكلام عنه، وما يعتبر خطوطًا حمراء لا ينبغي تجاوزها، فيما يتعلق بالقضايا التي تؤثر على حياة النساء، ويحاول هذا الكتاب كشف كيف أن الرؤية النسوية لما ينبغي على المرأة أن تفعله، غالبًا ما تكون عكس حقيقة آمال ورغبات النساء على أرض الواقع.

(١) العنوان الأصلي The Politically Incorrect Guide to Women، Sex And Feminism
وترجمة عنوانه: «الدليل غير الصحيح سياسيًّا للمرأة والجنس والنسوية».

إن الاختلاف بين الجنسين أمر طبيعي وفطري، لاختلاف وظيفة كل منهما ومسؤوليته في الحياة، وثبت أن الاختلافات الهرمونية بين الجنسين مسؤولة عن السمات السلوكية، حيث قام باحثون بدراسة الفتيات اللاتي تعرضن إلى مستوى أعلى من هرمون «التيستوستيرون» وهن في أرحام أمهاتهن، وهو هرمون موجود في كل من الأولاد والبنات، لكن بمستويات أعلى في الأولاد.

وقد أظهرت تلك الفتيات كثيرًا من السوكيات المرتبطة بالأولاد، مثل: مزيد من العنف، الاشتراك في أنماط من اللعب الأكثر خشونة، وتفضيل الألعاب الميكانيكية، كالسيارات ومواد البناء، عن العرائس وألعاب الأشغال اليدوية، والتي هي الاختيار النموذجي للفتيات عادة.

وهناك دراسات أخرى تناولت النساء اللاتي لديهن مستويات أعلى من التيستوستيرون، ووجدت أن هؤلاء النساء أظهرن سمات أكثر ذكورية، مثل الحزم والاهتمام العميق بالمستقبل المهني، وامتلاك قدر أكبر من تقدير الذات، إلى جانب مهارات فراغية أكبر، وثبت علميًّا أن اختلاف التكوين الدماغي بين الرجال والنساء، يفسر تواجد السمات الذكورية والأنوثية بصورة شاملة على امتداد التاريخ، وفي كل مكان حول العالم، لكن لأن هذا المفهوم لا يتناغم مع عقائد الفكر النسوي، فإنه يظل موضعًا للجدل.

وتقول المؤلفة إن هناك افتراضًا نسويًّا يقول بأن المجتمع والمناخ العُنصري المتحيز للذكور هما المسؤولان عن مشكلات المرأة ومدى تقدمها في المجتمع، وإذا قبلنا بمصداقية هذا الافتراض، فلا بد أن هناك شيئًا يمكن فعله، كون المجتمع يعاني من الخلل، فيمكن تحقيق الرؤية النسوية نظريًّا عن طريق تغيير في التعليم العام، وإنشاء دور رعاية للأطفال تمولها الدولة، وتشجيع مزيد من الأمهات على ترك أطفالهن من أجل العمل، إلى جانب كثير من التدابير الأخرى، التي تستهدف تصحيح مسار المجتمع.

لكن إذا ما كانت الفرضية خاطئة، ولم تكن الاختلافات بين الجنسين مجرد إفرازات اجتماعية، وإنما هي نتيجة وجود فروق جذرية بيولوجية بين الجنسين،

فلا يوجد قدر من التدخل الحكومي يمكنه تحقيق المدينة الفاضلة، كما تراها المتحمسات للفكر النسوي.

انهيار المشروع النسوي:

بل إنه في حالة كون التمايز الجنسي أمرًا تفرضه الطبيعة، فإن المشروع النسوي للتقدم ليس تقدمًا على الإطلاق، وما تفعله أجندتهم هو تحقيق واقع أسوأ لكل من الرجال والنساء على السواء، عن طريق اجتذابهم بعيدًا عن اهتماماتهم وأولوياتهم الحقيقية، من أجل السعي نحو عالم خيالي، تريد الأجندة النسوية فرضه بالقوة.

يعتبر العنف ضد النساء، سواء كان عنفًا منزليًا أو اغتصابًا أو غيره من أوجه الاعتداء، مشكلة ضخمة في الولايات المتحدة، بحيث ينبغي لكل النساء تثقيف أنفسهن، واتخاذ التدابير الوقائية لتقليل خطر التحول إلى ضحية، كما أن على النساء أيضًا إدراك أن أعمال العنف هي انحرافات، لا توجد ضمن إطار العلاقات الصحية، ولسوء الحظ ليست تلك هي الرسالة التي يوجهها أنصار الفكر النسوي، أو التي تروجها الثقافة السائدة بين النساء والفتيات.

وتقول المؤلفة إنه عادة ما تشير الجمعيات النسائية إلى أن الرجال بشكل عام، خطر على سلامة المرأة، وأن العنف ضد النساء أمر لا مفر منه، ولكن ينبغي أن تعرف النساء الحقائق المحيطة بانتشار العنف في مجتمعنا، وليست الإحصائيات المبالغ فيها، التي تبثها الحركة النسوية مرارًا وتكررًا، لكي تروج لفكرة أن العنف ضد المرأة هو أمر حتمي في وجود الرجال.

ولا بد من الاعتراف بأن برامج التلفزيون، والمسلسلات والأفلام عامة، تحترف تحويل أحداث الحياة إلى دراما، وتركز على أفظع القصص والمواقف وأكثرها رعبًا، وقد أثر انتشار تلك الأفلام وقبولها الاجتماعي الشائع إلى حد كبير، على نظرة النساء السلبية نحو الرجال، ونحو عالم العلاقات الاجتماعية بشكل عام.

وفي السنوات الأخيرة، تم ابتكار صياغة جديدة لمفهوم «العنف» الموجه للمرأة، فقد حولت قوانين «التحرش الجنسي» النكات والتعليقات غير اللائقة، من مجرد سلوكيات

همجية إلى جرائم ضد النساء، ولم يعد مصطلح «التحرش الجنسي» قاصرًا على السلوكيات العدائية بالفعل، التي تتعرض فيها النساء لاضطهاد ظالم، أو تهديد عدائي ملموس، وحين يوضع كل الرجال في كفة واحدة مع أقلية من المجرمين، تبدو مشكلة العنف ضد النساء ضخمة للغاية، حتى إن إحراز تقدم في مواجهتها يصبح مستحيلًا.

العنف ضد من؟

وتقول المؤلفة إنه غالبًا ما نسمع عبارة «العنف ضد النساء»، ولكننا نادرًا ما نسمع عبارة «العنف ضد الرجال»، ومع ذلك فالرجال أكثر عرضه ليكونوا ضحايا لجرائم عنف، وبالرغم من انخفاض معدلات العنف ضد الرجال في العقود الأخيرة، فقد كان الرجال في عام ٢٠٠٣ أكثر عرضة من النساء بنسبة ٤٠٪ كضحايا، وكانوا أكثر عرضه للقتل من النساء في ٢٠٠٢.

إن الفتيات المحاصرات بالمناخ الجنسي المنفلت، واللاتي تشبعت عقولهن برسائل تصور الجنس العابر، كجزء مهم من كونهن نساء عصريات، ينبغي عليهن تأمل بعض التجارب الواقعية للنساء، إذ تندم كثير من النساء على الجنس العابر، ليس ندمًا لحظيًّا مؤقتًا، ولكن على امتداد سنوات عديدة، قد تمتد إلى ما بعد الزواج والاستقرار.

ومن حق الفتيات الطامحات إلى زواج هانئ ومستقر، معرفة أن ذلك الطموح ليس مجرد استجابة لضغوط المجتمع، بل هو هدف طبيعي، غالبًا ما يرتبط بالسعادة المستدامة، والأمان الاقتصادي، والصحة السليمة.

ومن المهم أن تدرك المرأة التي ترغب في الطلاق، العواقب والمشكلات المحتملة التي قد تواجهها هي وأطفالها عند اتخاذ هذا القرار، قبل أن تنهي حياة أسرية قد لا تكون تعيسة بدرجة كبيرة.

وفيما يتعلق بالحق في الإجهاض تقول المؤلفة إنه من الأفضل أن تستعرض الفتيات الحجج المنطقية، التي يقدمها طرفا الصراع حول موضوع الإجهاض، سواء أنصار حق الاختيار أو أنصار حق الحياة، لكن مع الأسف فإن غالبية المعلومات التي تتلقاها النساء الشابات، خاصة في الجامعات في فصول الدراسات النسوية، تقدم فقط حجج أنصار حق الاختيار، ولكي تتمكن المرأة من اتخاذ قرارات مدروسة حول الإجهاض وغيره من القضايا، ينبغي أن يتاح أمامها قدر أكبر من المعرفة.

الوظيفة وسعادة المرأة:

وترى المؤلفة أن الوظيفة أو العمل بالنسبة للمرأة، ليس المصدر الأكثر تحقيقا للسعادة، وتشير إلى نتائج دراسات عديدة تؤكد أنه بالنسبة لغالبية النساء، فإن الأسرة والعلاقات الاجتماعية سوف تتفوق على المهنة، كأولوية أكثر أهمية في حياتهن، وبالتالي فإن الضغط الذي تمارسه الجمعيات النسوية على صانعي القرار، من أجل تدعيم البرامج والسياسات الهادفة لدفع النساء إلى القوة العاملة، يتناقض مع حقيقة ما تريده غالبية النساء.

وتقول المؤلفة إنه غالبا ما يتم الاحتفاء بالدور المتعاظم للنساء في عالم الأعمال، كدليل ملموس على التقدم الذي تحرزه المرأة، لكن الحقيقة أن كثيرا من النساء لا يرغبن في أن يكن مرغمات على العمل خارج المنزل، ويفضلن قضاء الوقت في تنشئة أطفالهن وفي المشاركة الاجتماعية، وينبغي لصانعي السياسات خلق بيئة، تسمح للنساء باتخاذ قرارات تعكس أولوياتهن، وقد يعني ذلك ببساطة للكثير من النساء، العمل ساعات أقل وقضاء ساعات أطول مع الأسرة.

إن مشكلة عمل المرأة في رأي مؤلفة الكتاب هي في الحقيقة مشكلة الأطفال، وقد تنجح بعض الجمعيات النسوية في تصوير الأمر بأن القلق المحيط بعمل المرأة، يرجع إلى أن الرجال غير مرتاحين لوجود النساء في مراكز قيادية، ولكنها تغفل عن أزمة الأطفال، الذين يشكلون مركز العاصفة للمرأة العاملة، وإدراكها للسلبيات المحتملة عليهم، قد يجعلها أكثر يقظة لملاحظة أية علامات تحذيرية، تعكس وجود مشكلات سلوكية لدى هؤلاء الأطفال.

وفي النهاية تقول المؤلفة إن الحركة النسائية المعاصرة جنحت بعيدًا عن رسالتها الأصلية، وأصبحت مرتبطة بسياسات ليبرالية متطرفة، إلى جانب إبداء عداء شامل نحو الأسرة التقليدية.

إن أهمية هذا الكتاب ترجع لكونه صرخة تصدر عن صوت نسائي طبيعي، قادم من قلب الحضارة الغربية، تطالب بالعودة إلى نداء الفطرة الإنسانية، بعد أن خاضت التجارب والمتاعب والضغوط التي أرهقتها.

شهادة من أمريكا
هدية لكل مخدوع ومهزوم نفسيًا

«(البرقع) مقابل البكيني» عنوان لمقال سطره د. «هنري ماكوو» Henry Makow يُبدي من خلاله تقديره للحياء كصفة ملازمة للفتاه المسلمة كما لا يخفي احترامه للمرأة المسلمة التي تكرس حياتها لأسرتها وإعداد النشئ وتربيتهم. وعلى الوجه الآخر يبوح بما يضمره من استياء نتيجة الانحطاط القيمي والهياج الجنسي الذي تعيشه الفتاة الأمريكية. والمقال يعكس مدى إعجاب بعض المنصفين في الغرب بقيمنا الإسلامية رغم اختلاف الأيدلوجيات والتوجهات.

الدكتور هنري ماكوو ليس خريجًا من الأزهر ولا من الجامعة الإسلامية، ولا حتى مسلمًا، إنما هو الأستاذ الجامعي والكاتب الأمريكي الشهير والمخترع للعبة (Seruples) الشهيرة، مؤلف وباحث متخصص في الشئون النسوية والحركات التحررية، وهو أحد المعجبين بقيمنا الإسلامية، أثار مقاله ردودَ أفعال في الشارع الأمريكي بين مؤيد ومعارض.

يقول د. هنري في مقاله: «على حائط مكتبي صورتان، الأولى صورة امرأة مسلمة تلبس البرقع- النقاب أو غطاء الوجه- وبجانبها صورة متسابقة جمال أمريكية لا تلبس شيئًا سوى البكيني، المرأة الأولى تَغَطَّتْ تمامًا عن العامة والأخرى مكشوفة تمامًا»، هكذا كانت مقدمة المقالة والتي تعتبر مدخلًا لعرض نموذجين مختلفين في التوجهات والسلوكيات»[1].

يشير الكاتب إلى الدوافع الخفية لحرب الغرب على الأمة العربية والإسلامية موضحًا أنها حرب ذات أبعاد سياسة وثقافية وأخلاقية، إذ أنها تستهدف ثروات ومدخرات الأمة،

(١) وعنوان مقاله: «ماذا يعني البرقع بالنسبة لي، البيكيني مقابل البرقع».
What the Burka Means to Me، Bikini Vs. Burka
https: //www.henrymakow.com /180902.html. January 12، 2019.

إضافة إلى سلبها من أثمن ما تملك: دينها، وكنوزها الثقافية والأخلاقية. وعلى صعيد المرأة فاستبدال البرقع وما يحمله من قيم بالبكيني كناية عن التعري والتفسخ.

يقول الكاتب: «دور المرأة في صميم أي ثقافة، فإلى جانب سرقة نفط العرب فإن الحرب في الشرق الأوسط إنما هي لتجريد العرب من دينهم وثقافتهم واستبدال البرقع بالبكيني»!!

ويمتدح د. هنري القيم الأخلاقية للحجاب أو البرقع، أو ما يستر المرأة المسلمة فيقول: «لست خبيرًا في شئون النساء المسلمات وأحب الجمال النسائي كثيرًا مما لا يدعوني للدفاع عن البرقع هنا، لكني أدافع عن بعض من القيم التي يمثلها البرقع لي».

ويضيف قائلًا: «بالنسبة لي البرقع (التستر) يمثل تكريس المرأة نفسها لزوجها وعائلتها، هم فقط يرونها وذلك تأكيدٌ لخصوصيتها».

ويشيد الكاتب بمهمة ورسالة المسلمة والمتمثل في حرصها على بيتها وإهتمامها بإعداد النشئ الصالح فيقول: «تركيز المرأة المسلمة مُنْصَبٌّ على بيتها، العش حيث يولد أطفالها وتتم تربيتهم، هي الصانعة المحلية، هي الجذر الذي يُبقي على الحياة الروح للعائلة.....تربي وتدرب أطفالها.....تمد يد العون لزوجها وتكون ملجأً له».

وماذا عن المرأة الأمريكية؟

بعد الانتهاء من شرح الصورة الأولى التي على مكتبه وهي صورة المرأة المسلمة ينتقل د. هنري إلى الصورة الثانية فيقول: «على النقيض، ملكة الجمال الأمريكية وهي ترتدي البكيني فهي تختال عارية تقريبًا أمام الملايين على شاشات التلفزة....وهي ملك للعامة... تسوِّق جسمها إلى المزايد الأعلى سعرًا....هي تبيع نفسها بالمزاد العلني كل يوم». ويضيف: «في أمريكا المقياس الثقافي لقيمة المرأة هو جاذبيتها، وبهذه المعايير تنخفض قيمتها بسرعة...هي تشغل نفسها وتهلك أعصابها للظهور».

الجنس والعواطف الفارغة:

ينتقد د. هنري فترة المراهقة الشاذة التي تعيشها الفتاة الأمريكية حيث التعري والجنس والرذيلة فيقول: «كمراهقة قدوتها هي «بريتني سبيرز» المطربة التي تشبه

العرايا، من شخصية «بريتني» تتعلم أنها ستكون محبوبة فقط إذا مارست الجنس... هكذا تتعلم التعلق بالعواطف الفارغة بدلًا من الزواج والحب الحقيقي والصبر».

الفتاة المسترجلة:

ثم يعرج الكاتب إلى الأثار السلبية لتلك الحياة الماجنة التي تعيشها الفتاة الأمريكية فيقول: «العشرات من الذكور يعرفونها قبل زوجها...تفقد براءتها التي هي جزء من جاذبيتها.. تصبح جامدة وماكرة..غير قادرة على الحب».

ويشير إلى أن المرأة في المجتمع الأمريكي تجد نفسها منقادة إلى السلوك الذكوري مما يجعلها إمرأة عدوانية مضطربة لا تصلح أن تكون زوجة أو أمًا إنما هي فقط للاستمتاع الجنسي وليس للحب أو التكاثر.

النظام العالمي يكرس العزلة:

وينتقد د. هنري نظام الحياة في العالم المعاصر حيث التركيز على الانعزالية والإنفراد فيقول: «الأبوة هي قمة التطور البشري، إنها مرحلة التخلص من الانغماس في الشهوات حتى نصبح عبادًا لله...تربية وحياة جديدة»، ويضيف قائلًا: «النظام العالمي الجديد لا يريدنا أن نصل إلى هذا المستوى من الرشد.. حيث يريدوننا منفردين منعزلين.. جائعين جنسيًا ويقدم لنا الصور الفاضحة بديلًا للزواج».

احذروا خدعة النسوية:

ويكشف د. هنري زيف ادِّعاءات تحرير المرأة ويصفها بالخدعة القاسية اذ يقول: «النسوية خدعة من خدع النظام العالمي الجديد، خدعة قاسية أغوت النساء الأمريكيات وخربت الحضارة الغربية».

ويؤكد الكاتب أن النسوية تمثل تهديدًا للمسلمين فيقول: «لقد دمرت الملايين وتمثل تهديدًا كبيرًا للمسلمين».

وأخيرًا يقول د. هنري: «لا أدافع عن البرقع (أو النقاب- أو الحجاب) لكن إلى حد ما بعض القيم التي يمثلها، بصفة خاصة عندما تهب المرأة نفسها لزوجها وعائلتها والتواضع والوقار يستلزم منى هذه الوقفة».

أليس هذا الكاتب وأمثاله أكثر صدقًا وجرأة وقولًا للحق من الكثير من دعاة العلمانية في بلادنا؟!

ألا يكفي المرأة المسلمة فخرًا بأن يشيد بمكارم أخلاقها مَن ليسوا على دينها؟

ومن ذلك المقال دروسٌ قيمة وآراء منصفة لعل المسلمين يستفيدون منها قبل فوات الأوان.

الدرس الأول: بصراحة، الحرب حرب قيم وتجفيف لمنابع الدين:

يقول د. هنري: «فإلى جانب سرقة نفط العرب فإن الحرب في الشرق الأوسط إنما هي لتجريد العرب من دينهم وثقافتهم واستبدال البكيني بالبرقع».

الدرس الثاني: الدفاع عن الحجاب، دفاع عن القيم: فلا تتساهلوا:

يقول د. هنري: «لست خبيرًا في شؤون النساء المسلمات وأحب الجمال النسائي كثيرًا مما لا يدعوني للدفاع عن (الحجاب) هنا، لكني أدافع عن بعض القيم التي يمثلها الحجاب لي». ويضيف قائلًا: «بالنسبة لي.. الحجاب يمثل تكريس المرأة نفسها لزوجها وعائلتها، هم فقط يرونها، وذلك تأكيدٌ لخصوصيتها».

الدرس الثالث: المرأة المسلمة هي المرأة الوحيدة مربية وصانعة الأجيال:

يقول د.هنري: «تركيز المرأة المسلمة مُنْصَبٌّ على بيتها، العش حيث يولد أطفالها وتتم تربيتهم، هي الصانعة المحلية، هي الجذر الذي يبقى على الحياة الروح للعائلة تربي وتدرب أطفالها.. تمد يد العون لزوجها وتكون ملجأً له».

الدرس الرابع: المرأة الأمريكية ليست إلا مجرد سلعة.. فلا تنخدعن:

يقول د. هنري: «على النقيض ملكة الجمال الأمريكية وهي ترتدي البكيني فهي تختال عارية تقريبًا أمام الملايين على شاشات التلفزة.. وهي ملك للعامة.. تُسَوِّق جسمها إلى المُزايِد الأعلى سعرًا، هي تبيع نفسها بالمزاد العلني كل يوم»، ويضيف: «في أمريكا المقياس الثقافي لقيمة المرأة هو جاذبيتها، وبهذه المعايير تنخفض قيمتها بسرعة.. هي تشغل نفسها وتهلك أعصابها للظهور».

الدرس الخامس: درس للقائمين على وسائل الإعلام.. إياكم وصناعة النجمات والقدوات الفارغة:

يقول د. هنري- منتقدًا فترة المراهقة عند الفتاة الأمريكية وصناعة القدوات الفارغة-: «كمراهقة قدوتها هي «بريتني سبيرز» المطربة التي تشبه العرايا، من شخصية «بريتني» تتعلم أنها ستكون محبوبة فقط إذا مارست الجنس.. هكذا تتعلم التعلق بالعواطف الفارغة بدلًا من الخطوبة والحب الحقيقي والصبر».

ثم يعرج الكاتب الأمريكي هنري على الآثار السلبية لتلك الحياة الماجنة التي تعيشها الفتاة الأمريكية: فيقول: «العشرات من الذكور يعرفونها قبل زوجها.. تفقد براءتها، التي هي جزء من جاذبيتها.. تصبح جامدة وماكرة.. غير قادرة على الحب».

الدرس السادس: هذه هي حقيقة ما تريده أمريكا والنظام العالمي:

يقول د. هنري: «الأبوة هي قمة التطور البشري، إنها مرحلة التخلص من الانغماس في الشهوات حتى نصبح عبادًا لله تربية وحياة جديدة».

ويضيف قائلًا: «النظام العالمي الجديد لا يريدنا أن نصل إلى هذا المستوى من الرشد، حيث يريدنا منفردين منعزلين (متفككين أسريًا) جائعين جنسيًا، ويقدم لنا الصور الفاضحة بدلًا للزواج».

الدرس السابع: احذروا خدعة تحرير المرأة:

يقول د. هنري: «النسوية خدعة من خدع النظام العالمي الجديد، خدعة قاسية أغوت النساء الأمريكيات وخربت الحضارة الغربية».

ويحذر المسلمين قائلًا: «لقد دمرت الملايين وتمثل تهديدًا كبيرًا للمسلمين».

لماذا هذه الوقفة يا هنري رغم أنك لست مسلمًا؟

«لا أدافع عن الحجاب، لكن إلى حدَّ ما بعض القيم التي يمثلها بصفة خاصة عندما تهب المرأة نفسها لزوجها وعائلتها، والتواضع والوقار يستلزم مني هذه الوقفة»[1].

هذه نصيحة دفعوا ثمنها غاليًا.. فهل يعي المخدوعون من الرجال والنساء هذه الدروس.

---

(١) وعنوان مقاله: «ماذا يعني البرقع بالنسبة لي، البيكيني مقابل البرقع».

What the Burka Means to Me، Bikini Vs. Burka

https: / /www.henrymakow.com /١٨٠٩٠٢. January. html ١٢، ٢٠١٩.

وشهادة أخرى

قال المدون الأمريكي مات والش Matt Walsh:

«للحديث عن الغرب في العصر الحديث، الغرب الآن، لنتفق أننا لسنا في وضع يسمح لنا بإلقاء محاضرات أخلاقية على أي شخص، يؤسفني أن أقول إننا في الغرب لسنا في وضع يمَكِّننا من التعالي على الآخرين، مثلما تحدثنا بالأمس نعيش في بلد في العصر الحديث حيث أعدمنا ٦٠ مليون طفل في الرحم، ٦٠ مليونًا!! ومن ثَمَّ ولزيادة الطين بلَّةً نقوم أيضًا بإخصاء أطفالنا، حتى أننا لا نملك إحساسًا بأنك تعرف من هو الرجل ومن هي المرأة.

نحن نحتفي بالشر والفجور في أكثر أشكاله جنونًا، وهذا ما نفعله في هذا البلد، ومن ثَمَّ نعتقد أننا في وضع يسمح لنا للذهاب واستعمار العالم أيدولوجيًّا، ونخبرهم أننا في حاجة إلى أن يكونوا مثلنا، المشكلة هي أن البلدان الأخرى عندما نقول لهم إننا نعطي هذا العرض ونقول إنهم يجب أن يكونوا مثلنا، فإن أعضاء البلد الآخر ينظرون إلينا كمجموعة من المسوخ غريبي الأطوار مرتبكين، ينظرون إلينا ويقولون: حسنًا، لا أريد أن أكون مثلك، لماذا تريدني أن أكون مثلك في بلدك حيث تعتقد أن الرجال يمكنهم الحمل؟! أعني أكثر من البلد الذي يعقِّم الأولاد الصغار لتحويلهم إلى فتيات؟! فأنت تغيِّر الأولاد الصغار جراحيًّا وطبيًّا لجَعْلهم فتيات وتعتقد أننا نريد أن نكون مثلك؟! إنه ليس عرضَ مبيعاتٍ مُقنع!!»[١].

(١) https://www.facebook.com/MeemMagazine.BestVideos/videos/707474120795553

هو معلق سياسي وكاتب أمريكي ينتمي للتيار المحافظ الأمريكي. ومؤلف لأربعة كتب، ومقدم الفيلم الوثائقي «ما هي المرأة؟».

جلوريا شتاينم-
كيف استخدمت وكالة المخابرات المركزية الحركة النسوية لخلخلة المجتمع

د. هنري ماكوو[1]:

«في الستينات قام إعلام النخبة، بإطلاق الموجة الثانية لمفهوم الحركة النسوية، كجزء من أجندة النخبة؛ لتفكيك الحضارة وصنع نظام عالمي جديد».

منذ كتابة هذه الكلمات الأسبوع الماضي اكتشفت بأنه قبل أن تصبح «جلوريا شتاينم» قيادية في الحركة النسوية، فقد كانت تعمل لصالح المخابرات المركزية الأمريكية للتجسس على الطلاب الماركسيين في أوروبا، وتقوم بالتشويش على اجتماعاتهم.

أصبحت جلوريا محبوبة الإعلام؛ بسبب علاقاتها بوكالة المخابرات المركزية، مجلة إم إس (MS Magazine) والتي رأست جلوريا تحريرها لعدة سنوات، كان يتم تمويلها بطريقة غير مباشرة، من قبل وكالة المخابرات المركزية.

حاولت «شتاينم» إخفاء هذه المعلومات التي ظهرت في السبعينات، عن طريق جماعة نسوية متشددة تسمى الجوارب الحمراء Red Stockings.

وفي عام ١٩٧٩م قامت «شتاينم» وأصدقاؤها الأقوياء ذوو العلاقة بالمخابرات المركزية، مثل: «كاثرين جراهام» من الواشنطن بوست، و«فرانكلين توماس» رئيس مؤسسة فورد Ford Foundation بمنع نشر تلك المعلومات في مجلة الثورة النسوية

(١) عنوان المقال الأصلي:
Used Feminism To Destabilize Society. By Henry Ma- Gloria Steinem - How The CIA .kow، Ph.D
يمكن الاطلاع عليه على هذا الرابط: https: / /rense.com /general21 /hw.htm. March 18، 2002

Feminist Revolution، وعلى الرغم من هذا، فإن القصة ظهرت في مجلة صوت القرية Village Voice في ٢١ مايو ١٩٧٩م.

كانت شتاينم دائما ما تدعي بأنها كانت طالبة متمردة. تقول «شتاينم» ل«سوزان ميتشل» عام ١٩٩٧م: «عندما كنت في الكلية وقد كان العهد المكارثي آنذاك، فقد كان هذا ما جعلني ماركسية» (كتاب رموز ورجال الدين وأهل الغناء: حوارات دافئة مع نساء غيّروا العالم ١٩٩٧م صفحة ١٣٠). وسيرتها الذاتية المبالَغ فيها في مجلة «إم إس» تقول: «قد كانت «جلوريا شتاينم» كاتبة حرّة طيلة حياتها المهنية، ومجلة «إم إس» هي وظيفتها المهنية الأولى». وهذا غير صحيح.

فقد نشأت «شتاينم» في عائلة مُعدمَة ومفكَّكة، في مدينة «توليدو أهايو»، ولكنها بطريقة ما قد استطاعت أن تلتحق بكلية نخبوية هي جامعة «سميث»، بيتي فرايدن ألما ماتر (Smith College، Betty Friedan's Alma Mater). وبعد تخرجها عام ١٩٥٥م تلقّت زمالة «تشيستر باولز» لإكمال دراستها في الهند. ومما يثير التساؤل ومن خلال بحث في الإنترنت، فإنه لا يوجد لهذه الزمالة وجود غير ما حصلت عليه «شتاينم»، فلم يحصل على تلك الزمالة غيرها.

في عام ١٩٥٨م تم توظيف «شتاينم» من قبل «كورد مايرز» من المخابرات المركزية، لإدارة مجموعة غير رسمية من النشطاء تسمى خدمات الأبحاث المستقلة.

هذه كانت جزءًا من حملة ل«مايرز» تسمى «الكونجرس من أجل الحرية الثقافية» التي أسست مجلات مثل «Encounter» و «Partisan Review» لتسويق اليسار الليبرالي لمقاومة الماركسية. قامت «شتاينم» بحضور مهرجانات شبابية، برعاية شيوعية في أوروبا، وقامت بإنشاء صحيفة، والتبليغ عن مشاركين وساعدت في إثارة المظاهرات.

أحد زملاء شتاينم في المخابرات الأمريكية هو «كلاي فيلكر». في أوائل الستينات أصبح «كلاي» رئيس تحرير مجلة Esquire وقام بنشر مقالات «شتاينم»؛ مما جعلها صوتًا قياديا في حركة تحرير المرأة. وفي عام ١٩٦٨م- وكناشر لمجلة النيويورك- قام «كلاي» بتوظيفها ككاتبه مساهمة فيها، ثم بعد ذلك كرئيسة التحرير لمجلة «إم إس» عام

١٩٧١م. قامت شركة «وارنر» للاتصالات بدفع معظم المال، على الرغم من أن الشركة لم تحصل إلا على حصة ٢٥٪ من المجلة.

أول ناشر لمجلة إم إس كانت «إليزابيث فورسلنق هاريس» وهي مسؤولة علاقات عامة، مرتبطة بالمخابرات الأمريكية، والتي خططت مسار موكب الرئيس «كينيدي» في «دالاس». وعلى الرغم من صورتها المناهضة للمؤسسة النظامية، فإن مجلة «إم إس» جذبت الإعلانات من صفوة الشركات الأمريكية.

فقد نشرت إعلانات لشركة «آي تي تي» في الوقت نفسه الذي كانت فيه السجينات السياسيات في تشيلي، يعذّبن من قبل نظام «بينوشيه» بعد انقلاب مدعوم من تكتّل أمريكي والمخابرات الأمريكية. إن علاقات شتاينم الخاصة أيضا تكذب إدعاءاتها المضادة للمؤسسة النظامية.

فقد كان لها علاقة دامت ٩ سنوات ب»ستانلي بوتينر»، وهو مساعد قاضي الادعاء العام في رئاسة نيكسون وفورد، اشتهر بإيقاف تحريات المخابرات الفيدرالية المتعلقة باغتيال «مارتن لوثر كينج» واغتيال وزير الخارجية السابق لـ«تشيلي».

في الثمانينات قامت «شتاينم» بالخروج في موعد غرامي مع «هينري كيسينجر»، ولمزيد من المعلومات عن هذا يمكن الاطلاع على الباحث من سان فرانسيسكو «ديف إيموري».

إن اعتقادنا الخاطئ عن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، هو أنها تخدم مصالح الولايات المتحدة. ولكن الحقيقة قد كانت دائما أداة للسلالة المصرفية العالمية، والنخبة النفطية (عائلات روتشيلد – روكفلر – مورغان) يتم التنسيق بينهم من خلال المعهد الملكي للعلاقات الداخلية في لندن، وفرعه في الولايات المتحدة وهو مجلس العلاقات الخارجية. فقد تم تأسيس الوكالة، وجلب موظفيها من المؤسسة المصرفية في نيويورك، ومن خريجي جمعية «الجمجمة والعظام» الوثنية السرية في جامعة يال الأمريكية.

إن أجندة هذه الزمرة الدولية هي تحطيم البناء المؤسسي وقيم الولايات المتحدة؛

لكي يتم دمجها في نظام عالمي تديره من خلال الأمم المتحدة. فتحت نظامها التأسيسي لعام ١٩٤٧م فإن وكالة المخابرات المركزية ممنوعة من التدخل في الشؤون الداخلية.

ولكن هذا لم يمنعها أبدا من شن حرب سيكولوجية على الشعب الأمريكي، فالجانب المحلي لبرنامج «الكونجرس من أجل الحرية الثقافية» قد كان هو برنامج «اللجنة الأمريكية للحرية الثقافية».

فمن خلال استخدام المؤسسات كمعبر، قامت وكالة المخابرات المركزية بالتحكم بالخطابات الثقافية في الخمسينات والستينات، وأعتقد أنها تفعل ذلك حتى يومنا هذا.

وفي كتاب «الحالة الثقافية للحرب الباردة: وكالة المخابرات المركزية وعالم الفنون والخطابات» لـ«فرانسز ستونر» قام بتقدير بأن ألف كتاب تم طباعته لعدة مطابع تجارية وجامعية، كان تحت غطاء لجهات تابعة لها.

انطوى مشروع وكالة المخابرات المركزية المسمى «مشروع الطائر المحاكي» Project Mockingbird على اختراق الإعلام التجاري، وكان يتضمن في العادة ذلك على الاستحواذ المباشر لكبرى شركات الإعلام.

تقول «ديبرا دايفيس» في كتابها بعنوان: «كاثرين العظيمة: كاثرين جراهام وإمبراطوريتها واشنطن بوست»: «في بداية الخمسينات، امتلكت وكالة المخابرات المركزية أعضاء ذوي احترام في «النيويورك تايمز»، و«النيوزويك»، و«سي بي إس» ووسائل اتصال ومراسلين بما مجموعه من أربعمائة إلى ستمائة».

في عام ١٩٨٢م اعترفت وكالة المخابرات المركزية بأن لديها صحفيين مدرجين في قائمة موظفيها، ويعملون كضباط للحالات للمخبرين السريين في الميدان.

«فيليب جراهام»، وهو ناشر في الواشنطن بوست والذي أدار العمليات حتى قيامه بالانتحار عام ١٩٦٣م، كان يتفاخر بقوله: «يمكن أن تحصل على صحفي بقيمة أرخص، من الحصول على فتاة هوى عابرة مقابل مئة إلى مئتين من الدولارات في الشهر».

لقد وُلدْت أنا في عام ١٩٤٩م ولقد كان المثاليين من جيل والديّ يصابون بخيبة أمل، عندما يتحول الحلم الشيوعي لتوطيد الإخاء العالمي، ليصبح دعاية للاستبداد

الوحشي. وأفراد جيلي ربما يكتشفون أيضا بأن أفضل ما لدينا من طبائع قد تم التلاعب بها واستغلالها. هناك أدلة على القضايا التي ظهرت في الستينات، كثقافة التصدي للمخدرات وحركة الحقوق المدنية، والحركة المضادة للحرب، مثل: النسوية كانت جميعها تدار من قبل وكالة المخابرات المركزية.

فعلى سبيل المثال فإن وكالة المخابرات المركزية اعترفت بأنها أنشأت جمعية الطلاب الوطنية كجبهة في عام ١٩٤٧م. وفي بداية الخمسينات رفضت وكالة الأمن القومي محاولات من قبل لجنة بيت النشاطات غير الأمريكية لاقتلاع المخبرين الشيوعيين. وبحسب «فيل أجيي» فإن ضباط وكالة الأمن القومي، شاركوا في نشاطات لجنة التنسيق السلمية الطلابية وجماعة الحقوق المدنية المسلحة، وجمعية الطلاب للديمقراطية وهي جماعة سلمية راديكالية.

وبحسب «مارك ريبلنج» فقد قامت وكالة المخابرات المركزية باستخدام «تيموثي ليري»، ومن المؤكد أن الوكالة قد وزّعت مادة إل إس دي السامة لليري، وأصحاب فكر آخرين في الستينات.

لقد صنع ليري جيلا من الأمريكيين الذين ابتعدوا عن المساهمة الفاعلة في المجتمع، والتوجه نحو حل أمورهم من داخل أنفسهم، وفي مثال آخر حول كيفية استخدام وكالة المخابرات المركزية للمخدرات، للتدخل في السياسة الداخلية فإن «جاري ويب» يصف كيف أن الوكالة أغرقت الأزقة التي يعيش فيها السود بالكوكايين في الثمانينات.

لن أحاول تحليل الدافع الذي يدفع وكالة المخابرات الأمريكية للقيام بتلك الأعمال، باستثناء الإشارة إلى أن القاسم المشترك لتلك التصرفات هو أنها تقوم بإضعاف الروح المعنوية للأمريكيين، وتنفرّهم وتقسّمهم، فالنخبة تعمل على إذكاء التقسيم والتصادم في العالم، ولهذا لا ندرك من هو العدو الحقيقي، وللسبب نفسه فإن وكالة المخابرات المركزية ومؤسسات النخبة، يقومون أيضا بتمويل الحركات الثقافية المتعددة والمتنوعة.

الحركة النسوية قامت بفعل أسوأ الأضرار، فلا يوجد علاقة في المجتمع أساسية، وفي الوقت نفسه حساسة كعلاقة الرجل والمرأة، فعليها تعتمد الأسرة التي هي شريان الحياة في المجتمع، فلا أحد يضع نصب عينية فائدة المجتمع ويسعى لتفريق الرجل والمرأة، وفي الوقت نفسه فإن كذبة أن الرجل قد استغل المرأة أصبح المعتقد الرسمي.

الرجل يحب المرأة، وغريزته الأولى هي احتضانها (كزوج) ليراها تزدهر، عندما تصبح المرأة سعيدة، فإنها تصبح جميلة، بلا شك إن بعض الرجال ذو عنف، ولكن الغالبية العظمى قد ساندوا ودعموا أسرهم منذ آلاف السنين.

لقد قامت الحركة النسوية بلا كلل، بنشر فكرة أن الخصائص المتوارثة للذكر والأنثى، هي مجرد قوالب نمطية بشرية، هذا افتراء شرير على جميع أجناس البشر الطبيعيين الذين يشكلون ٩٥٪ من السكان. هذا يجر للحديث عن الكراهية، ومع هذا فإنها تدرّس لأطفال المراحل الابتدائية، ويتم ترديدها في وسائل الإعلام ووضع مِثْليَّات (شاذات جنسيًّا) كالإعلامية «روسي أو دونيل» Rosie O´Donnell كقدوة.

لقد تم تدبير كل هذا لتشويش الأفكار، وصنع حالة من الفوضى في صفوف الناس الطبيعية، وكنتيجة لذلك أصيب الملايين من الرجال بالعجز الجنسي، وتم فصلهم من علاقاتهم الأسرية والعالم والمستقبل، وتم خداع المرأة الأمريكية لاستثمار نفسها في مهن متدنية وزائلة، بدلا من محبة زوجها وأطفالها الأبدي، وعليه فقد أصبح كثير من النساء لا يصلحن أن يكنّ زوجات أو أمهات.

وكلما كان الناس معزولين ووحيدين، ومنعوا من المحبة، فمن السهل خداعهم والتلاعب بهم. وبدون التأثير الصحي من قبل أبوين يحبون بعضهم البعض، فإن ذلك ينطبق عليهم وعلى أبنائهم أيضًا.

الحركة النسوية هي عملية احتيال بشعة، تم نشرها في المجتمع، من قبل النخبة الحاكمة له، وقد صُمِّمت لإضعاف النسيج الاجتماعي والثقافي الأمريكي؛ من أجل تقديم نظام عالمي فاشي جديد. إن دعاة الحركة النسوية هم من مدّعي الورع الدجالين، الذين أصبحوا أغنياء وأصحاب نفوذ من ادعاءاتهم هذه.

وهذا يشمل طبقة من الكذابين والمتسلّقين للأخلاق، الذين يعملون للنخبة في مختلف المجالات الحكومية والتعليمية والإعلام. إنه من الواجب أن يتم كشف هؤلاء الدّجالين وأن يتم تهميشهم.

إن العنف ضد المرأة هو مجرد كذبة، فوظيفة الإنسان في الحياة المبنية على جنسه، لم تكن بتلك الجمود الذي يحاول النسويون إيهامنا به.

أمي كانت لديها تجارة ناجحة في الخمسينات، من خلال استيراد أربطة الساعات من سويسرا، وعندما ارتفع دخل أبي، قررت أن توقف عملها وتركّز على الأطفال، كان للنساء في ذلك الوقت الحرية في أن يواصلن أعمالهن إن أردن ذلك. الاختلاف كان فقط في أن وظيفتها كزوجة وأم، كان أمرا مفهومًا ويتحقق اجتماعيًّا كما ينبغي، حتى أتت «جلوريا شتاينم» ووكالة المخابرات المركزية.

مقتطفات من كتابات لنساء غربيات ورجال ضد النسوية

١- نساء ضد النسوية بقلم: كاثي يونغ[١]:

هل ما تزال المرأة الأمريكية بحاجة إلى النسوية؟ يتصاعد الجدل في وسائل الإعلام حول النساء اللاتي يصورن أنفسهن «سيلفي» وهن يحملن لافتات مكتوبة بخط اليد، يعبرن من خلالها عن معارضتهن للنسوية وينشرنها. ما الذي دفعهن لفعل ذلك؟!!.

يمكن للمرء أن يفترض أن نساء ضد النسوية هي رد فعل تقليدي ضد مفهوم النوع، إلا أن العديد من النساء يقلن أنهن رفضن النسوية على وجه التحديد؛ لأنها مؤيدة لقضية المساواة بين الرجل والمرأة.

يُعَرِّف القاموس «النسوية»: بأنها الإيمان بالمساواة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بين الجنسين. هؤلاء النساء يعرِفن ذلك- وغالبا ما يسخرن منه- إنهن بسهولة يعتقدن أن النسوية في واقع الحياة تعني شيئا آخر: الحطُّ من قدر الرجال، ودعم امتيازات المرأة، وتصوير النساء في شكل مهين، كأنهن ضحايا بدلا من كونهن أحرارا.

لكن هل هن على خطأ؟ حسنا، واحدة من أشد المعارضات لنساء ضد النسوية «جيسيكا فالنتي»، والتي تعتبر من قيادات ورائدات النسوية، توضح أن النسوية تعتقد أن النساء في أميركا وفي الديمقراطيات الليبرالية الحديثة الأخرى، (ضحايا) ويجري التمييز ضدهن بشكل منهجي في المدرسة، والعمل والسياسة ويتعرضن للمضايقات والعنف، والاعتداءات الجنسية وتؤكد «فالنتي» أن هذا الأمر حقيقة، وليست مسألة سياسية.

لكن المشارِكات في حملة «نساء ضد النسوية» يختلفن معها، مشيرين إلى أن العديد

(١) صحفية أمريكية تُعرف بكتابتها عن الاغتصاب والنسوية. ألفت يونغ كتابين، وهي من كتاب مجلة «ريزون» -مجلة ليبرتارية أمريكية تصدر شهريًا-، وهي أيضًا محررة عمود دائم في صحيفة «نيوزداي» وصحيفة «ريل كلير بوليتيكس».

من الدراسات تُظهِر أن الفجوة في الأجور تعود إلى حد كبير لخيارات المرأة للوظائف التي تتناسب مع دورها في الأسرة، أو الوظائف التي تتناسب مع الحياة، أما بالنسبة للمدرسة، فالمرأة الأميركية قد فاقت الرجال في التحصيل العلمي، وحصلت حاليا على نحو ٦٠ ٪ من الشهادات الجامعية.

كما أنهن يربطن مشكلة إحصاءات الاغتصاب بتعاطي الكحول، وضعف التحكم الجنسي؛ مما يؤدي للاعتداءات الجنسية. ويؤكدن أن الرجال يواجهون صورا نمطية سلبية خاصة بهم، مشيرين إلى أن الرجال هم أكثر عرضة من النساء للجرائم الأكثر عنفا- وربما تكون أكثر عنفا بكثير مما كان يعتقد سابقا، حول تجربة العنف المنزلي والإكراه الجنسي. وفي كثير من المناطق، يتسبب غياب السلامة والصحة النفسية في مكان العمل في الطلاق، لذلك فإن الأمر عند الرجال أكثر سوءًا.

هذه الحجج اللاتي يذكرنها تحتاج إلى المشاركة معها، والتفاعل وليس النبذ والسخرية. فوق ذلك العديد من النسويات يستجبن لهذه الحجج، بإطلاق البذاءات التي عادة ما تطلق على كارهي النساء.

ومن المشاهدات في نيويورك ركزت «نينا بيرلي» على عدد قليل من الصور التي تظهر البشرة والأظافر السوداء المصقولة للسخرية من كون النساء يرتدين ملابس ويتصنعن مثل إعلانات خدمات المرافق.

وفي ذات الوقت تأسف النسوية من اتهامها بالعمل على سحق الرجال، وهو الاتهام المنطوي على التحامل المتأصل ضد جنس الذكور.

وقد قامت «فالنتي» بالتغريد مؤخرا في صورة لها ترتدي تيشرت معلنة (أنا أستحم في دموع الرجال). ومن الأمثلة الأخرى شعارات نحو «منع الرجال» و«اقتل جميع الرجال» والنكات على الإنترنت التي تحولت إلى رؤوس أقلام للتشويه.

إحدى المعلقات النسويات تدافع عن هذه الممارسات باعتبارها نكات ظريفة، تزعج أنصار التمييز الجنسي، ويسخرن من فكرة أن الناشطات ضد الذكور.

وعلى الرغم من أن هذا الكم من السخرية والاشمئزاز في هذه النكات، تؤجج

الكراهية إلا أن هذه النكات الساخرة تبدو سطحية؛ لأن هناك الكثير من الأمثلة من واقع الحياة تؤكد تحيز النسوية ضد الذكور.

كافحت «المنظمة الوطنية للمرأة» ضد إعطاء المزيد من الحقوق للآباء المطلقين؛ مما يوحي في كثير من الأحيان أن الرجال الذين يدافعون عن هذه الحقوق معتدين في مطالبهم.

الجماعات النسوية ألحت بقوة لتطبيق قوانين العنف المنزلي محليا، ثم تباكت بشكل سيئ عندما أدت هذه السياسات القاسية لاعتقال الكثير من النساء.

أيد نشطاء مكافحة الاغتصاب قوانين الحرم الجامعي، الذي يصنف الرجل كمهاجم، والمرأة كضحية إذا كانوا يمارسون الجنس في حالة سُكْرٍ على حد سواء.

حركة «النساء ضد النسوية» هي إلى حد كبير رد فعل مضاد لهذه العقلية النسوية. ويعتقد الدعاة ضد النسوية أنه مهما حققت النسوية من مكاسب إيجابية في الماضي، فإن نسختها الحديثة المهيمنة هي معادية للرجال ومهينة للمرأة. إنهم على حق.

٢- أربع أكاذيب نسوية تؤدي بالنساء إلى البؤس، سوزان فينكر[١]:

قبل عشرين عامًا، كتبت كتابي الأول عن سبب عجز النساء عن «الحصول على كل شيء»، أو في الأقل الحصول على كل شيء دفعة واحدة، بغض النظر عن ما تُنبئهن به الثقافة. (ملحوظة: إن أحدا لا يستطيع، ذكرًا كان أم أنثى، أداء وظيفتين بدوام كامل في وقت واحد دون أن ينهار).

في ذلك الوقت، كانت ما تسمى ب «حروب الأمهات»[٢] مستعرة، ففي كل مكان، كانت النساء اللواتي تَلَقَّيْنَ مجموعة من الأكاذيب من قِبَل أمهاتهن وناصحاتهن النسويات، كُنّ إما أن يتحسرن على عبثية قدرتهن على العمل بنجَاح بدوام كامل خارج

(١) مؤلفة وكاتبة مقالات ومدربة علاقات. تساعد النساء على التخلي عن المعتقدات النسوية التي تقوّض قدرتهن على خلق حياة سعيدة وإيجاد حب دائم مع الرجال. أحدث كتبها كان بعنوان «النساء اللائي ينتصرن في الحب: كيفية بناء علاقة تستمر»، ونُشر في أكتوبر ٢٠١٩.

(٢) يشير مصطلح حروب الأمهات، حسب تعريف قاموس أكسفورد، إلى الصراعات التي دارت بين الأمهات حول أساليب رعاية الأبناء، على وجه الخصوص بين الأمهات العاملات والأمهات اللواتي يرعين أطفالهن طوال اليوم.

المنزل مع الحفاظ على زواج صحي وحياة أسرية، أو أن يدافعن عن اختيارهن العمل بدوام كامل بإصرارهن على أن الأطفال سيكونون بخير إذا قُدِّمت لهم الرعاية البديلة على مدار الساعة.

منذ ذلك الحين، كانت الرسائلُ الموجهة إلى النساء عن كيفية التمتع بحياة سعيدة: من حيث ارتباطها بالحب والجنس والعمل والأسرة، تعمل فقط على جعل النساء بائسات! وليس الأمر أنهن تعيسات أكثر مما كانت أمهاتهن وجدّاتهن في الماضي، فقط، بل إنهن أكثر توترًا من الرجال إلى حد كبير.

لم تقدّم هذه الأفكار أي شيء لمساعدة الرجال والنساء في العثور على طريقهم إلى بعضهم بعضا. والمواعدة في أمريكا معدومة[1]، والزواج في أدنى مستوياته على الإطلاق. وعلى الرغم من وجود أكثر من سبب لهذه الحالة المحزنة، إلا أن الأكاذيب التي ترويها النسويات هي نفسها لم تتغير، وهنا أربعة من هذه الأكاذيب دون اعتبار ترتيب معين:

لا تحتاج النساء إلى الرجال:

بدأ الأمر بعبارة ظاهرها ذو طابع كوميدي رددتها «غلوريا ستاينم» مرارًا وتكرارًا في ذروة الحركة النسوية في الستينات، لكنها ليست هي من ابتكرتها: «تحتاج المرأة إلى الرجل بقدر احتياج السمكة إلى الدرّاجة»، ولا يزال هذا الظنّ سائدا على نحو واسع اليوم، سواء كان كما تُعبّر عنه «جينيفر أنيستون» بتصريحها بأن النساء «لا يحتجن إلى إضاعة وقتهن مع رجل لينجبن ذاك الطفل» أو كما تعنيه «إيما واتسون» بحديثها عن «مشاركة الذات»، ولما بدأت النساء، مع مرور الوقت، بكسب أموالهن الخاصة والاستفادة من حبوب منع الحمل المكتشفة حديثًا، انقادوا للظن بأنهن لا يحتجن إلى الرجال.

(١) المواعدة- عندهم- هي مرحلة من العلاقات الرومانسية بين البشر حيث يلتقي شخصان اجتماعيًا بهدف تقييم مدى ملاءمة الطرف الآخر كشريك محتمل في علاقة حميمة (زنا) أو زواج.
إن الإسلام يمنع العلاقات العاطفية غير الشرعية حفاظًا على دين الرجل والمرأة من الانزلاق إلى الفاحشة اتباعًا لخطوات الشيطان، وحفاظًا على المرأة التي غالبًا ما تكون ضحية لمن يتسلى بها من الرجال وقد يزني بها، ثم إذا أراد الزواج بحث عن العفيفة التي تحفظه في غيبته، ولا تكون كتلك الخائنة التي خانت ربها معه.

كُنّ مخطئات! فمن الناحية البيولوجية، فقد فُطرت النساء على الاعتماد على الرجال، بغض النظر عن تغيرات الحياة الكثيرة. وما زالت معظم النساء يرغبن في أن يصبحن أمهات، وما إن يرغبن في ذلك يصبحن ضعيفات. حتى في يومنا هذا، تدرك النساء بشكل فطري أنهن يحتجن إلى رجل في النهاية إذا ما أردن أن يكون لهن أسرة وإذا ما كن يرغبن في البقاء في المنزل على أية حال، ولو لفترة من الزمن فقط.

في الواقع، تُظهر الأبحاث أنّ أكثر ما يهم النساء- حتى بالنسبة إلى النساء المستقلات اقتصاديًا- هو تأكّدهن من وجود رجل يمكنهن الاعتماد عليه. الأمر الأكثر أهمية هو شعورهن بالاطمئنان وأنهن في أيد أمينة- نعم، حتى من الناحية المالية. وهذا ما يعرف باسم الزواج من شخص ينتمي إلى طبقة أعلى (Hypergamy)، وهو لا يزال منتشرًا وبصورة جيدة في عام ٢٠١٩.

النساء والرجال متماثلون، أو الجنس مفهوم اجتماعي:

إن اللحظة الدقيقة في التاريخ التي بدأت فيها العلاقة بين الجنسين تتراجع بشكل واضح هي عندما بدأت النساء في ممارسة الجنس كرجل- بشكل عرَضي، دون قيد أو شرط- تحت ستار أن المرأة لا تختلف عن الرجل، وبالتالي فهي قادرة على ممارسة الجنس بشكل عرَضي! تأمل هذه المقالة المضطربة والمضحكة التي تؤكد بالاستناد إلى دراسة مشكوك فيها أنه من الممكن لرجال ونساء يومنا هذا على حد سواء الاستمرار بأية علاقة عابرة إذا تمت بطريقة ملائمة.

من الحرم الجامعي إلى مجالس الإدارة في بلادنا، تعلمت الكثير من النساء اليوم ممارسة الجنس كما يمارسه الرجال عادة: لا ضرورة للالتزام. وهن يتعرضن للدمار.

إذا كان هناك أي شيء يثبت هذا الأمر بوضوح، فهو ما يسمى أزمة الاغتصاب في الحرم الجامعي وتجاوزات حركة ال(Me Too)، لأنه لو كان صحيحًا أن النساء «مثل الرجال» في قدرتهن على الفصل بين الجنس والعاطفة، فلماذا تصبح العلاقات في الحرم الجامعي والمكاتب سببًا للذهاب إلى المحاكم أكثر من كونها مغامرة ترحيبية؟

ليست حياتنا الجنسية فقط هي التي تؤكد الطبيعة المتباينة للنساء والرجال،

فكذلك الأبوة والأمومة توضحان هذا الأمر جليًا، فبمجرد ولادة طفل، يبدأ تأثير مورثة الرعاية لدى المرأة دائمًا تقريبًا. إن الأمر الأول الذي تقودها فطرتها إليه هو تقديم الرعاية العاطفية لرضيعها، مما يجعل العودة إلى العمل في وقت قريب أمرًا تدمي له قلوب الأمهات.

بينما تكون ردة فعل الأب مختلفة: ففطرته تقوده أول الأمر إلى دعم الأسرة ماليًا، ولا ينحصر دوره في هذا الأمر فقط، ولكنه الأول في قائمة مهامه.

ببساطة، قدرة الرجال والنساء على أداء مهام مماثلة على حد سواء لا يعني أنهم يملكون ذات الحماس للقيام بها. الرغبة تعني الكثير.

الساعة البيولوجية ليست حقيقية:

قد تكون الساعة البيولوجية مزعجة سياسيًا، لكن هذا لا يجعلها أقل واقعية. يلاحظ «جيليان لوكوود»، المدير الطبي في عيادة ميدلاند للخصوبة في المملكة المتحدة، أن السن المثالي للحمل عند المرأة هو ٢٥ عامًا: «الحقيقة القاتمة هي أن فرصة نجاح الإخصاب الصناعي بمجرد بلوغ المرأة سن الأربعين ستكون ضئيلة بكل تأكيد... في أي مجال طبي آخر، هل سنسمح، دع جانبًا تشجيعنا، للمرضى بدفع تكاليف عملية اختيارية تقل فرص نجاحها فيها عن خمسة في المائة؟».

ولهذا السبب، من المنطقي أنه يمكن للرجال تأجيل الزواج لفترة أطول من النساء، لكننا لا نخبر النساء بهذه الحقيقة. بدلًا من ذلك، ندّعي أنه يمكنهن التخطيط لحياتهن مع إعطاء الأولوية للعمل كما يفعل الرجال، كما لو أنهن لن يصلن إلى نقطة تتعارض فيها قدرتهن على الحمل مع حياتهن المهنية بشكل دائم. تهدف مقالات كثيرة إلى حجب الحقيقة البيولوجية التي تفيد بأنه من الأسهل على النساء إنجاب أطفال في العشرينات وأوائل الثلاثينات من العمر.

نحن نكذب على النساء، وبعبارة أخرى، لدعم أغراض سياسية. من خلال ذلك،

تحصل النسويات على ما يردن: فقدان النساء الرغبة بالأمومة والإنتاج بدلًا من ذلك في سوق العمل، لكن النساء لا يحصلن على ما يُرِدْن.

في الواقع، بعد عقود من السير وراء العُرف الثقافي، لم تعد النساء في كثير من الأحيان قادارات على أن يجدن أزواجًا. أو لا يستطعن إنجاب أطفال. وإذا ما تزوجن وأنجبن أطفالًا، فلن يتمكنَّ من البقاء في المنزل معهم لأنهن خططن لحياة تدعم هدفًا مختلفًا تمامًا.

للعمل معنى أسمى من الزواج والأطفال:

من بين جميع الأكاذيب التي ترويها النسويات، فإن فكرة أن النجاح الوظيفي أكثر إرضاءً من الزواج والأسرة، هي الأكبر إلى حد بعيد، ويكاد يكون من المستحيل توضيح عمق تأثير هذه الكذبة لأنها بدأت، أيضًا، في الستينات، وهذه المرة بإصرار «بيتي فريدان» على أن كون المرأة زوجة وأُمًّا يشبه كونها في «معسكر اعتقال مريح»، فمنذ ذلك الوقت، أُثخنت النساء الأميركيات بنظام غذائي ثابت من الكلمات والصور التي تعزز حجة «فريدان».

البشر كالحيوانات التي تعيش في قطيع؛ نحتاج أن نشعر بأننا جزء من المجموعة لنشعر بالرضا تجاه أنفسنا. بعضنا راضٍ بالعيش بعيدًا عن الجماعة، لكن أغلبنا يحتاج للجماعة. لهذا، يمكننا القول أن للرسائل الثقافية أهمية بالغة.

تتفاجأ النساء عندما يكتشفن أن العمل لا يبعث على الرضا بقدر ما تم إقناعهن.

بما أن دور الأم لم يعد يُحترم أو يُفهم على أنه شيء تريد المرأة أن تقوم به، ناهيك عن أنها يجب أن تقوم به، فإن النساء يُفاجئن باكتشاف مدى الحزن الذي يشعرن به عندما يتركن أطفالهن ويعُدن إلى العمل. لقد فوجئن باكتشاف أن العمل لا يبعث على الرضا بقدر ما تم إقناعهن.

تشعر النساء العازبات بنفس شعور عدم الارتياح إذ لم يجدن رجلًا يمكنهن أن يستقررن معه. ويبدو أن العمل غير مرضٍ على الإطلاق، إذا ما بتَّ ليلًا في السرير وحيدًا.

يخطط عدد كبير جدًا من النساء لحياتهن من خلال إعطاء الأولوية للعمل، إلا أنهن يتمنَّين لو أنهن لم يفعلن ذلك في النهاية. للأسف، يفيض صندوق الوارد الخاص بي برسائل إلكترونية من نساء يخبرنني بأنهن يتمنين لو أن أحدًا أخبرهن بذلك في وقت سابق.

لذا، أنا هنا أقولها بأعلى صوتٍ ممكن: لقد كُذِبَ على النساء لسنوات، وهذا هو سبب كونهن تعيسات للغاية، ولا يوجد إلا حلٌّ واحد فقط: أعيدي ترتيب أولوياتك- أعطي الأولوية للحب والأسرة وليس للعمل- وسوف تفوزين في لعبة الحياة. هذا ما فعلته أنا، مما أحدث فارقًا كبيرًا.

٣- ضد نسويّة «السّخافات الخطيرة»، إليزابيث ليفي[١]:

بمناسبة صدور العدد الصيفي من مجلة Causeur [٢] حول «إرهاب النسوية الجديدة»، تقدّم لنا مديرة تحرير المجلّة إليزابيث ليفي وجهة نظرها حول الوضع الراهن للنسويّة.

* لقد عَنوَنتُم مِلَفّكم بـ: «الإرهاب النِّسويّ». أليس هذا مُبالَغًا فيه قليلا؟ هل علينا فعلا أن نرى في الادّعاءات النّضاليّة للنسويّات الجديدات شكلًا من أشكال «الدكتاتورية»؟

(١) إليزابيث ليفي: صحفيّة وكاتبة فرنسية، ولدت سنة ١٩٦٤، درست العلوم السياسية، وكتبت في عدّة صحف فرنسية مثل Le Figaro و Le Point. وأنشأت صحيفة Causeur، وشغلت رئيسة التحرير، ثم مديرة التحرير لها.

(٢) صحيفة فرنسيّة شهريّة إلكترونيّة، تأسّست في ١٥ نونبر ٢٠٠٧، وبدأت تُصدر نسخة شهريا ورقيّا منذ يونيو ٢٠٠٨. وبدأت توزّع لدى بائعي المجلات منذ ٤ أبريل ٢٠١٣.

هل فعلا «كليمونتين أوتان» Clémentine Autain[١]، كارولين دو هاس Caroline de Haas[٢] والمنتميات للفِمِن Femen[٣] يُشَكِّلْن تهديدًا للمجتمع؟

ليفي: إن هذه الاتّحادات الجديدة للفضيلة تمارِس كثيرا شكلًا من أشكال الإرهاب- إرهاب بالتأكيد مُبتَذل، سخيف، مضحك أحيانا لدرجة البكاء، وهذا الجانب الكوميدي الذي أردنا أن نؤكد عليه من خلال الصورة[٤]، ولكنه إرهاب على أيّة حال.

لم يفُتني أنه لم يكن هناك أي من قادة ال KGB [الاستخبارات السوفييتية] ولا القائد الأعلى، وأنني لم يُلقَ القبض عليّ عند صدور هذا العدد. ولكن حُكمًا على ردود أفعالهم المضلّلة تمامًا (سوف أعود إلى هذا)، فإن سيداتنا الخَيِّرات (اللاتي هنّ في كثير من الأحيان رجال) لم يَكُنّ مناهِضات... وفي الوقت نفسه، يعتزمْن فرض قصة تقيّةً يكون فيها النساء إلى الأبد ضحايا والرجال مشتبَه بهم- يُحتمل أن يكونوا عنيفين، مغتصبين، متحرِّشين، وغير ذلك كثير.

* ولكن هناك رجال عنيفون، مغتصبون...

ليفي: ينبغي بطبيعة الحال معاقبة الذين يقمعون أو يستغلون النساء بصرامة. لكن مع النسويات الجديدات، فالأمر مختلف تمامًا. تحت غطاء خوض المعارك الرابحة منذ وقت طويل، يُرِدْن في الحقيقة السيطرة على العقول والسلوكيات، وسَنِّ معايير فيما

(١) كليمونتين أوتان Clémentine Autain: سياسيّة من اليسار الراديكالي وصحفيّة فرنسيّة، ولدت عام ١٩٧٣، تعرّضت للاغتصاب في سنّ الثالثة والعشرين، وهذه كانت بداية انخراطها النسويّ. وقد أسّست سنة ١٩٩٧ حركة نسويّة جديدة تُدعى Mix-Cité.

(٢) كارولين دو هاس Caroline de Haas: سياسيّة وناشطة نسويّة فرنسية، ولدت سنة ١٩٨٠. شاركت في تأسيس حركة نسوية تدعى (Osez le féminisme!) سنة ٢٠٠٩، وظلّت متحدّثة باسم الحركة إلى غاية ٢٠١١، وكانت إحدى الموقّعات في أبريل ٢٠١١ على بيان «المساواة الآن» « Légalité maintenant! ».

(٣) فيمن FEMEN: هي مجموعة نسويّة دوليّة متطرّفة لها فروع بالعديد من الدول، تأسّست في أوكرانيا سنة ٢٠٠٨، ومقرُّها الآن بالعاصمة الفرنسيّة باريس. وتعتبر من أكثر المنظّمات إثارة للجدل. تتحدّد أهداف الحركة في الدفاع عن حقوق المرأة ومحاربة التمييز بين الجنسين ورُهاب المثليّة والدين والديكتاتوريّة. والحركة تُعرَف قضايا جنائية كثيرة ضدّها بتُهم الشغب. وتنتهج الحركة طريقة مستفزّة في الاحتجاج لإثارة الإعلام عن طريق تظاهرات ناشطاتها وهنّ عاريات.

(٤) تقصد صورة غلاف العدد من مجلّة Causeur الذي هو موضوع هذه المقابلة.

يتعلّق بالجنسانية sexualité والعلاقات couple والرّغبة. وكما بيّن ذلك «أورويل»، الإرهاب يعمل بدايةً على اللغة التي يعتزمن على «تطهيرها»، وتخليتها من كل أثر لماضٍ يتمّ الرجوع إليه تحت شعار الهيمنة الذكورية.

حظر الكلمات من أجل إزالة الأشياء- وفي هذا الصّدد شيء(ة) ... ومنه تعقُّبهم النَّهِم للزلّة، لما بين السطور، للنكتة التي تكون بالخطأ.

* أنا أصرّ: أن يَكُنّ سخيفات لا يجعل منهنّ خَطِرات!

ليفي: لا، الخطير في الأمر، هو حينما لا يُرى السُّخف، وتُؤخذ على محمل الجدّيّة خَيالاتٌ لا معنى لها والتي حين تكون مواقع إلكترونية مختصة في الوشاية (الإدانة) مُشَجَّعة وتُقَدَّم كمثال، ألا ترون الخطر؟ ينبغي أن تجعلنا نضحك.

عندما يجب على حاصل على جائزة نوبل للطّب الاستقالة من منصبه في الجامعة تحت الضغط الشّديد والغاضب ل «الشبكات الاجتماعية»، لأجل أنّه لمَّح إلى سِمة عقلية لدى النساء، ألا ترون الخطر؟ [في استجواب له حول حضور النساء في المختبرات، قال: «نحن نقع في حبّهنّ، هنّ يقَعن في حبّنا وعندما ننتَقِدُهنَّ يَبْكين»[1].

حين تكون مواقع إلكترونية مختصّة في الوشاية (الإدانة) مُشَجَّعة وتُقَدَّم كمثال،

(١) تقصد إليزابيث ليفي هنا عالم الكيمياء الحيويّة «تيم هانت» (ريتشارد تيموثي هانت) Tim Hunt، الحاصل على جائزة نوبل في الطّبّ والفيزيولوجيا سنة ٢٠٠١ التي تقاسمها مع اثنين آخَرَين حول اكتشافهم لجزيئات البروتين التي تتحكّم في انقسام الخلايا. حيث صرّح «تيم هانت» في المؤتمر العالمي للصحفيين العلميين الذّي دُعِيَ إليه في سيول، كوريا الجنوبية يوم الاثنين ٨ يونيو ٢٠١٥، أنه يجب على الرجال والنساء العمل في مختبرات منفصلة لتجنب كون الأخيرات «يقعن في حب زملائهنّ ويبكين عندما يتمّ انتقادهنّ». حيث أثارت مجرّد هذه الجملة منه موجة عارمة من الانتقادات على وسائل التواصل الاجتماعيّ، وعلى إثر ذلك وفي نفس الشهر يونيو ٢٠١٥ استقال تيم هانت من منصبه كأستاذ فخريّ، بعد الجدل الواسع الذي فجّره تصريحُه، الذي وُصِف بأنّه تصريح متحيِّز جنسيًا. وقد اعتذر تيم هانت قائلا: «أنا حقًا آسف إذا صَدَمتُ، إنه أمر بغيض، كنت أريد فقط أن أكون صادقًا». وهذه القضيّة تعبّر عن مدى تأثير اللوبي النسويّ وممارسته للإرهاب بنفس القدر الذي يمارسه اللوبي الداروينيّ على الأبحاث العلميّة، فبينما يُلاحِق الداروينيّون كلّ إشارة إلى الإرادة والقصد والحكمة والتصميم، يُلاحِق النسويُّون كلّ تلميح للتفريق وعدم المساواة بين الجنسَين. وهذا التأثير ينبغي أن يجعلنا نفهم جيّدا السياق مابعد-الحداثي الذي نعيشه، حيث لم يعُد للسُّلَط التقليديّة (السلطة القضائيّة، السلطة التنفيذيّة، السلطة الدينيّة، سلطة الطّبقة...) دورها الحقيقي والأوحد في القرار، بل إنّ السلطة الفردانيّة والمُتَعيّة أصبحت تشكّل قوّة هائلة في صنع القرارات وإجبار السّلَط التقليديّة.

ألا ترون الخطر؟ عندما يكون هناك رجال مهدّدون بخسارة عقود، ومواقع، ووظائف، لأجل أنّهم يُدافِعون عن وجهة نظرهم حول ممارسة البِغاء أو حول أيّ موضوع آخر مفضّل لدى «حارسات السّلام الأسريّ»، ألا ترون الخطر؟ عندما يكون عدد متزايِد من الرّجال خائفون من قول ما يعتقدون، فإنّ هذا هو الإرهاب قد بدأ.

ألا ترون هذا العطش الذي لا يرتوي من المراقبة، من الإدانة، من العقوبة، سيل الوحل الرّقميّ الذي يمكن لمقاتِلاتِنا الرّشيقات أن يَسْكُبْنه على التّعيس الذي يُعارِض نَزَواتِهنّ.

إذن، يمكننا القول بأنّ هؤلاء النسويات الجديدات néo-féministes هنّ «السخيفات الخطِرات».

* لكن ألا يدُلّ هذا على العبوديّة الطّوعيّة أكثر ممّا يتعلّق بخطر حقيقيّ؟ كيف يمكن لجماعات صغيرة (فصائل) أن تكون خطرًا؟

ليفي: ألم تسمعوا بالطّليعة المتقدِّمة للثورة[1]؟ هذه المجموعات الصغيرة خطِرة لأنّ تأثيرها لا يُقاس أبدًا بحجمها الحقيقي. إنّ لديها مائدة مفتوحة في وسائل الإعلام الكُبرى حيث خطابهم هو كلمة الإنجيل: لن يتجرّأ أبدا صحفيّ ل France ٢ أو BFM على الجدال في فوائد المساواة أو مُوافَقَة بيانٍ للنساء الصّحفيّات السّياسيات اللواتّي يشتكين من عيش الجحيم، المسكينات.

مثال جيد جدا، هذا البيان ضدّ التحرّش anti-harcèlement المنشور في مطلع صحيفة Libé: في غُرَف الأخبار، كان الجميع يضحك، وعلى الشاشات، كان الجميع يؤيّد اللُّغم الخطير، أليس هذا هو التعريف الصحيح للإرهاب؟

(١) الطّليعيّة (بالفرنسية l'avant garde) لفظ عسكريّ، مُستمدّ من تيّارات ظهرت في القرن التاسع عشر، وأصبح يُستعمل للتّعبير عن بعض تيّارات ما بعد الحداثة التي ظهرت منذ بدايات القرن العشرين، التي دعَت إلى التغيير والخروج عن المعايير الحداثيّة، في كافّة المجالات، من الفن والأدب والفلسفة والثقافة والسياسة. ويميّز الطلائعيّة الدعوة إلى نبذ كلّ النماذج والانقلاب على كلّ المعايير والتعبير بحريّة وجُرأة والدّفاع عن الحريات الفرديّة، مع التبايُنات الموجودة بين تيّاراتها. وترجع تسميتُها بالطّلائعيّة إلى «سان سيمون» الذي دعا الفنّانين للعمل كطلائع للجيش وشدّد على ضرورة استعمال الفنّ كقوّة في التّغيير والإصلاح.

لكن بالإضافة إلى إشاعة جوّ مخيفٍ من محاكِم التّفتيش، هذا اللوبيّ غير النّظامي يؤثّر على القرارات الحكوميّة[١]. إذن إذا كانت هناك عبوديّة طوعيّة، فلأنّ أقليّة إيديولوجية ضئيلة تفرض سلطتها من خلال الخوف والترهيب. وطُموحُها هو أن تصُدَّنا عن الضّحك- من اختراعاتها التي لا تُحصَى، وبشكل عامّ، من كلّ ما له صِلة بالرجال وبالنساء.

* ما الذي يغضبكم أكثر عند «النسويات الجديدات»؟

ليفي: أتردّد بين فقدانهم التام للفكاهة، وشراسة الضحيّة عندهم، ورغبتهم في المُراقبة. لا، أظنّ أنّه هذا الذي لا يُطاق، هذا الظّمأ الذي لا يرتوي من «المراقبة والعقاب». «جسدي مِلك لي»، كان يصرخ فتيات MLF[٢] الفرِحات. «جسدك ملك لي»، يرُدّ وريثاتهنّ المضحكات، صيدليات للرّغبة أكثر من كونهنّ الاقتسام الشائع للأعمال المنزلية. عن نفسي، كتيبة آلات تنفيض الغبار، مكتب التنانير المُهَفهَفة frous-frous (بدون شكّ جنسانيّين، لا؟)!

خلال حملة الانتخابات الرئاسية ٢٠١٢، نجَحن في إطلاق نفس السّخافات بإلغاء كلمة آنستي «مدموزيل» «Mademoiselle» بالنسبة لهولوند وساركوزي معًا. لقد كانت مسرحيّةً مُرعِبة أن يكون اثنان من المسؤولين البارزين امتثلا راضيَيْن لأسلوب اللُّغة الجديد الذي فرضته حكيماتنا اللّواتي قرّرن أنّ هذا المصطلح السّاحر للُّغة الفرنسية يجب أن يختفي.

حسنا، أنا لا أعرف امرأةً واحدةً قد وافقت على هذا الإجراء. وأنا مقتنِعة بأنّ المترَشِّحَيْن في تلك الأيّام قد وجَدُوه سخيفًا- الجُبن مع ذلك هو الأفضل أمام الحماقة[٣].

(١) هذا ما تم التأكيد عليه سابقا من كون التّيّارات الليبراليّة مؤثّرة وتشكّل سلطة أكثر قوّة من السلطات النّظاميّة الرسمية والتقليديّة في فرض القوانين رسميّا أو عُرفيّا.

(٢) MLF اختصار ل Mouvement de libération des femmes أي: حركة تحرير النساء، وهي حركة نسويّة فرنسيّة مستقلّة وغير مختلطة، ظهرت بُعَيد أحداث ماي ١٩٦٨ بفرنسا، للدّفاع عن حريّة التصرُّف في جسد المرأة ومُناهضة ما يسمّونه بالباطرياركية والدفاع عن المساواة في كل الحقوق عبر المظاهرات.

(٣) لعل هذا هو أصعب تحَدٍّ يوجد مع النسويّة والتيّارات الليبراليّة، كون هذه التّيّارات سخيفة لدرجة أنّ العاقل يمتنع عن الرَّدّ عليها، وهذا يجعلها تستشري أكثر، ثمّ إنّ كونها تعتمد على سخافات تافهة يجعل الرّدّ عليها بعُمق ومناقشة جادّة غير ذي أهميّة، فهذه التّيارات تعتمد على السّخافة والتّفاهة الموجودة، كما أنّ الليبراليّة تعبّر عن رغبات ومُتَع أكثر من تعبيرها على تيّار فكريّ يجادل بالحُجج.

إنّهنّ لن يكُنّ راضيات إلّا عندما يكون الرجال نساءً مثل الأخريات وعندما يستأصلن فكرة الذكورة نفسها.

إننا لا نُجبِر الأطفال الصغار على لعب لعبة الفرسان، جيّد جدًّا. هل ينبغي أن نشجعهم على أن يكونوا أميرات ونشجع الفتيات على لعِب «الرّجبي»؟ نحن ربحنا القدرة على اللعب مع أنماط بحيث، في الغرفة كما في المدينة، السُّلطة يمكنها تغيير المعسكر. ولكن تحت غطاء القضاء على هذه الأنماط، يُراد فرض نمطٍ وحيد منها.

ومع ذلك، كل نظريات الجندر (النوع) لن تُلغي حقيقة بسيطة: الرجال والنساء، ليسا سيّان[١]. ومن وجهة نظري، إنّ هذا الاختلاف هو ما يجعل العالم صالحا للعيش بشكل مُبهِج[٢].

إنّ المعركة النسويّة القادمة، هي تلك التي يجب شنُّها على هذه النسويّة الزائفة، التي تريد أنّ تحدّد معيارًا واحدًا للنساء، تحت غطاء الدّفاع عنهنّ. لأنّه في نهاية المطاف، هي في حرب ضدّ الرّجال والذُّكورة، وفي نفس الوقت، في حرب ضدّ فكرة الأنوثة نفسها.

٤- عن الأنوثة المتوحشة، هيذر إي هايينج[٣]:

يمكن أن تكون ذكور الأسود وحوشًا قاتلة تستهدف فريستها بدقة، ومميتة إن صح التعبير، فإنها تقوم بقتل أشبال القطيع التي تسيطر عليه متى سنحت الفرصة، وهو ما يدفع

فالإشكال الأعظم في ثقافة ما بعد الحداثة أنّها في مُخرجاتها الحاليّة ليست فِكرا يستند إلى أدلّة يمكن تِعدادُها والرّدُّ عليها- وإن كانت قائمة على أصول ومُضمَراتٍ فلسفيّة طبعا-، بل هو حالةٌ من الاندفاع الشّهوانيّ المُتَعيّ الذي يحتاج إلى قهر، بالتّهذيب الإيمانيّ، أو الحُكم السُّلطانيّ.

(١) تستنجِد ليفي هنا بفطرتها، فإنّه لا يُمكن لأيّ شخص سَوِيٍّ أن يُنكر حقيقة الفرق بين الجنسين، وأنّ هناك جنسَيْن فقط لا ثالث لهما، وأنّ اعتقاد أنّ الجنس يأتي من التّنشئة وليس طبيعيّا فطريّا واختلاق نظريّات لأجل هذا من أتفه الحماقات.

(٢) إن نظام الزّوجيّة قد فطر الله عليه جميع الكائنات، قال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩]، وجعل ذلك من آياته سبحانه، ورتّب على هذه الزّوجيّة السّكينة والسُّكون في الزّواج فقال: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]. فمن سلِمت فطرته عرف قيمة الزّوجيّة وآية الله في ذلك فآمن به سبحانه وعظّمه وفرّ إليه كما قال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٤٩ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾[الذاريات:٤٩-٥٠].

(٣) هيذر إي. هيينج: أستاذة جامعية سابقة في كلية إيفرجرين ستايت، حصلت على الدكتوراة في علم الأحياء من جامعة ميتشيغان، ومؤلفة كتاب النقيض Antipode، بحث ودراسة عن الحياة والثقافة في مدغشقر.

الإناث حديثة السن والتي فقدت أطفالها إلى الحاجة للتزاوج مرة أخرى، وسرعان ما يتم تخصيب الإناث، لا يشك أحد في أن هذا يعد سلوكًا عدائيًا، وربّما يحد من حب بعض الناس للأسود.

إن الغالبية العظمى من ذكور البشر المعاصرين لن يقوموا بارتكاب مثل هذه الأشياء، حتى إذا أتيحت لهم الفرصة، ومن المفارقات أن من يزعمون أنّ الرجال قتلة ومتوحشون بطبيعتهم، يقدمون حججًا هي في أساسها بيولوجية، ومع ذلك، فإنهم يقدمون تلك الأدلة بطريقة خاطئة جدا.

لكنّ البشر، بخلاف الأسود، يتمتعون بفترات طفولة طويلة، وترابط أكبر بين الأجيال، ويتشاركون أفكارًا أكثر بتعقيد متزايد، وعادة ما يعيشون في مجتمعات أكثر استقرارًا من جماعات الأسود. ومن ثمَّ، ولأن بعض الثقافات قد تسمح بمثل هذا السلوك، فإنّ الغالبية العظمى من الرجال لن يقتلوا الرضّع، ولن يجامعوا أمهاتهم الثكالى [بعد ذلك، كما تفعل الأسود].

منذ ثلاثين عامًا في لوس أنجلوس أصبحت أنثى شابة، وأن تكوني شابة في لوس أنجلوس يعني أن تكوني مراقَبة، رقابة بحثًا عن الانحراف عن سنن الحياة العادية، وبحثًا عن مؤشرات الشهرة المستقبلية، وعن علامات الضعف، ببساطة رقابة على كل صغيرة وكبيرة في مظهرك، ويوجد- للأسف- الكثير من الأمثلة القديمة والحديثة تعتبر صناعة لوس أنجلوس الأكثر شهرة أكثر مكان تحتاج فيه الشابات إلى الحماية، لم أتعرض أبدًا إلى هذه الصناعة، ولكن بمجرد العيش في لوس أنجلوس، فإنك ترى تلك الثقافة منتشرة في كل مكان، ولبيان ذلك تكفي حكايتان:

في الصيف، وبينما كنت أسير وحدي في الحي الغربي في لوس أنجلوس حيث تسطع الشمس، اقترب مني رجلٌ يبحث عن كومبارس لمشهد على الشاطئ في أحد الأفلام، وقبل أن أنطق بكلمة، أخبرني أين أذهب، وكم سأتقاضى في اليوم الواحد، والمطلوب مني هو أن أقف مرتدية ملابس السباحة (البكيني) مع أخريات يرتدين ملابس مماثلة، أخبرته بأنني ذاهبة إلى الكلية، تفحّصني، حرفيًا، من رأسي إلى قدمي، ثم أكّد لي، عابسًا،

أني لست بحاجة إلى الذهاب إلى الكلية، فإن مشاهد الشاطئ هي مستقبلي، ومن يدري! ربما من هناك أرتقي إلى مشاهد أفضل.

الحكاية الثانية:

بجانب العمل في بيع الأيس كريم وفي أماكن تأجير أشرطة الفيديو كان العمل في طاقم تقديم الطعام في المطاعم الراقية واحدًا من وظائف الدوام الجزئي الكثيرة التي عملت بها في المدرسة الثانوية، حيث أرتدي الملابس الكلاسيكية البيضاء والسوداء، وأقدم أطباق المقبلات أثناء ساعة جمع التبرعات، وأنقل الأطباق الرئيسية خلال خدمة الموائد، في المناسبات داخل الفندق يستوقفني الحاضرون من الرجال لنتحاور قليلًا ويطلبون رقم هاتفي، تمنيت ألا يفعلوا ذلك، ولكني لم أشعر بخطر.

وذات ليلة، اشتركت في مناسبة في الساحة الخارجية من استوديوهات يونيفرسال، حيث قامت شركة ليست تابعة لهوليوود بحجز الساحة لحفلة دفعت فيها أموالًا طائلة، وكان عليّ أن أقوم بالمعتاد، غير أنني في هذه الحفلة كان يجب عليّ أن أغطي مساحة أكبر، فالمطبخ كان بعيدًا وانتشر الضيوف في أنحاء المكان، ولم يكن هناك صالات أو حجرات، قمت أنا وزملائي في العمل، قبل خدمة الموائد، بجولات نقل أطباق البروسكيتا واللحم المدخن.

كان عدم وجود حجرات وصالات في هذه الساحة خطيرًا للغاية، حيث حاول شابٌّ أكبر مني، لكنه لم يتعدّ الثلاثين، أن يحتال لإبعادي عن الزحام، كان هناك العديد من الأشخاص، اقترب مني جدًا ونظر إليَّ بعيون مفترسة، دفع ظهري نحو السياج وحاول أن يحتك بجسدي، فهربت منه قبل أن يتطور الأمر أكثر من ذلك.

لقد كان هذا (ذكورة متوحشة)، قبل أن يوجد هذه المصطلح، أجل، فالذكورة المتوحشة موجودة، لكن تمّ استخدام المصطلح كسلاح، وإطلاقه على كل رجل دون فهم، فعندما ظهر هذا المصطلح بدا استخدامه غير دقيق، لكن في معظم المجتمعات البشرية هناك رجل ينتظر الفرصة ليداعب مؤخرة امرأة دون رضاها، أو ليضع يده حيث لا ينبغي، أليس كذلك؟

هذا ما أُطلق عليه (متوحش)، هؤلاء الرجال والأسوأ منهم موجودون ومعروفون لكن انتظر، هل كل تجمع بشري يوجد به مثل هؤلاء الرجال؟ لا، ولكن يُستخدم هذا المصطلح (الذكورة المتوحشة) بطريقة عشوائية، ويُفرض بالقوة، نحن لا نتكلم عن الدقة اللغوية أو الاصطلاحية الآن، بل نتكلم عن خطأ فادح، معظم الرجال ليسو عدوانيين أو متوحشين، فذكورتهم لا تجعلهم كذلك، أكثر مما يجعل البياضُ شخصًا ما عنصريًا، فلنفترض في الوقت الحالي أننا نستطيع أن نتفق على المصطلح إذن: هل ترتبط الذكورة بالرجولة المتوحشة بدرجة أكثر من الأنوثة؟

نعم، بحكم الأمر الواقع يُعبِّر المصطلح عن الذكورة، لذلك سيطلق على الرجال أكثر من النساء، ثم بقفزة منطقية نصل إلى أن جميع الرجال متوحشون وعدائيون، وبحسب خبرتي، فإن أكثر المجتمعات التي تُنَاقش فيها قضية «الذكورة المتوحشة» الرجال فيها متعاطفون ورحماء، وليسو عدائيين إطلاقًا، إن تسميتنا الرجال الطيبين (متوحشين) = تسيئ للجميع إساءة بالغة، إلا أولئك الذين يسعون إلى فرض السيطرة كما يروي الضحايا.

وللعلم: أنا لا أقصد أنّ الضحايا الحقيقيين غير موجودين، أو أنهم لا يستحقون كافة أنواع الدعم النفسي والجسدي والقانوني والطبي ... وغيره، ولا أريد أيضًا أن أزدري حقيقة أن معظم النساء، وربما كلهم، قد تعرضوا للإساءة على يد بعض الرجال، لكن ليست كل النساء ضحايا، وحتى بين هؤلاء النساء اللائي عانين بالفعل على أيدي الرجال، فإن الكثير منهم، أو دعني أخمن وأقول معظمهم، لا يردن أن يُشار إليهنّ كضحايا، كل هذا يجعلنا نتوجه نحو موضوع لم يأخذ حظه من البحث وهو:

الأنوثة المتوحشة، لقد تشكّلت أدوار الجنس والنوع (sex and gender) خلال مئات الآلاف من السنين من تطور الإنسان، وبالتأكيد خلال مئات الملايين من السنين في الفصائل الحيوانية التي نعرفها، وبالرغم من أنّ مظاهر هذه الأدوار تشهد تغيرًا سريعًا، إلا أنّ حقائقها القديمة ما تزال موجودة، فرغبات وشهوات الماضي لا تزال قائمة، وسينظر الرجال الأسوياء (straight) إلى النساء الجميلات خاصة إذا كانوا:

أ- شابات مثيرات.

ب- يعرضن بقوة ما يلفت الانتباه.

إن الأنوثة التي تعرض نفسها عرضًا يفجر الشهوة، وتعلن عن خصوبتها وحاجتها للجنس، فإنها على سبيل المثال تجذب انتباه الرجال عن طريق العرض المثير للجسد، أو رسم إشارات ذات إيحاءات جنسية، أرى أنّ في كل هذا جلبًا للمشاكل، لا، أنا لم أقل إنها كانت تطلب هذا، بل ما قلته هو أنّها كانت تعرض نفسها، وبالطبع ستكون محل نظر واهتمام، تصير الأنوثة عدائية ومتوحشة عندما تصرخ من قهر الرجال، وتعاقبهم بسبب استجابتهم لعرض المفاتن المثيرة للشهوة.

أين نضع حدود خصوصيتنا؟ سؤالٌ يختلف حول إجابته العقلاء من الناس، لكن هناك خطان رئيسيان هما محل اتفاق بشكل كبير:

أ- كل امرأة لها الحق ألّا تُلمسَ ما لم ترغب في ذلك[1].

ب- المقايضة القهرية [الاستبزاز] غير مقبولة، وهي تلك الخدمات الجنسية التي تُطلب من المرأة مقابل الترقي الوظيفي.

لكن عندما تتجمل النساء بارتداء ملابس تظهر مفاتن معينة، ويقمن بوضع مساحيق التجميل التي تدفع إلى نشوة جنسية وشيكة، فإن هذه أنوثة عدائية متوحشة، أجل إنها وحشية لأنك تطلب من الرجال ألا ينظروا ولا يقتربوا، أو مجرد حتى التفكير في ذلك، تتمتع الشابّات بقوة جنسية هائلة، ويعرف كل من كان صادقًا مع نفسه أنه متى كانت المرأة في ذروة شهوتها الجنسية، وتتمتع بجمال فائق تبعًا لثقافة وتقاليد بيئتها = فإنها تتمتع بنوع من القوة لا يمتلكها شخص آخر، كما أنها تفتقر إلى الحكمة اللازمة للتحكم في هذه القوة، إن الأنوثة المتوحشة هي استغلال سيء لهذه القوة، حيث تبالغ في الإثارة وعرض المفاتن، ثم العيش في دور الضحية عندما لا يعاملهم الرجال الأسوياء كأنداد لهم، أي وحشية هذه في قيامنا بإثارة الجوع الجنسي في الرجال عن طريق حثهم على

(١) يعني إن رغبت فلا بأس (!!!)، تتحدث الكاتبة من وجهة نظر ثقافتها الليبرالية التي تبيح الزنا إذا كان بالتراضي، فالحمد لله على نعمة الإسلام.

التحديق فينا ثم المطالبة بألا يشعر الرجال بهذا الجوع، أيضًا إخضاع الرجال وازدراؤهم حينما يستعرضون القوة، سواء كانت بدنية أو عقلية أو غير ذلك، وكذلك الإصرار على أن الرجال وحوش ضارية فقط لكونهم رجالًا، ثم التظاهر بالمفاجأة عندما تتوتر وتتعقد العلاقات بين النساء والرجال في لعبةٍ قانونها أنّ مكاسبها تذهب للقلة، بينما يتشارك الجميع في الخسائر، إنها الأنوثة المتوحشة [١]!

في إحدى رحلاتي الدراسية خارج البلاد، كانت لدي طالبة تعاني من مشكلة دائمة مع الملابس، فكانت لا ترتدي ما يكفي منها، كانت ذكية وجميلة وذات جسد رياضي، لكنها أيضًا كانت على استعداد أن تظهر مفاتنها في أي وقت، وفي الحديقة البيولوجية التابعة لغابة من غابات أمريكا اللاتينية، جاءتني تشكو لي أنّ الرجال من السكان المحليين يحدقون بها، كانت ترتدي ملابس السباحة، بينما يرتدي الآخرون ملابس العمل العادية، قلت لها: «ارتدي المزيد من الملابس» فصُدمتْ، فقد كانت تريد مني أن أغير الرجال وأوجههم للنظر بعيدًا عنها، هنا في وطنهم، حيث كنا ضيوفًا، تخرج عليهم إحدى المعتوهات الأجانب شبه عارية، آملة أن يتغير الرجال!

إن الاتجاه الذي يعمم مصطلح «الذكورة المتوحشة» وأولئك الذين يشاهدون علامات «سيادة البيض» في كل ما تقع عليه أبصارهم = يتشاركون نفس الأدوات والاستنتاجات، ويشترك المذهبان في استعمال خدعة لفظية محددة تنص على أنه: لا شكَّ في صحة أي ادعاء مقدم من أحد فراد مجموعة مضطهدة تاريخيا، وأنّ التشكيك في هذه الادعاءات في حد ذاته يُعد اضطهادًا، وهذا بدوره يفتح الباب لأي شخص مستعد للكذب في سبيل كسب النفوذ، فإذا لم تتمكن من التشكيك في الادعاءات، فإنّ أيَّ ادعاء يمكن أن يُصدَّق، وهكذا تصير العنصرية في كل مكان ويصير كل الرجال ذئاب بشرية، أنا لاأوافق على هذا، ولكن غير مسموح بالاعتراض!

إنَّ كل من يفهم (نظرية التحايل) يعلم كيف ستنتهي هذه اللعبة: يتعرض الأبرياء للظلم بسبب الادعاءات الخاطئة، ويتعرضون للمطاردة كما لو أنهم يمارسون أعمال

(١) تأمل عظمة الإسلام الذي أمر المرأة بالحجاب وأمر الرجال والنساء بغض البصر.

السحر[١]، إنّ الاعتداء الجنسي أمر واقع، لكنّ هذا لا يعني أنّ كافة ادعاءات الاعتداء الجنسي صادقة وبريئة، وما يقودنا إليه هذا التقرير هو أمر صادم، ولكن هناك رجال يتصفون بالذكاء والرحمة، ومستعدون إلى إجراء محادثات جيدة ومثمرة مع الآخرين من الرجال والنساء، الوحشية المتعلقة بالجنس أراها، كما هو واضح، في الادعاء الآخر، هل كل الرجال متوحشون، وكل النساء ضحايا؟

لا، أنا لا أقول بهذا.

٥- في مقال للكاتبة الأمريكية «فيليس ماكجنلي» بعنوان «البيت.. مملكة المرأة بدون منازع» تقول:

«وهل نعد نحن النساء- بعد أن نلنا حريتنا أخيرًا- خائنات لجنسنا إذا ارتددنا لدورنا القديم في البيوت؟»، وتجيب على هذا التساؤل بقولها: «إن لي آراء حاسمة في هذه النقطة، فإنني أصر على أن للنساء أكثر من حق في البقاء كربَّات بيوت، وإنني أقدِّر مهنتنا وأهميتها في الحقل البشري إلى حد أني أراها كافية لأن تملأ الحياة والقلب».

«وإذا قيل لنا على نحو تعسّفي: إن من واجبنا أن نعمل في أي مكان غير المنزل، فهذا لغو زائف، فإنه لا يوجد عمل يستحق أن يمزق شمل الأسرة من أجله»[٢].

٦- لماذا لا زالت النساء عاجزات عن الجمع بين الأشياء كلها، آن ماري سلوتر[٣]:

لقد آن الأوان لنَكُفَّ عن خداع أنفسنا؛ تقول امرأة قد تنحّت عن منصبٍ ذي نفوذ: إن النساء اللّاتي تَمَكَّنَّ مِن أن يكُنَّ أمّهات ومِهنيّات متفوقات في نفس الوقت، خارقات

(١) مطاردة الساحرات هي عملية بحث واضطهاد الأشخاص الذين يشتبه بكونهم يمارسون السحر أو الشعوذة من قبل الكنيسة الكاثوليكية بداية ثم البروتستانتية متحدتين في السلطة المؤقتة، وغالبا ما انطوت على ذعر أخلاقي وهستيريا جماعية وحتى إعدامات بدون محاكمة، والمحاكمات لم تكن سوى مهزلة، مغطاة بمظهر الاستجواب وفي الواقع كانت في اتجاه واحد.

(٢) مجلة المختار، عدد مارس ١٩٦٠.

(٣) آن ماري سلوتر هي رئيس مؤسسة «أمريكا الجديدة»، وأستاذ السياسة، والشؤون الدولية، بجامعة برينستون. شغلت سابقًا منصب مدير تخطيط السياسات في وزارة الخارجية الأمريكية، وعميد كلية وودرو ويلسون للشؤون العامة والدولية في «برنستون».

وثريّات ولديهن أعمالٌ حرة. إذا كُنّا نؤمن حقًا بتكافؤ الفُرَص لكل النساء، فإليكم ما ينبغي أن يتغيَّر.

بعد ثمانية عشر شهرًا من عملي كأول امرأة تُدير تخطيط السياسات في وزارة الخارجية- وظيفة الأحلام في السياسة الخارجية التي ترجع أصولها إلى جورج كينان- وجدتُ نفسي في نيويورك، في التجمُّع السنوي للأمم المتحدة لكل وزير خارجية ورئيس دولة في العالم.

في مساء يوم أربعاء، استضاف الرئيس أوباما وزوجته حفل استقبال مبهر في المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي. ارتشفت الشمبانيا، ورحّبت بكبار الشخصيات الأجنبية، واختلطتُ مع الموجودين، إلا أنني لم أتمكن من التوقف عن التفكير في ابني الذي يبلغ من العمر ١٤ عامًا، والذي كان قد بدأ الصف الثامن قبل ثلاثة أسابيع وكان قد استأنف عادته في إهمال الواجبات المنزلية، وتضييع الحصص الدراسية، والرسوب في الرياضيات، وتجاهل أي شخص بالغ يحاول التقرب منه. على مدار الصيف، بالكاد تكلمنا مع بعضنا البعض، أو بشكل أكثر دقة، بالكاد تكلم هو معي.

كما كنت قد تلقيت العديد من المكالمات الهاتفية العاجلة في الربيع الماضي- التي تأتي دائمًا في يوم اجتماع مهم- تطلب مني أن أستقل أول قطار عائد من واشنطن العاصمة، حيث كنت أعمل، إلى برينستون، نيوجيرسي، حيث كان هو يعيش. كان زوجي، الذي بذل كل ما في وسعه لدعم مهنتي، يتولى رعايته هو وشقيقه البالغ من العمر ١٢ عامًا خلال الأسبوع؛ وما خلا حالات الطوارئ هذه في منتصف الأسبوع، كنت أعود إلى منزلي في عطل نهاية الأسبوع فقط.

عندما حلّ المساء، هرعت إلى زميلة لي كانت قد شغلت منصبًا رفيعًا في البيت الأبيض، ولديها ولدان من أعمار أبنائي بالضبط، ولكنها اختارت أن تنقلهما من كاليفورنيا إلى واشنطن عندما حصلت على وظيفتها، وهو ما يعني أن زوجها يذهب إلى كاليفورنيا ويعود دوريًا. أخبرتها عن مدى صعوبة بقائي بعيدة عن ابني وهو بحاجةٍ ملحّةٍ إلي، ثم أردفت القول: «عندما ينتهي الأمر، سوف أكتب مقالة بعنوان: «لا تستطيع النساء أن تجمع بين الأشياء كلها».

أصابها الهلع. قالت لي: «لا يمكنك كتابة ذلك، لا سيما أنتِ، من بين كل الناس»؛ ما كانت تعنيه هو أن تصريحًا كهذا، صادر عن امرأة في مهنة رفيعة المستوى–قدوة– سيكون بمثابة رسالة مريعة إلى الأجيال الشابة من النساء. مع حلول المساء، كانت قد صرفتني عن التفكير بالأمر، ولكن في بقية مدة إقامتي في واشنطن، كنت أدرك على نحو متزايد أن المعتقدات النسوية التي بنيتُ عليها حياتي المهنية بالكامل كانت تتغير بشكل جذري. كنت أفترض دومًا أنني لو تمكنت من الحصول على وظيفة في السياسة الخارجية في وزارة الخارجية أو البيت الأبيض أثناء تولي حزبي للسلطة، لكنت سأواصل مسيرتي ما دامت الفرصة متاحة لي لأداء العمل الذي أحببته. ولكن في يناير/ كانون الثاني ٢٠١١، عندما أنهيت إجازة الخدمة العامة من جامعة برينستون الممتدة لعامين، سارعت بالعودة إلى المنزل بأسرع ما يمكن.

صُدمت باكتشاف صادم بعد وصولي إلى هناك. عندما سألني الناس عن سبب تركي العمل في الحكومة، وضحتُ لهم أنني لم أعُدْ إلى المنزل بسبب قوانين برينستون فقط (بعد عامين من الإجازة، ستفقد مدة خدمتك)، ولكن أيضًا بسبب رغبتي في أن أكون مع عائلتي، والنتيجة التي توصلت إليها هي أن الجمع بين العمل الحكومي رفيع المستوى واحتياجات صبيين مراهقين لم يكن ممكنًا.

لم أترك صفوف النساء العاملات بدوام كامل تمامًا: فأنا أقوم بتدريس فصل كامل؛ وأكتب مقالات مطبوعة وإلكترونية حول السياسة الخارجية بانتظام؛ وألقي من ٤٠ إلى ٥٠ خطابًا في السنة؛ وأظهر بانتظام على شاشة التلفزيون والراديو؛ وأعمل على كتاب أكاديمي جديد. إلا أنني تلقيت بشكل دائم ردود فعل من نساء أخريات في عمري أوأكبر تراوحت بين خيبة الأمل: «إنه لأمر مؤسف أنكِ اضطررتِ إلى مغادرة واشنطن» والتعالي: «لن أعمم تجربتك، لم يكن عليَّ أبدًا المساومة، وأطفالي أصبحوا رائعين».

كانت أول مجموعة من ردود الفعل، التي تفترض ضمنيًا أن اختياري كان حزينًا أو مُؤسفًا نوعًا ما، مزعجة بما فيه الكفاية. لكنها كانت ثاني مجموعة من ردود الفعل– تلك التي تدل على أن رعايتي لأولادي أو التزامي بمهنتي كان دون المستوى إلى حد ما– هي التي أثارت غضبًا أعمى. وأخيرًا توصّلتُ إلى يقين تام بشكل مفاجئ: طوال حياتي

كنت على الجانب الآخر من هذا السِّجال، لطالما كنت المرأةَ التي تبتسم ابتسامةً باردة ومتعالية، بينما تُخبرني امرأة أخرى أنها قررت أن ترتاح لبعض الوقت، أو أن تسعى إلى مسار وظيفيٍّ أقلَّ تنافسية، حتى تتمكن من قضاء المزيد من الوقت مع عائلتها.

كنت المرأة التي تهنِّئ نفسها على التزامها الذي لا يتزعزع من أجل القضية النسوية، والتي تدردش بشكل متعجرف مع عدد متضائل من أصدقاء الجامعة أو كلية القانون الذين وصلوا وحافظوا على مكانهم في أعلى درجات مهنتهم، كنت أنا من يخبر النساء الشابات في محاضراتي بأنه يمكنهم الجمع بين الأشياء كلها والقيام بكل شيء، بغضّ النظر عن المجال الذي يعملن به، مما يعني أنني كنت جزءًا مساهمًا- وإن كان عن غير قصد- في جعل ملايين النساء يشعُرن بأنه يجب عليهن أن يُلقين اللّوم على أنفسهن إذا لم يتمكنَّ من صعود السُّلَّم بنفس سرعة الرجال، ومن تكوين عائلة أيضًا وحياةٍ منزلية طبيعية (وأن يَكُنَّ بالتأكيد نحيلات وجميلات بكل معاني الكلمة).

في الربيع الماضي، سافرت إلى أكسفورد لإلقاء محاضرة عامة، بناءً على طلب أحد الباحثين من منحة رودس[1] الذين أعرفهم، وافقت على التحدث في مؤتمر منحة رودس حول «التوازن بين العمل والأسرة»، انتهى بي الأمر بالتحدث إلى مجموعة من حوالي ٤٠ رجلًا وامرأةً في منتصف العشرينات من العمر. ما أخبرتهم به كان عبارة عن مجموعة من التأملات الصادقة للغاية عن مدى الصعوبة غير المتوقعة وراء الجمع بين قيامي بنوع العمل الذي أردت القيام به كمسؤول حكومي رفيع، وكوني الوالدة التي أردت أن أكونها في وقت حاسمٍ وحسّاسٍ بالنسبة إلى أولادي (على الرغم من أن زوجي، وهو أكاديمي، كان على استعدادٍ لتحمل نصيب الأسد من رعاية الأولاد لمدة عامين أمضيتهم في واشنطن).

وختمت بالقول؛ إن وقت عملي في المنصب جعلني أقتنع بأنه من غير المحتمل

(١) هي منحة دراسية دولية تتيح لطلبة الدراسات العليا الأجانب الدراسة بجامعة أكسفورد البريطانية. سميت بهذا الاسم نسبة إلى السياسي البريطاني سيسل رودس، وكانت وقت إنشائها أول برنامج موسع للمنح الدراسية الدولية في العالم. وما زال يُنظر لهذه المنحة باعتبارها واحدة من أرفع برامج المنح الدراسية على مستوى العالم.

أبدًا أن أؤدي خدمة حكومية أخرى في حين أن أبنائي لا يزالون في المنزل. كان الجمهور يترقب باهتمام، وطرحَ العديد من الأسئلة العميقة.

طرحتْ إحدى أوائل هذه الأسئلة، امرأة شابة بدأت بشكري على «عدم إلقائي خطاب آخر سخيف من نوع يمكنك الجمع بين كل شيء» خططت كل النساء في تلك الغرفة تقريبًا للجمع بين الوظائف والعائلة بطريقة ما، لكن جميعهن تقريبًا افترضن ووافقن على أنه سيتعين عليهن تقديم تنازلاتٍ من الصعب جدا أن يوافق على تقديمها أو تحمّلها الرجال الذين يعيشون معهم.

دفعتني الفجوة المذهلة بين الردود التي سمعتها من هؤلاء الشابات (وغيرهن من أمثالهن) وبين الردود التي سمعتها من أقراني وزملائي إلى كتابة هذا المقال.

لقد تشبثت نساء جيلي بالعقيدة النسوية التي نشأنا عليها، مع أن مناصبنا تقلصت بشكل مطّرد، بسبب التوترات غير القابلة للحل بين الأسرة والعمل، لأننا مصمّمون على عدم إسقاط الراية من أجل الجيل القادم. ولكن عندما توقف العديد من أفراد الجيل الأصغر عن الاستماع، على أساس أن تكرار «يمكنك الجمع بين الأشياء كلها» ببلاهة هو مجرد تزييف للحقيقة، فقد حان الوقت للتحدث.

ما زلت أعتقد اعتقادًا راسخًا بأنّ النساء يمكنهن «الجمع بين كل شيء» (وأنّ الرجال أيضًا يمكنهم ذلك). أؤمن بأننا قادرات على «الجمع بين كل شيء في نفس الوقت»، ولكن ليس اليوم، ليس بالطريقة التي يعمل بها الاقتصاد الأمريكي، والمجتمع الأمريكي حاليًا. لقد أجبرتني تجربتي على مدى السنوات الثلاث الماضية، على مواجهة عدة حقائق غير مريحة يجب الاعتراف بها على نطاق واسع، وتغييرها بسرعة.

قبل خدمتي في الحكومة، كنت قد أمضيت حياتي المهنية في الأوساط الأكاديمية: كأستاذ للقانون ثم بصفتي عميد كلية وودرو ويلسون للشؤون العامة والدولية في جامعة برينستون. كلتاهما وظيفتان مُضْنِيَتان، إلا أنني تمكنت من وضع جدولي الخاص في أغلب الأحيان. كان بإمكاني أن أكون مع أطفالي عندما احتجت إلى ذلك، وأنجز العمل

في نفس الوقت، وكان يتوجب عليّ السفر بشكل متكرر، لكنني وجدت أنني أستطيع تعويض ذلك من خلال البقاء فترة مطوّلة في المنزل أو قضاء عطلة عائلية.

أدركت أنني كنت محظوظة في اختياري الوظيفي، ولكنني لم يكن لدي أدنى فكرة كم كنت موفقة إلى أن أمضيت عامين في واشنطن في إطار بيروقراطية جامدة، حتى مع رؤساء متفهمين مثل هيلاري كلينتون ورئيس أركانها، شيريل ميلز. كان أسبوع العمل يبدأ الساعة ٤:٢٠ صباح الاثنين، عندما استيقظت لأتمكن من اللحاق بقطار ال ٥:٣٠ من ترينستون إلى واشنطن، وينتهي في وقت متأخر من يوم الجمعة، حيث أعود إلى منزلي عبر القطار.

بين الفترتين، كانت الأيام تغص بالاجتماعات، وعندما تنتهي الاجتماعات، يبدأ العمل الكتابي، وهو سلسلة لا تنتهي من المذكرات والتقارير والتعليقات على مسوّدات أشخاص آخرين. على مدار عامين، لم أغادر مكتبي قط في وقت مبكر بالقدر الكافي للذهاب إلى أي متجر غير المتاجر المفتوحة على مدار ٢٤ ساعة، وهو ما يعني أن كل شيء من الذهاب إلى محل التنظيف، إلى مواعيد تصفيف الشعر، إلى التسوق في أعياد الميلاد، لابد وأن يتم في عطلات نهاية الأسبوع، في أوقات فعاليات الأطفال الرياضية، والدروس الموسيقية، والوجبات العائلية، والمؤتمرات عبر الهاتف.

كان يحق لي- أربع ساعات- عطلة لكل فترة أتلقى فيها أجرًا، مما يمنحني يومًا واحدًا من العطلة في الشهر. وكان حالي أفضل بكثير من العديد من أقراني في واشنطن العاصمة؛ فقد تعمدت وزيرة الخارجية «هيلاري كلينتون» أن تأتي في حوالي الساعة الثامنة صباحًا وأن تغادر حوالي الساعة السابعة مساءً، للسماح لموظفيها المقربين بالحصول على وقت مع أسرهم في الصباح والمساء (رغم أنها كانت تعمل بطبيعة الحال في وقت مبكر من المنزل).

باختصار، اللحظة التي وجدت فيها نفسي في وظيفة نموذجية بالنسبة للغالبية العظمى من النساء العاملات (والرجال)، حيث أعمل لساعات طويلة وفقًا لجدول أعمال شخص آخر، لم يعد بإمكاني أن أكون الأم والموظفة اللتان أردت أن أكونهما، على الأقل ليس مع طفل يمر بمراهقة صعبة. لقد أدركت ما كان يجب أن يكون واضحًا

منذ البداية: أن الجمع بين الأشياء كلها، على الأقل بالنسبة لي، كان يعتمد بالكامل تقريبًا على نوع الوظيفة التي أشغلها.

أما الجانب الآخر فهو الحقيقة الأصعب: أن الجمع بين كل شيء لم يكن ممكنًا في العديد من أنواع الوظائف، بما في ذلك المناصب الحكومية العليا، على الأقل ليس لمدة طويلة للغاية.

لست وحدي من أدرك ذلك. تنحّت ميشيل فلورنوي عن منصبها بعد ثلاث سنوات كوكيل وزارة الدفاع لشؤون السياسة، ثالث أعلى وظيفة في الوزارة، من أجل قضاء المزيد من الوقت في المنزل مع أطفالها الثلاثة، اثنان منهم في مرحلة المراهقة. وتخلت كارين هيوز عن منصبها كمستشار للرئيس «جورج دبليو بوش» بعد عام ونصف في واشنطن لتعود إلى تكساس من أجل عائلتها. وكتبت ماري ماتالين التي قضت عامين كمساعد لبوش ومستشار نائب الرئيس ديك تشيني قبل أن تتنحى، لكي تقضي المزيد من الوقت مع ابنتيها: «إن قدرتهن على التحكم بجدولهن هي الطريقة الوحيدة التي تستطيع من خلالها النساء اللاتي يرغبن في الحصول على وظيفة وأسرة أن ينجحن».

غير أن قرار التنحي عن مركز سلطة- أي تقديم العائلة على التقدم المهني، حتى ولو لفترة من الوقت- يتعارض بشكلٍ مباشرٍ مع الضغوط الاجتماعية السائدة على المهنيين المختصّين في الولايات المتحدة. يوجد عبارة واحدة تختصر كل الاتجاهات الحاليّة في التعامل مع العمل والأسرة، وخاصة بين النخب.

في واشنطن، تُعد «الاستقالة من أجل قضاء وقت مع العائلة» غطاءً للطرد من العمل. هذا الفهم متأصل إلى حدٍّ أنه عندما أعلنت «فلورنوي» استقالتها في ديسمبر الماضي، قامت صحيفة «نيويورك تايمز» بتغطية قرارها على النحو التالي:

«فاجأ إعلان السيدة «فلورونوي» الأصدقاء وعددًا من مسؤولي وزارة الدفاع الأمريكية، ولكن جميعهم قالوا: أنهم أخذوا سبب استقالتها على ظاهره، وليس كعذر نموذجي لمسؤولي واشنطن الذين يُطردون من العمل في واقع الأمر».

أستطيع أن أصرّح على نحوٍ قاطعٍ لا لبسَ فيه بأن قرارها بالتنحي لا علاقة له بأي

شيء غير التزامها بعائلتها حسب دوج ويلسون، كبير المتحدثين باسم وزارة الدفاع الأمريكية. «لقد أحبت هذه الوظيفة، والناس هنا يحبونها».

تأمل ما يعنيه «عذر نموذجي لمسؤولي واشنطن»: فمن غير المتصوَّر أن يتنحّى أحد المسؤولين لكي يقضي بعض الوقت مع أسرته/ ها فعليًا، فلا بد أن يكون ذلك غطاءً لشيءٍ آخر. كيف يمكن لأي شخص أن يترك دوائر السلطة طواعية من أجل مسؤوليات الأبوة؟! حسب كل شخص، فإنه إما أن يكون مثيرًا للسخرية أو للجنون أن يسود هذا التصور في عاصمة الولايات، على الرغم من التعهدات التي تبلغ حد الطقوس الدينية بالالتزام ب «القيم الأسرية» التي تشكل جزءًا من كل حملة سياسية. على أية حال، إن هذا الفهم يجعل التوازن الحقيقي بين العمل والحياة أمرًا بالغ الصعوبة، ولكن لا يمكن أن يتغير هذا الأمر ما لم تتحدث النساء البارزات بصراحة.

تواجه ملايين النساء العاملات الأخريات ظروف حياة أكثر صعوبة. فالبعض منهن ترعى أطفالها بمفردها؛ وتكافح الكثيرات من أجل العثور على أي وظيفة؛ وأخريات يدعمن أزواجهن الذين لا يستطيعون العثور على وظائف. فالعديد منهن يتأقلمن مع حياة مهنية، حيث الرعاية النهارية الجيدة إما غير متاحة أو باهظة التكاليف؛ وحيث أن الجداول المدرسية لا تطابق جداول العمل؛ والمدارس نفسها تفشل في تعليم أطفالهن. الواقع أن العديد من هؤلاء النساء لا يبالين كثيرًا بامتلاك كل شيء، بل بالتمسك بما يملكنه بالفعل. ورغم أن مجموع النساء كن قد حصلن على مكاسب كبيرة في الأجور والتحصيل التعليمي والمكانة على مدى العقود الثلاثة الماضية، فقد أظهر الخبيران الاقتصاديان جوستين ولفرز، وبيتسي ستيفنسون، أن النساء أقل سعادة اليوم مقارنة بأسلافهن في عام ١٩٧٢، سواء بالأرقام المطلقة أو بالنسبة إلى الرجال.

٧- جوردان بيترسون أكاديمي كندي مرموق متخصص في علوم النفس يخوض حاليًا معارك ضارية ضد الكثير من مظاهر ال Post Modernism أي ما بعد الحداثة التي يشهدها الغرب. فهذا الرجل الجريء يسعى أن يعري الليبرالية الغربية المتطرفة وإفرازاتها من حركة نسوية جديدة متطرفة أيضًا وموجة ال « Transgender الشذوذ الجنسي» ويناهضهم بكل ما أوتي من علم وحجة.

ويطرح «بيترسون» تساؤلات عدة ويصرح بشكوكه دون خوف حول أدبيات الحركة النَّسَوِيَّة وحُججها الضعيفة بشكل علني في مجتمعات وصلت إلى مرحلة يخشى فيها الرجال على أنفسهم من اتهامات معلبة وجاهزة إذا تعرضوا لها أو أبدَوْا رفضًا لها.

وتساءل مثلًا: لماذا لا يطالب النسويات بالمساواة والعدل في التوظيف في تخصص مثل البناء مُبَيِّنًا حقيقة مثبتة أن عمال البناء الرجال يشكلون ٩٩,٩٪ من إجمالي عمال البناء في الغرب؟ ولماذا تقتصر مطالباتهم على الوظائف المرموقة ذات النفوذ والقوة؟ واسترسل مؤكِّدًا أن هدف الحركة النَّسَوِيَّة ليس العدل بل الوصول إلى مواقع النفوذ بهدف السيطرة على صنع القرار سواء كان ذلك في مؤسسات القطاع العام أو الخاص أو في المجال السياسي. فالنسويات المتطرفات أعيُنُهن على مجالس إدارات الشركات والمناصب السياسية وغيرها والتي تعطيهم مدخلًا لفرض أجندتهن وحصد المميزات التي تقدمها لهن هذه المواقع ويتجاهلن الوظائف الأخرى- الأقل مدخولًا ونفوذًا- بتعمد لأنها لا تخدم أجندتهن.

وفي مناظرة أمام صحافية شابة نسوية تأتي من طبقة مرتاحة اقتصاديًا سألها بيترسون ألست ممتنة لوظيفتك؟ فأجابت بكل تأكيد. ثم أضاف طالما أنت ممتنة وسعيدة بوضعك الحالي لماذا تدَّعين أن المجتمعات الأبوية أو ما يعرف بال Patraiarchy ظالمة وتضطهد المرأة؟ أليس ما تحصدينه اليوم هو نتاج هذا المجتمع الذي تنتقدونه وتريدون تغييره؟

وأشهر ما عرف عنه «بيترسون» مؤخرًا، هو رفضه العلني لقانون كندي جديد يجبر إضافة تعريفات تناسب حالة الجنس الذي تتم مخاطبته بحيث يخاطب الذكر الذي لديه ميول أنثوية بلقب غير Mr مثلًا، وكذلك الحال للأنثى التي تصنف نفسها على أنها ليست امرأة. وانتقد بيترسون القرار، واعتبره تدخلًا في حرية التعبير فأثار ضجة خاصة من قبل مناصري الشذوذ.

للعلم، تحصد قناة «بيترسون» اليوتوبية ملايين المشاهدات أغلبها من الذكور حسب إحصائيات الموقع نفسه. ويفسر المراقبون ذلك على أنه إعجاب بشخصية الأكاديمي الكندي الرجولية الجريئة ورغبة الرجال هناك في متابعة من يدافع عنهم

ويتحدث باسمهم بعد أن ضاعوا وخفت صوتهم في مواجهة التطرف النَّسَوِيّ وغيرها من حركات راديكالية.

من جانب آخر، يعتقد بيترسون أن وصول رجال أقوياء يقولون آراءهم بصراحة دون تردد لقيادة دول الغرب- مثل ترامب ومؤخرًا بوريس جونسون- ما هو إلا نتاج لاضطهاد يعانيه الرجال هناك بعد سنوات من فرض أجندة التطرف الليبرالي الذي أضاع حقوقهم.

ما يهمنا هنا، أن نحذر كثيرًا من مد التطرف الليبرالي الغربي وتبعاته على مجتمعاتنا. فليس كل ما يجاز هناك يعتبر جزءًا من التطور والتقدم فكثير منه مضر ومخرب للمجتمعات. وما ظهور «جوردون بيترسون» إلا ردة فعل لوضع غريب تعاني منه مجتمعات شمال الكرة الأرضية وتنتشر فيه الضبابية في مفاهيم كانت ثابتة وواضحة.

اعترافات حول
ما يسمى ب (تحرير المرأة)
والاختلاط والمساواة بين الجنسين[١]

١- «ليتَ بلادنا كبلاد المسلمين حيث فيها الحشمة والعفاف والطهارة»:

عن الحياة التعيسة التي تعيشها المرأة الأوروبية بعد أن زج بها أدعياء الحضارة والتقدم من العلمانيين اللادينيين في كل معترك الحياة، وبعد أن أصبحت سلعة معروضة بأرخص الأسعار، لا هَمَّ لها إلا استرضاء الرجل، وهو أيضًا لا هم له إلا الاستمتاع بها إن كانت ذات جمال وكمال، والويل لها إن لم تكن كذلك- عن تلك الحياة التعيسة تقول الكاتبة الإنجليزية «آني رود»:

«إذا اشتغلت بناتنا في البيوت خوادم أو كالخوادم خير وأخف بلاء من اشتغالهن في المعامل، حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها إلى الأبد. أيا ليتَ بلادنا كبلاد المسلمين حيث فيها الحشمة والعفاف والطهارة رداء الخادمة والرقيق الذين يتنعمان بأرغد عيش، ويعاملان معاملة أولاد رب البيت، فلا يمس عرضهما بسوء. نعم إنه عار على بلادنا الإنكليز أن تجعل بناتها مثلًا للرذائل بكثرة مخالطتهن للرجال، فما بالنا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل ما يوافق فطرتها الطبيعية وترك أعمال الرجال للرجال سلامةً لشرفها»[٢].

٢- «على قدر الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنا»:

تقول الكاتبة «اللادي كوك»: «إن الاختلاط يألفه الرجال، ولهذا طمعت المرأة بما

(١) انظر: «اعترافات متأخرة، المشاهير وغيرهم يعترفون»، لمحمد بن عبد العزيز المسند، بتصرف وإضافات.
(٢) الإسلام روح المدنية، لمصطفى الغلاييني (ص٢١١)، نقلا عن كتاب (العلمانية) للدكتور سفر الحوالي (ص: ٤١٩).

يخالف فطرتها، وعلى قدر الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنا، ولا يخفى ما في هذا من البلاء العظيم على المرأة»[١].

٣- العمل الذي تنهض به النساء لا يُؤجَرْنَ عليه بأموال نقديّة؛ وهذا ما جعل الكثير من الحمقَى ينسون أنه عمل:

يقول الكاتب الإنجليزي الساخر «جورج برنارد شو»:

«أما العمل الذي تنهض به النساء.. العمل الذي لا يمكن الاستغناء عنه.. العمل الذي لا يمكن الاستعاضة عنه بشيء آخر.. فهو حمل الأجنّة، وولادتهم، وإرضاعهم، وتدبير البيوت من أجلهم، ولكن النساء لا يُؤجَرْنَ عليه بأموال نقديّة؛ وهذا ما جعل الكثير من الحمقَى ينسون أنه عمل، على الاطلاق.. فإذا تحدّثوا عن العمل جاء ذكر الرجل على لسانهم، وأنه هو الكادح وراء الرزق.. الساعي المجهد وراء لقمة العيش وما إلى ذلك من الأوصاف التي يخلعونها عليه في جهل وافتراء.. إلا أن المرأة تعمل في البيت. وكان عملها في البيت هذا منذ الأزل، عملًا ضروريًّا وحيويًّا لبقاء المجتمع ووجوده. بينما يشغل الملايين من الرجال أنفسهم ويبدّدون أعمارهم في كثير من الأعمال التافهة.. ولعل عذرهم الوحيد في قيامهم بتلك الأعمال: أنّهم يعولون بها زوجاتهم اللاتي لا يمكن الاستغناء عنهن.. وهم بذلك القول مغرورون... وهم لا يريدون أن يفهموا.. أن عملهم وعملهن سواء»[٢].

٤- «الرجال ليسوا أغبياء، فقد شجعونا على ذلك»:

تقول «أجاثا كريستي» أشهر كاتبة إنجليزية للمؤلفات البوليسية: «إن المرأة الحديثة مغفلة، لأن مركزها في المجتمع يزداد سوءًا يوما بعد يوم، فنحن النساء نتصرف تصرفا أحمقَ لأننا بذلنا الجهد الكبير في السنين الماضية للحصول على حق العمل والمساواة في العمل مع الرجال، والرجال ليسوا أغبياء، فقد شجعونا على ذلك مُعلِنين أنه لا مانع مطلقا من أن تعمل الزوجة وتُضاعفُ دخْلَ الزوج، ومن المحزن أن نجد بعد أن أثْبَتْنا

(١) الإسلام روح المدنية، لمصطفى الغلاييني (ص٤٢٠)، نقلا عن كتاب (العلمانية) للدكتور سفر الحوالي (ص٤١٩).

(٢) مجلة المختار، عدد مارس ١٩٦٥.

نحن النساء أننا الجنس اللطيف، أننا نعود اليوم لنتساوى في الجهد والعرق الذي كان من نصيب الرجل وحده»[١].

٥- «امنعوا الاختلاط، وقيدوا حرية الفتاة»:

هذا الاعتراف للصحفية الأمريكية «هيلسيان ستانسبري»، وهي صحفية متجولة، تراسل أكثر من ٢٥٠ صحيفة أمريكية، ولها مقال يومي يقرؤه الملايين، وعملت في الإذاعة والتلفزيون والصحافة أكثر من عشرين سنة، وزارت جميع بلاد العالم، وهي في الخامسة والخمسين من عمرها.

زارت القاهرة، وأمضت فيها عدة أسابيع، زارت خلالها المدارس والجامعات، ومعسكرات الشباب، والمؤسسات الاجتماعية، ومراكز الأحداث والمرأة والأطفال، وبعض الأسر في مختلف الأحياء، وذلك في رحلة دراسية، لبحث مشاكل الشباب والأسرة في المجتمع، وفي ختام زيارتها سجلت هذا الاعتراف حيث قالت:

«إن المجتمع العربي (المسلم) كامل وسليم، ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده التي تقيد الفتاة والشباب في حدود المعقول، وهذا المجتمع يختلف عن المجتمع الأوروبي والأمريكي، فعندكم أخلاقٌ موروثة، تحتم تقييد المرأة، وتحتم احترام الأب والأم، وتحتم أكثر من ذلك عدم الإباحية الغربية التي تهدد اليوم المجتمع والأسرة في أوروبا وأمريكا.

ولذلك فإن القيود التي يفرضها مجتمعكم على الفتاة، هذه القيود صالحة ونافعة، لهذا أنصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم، امنعوا الاختلاط، وقيدوا حرية الفتاة، بل ارجعوا إلى عصر الحجاب، فهذا خير لكم من إباحية وانطلاق ومجون أوروبا وأميركا، امنعوا الاختلاط، فقد عانينا منه في أميركا الكثير.

لقد أصبح المجتمع الأمريكي مجتمعًا مقعدًا، مليئًا بكل صور الإباحية والخلاعة، وإن ضحايا الاختلاط والحرية يملؤون السجون والأرصفة والبارات والبيوت السرية، إن الحرية التي أعطيناها لفتياتنا وأبنائنا قد جعلت منهم عصابات أحداث، وعصابات

(١) مجلة (الاعتصام)، العدد ٣، السنة ٤١/ ١٣٩٨هـ، عن كتاب (العلمانية) للدكتور سفر الحوالي (ص٤٣٥).

للمخدرات والرقيق، إن الاختلاط والإباحيَّة والحُرِّية في المجتمع الأوربي والأمريكي قد هدَّد الأُسَر، وزلزل القِيَم والأخلاق، فالفتاة الصغيرة تحت سنِّ العشرين في المجتمع الحديث تُخالط الشُّبان وترقص (تشاشا) وتشرب الخمر والسجاير، وتتعاطى المخدِّرات باسْمِ المدَنِيَّة والحريَّة والإباحيَّة.

والعجيب في أوربا وأمريكا أنَّ الفتاة الصغيرة تحت العشرين تلعب وتلهو، وتُعاشر مَن تشاء تحت سَمْع عائلتها وبصَرِها، بل وتتحدَّى والِدَيْها ومُدَرِّسيها والمُشْرِفين عليها، تتحدَّاهم باسْم الحرِّية والاختلاط، تتحداهم باسم الإباحية والانطلاق»[1].

وكلامها كلام واضح من امرأة مجربة نسوقه إلى دعاة الاختلاط وإلى فتياتنا المخدوعات في كل قطر من أقطارنا الإسلامية، فهل من مدَّكر.

٦- «إني أتعس امرأة»:

نصيحة أشهر ممثلة في الاغراء للمراهقات بعد انتحارها:

نشرت «حضارة الاسلام» في عددها الثالث للمجلد الثالث ص ٣٣١ ما يلي:

«اكتشف المحقق الذي يدرس قضية انتحار مارلين مونرو رسالة محفوظة في صندوق الأمانات في «مانهاتن بانك» في نيويورك...

ألقت هذه الرسالة بعض الأضواء على انتحار مونرو: إذ وجد على غلافها كلمة تطلب عدم فتح هذه الرسالة قبل وفاتها.

فتح المحقق الرسالة، وجدها مكتوبة بخط «مونرو» بالذات، وهي موجهة إلى فتاة تطلب نصيحة مارلين عن الطريق إلى التمثيل...

هذا الاعتراف رسالة كتبتها الممثلة الأمريكية (مارلين مونرو) التي انتحرت بعد حياة بائسة، وقد كتبتها لفتاة طلبت نصيحتها إلى أفضل طريق للتمثيل فقالت:

قالت مارلين في رسالتها الى الفتاة وإلى كل من ترغب بالعمل في السينما: «احذري (المجد)، احذري كل من يخدعك ب (الأضواء)، إني أتعس امرأة على هذه الأرض...

(١) انظر جريدة الجمهورية، السبت ٩ يونيو ١٩٦٢، نقلاً عن «فقه السُّنة» للسيد سابق (٢/ ٢١٧).

لم أستطع أن أكون أمًّا... أفضِّل البيت والحياة العائلية (الشريفة) على كل شيء، إن السعادة الحقيقية للمرأة هي في (الحياة العائلية الشريفة الطاهرة)، بل إن هذه الحياة العائلية هي رمز سعادة المرأة بل الإنسانية».

وتقول في النهاية: «لقد ظلمني كل الناس، وإن العمل في السينما يجعل من المرأة (سلعة) رخيصة تافهة مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة، إني أنصح الفتيات بعدم العمل في السينما والتمثيل، إن نهايتهن- إذا كُنَّ عاقلات كنهايتي»[1].

٧- «بيوت الأزياء جعلت مني مجرد صنم متحرك»:

«فابيان» عارضة الأزياء المشهورة فتاة في الثامنة والعشرين من عمرها، تركت العطور والفراء ودنيا الأزياء وجاءت إلى الحدود الأفغانية لتعيش ما تبقّى من عمرها وسط الأسر المسلمة، تعترف «فابيان» فتقول: «لولا فضل الله عليَّ ورحمته بي لضاعت حياتي في عالم ينحدر فيه الإنسان ليصبح مجرد حيوان، كل همه إشباع رغباته وغرائزه بلا قيم ولا مبادئ»، ثم تضيف: «كان الطريق أمامي سهلًا- أو هكذا بدا لي – فسرعان ما عرفت طعم الشهرة، وغمرتني الهدايا الثمينة التي لم أكن أحلم باقتنائها، ولكن كان الثمن غاليًا، فكان يجب أولًا أن تجرد من إنسانيتي، وكان شرط النجاح والتألق أن أفقد حساسيتي وشعوري، وأتخلى عن حيائي الذي تربيت بداخله، وأفقد ذكائي، ولا أحاول أن أفهم أي شيء غير حركات جسدي، وإيقاعات الموسيقى، كما كان عليَّ أن أحرم من جميع المأكولات اللذيذة، وأعيش على الفيتامينات الكيمائية، والمقويات والمنشطات، وقبل كل ذلك أن أفقد مشاعري تجاه البشر، لا أكره، ولا أحب، ولا أرفض أي شيء»، ثم تعترف وتقول:

«إن بيوت الأزياء جعلت مني مجرد صنم متحرك مهمته العبث بالقلوب والعقول، فقد تعلمت كيف أكون باردة قاسية مغرورة فارغة من الداخل، لا أكون سوى إطار يرتدي الملابس، فكنت جمادًا يتحرك ويبتسم ولكنه لا يشعر، ولم أكن وحدي المطالبة بذلك، فكلما تألقت العارضة في تجردها من بشريتها وآدميتها زاد قدرها في هذا العالم

(١) المرأة بين الفقه والقانون، للدكتور مصطفى السباعي (ص: ٢٤٥).

القاسي البارد، أما إذا خالفت أيًّا من تعاليم الأزياء فتعرّض نسفها لألوان العقوبات التي يدخل فيها الأذى النفسي والجسماني أيضًا»، ثم تضيف:

«عشت أتجول في العالم عارضةً لأحدث خطوط الموضة بكل ما فيها من تبرج وغرور ومجاراة لرغبات الشيطان في إبراز مفاتن المرأة دون خجل ولا حياء»، وتنفعل «فابيان» وهي تقول: «لم أكن أشعر بجمال الأزياء فوق جسدي المفرغ إلا من الهواء والقسوة، بينما كنت أشعر بمهانة النظرات واحتقارهم لي شخصيًا، واحترامهم لما أرتديه»[1].

هذا ما قالته «فابيان» عارضة الأزياء الفرنسية الشابة بعد إسلامها وفرارها من ذلك الجحيم الذي لا يطاق، وهو كلام واضح لا يحتاج إلى تعليق.

٨- «أدركت خطر دعوتي وأحمد الله أن خذلها»:

هذا الاعتراف لقاسم أمين، وهو أول من دعا في مصر إلى «تحرير المرأة» تحريرها من عبوديتها لله إلى عبوديتها للشيطان والنفس الأمارة بالسوء، كما قال ابن القيم رحمه الله:

هَرَبُـوا مِنَ الرِّقِّ الَّـذِي خُلِقُوا لَهُ فَبُلُـوا بِـرِقِّ النَّفْسِ وَالشَّـيْطَانِ

وبعد سبع سنوات من إعلانه لدعوته ونشرها بين الناس، تنصَّل من آرائه ورجع عن دعوته، واعترف قائلًا: «لقد كنت أدعو المصريين قبل الآن إلى اقتفاء أثر الترك بل الإفرنج في (تحرير نسائهم) وغالَيْتُ في هذا المعنى حتى دعوتُهم إلى تمزيق الحجاب، وإلى إشراك النساء في كل أعمالهم ومآدبهم وولائمهم، ولكن، أدركت الآن خطر هذه الدعوة بما اختبرته من أخلاق الناس، فلقد تتبعت خطوات النساء في كثير من أحياء العاصمة والإسكندرية لأعرف درجة احترام الناس لهن، وماذا يكون شأنهم معهن إذا خرجن حاسرات، فرأيت من فساد أخلاق الرجال- بل أسفّ- ما حمدت الله على ما خذل من دعوتي، واستنفر الناس إلى معارضتي، رأيتهم ما مرت بهم امرأة أو فتاة إلا

(١) جريدة المسلمون، العدد ٢٣٨.

تطاولوا إليها بألسنة البذاءة، ثم ما وجدت زحامًا في طريق فمرت به امرأة إلا وتناولتها الأيدي والألسن جميعًا».

وكان ذلك قبل وفاته بعامين، وقد نشر هذا الاعتراف في جريدة الطاهر (أكتوبر، ١٩٠٦ م)[١]، فما ذا يقول أدعياء تحرير المرأة اليوم؟؟؟

ومن طريف ما يروى في ذلك، أن المؤرخ الإسلامي (رفيق العظم) أراد أن يُثبِتَ لقاسم أمين فشله في دعوته بطريق عملي، فطرق منزله يومًا فلما رآه الخادم أسرع وأخبر قاسم أمين الذي خرج لاستقباله، فقال رفيق العظم: «أنا في هذه المرة جئت لزيارة حرمكم لأتحدث معها في بعض المسائل الاجتماعية»، وعند ما استنكر قاسم أمين طلبه، أجابه رفيق العظم متعجبًا: «كيف تدعو لشيء وتمنع أهلك منه؟!! إذًا فأنت تدعو الأمة إلى غير ما تريد لنفسك! فقال قاسم: «إن زوجتي تلقت تربيتها وعاداتها عن والديها، وهي لم تألف ما أدعو إليه»، فضحك رفيق العظم وقال: «كلنا هكذا، والخير في ذلك، وتهذيب المرأة لا يتوقف على لقائها بالرجل، وقد أردتُ أن أبرهن لك على أن ما تدعو إليه يمجّه الناس جميعًا حتى أهل بيتك» [٢].

٩- «أريد أن أرجع إلى أنوثتي»:

هذا الاعتراف للكاتبة المشهورة (غنيمة المرزوق) رئيسة تحرير مجلة (أسرتي) تتحدث لبنات جنسها بصراحة فتقول:

«عيب أنتِ بنت» كلمة سمعناها كثيرًا في طفولتنا، وردّدتها (أغلب العجائز) آنذاك. كنا نرى (الولد) يحظى بكل أنواع المتعة من مأكل وملبس ولعب وسيارات، الخ، كان قلبنا يحترق، نريد أن نلعب ب (الفريج) ولكن (الحكارةِ) لنا بالمرصاد وكلمة عيب، عيب. كان كل شيء عيبًا، ولا نعرف ما معنى (عيب) وببراءة الطفولة سألت جدتي: «كيف أصبح رجلًا؟»، فردت بدهاء: «حِبّي كوعكِ» [٣] والكوع هو العظم

(١) المجلة العربية، العدد ١٣٧.

(٢) انظر «المرأة المسلمة أمام التحديات» لأحمد الحصين نقلاً عن مجلة الدعوة المصرية، العدد الثامن.

(٣) أي قَبِّليه، وهو كناية عن الشيء المستحيل.

الذي يفصل الذراع عن الزند [١]، حاولنا مرارًا مع بنات الفريج دون جدوى، كبرنا وكبرت آمالنا وتطلعاتنا، نِلْنا كل شيء، نهَلْنا من العلم والمعرفة ما يفوق الوصف، أصبحنا كالرجال تمامًا، نقود السيارة، نسافر إلى الخارج. نلبس (البنطلون)!!، ارتدينا الماكسي الشبيه بالدشداشة، والحجاب الشبيه ب (الغترة)، أصبح لنا رصيد في البنك، أصبح لنا رجل يحمينا ويعطينا كل شيء دون (قرقة) أو (نجرة)، وصلنا إلى المناصب القيادية و(اختلطنا) بالرجال، ورأينا الرجل الذي أخافَنا في طفولتنا، أصبحنا نحن النساء: رجالًا، وبدأت تعتري أجسادنا الأمراض، وأصبنا كما يصاب الرجل نتيجة تحمل المسؤولية بـ (السكر وتصلب الشرايين)، بدأ الشيب يغزو الشعر الأسود، وبدأ الشعر الكثيف الذي (كأنه ليلٌ أرخَى سُدولَه) بالسقوط، وبدأت (الصلعة) تظهر نتيجة التفكير والتأمل و(الذكاء)!!

الرجل كما هو، والمرأة غدَتْ رجلًا تُشرفُ على منزلها وتربي أطفالها وتأمر خدمها، وتقف مع المقاولين وتقابل الرجال في العمل، إلخ، وكثرت هذه الأيام ظاهرة (العقم عند النساء)، وعن سؤال وُجِّه لأخصائي كبير في الهرمونات قال: «إن هناك تزايدًا في (هرمونات الذكورة) عند النساء في الكويت وقد يكون سببها البيئة»!! هذه حقيقة ذكرها طبيب عريق في مجال (العقم).

وبعد أن نِلْنَا كل شيء، وأثلجت صدورنا انتصاراتنا النسائية على الرجال في الكويت أقول لكم بصراحتي المعهودة: «ما أجمل الأنوثة، وما أجمل المرأة، المرأة التي تحتمي بالرجل، ويُشعِرها الرجل بقوته، ويحرمها من (السفر لوحدها)، ويطلب منها أن تجلس في بيتها، تربي أطفالها وتشرف على مملكتها وهو (السيد) القوي، نعم، أقولها بعد تجربة، أريد أن أرجع إلى (أنوثتي) التي فقدتُها أثناء اندفاعي في الحياة والعمل، إن الذكاء (نقمة) في بعض الأحيان، وأغلب الأمراض الحديثة نتيجة ذلك، وما أجمل الوضع الطبيعي لكل شيء، لقد انفتح المجال أمامنا بشكل (أتعبَنا جميعًا)، والآن، لو

(١) ليس هذا هو الكوع وإنما هو المرفق، والكوع هو العظم الذي يلي الإبهام.
ولعلها تقصد ذلك في لغتها العامية، فهو كذلك في عاميتنا المصرية.

تيسر لنا فعلًا وبالآلات الحديثة (حَبَّة الكُوع) فلن أفعل هذا العمل إطلاقًا، ولن أخبركم بالسر، ولكن سأحتفظ به لنفسي»[١].

١٠- «قروية ساذجة في حجرها طفل أفضل للأمة وأنفع للبلاد من ألف نائبة وألف محامية».

هذا الاعتراف لأستاذة مصرية اسمها «عزيزة عباس عصفور» تعليقًا على قرار أصدره وزير العدل المصري بتعيين بعض النساء حقوقيات في نيابات الأحداث فقالت:

«لو كانت الخطوة التي خطاها وزير العدل بتعيين (الحقوقيات) في نيابات الأحداث كسبًا للمرأة لكنت أول من تدعو الله أن يبارك للمرأة فيها، أما وإني ممن خرجتهن كلية الحقوق في الأفواج الأولى، وزاولتُ المحاماة أكثر من عشر سنين، وبلوت فيها حلاوتها ومرارتها معًا، فإنني أعلن بصراحة أن النيابة والمحاماة معًا تنافيان مع طبيعة المرأة وتتعارضان مع مصلحتهما، وأعلن إشفاقي على البقية الباقية من فتياتنا المثقفات اللاتي مازلن بخير أن يجربن هذه التجربة المريرة المضنية، وأهيب بهن أن ينجون بأنفسهن من عاقبة لا يدركن مرارتها إلا بعد أن يقعن فيها، ويهدمن بأيديهن صرح سعادتهن، لقد تحطمت أعصابُنا- نحن المحاميات- من إرهاق المهنة وعنائها، ومن محاربتنا للطبيعة وتنكُّبنا طريق الواقع.

بالله ماذا تكون العاقبة إذا خضعت النائبة لطبيعتها واستجابت لحقها في الحياة فتزوجت ورزقت أطفالًا، فاقتلعتها من بينهم طبيعة التحقيقات والانتقالات والمعاينات، وتركت زوجها قعيد الدار يربي الأولاد، ويرضع الصغار، وهي في الخارج تدور في كل مكان كأنها رجل الشارع يهجر بيته آناء الليل وأطراف النهار، وماذا تصنع إذا عُيِّنت في بلاد نائية عن أهلها، وليس بها مكان للسكن غير استراحة الموظفين، هل تبيت ليلتها مع زملائها من الرجال؟

إن الدين والأخلاق والعرف الحميد تحتم أن تعيش المرأة بعيدة عن مواطن الفتنة والإغراء والزلل، واختلاطها على هذه الصورة يعرضها لخطر محقق وضرر مؤكد،

(١) المجلة العربية، العدد ١٤٣.

ويضع سيرتها في ألسن الناس تلوكها بالمذمة والمسبة والعار، إن رسالة المرأة في الحياة لها جلالها وقدسيتها التي تعادلها حقوق تمنحها ولا امتيازات تعطاها وإن كثرت» ثم تقول: «ولقرويَّةٌ ساذجة في حجْرها طفل أفضل للأمة وأنفع للبلاد من ألف نائبة وألف محامية، وحكمة الله فيكن أن تكنّ أمهات»[١].

١١- «أنا أنثى وأعتزُّ بأنوثتي، وأنا امرأة أعتز بما وهبني الله»:

هذا الاعتراف للأديبة الكويتية «ليلى العثمان» إحدى داعيات الحرية والمساواة، وهي حينما تتكلمُ إنما تتكلم عن تجربة ومعاناةٍ، وبعد زمن طويل في درب هذه الحرية والمساواة المزعومة، حيث كتبت تقول: «سأعترف اليوم بأنني أقف في كثير من الأشياء ضدَّ ما يسمى (حرية المرأة) تلك الحرية التي تكون على حساب أنوثتها، وعلى حساب كرامتها، وعلى حساب بيتها وأولادها، سأقول: إنني أُحمِّل نفسي كما تفعل كثيرات مشقة رفع شعار المساواة بينها وبين الرجل».

ثم ذكرت أنها قد تتعرضُ لبعض الأذى والظلم من الرجل، لكن تُعَقِّبُ على ذلك فتقول: «هل يعني هذا أن أرفض نعومة وهبها الله لي؛ لأصبح امرأة تعلق شاربًا، وتتحدى أقوى الرجال؟! وهل يعني هذا أن أتصرف وكأنني رجُلٌ لايرُدُّه خجل؟!!!

هل يعني هذا أن أتحدى فأفعل ما يفعله الرجل ما هو مشروع له وما هو مرفوض لأؤكِّد لذاتي بأنه لا أحد أحسن من أحد، وأننا سواسية، وأحرار ولدتنا أمهاتُنا.

هل يعني هذا أن أنظر إلى البيت، جنة المرأة التي تحلُمُ بها على أنها السجنُ المؤبَّدُ، وأن الأولاد ماهم إلا حبلٌ من مَسَد يشدُّ على عُنُقي، وأن الزوج ما هو إلا السجان القاهر الذي يكبل قدمي خشية أن تسبقه خطوتي، لا، أنا أنثى وأعتزُّ بأنوثتي، وأنا امرأة أعتز بما وهبني الله، وأنا ربة بيت، ولا بأس أن أكون بعد ذلك عاملة أخدمُ خارج نطاق الأسرة، ولكن- ياربُّ اشهد- بيتي أولًا ثُمَّ بيتي، ثم العالم الآخر»[٢].

(١) انظر: من هنا نعلم، للغزالي (ص: ١٦١- ١٦٥).

(٢) انظر: رسائل إلى حواء للكاتبة الكويتية ليلى العثمان (٣/ ٨٥).

حركة العفة
ثورة مضادة للإباحية

بعد أربعة عقود تقريبًا على اندلاع الثورة الجنسية في الأقطار الغربية، ثم توسعها بسبب العولمة لتصبح إباحية جنسية شاملة في مجموع أقطار المعمورة، بدأت تلوح في المجتمعات الغربية نفسها ثورة مضادة لها في الاتجاه، متساوية معها في الإرادة والقوة، محمولة بعدة أجنحة وأسباب على رأسها التخمة الجنسية، وحصاد الإباحية، والصحوة الدينية.

التخمة الجنسية:

لأول مرة منذ عدة قرون، لم يعد الحرمان الجنسي هو المشكل الأكبر، ولكن المشكل الأول اليوم هو التخمة الجنسية حتى قالت «جوسلاين روبيرت» المتخصصة في علم الطب الجنسي: «إننا في مرحلة مختبر». وأدانت هذه الكاتبة الجنس المصاب بالجفاف العاطفي في كتاب رائع حول آثار «الصخب الجنسي»، الذي تتولى عرضه علينا صباح مساء الإعلانات والموضة وموسيقى البوب، والتلفزيون وخاصة الإنترنت.

وفق دراسة سوسيولوجية قام بها عالم الاجتماع «ريشارد بولان»، لم يقم أحد بتشريح للآثار البعيدة للبورنوغرافيا، خاصة على الفتيان والفتيات. وفي كتابه «دكتاتورية النظام الجنسي»، يبرهن هذا العالم على أن استبداد الشهوة الجنسية تجارة مزدهرة لا نظير لها، وأن أرباحها المالية تفوق بكثير مداخيل تجارة الأسلحة والحروب.

ويذكر «بولان» أن تحقيقًا شمل ٢٢٣ امرأة سنة ٢٠٠٢ لدراسة أثر البورنوغرافيا على السلوك الجنسي، كشف أن ٢١٪ من النساء تعرضن لضغوط من لدن خلانهن لتطبيق مشاهد بورنوغرافية.

اليوم، اعتدنا أن نلاحظ عودة للإباحية، ليس فقط مع كل ثورة، ولكن ما أن ينفجر

نظام متسلط أو محافظ، ذلك مثل الكيبيك بعد «الثورة الصامتة» مع مطلع ستينيات القرن العشرين التي وضعت حدا لاحتكار الكنيسة الكاثوليكية للنظام التربوي التعليمي.

وكذلك وقع في إسبانيا بعد فرانكو عقب سنة ١٩٧٥ حيث استسلمت للاحتفال بالتحرر في مهرجانات «لاموفيدا».

وكذلك الحال في بلدان أوروبا الشرقية وجمهوريات الاتحاد السوفياتي حين انهار النظام الاستبدادي الشيوعي، فتدفقت الشهوات الجنسية والبورنوغرافيا والدعارة في المقام الأول.

وفي الماضي القريب، استأثرت جنوب أفريقيا بالانتباه عقب سقوط نظام التمييز العنصري وصعود الزعيم «نيلسون مانديلا» إلى الحكم، إذ بعد عشرين شهرا من انتخابه، كتبت أسبوعية «لوكورييه أنتيرناسيونال» أن أحياء الدعارة تناسلت سريعًا في المدن الكبرى من البلد.

ويوم ١٣ أغسطس ١٩٩٦ فتحت السلطات الأمنية في ميونيخ (ألمانيا) تحقيقًا بعد ظهور صور في شبكة الإنترنت لامرأة عارية تقوم بتقطيع جسد رجل بالمنشار. وتفيد المعطيات أن تلك الحادثة المروعة تعود إلى سنوات من قبل لرجل وامرأة أميركيين منحرفين جنسيًا قامًا بقتل رجل بتلك الطريقة الوحشية.

ويمكننا اليوم أن نقدم طلبًا للحصول على طفل قاصر بفضل تقنيات الاتصال المتطورة، كما تقول المرأة المكلفة بالطفولة في فرنسا «كلير بريسيه»، حين كشفت عن وجود أطفال للبيع الجنسي بعضهم في سن الصبا والرضاعة قتلوا بعد استغلالهم جنسيا.

ثورة تصحيح:

انتقام الفرد المتحرر من الجماعة والنظام، وانتقام الحرية من القيود، والفوضى الجشعة من المدينة المضبوطة، هذه الأزمات المتهتكة التي تستبيحها المجتمعات لنفسها لا تدوم طويلًا، مثلها في ذلك مثل التجاوزات الثورية، عاجلًا أو آجلًا، ينهض الضبط من جديد مستعيدًا حقوقه ومكانته.

فانبعثت العذرية والعفة من جديد، وأطلت مرة أخرى من الولايات المتحدة، حيث

ظهرت جمعية كبيرة تدعى «Adolescent Family Life Act»، التي ولدت على عهد الرئيس ريغان، وبدأت في عهده تسجل خطواتها الأولى للتبشير بالعفة قبل الزواج.

هذه الدعوة انخرط فيها كل الرؤساء الجمهوريين والديمقراطيين، وقبل وصول جورج بوش الابن إلى البيت الأبيض وصل الغلاف المالي الممنوح لهذه الحركة إلى ١٣٥ مليون دولار في السنة.

وتتلقى المؤسسات الدراسية الجامعية والجمعيات التي تدعم برامج الاستعفاف مساعدات مالية متصاعدة. ويُدعَى المراهقون إلى الانخراط في جمعيات مثل: «لست أنا، ليس الآن»، «على الحب أن ينتظر»، و«أصدقاء أولا»، للتعاون على احترام الالتزام الجماعي بالاستعفاف.

وحتى سنة ٢٠٠٥ وصل عدد الفتيان والفتيات الذين قبلوا التوقيع على هذا العقد الأخلاقي حوالي مليونين ونصف المليون، ويلح المنخرطون في هذه الحركة على أنه من اللازم أن يتعلم العضو التحكم في نزواته وشهوته الجنسية؛ لتكوين شخصيته واحترام الآخر.

برامج العفة التي تشترك فيها العديد من الهيئات والجمعيات والمؤسسات التعليمية وصلت إلى ٧٠٠ برنامج، وتجد إقبالًا متزايدًا من الأبناء والآباء.

وغير بعيد عن الحملة يقف اليمين المسيحي المحافظ، ويقدم المساعدات المتعددة، كما أن وباء الإيدز الذي يحصد الملايين ليلًا ونهارًا من الأسباب الرئيسية في ذلك.

وفق دراسة أخيرة أجرتها مراكز السيطرة على الأمراض، ارتفع عدد طلاب المرحلة الثانوية الذين يقولون إنهم لم يمارسوا الجنس بعد بنحو ١٠٪ بين عامي ١٩٩١ و٢٠٠١.

وفي الصفوف المدرسية عبر الولايات المتحدة الأميركية تتزايد البرامج التي تناشد المراهقين بتأخير ممارسة الجنس.

وفي عام ٢٠٠٥ زاد جورج بوش في نسبة الإنفاق على العفة؛ موفيًا بوعد انتخابي قطعه بالإنفاق بمقدار الإنفاق على برامج تنظيم الأسرة لليافعين.

العذرية اتقاء الإيدز:

ومخافة الموت المحقق بالإيدز ووقاية من إصاباته القاتلة، شجعت الولايات المتحدة- حكومة ومنظمات مدنية وكنائس إنجيلية- برامج مقاومة الإيدز في عدة دول أفريقية بتشجيع العذرية، وتأجيل اللقاء الجنسي الأول إلى يوم الزفاف مع الحبيب الأول، والوفاء له بعد ذلك.

فصار اليوم معروفًا أن العفة والإمساك عن الممارسة الجنسية إلى يوم الزواج والوفاء للحياة الزوجية، هي وسائل فعالة وناجحة في الحد من انتشار فيروس فقدان المناعة المكتسب، في التجربة الأوغندية.

وهذا ما أكده تحليل المعطيات من خلال التحقيقات الديمغرافية والصحة (EDS) من سنة ١٩٩٥ إلى سنة ٢٠٠٠، وأيضًا من خلال تحقيقات مراقبة السلوك التي قامت بها وزارة الصحة في أوغندا بين عامي ١٩٩٧ و٢٠٠١.

وأعلنت السلطات عن انخفاض معتبر في نسب الإصابة بفيروس الإيدز منذ عام ١٩٩٠ من ٢١٪ إلى ٦٪، كما أكدت التحقيقات الميدانية أن عدد المشاركين الذين أعلنوا عن التزامهم بالامتناع عن المعاشرة الجنسية، أو بتأجيلها، أو بالوفاء للزوج، أو الاكتفاء بطرف واحد في الممارسة الجنسية، تجاوز عدد أولئك الذين يستعملون العازل المطاطي.

المنهجية نفسها أخذت تتبع في عدد من الأقطار الأفريقية، مثل: السنغال وزامبيا وغانا، مع انخراط علماء الدين المسلمين ورجال الدين المسيحيين في الحملات الوقائية والعلاجية معًا.

رياح الصحوة وصلت أوربا:

واستطاعت ظاهرة العفة أن تتجاوز المحيط الأطلسي وتصل إلى القارة العتيقة والقارة السمراء قادمة من أمريكا، وصارت صيحة «عفيفات وفخورات بذلك» موضة صاعدة بين الفتيات والفتيان الأوروبيين.

في سويسرا مثلًا، نشرت أسبوعية «الإيبدو» استطلاعًا مطولًا للصحافية السويسرية

«صابين بيرولت» عن عودة ظاهرة العفة إلى صفوف الفتيان والفتيات، وساقت عدة شهادات لهؤلاء الفتية تحت عنوان «عفيفات وفخورات بذلك».

واختارت أسبوعية «لوكورييه أنترناسيونال» بعض المقتطفات منه، ضمن ملف عالمي حول «الفتيات الشابات» والتحولات الجارية في صفوفهن في كل من أمريكا وسويسرا وبولندا والصين والبرازيل وتركيا وروسيا والكونغو الديمقراطية والسنغال وإسبانيا.

المثير في تحقيق أسبوعية «الإيبدو» أن يكون من أهم أسباب عودة العفة في الغرب عمومًا- وسويسرا خصوصًا- تأثير الثقافات الأخرى، خاصة الثقافة العربية الإسلامية للمهاجرين المغاربة، حيث تعتبر عذرية الفتاة شيئًا هامًا جدًا في حياتها وسمعة أسرتها.

انتشار مدارس الجنس الواحد في بلاد الغرب

﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦] آية في كتاب الله تعالى، أنزلت على خيرِ البشرِ محمد ﷺ، لكن الغرب تأخر كثيرًا في إدراك معنى هذه الآية؛ فبرزت مؤخرًا فكرةُ الفصلِ بين الجنسين في التعليم، بعد أنْ دفعت الفروقُ السلوكيةُ والبيولوجيةُ بين الرجل والمرأةَ عددًا من خبراء التربيةِ الغربيينَ إلى الاستفادةِ من تلك الحقيقةِ في مجال التعليمِ، ومن هنا ولدت فكرةُ «مدارسِ الجنسِ الواحدِ» بالولايات المتحدة وأوروبا.

ولم يُخفِ الكثيرونَ استغرابهم من مجرد التفكير في هذا الأمر، بينما نظر إليها آخرون باعتبارها حرية ذاتية ينبغي أن ينعم بها الأفراد في المجتمعات الديمقراطية، فإذا لاقت نجاحًا فيها ونعمت؛ وإلا فسيَثْبُتُ فشلُها، من هذا المنطلق أعلنت إدارة الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش عن عزمها تشجيع مبدأ عدم الاختلاط بين البنين والبنات في المدارس، وذلك في العودة إلى قانونٍ كان يطبقُ قبل أكثر من أربعين عامًا.

ومن أبرزِ المنظماتِ الأمريكيةِ الفاعلةِ في مجالِ التعليمِ غيرِ المختلطِ: المنظمة الوطنية للتعليم العام غير المختلط والمعروفة اختصارًا ب (NASSPE) وقد تأسست عام ٢٠٠٢م.

ومؤسسة تعليم الفتيات، والتي تأسست عام ٢٠٠٢م، ومنظمة الائتلاف الوطني لمدارس الفتيات (NCGS)، وغيرها.

وفي بريطانيا تأسست منظمةُ «مدارس الفتيات» (GSA) عام ١٩٧٤م لدعم مشروعات التعليم غير المختلط، وهذه هي المنظماتُ الأشهرُ فقط، وإلا فسواها كثيرٌ.

الرافضون لهذه الفكرة أثاروا الحديث عن المخاطر المترتبة على «كبت الرغبات» عند الأولاد والفتيات، في حين رأى المؤيدون أن الفصل بين الأولاد والفتيات سيؤثر إيجابيًّا على مستوى التعليم، وتطوَّرَ الأمرُ إلى أن وضعته وزارة التعليم في إطار مرحلةِ

الدراسة الجادة، بل أعلنت الوزارةُ اقتراحاتٍ بتوسيع نطاقِ الاختياراتِ التربويةِ من أجلِ إقامةِ مدارسَ غيرِ مختلطةٍ، وأن الهدف من هذا الإجراء هو توفيرُ وسائلَ جديدةً لمساعدةِ التلاميذِ على التركيزِ في الدارسة وتحقيقِ نتائجَ أفضل.

وعلى أرض الواقع بدأت العديدُ من المدارسِ الأمريكيةِ فصلَ الأولادِ عن البنات، وعلى رأسها مدرسةُ «شينفيلد» الثانوية في حي «برنت وود» وسط مدينة «أوستن» عاصمة ولاية تكساس، حيث قال مدير المدرسة الدكتور «أُوز بورن»: «قد يبدو قرارُ فصلُ الطلبةِ عن الطالباتِ انتكاسةً إلى الماضي، لكنْ في الحقيقة القرارُ اتُّخِذَ لصالحِ مستقبل أبنائنا من الجنسينِ، فقد اكتشفنا أن الطالباتِ- في التعليم المختلط- يضيعن وقتًا في الاهتمام بمظهرهن وبنظرات الأولاد إليهن، ومع وجود الطلاب يفقدن زمامَ السيطرةِ وتضيعُ أهدافهنَّ».

البروفيسور «أميليو فيانو» وهو من رجالِ القانونِ، وفي نفس الوقتِ متخصصٌ في التربيةِ، أثبتَ بالدراساتِ العمليةِ المتعمقةِ ارتفاعَ مستوَى التحصيلِ الدراسيِّ لدى الذكورِ والإناثِ في حالة الفصلِ بينهم أثناء الدراسةِ.

وأضاف «فيانو»: «إن بعضَ الفتياتِ قد يشعرنَ بميلٍ إلى الفتيان؛ الأمر الذي يحرمهُنَّ من تطويرِ حياتهن الاجتماعية، وكذلك الحال بالنسبة لكثير من التلاميذ الذين يفضلون الانفصالَ عن الفتياتِ حتى لا يتحتمَ عليهم الالتزامُ ببعضِ الهيئات التي يرونها ضروريةً في حضورِ الفتياتِ».

وفي هذا الصددِ أيدت الجمعيةُ الوطنيةُ لدعمِ التعليمِ غير المختلط وجهةَ نظرِ «فيانو»، وعرضت دراسةً أجرتْهَا جامعةُ «ميتشيجن» في بعض المدارس الكاثوليكيةِ الخاصةِ المختلطةِ وغير المختلطةِ تفيدُ أنَّ الطلابَ في المدارسِ غير المختلطةِ كانوا أفضلَ من ناحيةِ التحصيلِ الدراسيِّ.

يقول البروفسور الألماني «يودفو ليفيلتز» كبير علماء الجنس في جامعة برلين في إحدى دراساته الجنسية بأنه درس علوم الجنس وأدواره وأدويته فلم يجدْ أنجحَ

ولا أنجعَ من قول الكتاب الذي نزل على محمد: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣٠-٣١]، ولن يتأتى ذلك إلا بمنع الاختلاط»[(١)].

«لينورد ساكس» طبيب أمريكي حاصل على درجةِ الدكتوراه، وضع عملَهُ الطبيَّ جانبًا ليسخِّرَ حياته لنشرِ فكرةِ التعليمِ المنفصلِ بين الجنسينِ بالولاياتِ المتحدةِ الأمريكيةِ، بل إنه أصبحَ على رأسِ المدعوين بالمؤتمراتِ التربويةِ بجميعِ أنحاءِ العالمِ للتحدثِ عن تجربته التي قابلها الكثيرونَ بالاستغرابِ في البداية ثم ما لبثُوا أن صفقوا له إعجابًا وتقديرًا لاقتناعهم بفوائدِ التعليمِ المنفصلِ بين الجنسينِ.

ويقول «ساكس»: «إن أفضلَ طريقةٍ لتعليمِ الأولادِ ليست هي أفضلَ طريقةٍ لتعليمِ البناتِ، والعكس بالعكس فإنَّ أفضلَ طريقةٍ للبناتِ ليست هي أفضلَ طريقةٍ للأولادِ».

وألّفَ الدكتورُ «لينورد ساكس» كتابًا يعبِّر فيه عن فكرتهِ تفصيلًا بعنوان: «لماذا يكونُ تحديدُ الجنسِ مهمًّا عندَما يتعلقُ بالتعليم»، كما أنه يشغل منصب المدير التنفيذي للجمعية الوطنية للتعليم المنفصل بأمريكا.

ويؤكد «ساكس» أنَّ الحلَّ في قضية التعليم الناجح يكمنُ في الفصلِ بين الجنسين، وأن الأبحاثَ التي تمت على الدماغِ أثبتت بشكلٍ واضحٍ بأن أدمغةَ الإناثِ والذكورِ تنمو وتتطورُ بشكلٍ مختلفٍ تمامًا عن بعضها البعضِ، والحقيقةُ المذهلةُ هي أن الصفوفَ المختلطةَ تُلحِقُ الضررَ بكل من الأولاد والبنات.

لكن معارضًا لساكس سأله قائلًا: «ألا يكون فصل الأطفال حسب نوع جنسهم هو نوع من الفصل العنصري؟»، فرد ساكس ردًّا علميًا: «لا يمكنكَ رؤيةَ أنسجةِ المخ من تحت الميكروسكوب لتخبرني هل جاءت من شخصٍ أبيضٍ أم من شخصٍ أسودٍ، في حين يمكنكَ رؤيةَ أنسجةِ المخِّ من تحت الميكروسكوب لتخبرني هل هي أنسجة مخِّ رجلٍ أم أنسجةِ مخِّ امرأةٍ».

(١) الغرب يتراجع عن التعليم المختلط، تأليف بفرلي شو، ترجمة د. وجيهة عبد الرحمن (ص ٢).

ويدعِّم ساكس أطروحتَه بالإحصائيات التي تشيرُ إلى أن نسبةَ النموِّ بالمدارس غير المختلطةِ وصلت إلى عشرةِ أضعافٍ مقارنةً بعام ٢٠٠٢م فقد كانت عدد المدارس ١١ مدرسة ووصلت الآن إلى ١٠٣ مدرسة.

وقد عرض مقطعُ فيديو انتشرَ على شبكة الإنترنت آراءَ طلاب وطالباتٍ حول التعليمِ المختلطِ وغير المختلطِ؛ فتقولُ إحدى الطالبات: «لم أرَ أبدًا مجموعة من الفتيات اليافعات أكثر ثقةً وانفتاحًا على العالمِ الخارجيِّ مثل هذه المجموعة من الفتيات؛ فعندما تكون في بيئة مستقلة من الفتيات فقط، تسقطُ الحدودُ وينفتحُ الجميعُ بعضهُم على بعضٍ، فالفتيات يعرفنَ من هنَّ ويستطعنَ إنهاءَ الجملةِ التي تبدأُ ب: أنا أجيدُ كذا، فمن المهمِّ أنْ يشعرَ الفتياتُ بالأمانِ كفتياتٍ».

بينما تقول فتاةٌ أخرى: «أعتقدُ أنهُ من الأفضلِ للفتياتِ أن يكنَّ محاطاتٍ بالإناثِ فقطْ، وليس هناك سببٌ يجعلني أعتقدُ بأنِّي لستَ جيدةً فجميعنا متشابهاتٍ وجميعنا فتياتٍ، فلا أحدَ منَّا يهتمُّ بالماكياج؛ فنحنُ أتينا للمدرسةِ من أجلِ أنْ نتعلمَ، وفي كثيرٍ من الأحيان لا أهتم بمظهري، عندما استيقظ في الصباح فقط أنهض وأرتدي ملابسي وأذهبُ للمدرسةِ».

كما أظهرت دارسة لمجلة نيوزويك الأمريكية أرقامًا وإحصاءاتٍ تفيد بأن الدراسات في كليات الفتيات (غير المختلطة) تجعل الفتيات أكثر تفوقًا ونجاحًا في الدارسة وفي حياتهن العملية بعدها.

ولم يقتصر هذا الأمر على الولايات المتحدة وحدها، بل انتقل إلى بريطانيا، حيث أكدت بحوثٌ منشورةٌ في العديد من الدوريات أن المدارسَ التي حقق طلبتها تفوقًا واحتلت المراتبَ التسع والعشرين الأولى في بريطانيا هي مدارس غير مختلطة؛ إذْ حققت ١٥ مدرسةً خاصةً بالذكور و١٤ مدرسةً خاصةً بالإناث التفوقَ على غيرها من المدارس.

وتؤكد الإحصاءات أنه عندما يدرس كلُّ طرفٍ بعيدًا عن الطرف الآخر فإن التفوق العلمي يتحقق، أما في وسطِ التعليمِ المختلطِ فقد أخفقَ كثير من البناتُ في تحقيقِ

التفوقِ في العديد من المواد الدراسيةِ؛ وقد أيدت الإدارةُ التعليميةُ في منطقة «نيوهام» هذه الحقائق في دراسةٍ تحليليةٍ.

وحول احتمالية تأثير ما يجري بشأن الفصل بين الجنسين في الغرب على بلاد الشرق يقول الدكتور عاطف مفتاح، الأستاذ بكلية الخدمة الاجتماعية جامعة حُلوان: «من المؤسفِ أنَّنا في بلادنا لا نستمعُ إلى من ينصحُ بفصلِ الأولادِ عن البناتِ في العمليةِ التعليميةِ؛ لكنْ إذا جاءت الأبحاثُ المؤيدةُ لذلك من الغَربِ قلنا سمعنا وأطعنا، ولعل الفترةَ المقبلةَ تشهدُ إقبالًا على هذا النوع من المدارسِ».

شهادة امرأة عاقلة

هذه امرأة عاقلة تنصف الرجال المخلصين وتقول بلسان حالها للنسويين والنسويات الذين يسعون لهدم الأسرة: «موتوا بغيظكم»:

تقول إحدى النساء بعد ١٧ عامًا من الزواج:

«إن الرجل:

* يضحي بجميع الأشياء التي بين يديه ليعطيها لأخته أو ابنته أو أمه أو زوجته أو أبيه أو حفيده.

* وهو الذي يضحي بشبابه وصحته من أجل زوجته وأولاده، من خلال عمله بشكل متواصل، وأحيانًا لأوقات متأخرة، دون أي تذمر أو شكوى.

* وهو الذي يحاول بناء حياة عائلته، ومستقبل أولاده، ولو أدى به ذلك إلى الاشتغال بعملين أو أكثر.

* وهو الذي يكافح ويناضل بشكل دائم، ثم يتحمل عتاب أمه وأبيه، وتوبيخ رئيسه في العمل.

وفوق ذلك كله، فاللوم كل اللوم، يقع على رأسه دائمًا:

* إذا خرج للترفيه عن نفسه قليلًا، فهو إنسان غير مسؤول.

* وإذا بقي في المنزل، فهو رجل كسول.

* إذا وبَّخ أبناءه إن أخطأوا فهو متوحش، وإذا لم يوبخهم فهو متساهل.

* إذا سمع كلام أمه فهو خاضع، وإذا سمع كلام زوجته فهو خانع.

ورغم ذلك، فالأب هو الوحيد في العالم:

* الذي يتمنى أن يصبح أولاده أفضل منه في كل شيء.

❋ الأب هو الذي يرضى عن أولاده ويدعو لهم بالخير وهو في قمة خيبة أمله منهم.

❋ وهو الذي يتحمل أبناءه صغارًا إذا داسوا على قدميه، ويتحملهم كبارًا إذا داسوا على قلبه.

❋ وهو الذي يعطي أولاده أفضل ما يملك بل كل ما يملك، إن لم يستطع أن يُقدم لهم أفضل ما في العالم.

❋ واذا كانت الأم تحمل أطفالها ٩ شهور في أحشائها، كذلك الأب يحمل بعض أبنائه في عقله وتفكيره العمر كله، فالعالم بأسره بخير ما دام رب العائلة بخير».

وتنهي هذه المرأة الشجاعة اعترافها بقولها: «احترموا كل رجل أو أب في حياتكم، فأنتم لن تعلموا أبدًا، كمَّ التضحيات التي يبذلها من أجلكم».

إن النسوية الإسلامية قد ورثت كل مفاعيل اندفاعة النسوية الغربية لكنها تنكّرت لها، وقالت إنه الإسلام.

دلال البزري[١].

(١) إحدى النسويات التقليديات، وباحثة لبنانية في علم الاجتماع.
انظر: النّسوية من الراديكالية حتى الإسلامية، قراءة في المنطلقات الفكرية، أحمد عمرو، مجلة البيان، التقرير الاستراتيجي الثامن، ص١٥٢.

الفصل الثامن
النسوية الإسلامية
إسلامية أم غربية بنكهة إسلامية؟

مصطلح «النسويّة الإسلاميّة Islamic Feminism» هو مصطلح حديث وغربي المنشأ، وهو مصطلح متناقض بذاته، وذلك نظرًا للافتراقات المفاهيمية التي يحملها كل من جزئي «النسوية» بأصولها الفلسفية المعادية المتناقضة مع الإسلام، و«الإسلاميّة» التي تحيل إلى التشريع الإسلامي؛ إن مصطلح «النسوية الإسلامية»، يحمل مضامين أيديولوجية مركزية، أبرزها المساواة التامة، والتي تتناقض مع ثوابت إسلامية، وبالتالي فإنّ مجرد التقائهما يعني تلفيقًا أيديولوجيًا أكثر من كونه توافقًا معرفيًا أو حلًّا لإشكالات المرأة وما تواجهه من تحديات معاصرة.

إن النسويّة الإسلاميّة حركةٌ تحاول التّوفيق بين مبادىء النِّسوية الغربيّة والمبادىء الإسلاميَّة؛ وهي تفعل ذلك، كما يبدو، نظرًا إلى أنَ أيّ حركةِ مطالبةٍ بحقوق المرأة، في مجتمع إسلامي، لا تسوِّغ مطالبها بمبادئ ورؤى إسلاميّة تحكم على نفسها بالإخفاق. وهذه الحركة انتقائيَّةٌ تنتقي من مبادىء النّسويات الغربيَّة، ومن المبادىء الإسلاميَّة ما تراه مناسبًا لها، وتحاول التَّوفيق بين ما تنتقيه.

من فم إحدى منظرات النسوية الإسلامية:

النسوية الإسلامية تعرفها إحدى منظراتها بأنها «ذلك التيار الفكري والحركي الذي يسعى الى تحرير وإنصاف وتمكين النساء على أسس مرجعية إسلامية قاعدتها القرآن والسنة الصحيحة والاجتهاد»[١].

لكنها توضح الاجتهاد بقولها: إن النسوية الإسلامية الساعية الى إنصاف وتمكين النساء من داخل المرجعية الإسلامية لا يمكن إلا أن تقوم على أساس فتح باب الاجتهاد والتجديد في وجه تراث علمي يتبنى بحسم منظور دونية المرأة. (!!!)

(١) انظر: النسوية الإسلامية .. كحركة فكرية د. أماني صالح.

فهذه نظرتهن إلى التراث (العقيدة والتفسير والفقه ....إلخ). !!!

وتقول إن هذا التيار يقوم على الانفتاح الفكري على كل الأفكار والخطابات والمناهج دون هواجس أو عقد خفية مزمنة إنطلاقا من أن الحقائق الموضوعية لعالم اليوم هي مزيج من الجدة والاستمرارية ومن خصائص الخصوصية والعولمة في نفس الوقت في بوتقة واحدة. (!!!)

وتقول إن هذا الخطاب خطاب استراتيجي يقع في إطار ما يسمى بالتنمية المستدامة (!!!) للأفكار وحركات التغيير والإصلاح (!!!) من خلال إقامة علاقات وثيقة بين التغيير وبيئته (!!!).

وتعتبِر كتابات قاسم أمين على رأس إسهامات النسوية الإسلامية (!!!).

فريقان:

يمكن تقسيم أنصار «ما يسمى بالنسوية الإسلامية» إلى فريقين، وهما ظلمتان أحدهما أشد من الأخرى:

الأول: النسوية التي تحاول تلبيس النسوية بلباس إسلامي، والأساس الذي تقوم عليه هذه النسوية هو عدم تدخل رؤية ذكورية وتفسيرية للنّص الشرعي الخاص بقضاياها !!! ووجوب الرجوع للمصادر الشرعية لاستخراج الحق المغيَّب للمرأة على أيدي الفقهاء الذكور، من خلال آرائهم وشروحهم على مصادر التَّشريع. (!!!)

الفريق الثاني: الذي ينكر تحت لافتة الاجتهاد- الذي لا يمتلك أدواته كالعلم باللغة وأسباب النزول وغير ذلك- ينكر الكثير من المعلوم بالدين بالضرورة، ويكاد يكون نسخة مكررة من دعاة النسوية الليبرالية، سواء من حيث الإلحاح على قضايا بعينها أو طبيعة الحل، فهم أشبه بمن يضع التشريع الإسلامي المتعلق بالأسرة في قفص الاتهام ثم يحاولون تبرئته.

فالإسلام عندهم لا يقبل تعدد الزوجات، والطلاق لا يقع إلا بالإشهاد وأمام القاضي، وقسمة الميراث كانت خطوة على الطريق حيث يرون ضرورة المساواة في الميراث نتيجة تغير الظروف والمستجدات، وحتى أحكام الصلاة يرون المساواة

المطلقة فيها، فقد تكرر أكثر من مرة إمامة سيدة بالمصلين رجالا ونساء، محجبات وغير محجبات، في الولايات المتحدة الأمريكية.

هذه النوعية من النسوية الإسلامية هي في الحقيقة عين الفكر النسوي الراديكالي، الفارق الوحيد أن من يطلقون على أنفسهم (أنصار النسوية الإسلامية) لا يهاجمون الدين أو يقولون إن أحكامه انتهكت حقوق النساء وشاركت في المظلومية التي وقعت عليهن وإنما يقلن إن الدين- أو بمعنى أدق- القرآن الكريم والفكر النسوي شبه متطابقين، لأن معظمهن لديهن مشكلات مع الحديث النبوي حتى قالت إحداهن: «إن القرآن أكثر إنصافًا في شأن النوع، بينما يستمد معظم الأحكام الإسلامية المجحفة بالنساء مصادِره من الحديث».

وهن يرفضن آراء جميع المفسرين والمحدثين وكل ما يمت للتراث الديني، ويجتهدن بأنفسهن- وهن جاهلات بالشرع- اجتهادًا مفتوحًا محرِّفين فيه حتى القواعد اللغوية البسيطة حتى يحصلن على النتيجة التي يسعين منذ البداية لإثباتها لنفس القضايا التي يسير على خطاها الفكر النسوي العالمي، أو كما قالت إحدى النسويات التقليديات- باحثة علم الاجتماع اللبنانية دلال البزري- بأن النسوية الإسلامية قد «ورثت كل مفاعيل اندفاعة النسوية الغربية لكنها تنكّرت لها، وقالت إنه الإسلام».

وهناك أربعة نماذج من بلدان متفرقة في العالم الإسلامي، تعجّ أفكارهن بالرفض الشديد للمقدسات الإسلامية، وهن البنغالية السويدية تسليمة نسرين، والصومالية الهولندية أيان حرسي، والأوغندية المهاجرة لكندا إرشاد منجي، وأخيرًا التركية الألمانية فيما بعد نجلاء كيليك.

فتسليمة نسرين مثلًا ترى أن «الدين والدولة في العالم المسلم قد جعل من المرأة عبدة جنس لزوجها». بينما طالبت أيان حرسي «بالانقلاب على التأويل والتفسير ورفضه باعتبار أن القرآن- عندها- «وثيقة تاريخية» كما يراه سلمان رشدي». ولم يختلف الأمر كثيرًا عند إرشاد منجي التي رأت أن «التأويل الإسلامي وضعه فكرٌ قَبَليٌّ ولا بد من تغييره»، وكذلك نجلاء كيليك التي عارضت الحجاب، ورأت أن «الدين هو ما يعيق المرأة وليس القانون الأوروبي».

أزمة المصطلح:

المصطلح ليس مجرد لفظ وإنما هو بناء متكامل عرف بهذا اللفظ، فالمصطلح له معناه وظلاله وقضاياه وظروف نشأة وليست معنى إضافة لفظ إسلامي لمصطلح آخر أنه بذلك اصطبغ بالصبغة الشرعية تمامًا، كما كانوا يقولون الاشتراكية الإسلامية!! أو الرأسمالية الإسلامية!! والآن النسوية الإسلامية!!.

النسوية فلسفة لها مدارسها التي تختلف في التفاصيل ولكنها تتفق جميعا أن الأنثى هي المحور، النسوية فلسفة تقوم على الصراع لانتزاع الحقوق أو ما يصور أنه كذلك، النسوية، فلسفة تقدس الفرد (المرأة) ولا تأبه كثيرًا بالأسرة أو المجتمع، ثم إن النسوية لها قضايا عرفت بها ودافعت عنها حتى أصبحت بمثابة التعريف لها، فعندما نقول (النسوية الإسلامية) فإنه سيرِدُ للذهن كل المعاني السابقة ثم تطل علامة استفهام كبيرة للتناقض الواضح بين هذه الفلسفة وبين الرؤية الإسلامية للفرد والمجتمع.

ستقول المدافعات عن المصطلح إنه يعني السعي لتمكين المرأة من حقوقها التي جاء بها الإسلام وأهدرها المجتمع فيما بعد، وهو- ولا شك- هدف بالغ الأهمية والحيوية ولا خلاف عليه، فلا بد من بحث كل الوسائل الممكنة كي تستطيع المرأة أن تحصل على حقها الذي كفله لها الشرع، ولكن هل يجب أن نكون إمّعة ونستخدم نفس مصطلحهم المعيب للحصول على نتائج مختلفة جدًّا وإن كان عنوان كل منهما حقوق النساء؟

أولويات القضايا:

كما تواجه هذه النسوية الإسلامية (الفريق الأول) إشكالية أولوية القضايا المعالَجة، فمثلا قضية بحجم قضية العنوسة لا تمثل أهمية تذكر عند النسويات، بينما تكون الأولوية لمنع الزواج المبكر، وهكذا، والمتابع لكتابات النسويات الإسلاميات سيجد أنهن يعملن على نفس القضايا التقليدية للنسوية (مواجهة العنف، والختان، والزواج المبكر).

تكريم الإسلام للمرأة:

تدعي النسويات المنتسبات للإسلام إمكان الجمع بين النسوية والإسلام وأن

النسوية معناها المطالبة بحقوق المرأة المسلوبة، لكن هل يمكن فعلا الجمع بين النسوية والاسلام؟ وهل النسوية تعني حقوق المرأة؟

لقد كرّم الإسلام المرأة بأن سمى سورة من أكبر سور القرآن بسورة «النساء»، فلو أردنا النسبة لما كرمنا الله سبحانه به فسنقول «نسائي» ويصبح المهتم بهذا الشأن باحثًا بالشأن النسائي وليس النسوي، والمسألة ليست ألفاظا جوفاء ولكن تحرير المصطلح ينعكس على جوهر الأفكار، وفي هذا الصدد نذكِّر أن الغربيين عندما يريدون الحديث عن الشريعة لا يترجمونها لكلمة «قوانين» مثلا وإنما يستخدمون نفس اللفظ «الشريعة» ولكن بالحروف اللاتينية لأن الشريعة مصطلح فرض نفسه، وفي قضية الوعي ينبغي التنبه لحرب المصطلحات.

أما مصطلح «تمكين المرأة» الذي يترجمه البعض باستقواء المرأة فهو الآخر بحاجة لمراجعة تماما كالمقصود منه، فنحن نريد أن نبحث عن الوسائل التي تمكّن المرأة من الحصول على حزمة التشريعات الإلهية التي تكفل لها الحياة الكريمة.

إن الحركة النسوية الإسلامية (إن صح التعبير)- للأسف الشديد- لا تختلف في كثير من معالمهما عن النسوية العلمانية، فهي حركة نسوية بنكهة إسلامية، لكن المضمون والأهداف والوسائل هي ذاتها التي تستخدم في الخطاب العلماني النسوي، مع بعض التحفظ في الطرح النسوي (الإسلامي) وبعض الرتوش البسيطة للتمايز عن الطرح النسوي التقليدي.

إنها تمثل أحد مشاريع اختراق الخطاب الدعوي الإسلامي، فالنسوية الإسلامية، وإن كانت ليست ذات ثقل واضح في العالم العربي والإسلامي، إلا أن بواكير ذلك المشروع بدأت تطل برأسها على استحياء في العالم الإسلامي، وبشكل أكبر لدى المسلمين في الغرب، مما يدل على أن ثغرة جديدة قد فتحت على مصراعيها أمام الهجمة الغربية على الإسلام.

نسوية (المقاربة الثالثة) أو نسوية الحداثة الإسلامية:

تنظر الحركات الإسلامية والناشطات والداعيات الإسلاميات بوجه عام إلى مفهوم

النسوية نظرة استهجان وازدراء؛ لأنهم ينظرون إلى النسويين كعلمانيين، بينما يعتقدون في المقابل بضرورة متابعة قضية حقوق المرأة عبر تطبيق الشرع الإسلامي بشكل كامل وشامل لكافة قضايا المجتمع، بما فيها قضية المرأة.

ففي دراسة أجراها مركز "كارنيجي" حول المرأة في الحركات الإسلامية، تبين أن الناشطات في التيارات الإسلامية يتبَنَّيْن رأيًا يؤكد على تكامل الأدوار بين الرجل والمرأة، ويرفضن رفضًا تاما فكرة اعتبارهن رأس الحربة في حركة نسوية تُوصف بالإسلامية، ويَرَيْنَ أن «الإسلام والنسوية مصطلحان متناقضان»، وكشفت تلك المقابلات عن رفضٍ وازدراءٍ لمفهوم النسوية الغربية التي يُفسِّرْنَها كحركة لتحرير النساء من كل القيود الاجتماعية، والواجبات تجاه الأسرة والمجتمع؛ ما يؤدي إلى الفردية المفرطة والخروج عن تعاليم الإسلام.

تقول الباحثتان أميمة عبد اللطيف ومارينا أوتاوي: «والجدير بالذكر أن كل النساء اللاتي أجرينا معهن المقابلات هن ناشطات اكتسبن مراكز وشرعية واحترامًا ضمن الحركات التي ينتمين إليها، ومن هنا شعورهن بالقوة والثقة، بيد أنهن رفضن رفضًا تاما فكرة اعتبارهن رأس الحربة في حركة نسوية إسلامية».

ولا بد هنا من الإشارة إلى مقاربة ثالثة لحقوق المرأة في العالم الإسلامي، تختلف عن كل من مقاربة الغرب التقليدية، ومحاولة الإسلاميين إنشاء مفهوم مختلف لحقوق المرأة مشتق من المبادئ الإسلامية، وهي تكمن في محاولة بعض منظمات المسلمات إظهار مواءمة المفهوم الغربي لحقوق المرأة مع الإسلام، علما بأن العديد من هذه المنظمات نشأت في الغرب وتتلقى تمويلًا منه، وهي غالبًا ما توجه نقدًا لاذعًا للتاريخ الإسلامي وتفسيره السائد.

كما تعتبر هذه المجموعات التوفيق بين المفهوم الغربي لحقوق المرأة وبين الإسلام مهمًّا لأسباب عملية؛ فأي نسوية لا تبرر نفسها ضمن الإسلام محكومة بأن يرفضها باقي المجتمع، وهي بالتالي تهزم نفسها بنفسها.

في هذا السياق ظهر في بداية التسعينيات ما اصطلح على تسميته "بالنسوية الإسلامية"

كبديل عن النموذج الغربي، يَصبغ نفسه بالصبغة الإسلامية، بدعوى (ذاتية مشكلات العالم الإسلامي والجذور الثقافية التي تنبثق عنها، بالإضافة إلى غلبة الاتجاهات النسوية الراديكالية على مجمل الحركة النسوية.

ولا يُعرف على وجه التحديد متى نشأ مصطلح «النسوية الإسلامية» لكن هناك إشارات إلى أنه ظهر في بداية التسعينيات في تركيا، مع كتاب (نوليفير غول) «الحداثة الممنوعة» عام ١٩٩١م[١].

فمع بداية ظهور مصطلح تحرير المرأة الذي هيمن عليه في البداية قضايا مثل الحجاب، وتعدد الزوجات، والعمل خارج المنزل، وما أعقبه من تطورات داخل الحركة النسوية من تَبَنِّيها لأيديولوجيات ذات مرجعية فلسفية تفرعت منه قضايا عديدة مثل الجندرة، والتمكين، والجنوسة وغيرها من المصطلحات، إضافة إلى ارتباط الحركة النسوية في العالم الإسلامي بمبادئ ورؤى النسوية الغربية؛ جعلها في مرمى نيران الوصف بالتبعية الاجتماعية والفكرية للغرب، أو أنها مشروع «استعماري» تجب «مقاومته».

وهذا الاتجاه يرى العلماء والدعاة الإسلاميون خطورته في كونه «ليس مجرد فكرة حول الحقوق الاجتماعية للمرأة بقدر ما أنه يدور حول فكرة الهوية نفسها» بمعنى أن «الهوية الإسلامية مهددة هنا»

(١) في تقرير لها عنوانه «الحركة النسائية: صحوة الأخوات» ذكرت مجلة «تيل كيل» المغربية الناطقة باللغة الفرنسية أنه «في التسعينيات من القرن الماضي، ظهر مصطلح «الحركة النسائية الإسلامية» في مختلف بقاع العالم وفي سياقات متعددة، في سنة ١٩٩٢م، أصدرت «شهلة شِرْكات Shahla Sherkat»- وهي إيرانية شاركت في ثورة ١٩٧٩م- العدد الأول من مجلة نسائية تحمل اسم «زنان» (النساء بالفارسية) ممنوعة اليوم من النشر، وفي عام ١٩٩٦م، نشرت السعودية «مي يماني» كتاب الحركة النسائية والإسلام (Feminism and Islam) الذي يحمل أهمية تاريخية، أما في تركيا، فيؤمن أكاديميون بانبثاق حركة نسائية جديدة تتغذى من الإيمان، في الوقت الذي تحررت فيه ناشطات في الغرب من الحركة النسائية العلمانية من أجل المطالبة بشكل جماعي بحقوقهن كنساء مسلمات من أصول أجنبية، كما شرعت الكاتبة المغربية فاطمة المرنيسي بدورها في إعادة قراءة ونقد النصوص الدينية والدنيوية (!!!).

وتضيف المجلة: ما فتأت إذن العديد من النساء المسْلمات نبش حصن النظام الذكوري الديني بعد أن قررن الحصول على مساواة كاملة دون التخلي عن إيمانهن، (!!!) ودون الاكتفاء بالخطاب الإسلامي التقليدي (!!!). [الحركة النسائية: صحوة الأخوات- جيل كروتوا- ترجمة: بشرى لغزالي- مركز البحوث والدراسات في القضايا النسائية في الإسلام].

المنطلقات الفكرية لنسوية الحداثة الإسلامية:

ترى النسوية الإسلامية أن الرسالة الروحية للإسلام قد طُعِنَتْ. فبدلًا من المساواة التي كان الدين ينادي بها، حول النظام الذكوري، الأبوي، هذه الرسالة إلى أداة لاضطهاد النساء. وبينما دعا الإسلام إلى تحرر النساء قامت «التقاليد الأبوية التمييزية» بمصادرته. والنسوية الإسلامية ترى أن «الخطاب النظري» الإسلامي الذي يرى أن الإسلام أعطى المرأة حقوقها ورفع قدرها هو خطاب «ضعيف في حجته؛ فقد قصر رسالة الإسلام على مسألة «الهندام» و«أخطار الفتنة النسائية» ومفاصل ووظائف ونتوءات الجسد النسائي.

وترى النسويات الإسلاميات أن القراءة الأبوية، التي سمحت بالعنف والتمييز ضدهن وليس الإسلام، بل القراءة الذكورية للإسلام هي التي تضطهدهن (!!!). تقول زينب أنور المديرة التنفيذية لجماعة "أخوات في الإسلام"، وهي منظمة ماليزية تعمل من أجل حقوق المرأة في إطار العمل الإسلامي: «في مجتمعاتنا الرجال يمتلكون السلطة، وهم يقررون ما ينبغي أن يعنيه الإسلام، وكيف يمكننا أن نطيع هذا المفهوم المعيَّن في الإسلام» وقالت: «لا أستطيع أن أعيش مع إلهٍ ظالم. القانون نفسه تقدُّميٌّ لكن أولئك الرجال الذين يسيطرون عليه ليسوا كذلك» [١].

بل إن البعض طالب في ورشة عمل «النساء العربيات بين الإيمان الديني والعدالة الاجتماعية، التي انعقدت في القاهرة في عام ٢٠٠٥م، بضرورة بلورة خطاب نسوي ديني يسعى إلى «أسلمة التمكين» و«أسلمة الجندر» وغيرها من مصطلحات الحركات النسائية التي تستخدمها للتعبير عن حقوق المرأة[٢].

(١) خبر على العربية نت بعنوان: قلن: إنهن «يرفضن العيش مع إله ظالم»
www.alarabiya.net /articles /2006 /11 /20 /29233.html

(٢) أقامت مؤسسة المرأة والذاكرة الورشة بالتعاون مع مؤسسة هاينرخ بول Heinrich B-ll Foundation الألمانية على مدى يومين بمشاركة ناشطات وباحثات من داخل وخارج مصر، في محاولة لتحديد خطاب ديني نسائي للراغبات في التعبير عن هوية دينية، والالتزام بمرجعية قيَمية دينية، وبالتالي توحيد النساء العربيات (المسيحيات والمسلمات) في مواجهة إشكاليات متشابهة. وقد أقيمت الورشة بفندق بيراميزا في القاهرة في ١٦ – ١٧ مايو ٢٠٠٥م.
وفي هذا السياق تم تحديد أهداف مثل صياغة منظور ديني ينأى عن التعصب ضد المرأة، وإنتاج خطاب تحرري =

ولتأكيد فكرتهن حول المساواة المطلقة بين الجنسين ترجع النسويات الإسلاميات إلى مفهومي «العدالة» و«الخلافة» في القرآن، والمطلوبين من الجنسين.

تذكر الكاتبة "مارتينا سابرا"[١] في مقال لها بعنوان «مطلوب قراءة معاصرة للإسلام تقر بكينونة المرأة»: «أن الطبيبة والكاتبة المغربية أسماء المرابط قامت في عام ٢٠٠٤م بتأسيس مجموعة عمل لقضايا المرأة والحوار عبر الثقافات في الرباط، وقد أصبحت المبادرة الآن معروفة عبر العالم، إضافة إلى بعض الدول الغربية».

تنقل "سابرا" عن تلك المجموعة أنها تقوم بواسطة عدد من النساء، وكذلك الرجال المهتمين، بفحص القرآن الكريم؛ بحثا عن احتمالات المساواة فيه، تأسيسًا على أن التعاليم الإسلامية تتعاطف مع المرأة إلى حدود أبعد بكثير مما يُعترف به بشكل عام.

وتضم المجموعة كذلك الحقوقية "رشيدة آية حميش"، وهي عضوة في حزب يساري علماني، وهي علمانية ومسلمة (!!!)، وهو أمر لا يشكل تناقضا بالنسبة لها (!!!)، وتقول: إنها تستطيع تحقيق النواحي المختلفة لهويتها في المجموعة. تستطيع أن تكون المرأة مسلمة، وأن تشعر بالحرية في الوقت نفسه. تستطيع اعتناق القيم الإنسانية العالمية التي أنزلها الإسلام ورؤيتها كحالة من حالات إعادة قراءة القرآن الكريم. (!!!)

ووفقا لمنظور النسوية الإسلامية؛ فإن المرأة تعاني من وضع قاتم في كل الدول الإسلامية والعربية، وإن هناك حاجة لمزيد من التقدير للمرأة في الإسلام. وهذا يعني إعادة قراءة النصوص وتحديد تفسيرات سابقة على حقيقتها بعيدًا عن الذكورية والمجتمع الأبوي. (!!!)

= يعتمد على المساواة، ورفع الوعي بقضايا الخطاب الديني التي تخص المرأة، والنظر إلى الاستراتيجيات المستقبلية للتواصل مع المؤسسات الدينية الرسمية ورجال الدين، وإقناعهم بالمشاكل التي تعانيها المرأة والتعامل معها بشكل عملي.
شارك في الورشة: عدد كبير من المثقفين منهم: زينب عفيفي (مصر) رئيس مجلس إدارة جمعية الخدمات الاجتماعية العامة، د. ماري أسعد (مصر) أستاذة الأنثروبولوجي بالجامعة الأمريكية سابقا، د. آمنة نصير (مصر) أستاذ العقيدة والفلسفة الإسلامية بجامعة الأزهر. http: / /www.wmf.org.eg /ar /node /566

(١) مارتينا سابرا مراسلة في موقع www.qantara.de، موقع «قنطرة دي»، مشروع يقوم على شراكة كل من المركز الاتحادي للتعليم السياسي، وإذاعة صوت ألمانيا، ومعهد «غوته»، ومعهد العلاقات الخارجية. كما تقوم وزارة الخارجية الألمانية الاتحادية بدعمه.

وفي ذلك، تقول دكتورة أماني عبد الرحمن صالح- أستاذة العلوم السياسية المساعدة ورئيسة جمعية «دراسات المرأة والحضارة» والباحثة في النسوية من منظور إسلامي-: «إن النسوية الإسلامية تنخرط في المرحلة الحالية في عمليتين: «تأويل النصوص المقدسة (القرآن والسنة) من منظور غير ذكوري (!!!) وغير معاد للنساء، (!!!) ونقد التراث (الممثل فيما هو دون القرآن والسنة من علوم إسلامية) لغربلة عناصر الانحياز الموجودة (!!!) وكشف جذورها الثقافية والتاريخية النسبية، ما يفتح الباب أمام اجتهادات معاصرة تخلو من الانحيازات».

وترى أماني صالح أن إنصاف المرأة يتمحور حول تفكيك التاريخ البشري عن النصوص الإسلامية التأسيسة.

وترى كذلك أن تيار النسوية الإسلامية ليس جزءًا من التيارات الإسلامية السائدة «التي تتسم جميعا بنزعتها الماضوية وتبعيتها غير النقدية للتراث (!!!)، بما في ذلك اتجاهاته الذكورية المستضعِفة للمرأة.

كما أن ذلك الفكر يختلف مع التيار الليبرالي المنادي بحرية المرأة الذي يتبع التجربة الغربية ولديه من ثم قناعة بأن التحديث «يقتضي الخروج عن الدين أو تقييده في حيز الممارسات الطقوسية الشخصية».

أما مؤسسات «المبادرة النسائية الإسلامية للروحانية والمساواة» المعروفة اختصارا بـ«وايز» فقد دفعتهم تلك الفكرة إلى الدعوة لإنشاء مجلس نسائي لتفسير القرآن الكريم، (!!!) معتبرات أن هذا التفسير النسوي خطوة على طريق تحسين صورة الإسلام في الغرب (!!!) حيث يَرَيْنَ أن «أحكام الشريعة الصارمة ليست سماوية؛ لأن الرجال هم الذين صاغوها، وينبغي تغييرها لكي تشمل حقوق المرأة.

نسوية إسلامية أم نسوية علمانية؟

ترى النسويات الإسلاميات أن الدين، أي دين، ليس كما هو شائع، مصدر اضطهاد للنساء، ودليلهن على ذلك استمرار اضطهاد المرأة الغربية. فمع أن المرأة الغربية تحللت من النظم الدينية المسيحية، مصدر الاضطهاد، أو أرادت لنفسها أن تتحرر ومع ذلك ما

يزال هناك اضطهاد للنساء في الغرب، وإلى الآن لم تُحَلّ مسألة المساواة بين الجنسين. ولم تبلغ المرأة الغربية بعد تحررها النموذجي الذي انصبت عليه وانتظرته.

فالمشكلة- عند النسويات الإسلاميات- تكمن في سيطرة السلطة الذكورية على فهم النصوص الدينية وتطبيقها في الواقع، واستمداد السلطة في السيطرة على المرأة وهضم حقوقها من الرؤية الذكورية للدين، وليس من الدين نفسه (!!!).

تدافع النسويات الإسلاميات عن حقوق المرأة، والمساواة بين الجنسين(!!!)، والعدالة الاجتماعية المتجذرة في إطار إسلامي(!!!) يسعى المدافعون إلى تسليط الضوء على تعاليم المساواة المتجذرة في القرآن (!!!) وتشجيع التشكيك في التفسير الأبوي للتعاليم الإسلامية من خلال القرآن والحديث النبوي والشريعة الإسلامية (!!!) من أجل خلق مجتمع أكثر مساواة وعدالة (!!!).

على الرغم من نكهتها الإسلامية، فقد استخدم رواد الحركة النسوية الإسلامية أيضًا الخطاب العلماني والخطاب النسوي الغربي واعترفوا بدور النسوية الإسلامية كجزء من حركة نسوية عالمية متكاملة.

إن ما يسمى بالنسويّة الإسلاميّة هي الأشد نفاقًا وتلفيقًا فهي تريد دولة إسلامية بنكهة حداثيّة تعطي للمسلمة ما أعطت للغربيّة، فعملية الطعن والادعاءات بالفقه الذكوري الصحراوي ليست حديثة بل قديمة.

محاولات تلبيسية إبليسية فاشلة:

تحاول بعض الناشطات!!! النسويات المسلمات تبرير بعض القضايا بالاستشهاد بأمثلة من الصحابة. كما قالت إحداهن: «ألهمتني أمهات المؤمنين، والنساء اللاتي رافقن النبي ﷺ، والرعيل الأول من النساء ممن قادوا الحركة الإسلامية»، فهل تزوج رجال المسلمين في عهد النبي ﷺ نساء تعمل لساعات طوال خارج البيت، وتتظاهر في الشوارع، أو لا تتفق أصلًا مع أدوار الجنسين في الزواج بشكل عام؟ ليس هذا إلا نوع من الخيانة وعدم الموضوعية، فهو إسقاط لقيم العصر الحالي، وفرضٌ للمُثل العلمانية

الحداثية الشهيرة، مثل «تحرير المرأة»، «تمكين المرأة»، كونها ناشطة عدالة اجتماعية على عصر الرسول ﷺ وجيله المبارك.

فهل كان أمهات المؤمنين- رضي الله عنهم أجمعين- يتركن بيوتهن وعائلاتهن للسفر والتحدث أمام جمع من الرجال والنساء المختلطين، كما يحصل هذه الأيام؟ هل سافرن دون محرم لمثل هذه الأشياء؟ هل كن في الصفوف الأمامية لأي معركة، خصوصًا بعد الأمر بالحجاب؟ إجابة كل هذه الأسئلة هي: لا.

ومن ذلك الزعم بأن أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، كانت في الأساس من أثرى ٥٠٠ مدير تنفيذي، وكيف كانت عائشة رضي الله عنها تعلّم الرجال. نعم خديجة رضي الله عنها كانت ثرية، لكنها ورثت ثروتها من زوجها المتوفى وهي لم تقم فعليًّا بإدارة العمل أو السفر أو التجارة بنفسها، بل كلفت رجالًا بذلك. وفضلًا عن ذلك، فقد كرّست نفسها بالكامل وأخلصت حياتها لزوجها ﷺ، وأنجبت له ستة أطفال وأنشأت أسرة. وكانت داعمة ومساعِدَةً لزوجها، قبل وبعد النبوة. وكانت حريصة للغاية على راحته وتلبّي احتياجاته، حتى أنها كانت تعد طعامه وترسله له عندما كان يتحنث في غار حراء. ليس هو النموذج الذي يتمثل في سيدة الأعمال رفيعة المستوى كما يصورها البعض في هذه الأيام.

نعم كانت عائشة رضي الله عنها صاحبة ثروة معرفية وقد نقلت لنا حوالي ثلث الأحاديث المدوَّنة، لكنها نقلت هذه المعرفة من وراء حجاب حفاظًا على حشمتها.

لم تكن هؤلاء الصحابيات التقِيَّات المستقيمات يُمَثِّلْنَ- ولو قليلًا- تلك النماذج التي تروّج لها بعض الناشطات اليوم بقيادة المرأة المسلمة أو كما يُخيّل أو يصوّر لتلك الصورة الذهنية بأنهن كنّ مسلمات مستقلات، متمكنات، وقويات، فنحن نحتاج إلى وقف الإسقاط العكسي للأهواء والرغبات.

لماذا لا يبرز الناشطات المسلمات زوجات النبي الأخريات، فمعظمهن لم تكن ذات ثروة، أو تدرّس، بل تقضي وقتها الذي لا تتعبد فيه في خدمة النبي، ورعاية أبنائه، صيانة أسرته؟ ألسن أيضًا من أمهات المؤمنين؟ (وهذا القول بالطبع لا يعني أن عائشة رضي الله عنها لم تطبخ أو تلبي الاحتياجات الأسرية للنبي ﷺ).

لماذا لا تبرز الناشطات المسلمات شخصية مثل مريم- عليها السلام-؟

مريم أم عيسى- عليهما السلام- من أتقى النساء على الإطلاق، وهي المرأة الوحيدة التي ذكرها القرآن بالإسم. فقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٢ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢-٤٣].

فهي قدوة لجميع النساء، والدور الذي شرفها الله به هو دورها كأم. في الإسلام، التركيز والاهتمام مُنْصَبٌّ على دور المرأة في الأمومة والعائلة، لا على دورها بالعمل كموظفة أو سيدة أعمال، أو كجندية، أو من أي شي نراه اليوم.

من المقلق أن يكون الناشطات المسلمات ناشرات للقيم النسوية بصفتها إسلامية، بينما في الحقيقة لا شيء يربط بينهما.

جناية النَّسَوِيَّة على النصّ القرآني

لقد نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥]، وإتقان اللغة أحد أهم شروط فهم النص وتفسيره. وتفسيرات النَّسَوِيَّة للقرآن الكريم تتولاها في العادة مثقفات مسلمات غير متخصصات أكاديميًا في علوم الشريعة أو اللغة. وقد بدأت تلك المحاولة على يد نسويات إسلاميات في الغرب أولًا ثم انتقلت إلى نظيراتهن العربيات.

قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤].

تحرف النسويات كلام الله وتُقدِّم حيال تلك الآية معنى لغويًّا للفظ: ﴿وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ﴾ يختلف عن المعنى الشائع، يشير إلى المفارقة أو الابتعاد. وهذا ما ذهبت إليه نسويات مسلمات في الغرب مثل الأميركية من أصل إيراني «لاليه بختيار» (Laleh Bakhtiar) التي ترجمت القرآن إلى الإنكليزية عام ٢٠٠٧، ما أثار الجدل وقتها التفسير ذاته كما أشارت إليه الأميركية من أصل أفريقي آمنة ودود (Amina Wadud) في كتابها «القرآن والمرأة: إعادة قراءة النص القرآني من منظور نسائي».

وهذا المنهج يجعل من كلام الله مرتعًا لكل جاهل يقول فيه برأيه ويجتهد فيه بسفهه، ويستهجن أقوال أهل العلم بالتفسير، وهم الأئمة المرضيون والسادة الراشدون، فالمفسرون هم أهل العلم بالقرآن والسنة العالمون بلغة العرب التي نزل بها القرآن، الذين أخذوا التفسير عن أسلافهم الذين أخذوه عن أسلافهم حتى أخذه الأسلاف عن الصحابة الذين فيهم نزل القرآن وهم أعلم الناس بتأويله: صحبوا النبي ﷺ، وجاهدوا

معه، وتعلموا منه، وقد قال الله ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

فمن سلك غير هذا المسلك وطرق غير هذا الطريق فقد انحرف عن الجادة، وسلك مسلك أهل الأهواء والبدع الذين يحدثون في دين الله ما ليس منه، ويحرفون الكلم من بعد مواضعه[١].

تؤكّد النسوية الإسلامية (!!!) على حق كل جيل في إنتاج فهمه الخاص للنصّ الديني وفقًا لظروفه واحتياجاته، (!!!) مع احترام التراث من دون تقديسه، والاستفادة منه فيما نراه صالحًا لزماننا.

الجذور التاريخية لنشأة التفسير النسوي للقرآن الكريم:

يعتقد الكثيرون أن الكاتبة الأمريكية «أمينة ودود» هي أول امرأة تقدم تفسيرًا للقرآن الكريم من منظور نسوي، وذلك في كتابها (المرأة والقرآن) الصادر في خواتيم القرن الماضي، لكن هذا الكتاب الذي ذاع صيته وترجم إلى العربية في حينه ورفض الأزهر تداوله لم يكن الأول في مجاله، فقد استبقه كتاب آخر أثار ضجة كبرى في حينه وهو (السفور والحجاب) الذي صدر عام ١٩٢٨ للكاتبة اللبنانية الدرزية[٢] «نظيرة زين الدين»، ووضع القواعد المنهجية الأولى للتفسير النسوي.

نظيرة زين الدين وكتابها (السفور والحجاب):

ولدت نظيرة سعيد زين الدين حسن إبراهيم في بعقلين عام (١٩٠٨م) لأسرة درزية معروفة من جبل لبنان. والدها سعيد زين الدين (١٨٧٧-١٩٥٤م) الذي تعين في عدة مناصب قضائية في بيروت وقوزان وأضنة وحلب والآستانة، وقد تلقت تعليمها الأولي

(١) وسيأتي الرد بالتفصيل على هذا التحريف في الفصل التالي إن شاء الله.

(٢) الدروز ليسوا مسلمين، فهم فرقة باطنية كافرة تؤلِّه الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، وينكرون الأنبياء والرسل جميعًا، ويلقبونهم بالأبالسة. وينكرون القرآن الكريم والجنة والنار والثواب والعقاب الأخرويَّيْن. وينكرون جميع أحكام وعبادات الإسلام وأصوله كلها. ويبغضون جميع أهل الديانات الأخرى والمسلمين منهم بخاصة ويستبيحون دماءهم وأموالهم وغشهم عند المقدرة. ويحرمون البنات من الميراث.
انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١/ ٣٩٨-٤٠١).

بمنزلها على يد معلمة خاصة ثم التحقت بمدرستين للراهبات قبيل أن تنتسب إلى الكلية العلمانية الفرنسية التي نالت منها شهادة البكالوريا عام ١٩٢٨.

ويبدو أثر هذين النوعين من التعليم (المسيحي/ العلماني) في خطابها الذي تتزاحم فيه المرجعيات سواء أكانت مرجعيات دينية (إسلامية، مسيحية، أو حتى توراتية) أم مرجعيات علمانية لا دينية، ويتجلى في تجاور الاقتباسات والنصوص الدينية على قدم المساواة مع النصوص العلمانية الصريحة دون شعور من جانبها بتنافي المرجعيات واختلال النص.

من جهة أخرى قد يكون صحيحًا أن دراستها في مدرسة دينية مسيحية قد جعل لديها تقبُّلًا أو على الأقل عدم نفور من بعض المسائل التي تثير الحساسية الإسلامية المعتادة مثل الاقتباس عن الكتب السماوية الأخرى وبخاصة التوراة، أو عدم الاستياء من التبشير المسيحي الذي كتبت عنه بضع صفحات في كتابها الثاني (الفتاة والشيوخ) وأبدت خلاله إعجابًا وتقديرا لما شيده المبشرون من مؤسسات تعليمية ونهضة علمية في منطقة الشام.

صدر كتاب «السفور والحجاب» في بيروت عام ١٩٢٨، وهو أول بحث نظري مكتمل يناقش مسألة الحجاب في بلاد الشام ويتبنى الدعوة إلى نزعه، وقد جاء الكتاب في أربعة أقسام: الأول يناقش المشروع الفكري للمؤلفة ويقدم تعاريف للحرية والشرع والعقل، والثاني يتناول الأدلة العقلية على وجوب السفور، والثالث ويدرس الأدلة الدينية المتعلقة بالحجاب، وهو أهم أقسام الكتاب على الإطلاق إذ درست فيه أقوال المفسرين وقارنت بينها وأتبعتها بعملية إعادة تأويل لها انطلاقا من المرجعية النسوية، والرابع يبحث في وجهات النظر المخالفة للسفور ويفندها.

معالم القراءة النسوية للنص القرآني:

وضعت نظيرة زين الدين في كتابها جملة من القواعد التي صارت فيما بعد من القواعد المتبعة لدى النسويات، ومن أهم تلك القواعد:

أولًا: الادعاء بتحامل المفسرين على المرأة.

ثانيًا: الدعوة إلى طرح الأدوات والمناهج التراثية واستبدالها بأخرى، يفضي القول بتحامل المفسرين وتحيزهم ضد المرأة إلى نتيجة منطقية ألا وهي ضرورة طرح التفاسير القديمة بمناهجها وأدواتها.

ومن ثم تختم كتابها بالدعوة إلى تأليف لجنة لتفسير القرآن الكريم بحيث تضم علماء الاجتماع والأخلاق والمختصين بالعلوم والفنون ويشتغل كل منهم ضمن دائرة اختصاصه، حتى يتوافر لدينا تفسير عصري يواكب العلم والتطور.

ثالثا: التعامل المباشر مع النص القرآني:

افترضت نظيرة أنه بمقدور أي إنسان أن يتعامل مع النص القرآني مباشرة ودون وسيط من أقوال المفسرين أو المناهج التفسيرية المعتمدة، وهذا الإقصاء الكلي لقراءات ومناهج علماء السلف قد أفقد الكاتبة الأدوات اللازمة لفهم النص على وجهه الصحيح فضلا عن القدرة على تفسيره، وقد أغفلت نظيرة عامدة في مقدمة كتابها الإشارة إلى الأسس المنهجية التي ستتبعها في التفسير، والتي اختزلتها حين التطبيق في موافقة ظاهر العقل.

القراءة النسوية وإشكاليات التطبيق:

بمراجعة نقول نظيرة عن التفاسير بخصوص الحجاب ومقارنتها بالتفاسير المذكورة تجد أنها قد شابتها بعض الأخطاء المتعمدة من قبيل بتر فقرة عن سياقها العام بحيث تدل على معنى غير صحيح لم يُرِدْهُ المفسر، أو حذف بعض المعاني التي لا تريدها، أما أخطرها على الإطلاق فهو إضافة فقرات غير موجودة في النص الأصلي.

وليس هذا الإشكال الوحيد الذي وقعت فيه فقد أشار الشيخ مصطفى الغلاييني- في كتابه الذي خصصه للرد عليها- إلى عدم تمكنها من أدوات اللغة بحيث تستطيع التعامل مع النص الشرعي، وذكر جملة من مغالطاتها في ذلك، كما انتقد عدم قدرتها على التمييز بين الأحاديث النبوية الصحيحة والأحاديث المغلوطة التي غص بها كتابها.

أما أهم الإشكاليات فهي في التعامل مع النص الديني باعتباره متحيزًا للرجل وبالتالي

ضرورة التمركز حول المرأة أو النوع لإنتاج نص غير متحيز، دون إدراك لطبيعة النص المطلقة والمتعالية عن ثنائية الذكورة والأنوثة.

نقد أصول التفسير النسوي للقرآن الكريم:

الرؤية النسوية وتفسير القرآن:

شهدت العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين وما يليها تطورًا كبيرًا للحراك النسوي العربي، وهو وإن لم يرقَ إلى مستوى الفكر الغربي من حيث الحضور الفلسفي فيه إلا أنه أخذ في التنامي من خلال الكتابات النسوية في مجالات مختلفة، كان موضوع التراث الديني- القرآن الكريم والسنة النبوية- من أبرزها.

وبات تفسير القرآن الكريم محط اهتمام الفكر النسوي العربي لا بهدف الوصول لمراد الله سبحانه في كتابه العظيم وإنما بهدف الهجوم على ما لا يتوافق مع أصول الفكر النسوي في محاولة مبتورة لدفاع مزعوم عن المرأة ومكانتها في المجتمع وحقوقها المهضومة على مر التاريخ.

١- الرؤية النسوية للقرآن الكريم:

يمكن القول بأن الرؤية النسوية للقرآن الكريم تنطوي على اتجاهين رئيسيين:

الاتجاه الأول: هو الاتجاه النسوي العلماني، وترى بعض متطرفات هذا الاتجاه أن القرآن الكريم ما هو إلا كتاب يرتّل بنغمة واحدة خالية من المعاني، وتستعيض عنه بأنظمة وضعية غربية، بينما تجرده نسويات أخريات من وظيفته التشريعية وتحصره في جانبه الروحاني فحسب، ومن أبرز رائداته: نوال السعداوي، ورجاء بن سلامة.

تقول نوال السعداوي في أحد لقاءاتها: «تجديد الخطاب الديني يعني تغيير النصوص»، وتسألها المحاورة عما إذا كان ذلك يشمل القرآن الكريم فتجيب بالإثبات. وتعتبر القرآن مجرد كتاب وليس نصًّا إلهيا، كما تعتبر الأمر بالعبادات في القرآن كالصلاة والصوم والحج ليس مهمًا.

الاتجاه الثاني: هو الاتجاه المسمى ب«الإسلامي»[١]- الذي يسمّيه البعض توفيقيًّا أو إصلاحيًّا-، ويتخذ هذا الاتجاه من القرآن الكريم مرجعًا لتنظيراته حول المفاهيم النسوية عن طريق إعادة قراءة النص القرآني وفهمه وفق منهج حداثي، ومن أبرز رائداته: آمنة ودود، وأميمة أبو بكر، وزيبا مير حسيني.

ترى آمنة ودود في مقدمة كتابها «القرآن والمرأة» أنه يتعين على كل بيئة اجتماعية فهم أصول ذلك النص الثابتة والأساسية وتنفيذها بعدئذ حسب فهمها الخاص بها (!!!)؛ وذلك من أجل تحقيق مقصد القرآن ليعمل كعامل محفز يؤثر على السلوك في المجتمع(!!!).

وأن التمسك بمنظور ثقافي واحد في تناول القرآن- حتى وإن كان المنظور الثقافي الخاص بمجتمع النبي الأصلي- يؤدي إلى تقييد استخدامه ويتناقض مع هدف القرآن الذي يعلنه القرآن ذاته(!!!).

وهكذا تُتداول رؤية الاتجاه النسوي العربي للقرآن الكريم بين من يحاول نزع قداسته ويجوِّز تغيير نصوصه، وبين من يراه نصًّا مقدسا ولكن يجب إعادة فهمه وتطبيقه في كل ظرف اجتماعي بحسبه دون تقييد بفهم واحد.

٢- الرؤية النسوية للتفسير القرآني:

وأما عن موقف الرؤية النسوية من تفسير القرآن الكريم، فترى النسوية التأويلية- التي تبحث في تأويل القرآن- أن القرآن الكريم موجَّه للجنسين دون تمييز بينهما، وتستنتج من ذلك أنه لا يحق لأحد الجنسين أن يستأثر بقراءته أو تفسيره دون الآخر، وتستنكر حالة القمع ووطأة الرأس تحت التفسيرات الذكورية للقرآن وادعاء شرعيتها باسم الدين، وترى أنه من اللازم أن توجد عالمات تفسير نسويات يخالفن الآراء الذكورية الموجودة في تفاسير القرآن تجاه قضايا المرأة، (!!!) لتتخلص النساء من الاضطهاد الذي سبّبته تلك التفاسير عبر القرون (!!!).

(١) مع أنه يهدم في أصول الإسلام وثوابته!!.

كما ترى أنه لا يوجد تفسير نهائي يُتوقف عليه، بل إن كل نص ينبغي أن يُفهم بما يناسب عصره، بما في ذلك النصوص المتعلقة بقضايا المرأة.

وهكذا تجمع الرؤية النسوية للتفسير القرآني بين مُناهِضةٍ للتفسير الذكوري المنحاز ضدّ المرأة، والذي يمثله علماء التفسير في كتبهم عبر القرون، وبين المُناصِرة لتفسير نسوي يجب أن تتبناه مفسّرات نسويات (!!!) سعيًا لنتائج مُرضية (!!!) فيما يتعلق بقضايا المرأة المُضمَّنة في القرآن، كالطلاق وتعدّد الزوجات والحجاب وغيرها.

بيد أن هذه الرؤية النسوية للقرآن وتفسيره تنطوي على عدة أصول تتضح من خلالها الأخطاء التي وقعت فيها ربَّات هذا الاتجاه عند تبنيها تلك الرؤية، وفيما يلي عرض موجز لأبرز هذه الأصول ونقدها.

الأصول التي تقوم عليها الرؤية النسوية لتفسير القرآن ونقدها:

يدرك المتأمل في الرؤية النسوية لتفسير القرآن الكريم أنها لا تعترف بالمنهج الذي سلكه المفسرون الأوائل في تفسير القرآن، بل ربما لا تحاول دراسته دراسة تقوم على الإنصاف والنظر في أصوله، وإنما تضع التفسيرات التي لا تقوم على الرؤية النسوية في خانة واحدة وهي خانة الذكورية البغيضة التي يجب الفرار من نارها إلى جنة النسوية، كما تتجاهل الرؤية النسوية مراتب الأحكام الشرعية ولا تفرق بين أقوال المفسرين التي تعتمد على ثبوت شرعي أصلي وبين أقوالهم التي تنطلق من أمثال ورؤى اجتماعية يمكن تناولها بحسب مناسبتها للظرف الذي قيلت فيه.

وهكذا تفارق الرؤية النسوية لتفسير القرآن مناهج المفسرين السابقين، منطلقة في ذلك من عدة أصول، من أهمها الأصول الثلاثة الآتية:

١- نظرية التأويل (الهرمنيوطيقا):

يُعرَّف مصطلح الهرمنيوطيقا (Herméneutique) بأنه يعني: «تفسير نصوص فلسفية أو دينية وبنحو خاص الكتاب (شرح مقدس)، ويقال خصوصًا على ما هو رمزي».

وقد تعرّض هذا المصطلح لتطورات عدّة في مدلوله حسب تطور الفكر الديني والفلسفي في السياق الحضاري الغربي، حتى انتقل إلى المسيحية حيث غلبت عليه

النزعة الرمزية، وتم وضع قواعد لضبط التأويل عرفت بالقواعد الأوغسطينية الأربع، ثم ظهرت بسبب سلطوية الكنيسة -ضمن أسباب أخرى- تأويلات متمردة عليها، وتدرج التحرر من النظام الكنسي حتى كاد يُفقد النصوص محتواها بَلْهَ قداستها، وتسبب ذلك في ظهور بعض النزعات الإلحادية.

وقد اتخذت النسوية الغربية من «الهرمنيوطيقا» أصلا لها للتخلص من التفسيرات الدينية ذات الطابع الأبوي بحسب الرؤية النسوية، وتبعتها في ذلك النسوية العربية عند التعامل مع النص القرآني، فنجد أميمة أبو بكر تقول: «فيما يخص... آليات إعادة تقييم الموروث الديني، نلاحظ التشابه في دراسة الموضوعات التأويلية المستمدة من نصوص إنجيلية وقرآنية».

ويظهر أثر الهرمنيوطيقا عند التعامل مع النصوص الشرعية في كتابات نسويات عربيات مبرزات مثل: آمنة ودود، وفاطمة المرنيسي.

نقد الأصل الأول:

يتضح مما سبق أن النسوية العربية تناولت النص القرآني على أساس المماثلة بينه وبين النصوص الدينية المسيحية، وهذا لا يدع مجالا للشك في بطلان هذا المنهج، فهو يبرز فساد النظرة النسوية العربية للتعامل مع القرآن، لأنها ستكون مبنيَّة على الإقبال على النص القرآني بأفكار سابقة التشكل من منهج ثقافة أخرى مخالفة، ولدواع- ربما كان لها ما يبررها في الغرب- لكنها لا تنطبق على القرآن الكريم.

كما يتضح من هذا الأصل مدى إغفال النسويات العربيات للعلوم الشرعية-ومن أهمها علم التفسير وأصوله- التي كانت منطلَق فهم القرآن والنصوص الشرعية بصورة أعم، ومعرفة كيفية استنباط الأحكام منها، فتجمع النسويات العربيات في ذلك بين التقليد الأعمى للحالة الغربية واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير.

٢- محاولة الجمع بين الإسلام والحداثة:

تتجلى محاولة الجمع بين الإسلام والحداثة بطرح ما يعرف ب (حداثة الطريق الثالث) كما تسميها بعض النسويات، والتي ترى أن الإسلام والحداثة يتقابلان ولكن

لا يتضادّان، والتي تعرّفها أسماء المرابط بأنها: «حداثة تربط التصورات الأخلاقية العالمية بالمثل الإنسانية العليا في الإسلام»، ويشتمل هذا التعريف على مفهومين حرصت عليهما النسوية العربية في محاولتها للربط بين الإسلام والحداثة، وهما: تفكيك الإسلام إلى «كلّيات» يُعتمد عليها، و«جزئيات» لا يُلتفت إليها مضمنا في قولها (المثل الإنسانية العليا للإسلام)، وكذلك تاريخية النصوص الشرعية من خلال قولها (التصورات الأخلاقية العالمية)، فإن تلك التصورات تختلف مع الزمن، وانطلاقًا من هذا الأصل فإن تفسير القرآن لا يقف عند حدٍّ أو معنى، بل ينبغي إعادة تفسيره بما يتوافق مع الزمن، وهذا ما تقرره إقبال بركة بقولها: «موقف القرآن من المرأة كان موقفا في عصر معين، ووُضِعت تلك القوانين لعصر معين، ومن الممكن جدا أن مثل هذه الأشياء قد لا يسمح العصر الذي نعيش فيه بتطبيقها».

نقد الأصل الثاني:

ورغم أن النسوية أتت حركةً أبعد ما تكون عن التصور الديني الصحيح، بل كانت عند ظهورها في الغرب خروجًا عن الدين، إلا أن النسويات العربيات يسعين في تغافل عجيب للجمع بينها وبين الإسلام عن طريق تأويل نصوصه وفق مناهج حداثية، ومعلوم أن هذا لا يتم إلا بتجريد النص الشرعي- والقرآني على وجه الخصوص- من روحه ومعناه:

- تارة بزعم التمسك بالمقاصد العامة للقرآن على حساب الأحكام الجزئية، وهو تمسّك مشوّه لأن الأمر في المصالح مطرد مطلقا في كليّات الشريعة وجزئياتها.
- وتارة بزعم تاريخانية النص القرآني واختزاله في زمان ومكان محدَّدين، أي نزع عموم شرعيته منه، وهي جريمة عظيمة لأن الإسلام هو الدين الخاتم وشريعته هي الشريعة الخالدة وفيه ما يصلح لكل عصر ومصر، فليس تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها.

فالتفسير الحداثي للقرآن إذَن يجعل المقدّس عرضة للعبث بأيدي كل من راح

وجاء، انطلاقًا من اعتباره منطويًا على رموز يتم تأويلها برؤى مختلفة زمانا ومكانا، وما ذلك في حقيقته إلا اتباع للهوى المنهيّ عنه في الشريعة مهما تلبّس بشتى المسميات.

٣- محاكمة النص القرآني إلى الجندر:

يعد مفهوم الجندر (gender) مفهوما واسعًا ومحوريًّا في الدراسات النسوية، والترجمة العربية لهذه الكلمة تعني النوع أو الجنوسة، ويشير هذا المصطلح إلى أن الاختلافات بين الجنسين ترجع إلى التركيب الاجتماعي الثقافي لا إلى الطبيعة البيولوجية لأيٍّ منهما، وأن مفاهيم الذكورة والأنوثة هي ببساطة صناعة اجتماعية ثقافية.

وتسعى النسويات من خلال تفسيرهن للقرآن إلى محاولة (جندرة القرآن) بتأويل نصوصه على أساس عدم التفريق بين الجنسين بأي وسيلة، كما فعلت بعض الباحثات النسويات مع آية الخلق ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١] بتفسير نسوي مقابل للتفسير المشهور، وهو أن النفس الأولى هي نفس الأنثى.

نقد الأصل الثالث:

تنطلق النسوية في تفسيرها للقرآن من رؤية أوليَّة تريد تضمينها في القرآن كيفما اتفق، فهي لا تبحث عن المعاني الحقّة للنص القرآني بهدف اتباع مراد الله من عباده ذكورا وإناثا، وإنما تبحث عن وسيلة لشرعنة فكرة تعتنقها بعينها، ولا يخفى أن هذا الأسلوب في البحث من قواصم الموضوعية، فلئن كانت النسويات العربيات يتهمن تفاسير القرآن بالتوصل لنتائج ذكورية بحسب مرادهم من المرأة، فإن المنهج النسوي الذي يتبنينه أعظم جرما من اتهامهن- على فرض صحّته- لأنه منهج يتعمد الأدلجة.

كما يعكس المنهج النسوي في هذا الإطار اعتقادا ضمنيًّا لمفاهيم معكوسة، فبدلا من كون النص القرآني نصًّا مقدّسا يتحاكم كل شيء إليه، فإن النسويات العربيات- ويا للمفارقة- يحاكمن النص القرآني إلى مفهوم الجندر، وعلى أساس الالتقاء معه يكون حكمهنّ على التفسير صحةً وفسادًا، فأي إنصاف تتحدث عنه الرؤية النسوية في تفسير القرآن؟ وأيَّة موضوعية تريد أن تتبناها؟

يتضح مما سبق أن الرؤية النسوية لتفسير القرآن الكريم تقوم على بعض الأصول

الفاسدة التي تُفقد النص القرآني قداسته بل مفهومه ودلالته، وتُقبل عليه بأيديولوجية مسبقة تهدف إلى شرعنة المفاهيم النسوية، فليس منهج البحث النسوي في القرآن منهجًا للبحث عن مراد الشارع الحكيم- سبحانه وتعالى- وإنما للبحث عن رغبات ذاتية مَنْبَتُها ضغوط العصر الراهن وتحدياته.

وتتجاوز الرؤى النسوية مجرد تبني هذا المنهج إلى محاكمة المناهج التفسيرية الأخرى إليه، فمن يتبنّى رؤاها فهو السليم، ومن يرفضها فهو السقيم!، وليت الأصول التفسيرية النسوية كانت من إبداع تلكم النسويات، بل إن كثيرا منها منحولة من الثقافة الغربية دون تمييز، في نموذج منقطع النظير من التسوّل المعرفي مع الجهل بكيفية توظيف المعارف المتسوَّلة.

الفهرس

الإهداء ٤
قَال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ: ٨
كلمات ليست عابرة..... ٩
هل تعلم؟ ١٤
وهل تعلم أن ١٥
أفيقي أخيّة..... ٢٣
الفصل الأول: المرأة بين تكريم الإسلام وإهانة غيره من الأديان والمذاهب الأرضية ٢٨
تكريم الإسلام للمرأة..... ٤١
ضمانات حقوق المرأة الزوجية ٤٨
الفصل الثاني: ما هي النسوية ٥٧
الحركة النسوية في ميزان الإسلام..... ٨٠
الإباحية وحروب الجنس في الفكر النسوي..... ٨٣
النسوية دعوة مفتوحة للدعارة..... ٨٧
الفصل الثالث: وليس الذكر كالأنثى ٩٥
ليس الذكر كالأنثى..... ١١١
الأمور التي ساوى وفرق بها الإسلام بين الذكر والأنثى..... ١٢١
المساواة ظلم أم عدل؟ ١٣٢

من هي؟ ١٤٤
الفصل الرابع: دعاة النسوية: نماذج حية.. أقوال وأفعال ١٤٥
هكذا كانت الرائدة سيمون دي بوفوار ١٤٧
ومن بني جلدتنا نماذج ١٥٣
تناقض دعاة النسوية ١٧٢
لماذا أصبحنا نسويات؟ ١٧٥
الفصل الخامس: الثمار المرة للنسوية وتحرير المرأة ١٨٨
الحركات النّسوية طريق الارتداد عن الدّين ١٩٢
«لا» للقومية النسائية ١٩٩
دور النسوية في تفكيك الأسرة في المجتمعات الغربية ٢٠٣
شهادات غربية ٢١٩
أجيال في خطر ٢٢٩
«موت الغرب».. كتاب يكشف شيخوخة الغرب وانقراضه ٢٣٤
الأسرة ... العدو اللَدود للفكر النسوي ٢٣٨
الفكر النسوي وتدمير الأسرة الأمريكية ٢٤٣
واقع المرأة في الغرب ٢٥٥
حقيقة حياة المرأة الغربية ٢٦٣
المرأة الغربية أرقام ناطقة.. وحقائق شاهدة ٢٧٢
تسليع المرأة ٣٠٦
الفصل السادس: دور الأمم المتحدة في هدم المجتمعات الإنسانية ٣١٥
مخاطر عولمة المرأة ٣٣١
كيفية مواجهة مؤتمرات السكان والتنمية ٣٤٠

مفهوم العنف ضد المرأة وجذوره التاريخية ٣٤٥
وقفات شرعية مع مفهوم العنف ضد المرأة في الاتفاقيات الدولية ٣٥٢
العنف المسكوت عنه!! ٣٥٧
ظاهرة تأنيث الفقر ٣٦٢
مسوغات الأمم المتحدة في تحديد النسل ٣٦٨
تحديد النسل، وسائل ووقائع ٣٨١
«تنظيم الأسرة» عندما يكون غطاءً للانحلال الأخلاقي! ٣٩٤
كيف تقود الأمم المتحدة المجتمعات إلى الانحلال؟ ٣٩٩
«الإباحية الجنسية» واحدة من كوارث «التنمية المستدامة» ٤٠٥
«الجنس الآمن» كما تراه الأيديولوجية النسوية ٤١٤
حقوق المرأة والطفل بين الحقيقة والادعاء ٤١٧
حقوق الإنسان في المنظور الغربي ٤٢٦
عجائب وغرائب ٤٣٥
الفصل السابع: ضد إفساد النسوية ٤٣٩
ضد النسوية.. موقف من داخل الثقافة الغربية ٤٤١
نظرات في كتاب «خطايا تحرير المرأة» لـ «كاري إل. لوكاس» ٤٤٥
شهادة من أمريكا هدية لكل مخدوع ومهزوم نفسيًا ٤٥٠
وشهادة أخرى ٤٥٥
جلوريا شتاينم- كيف استخدمت وكالة المخابرات المركزية الحركة النسوية لخلخلة المجتمع ٤٥٦
مقتطفات من كتابات لنساء غربيات ورجال ضد النسوية ٤٦٣
اعترافات حول ما يسمى ب (تحرير المرأة) والاختلاط والمساواة بين الجنسين .. ٤٩١

حركة العفة ... ثورة مضادة للإباحية ٥٠١
انتشار مدارس الجنس الواحد في بلاد الغرب..... ٥٠٦
شهادة امرأة عاقلة ٥١١
الفصل الثامن: النسوية الإسلامية إسلامية أم غربية بنكهة إسلامية؟..... ٥١٤
جناية النَّسَوِيَّة على النصّ القرآني ٥٢٧